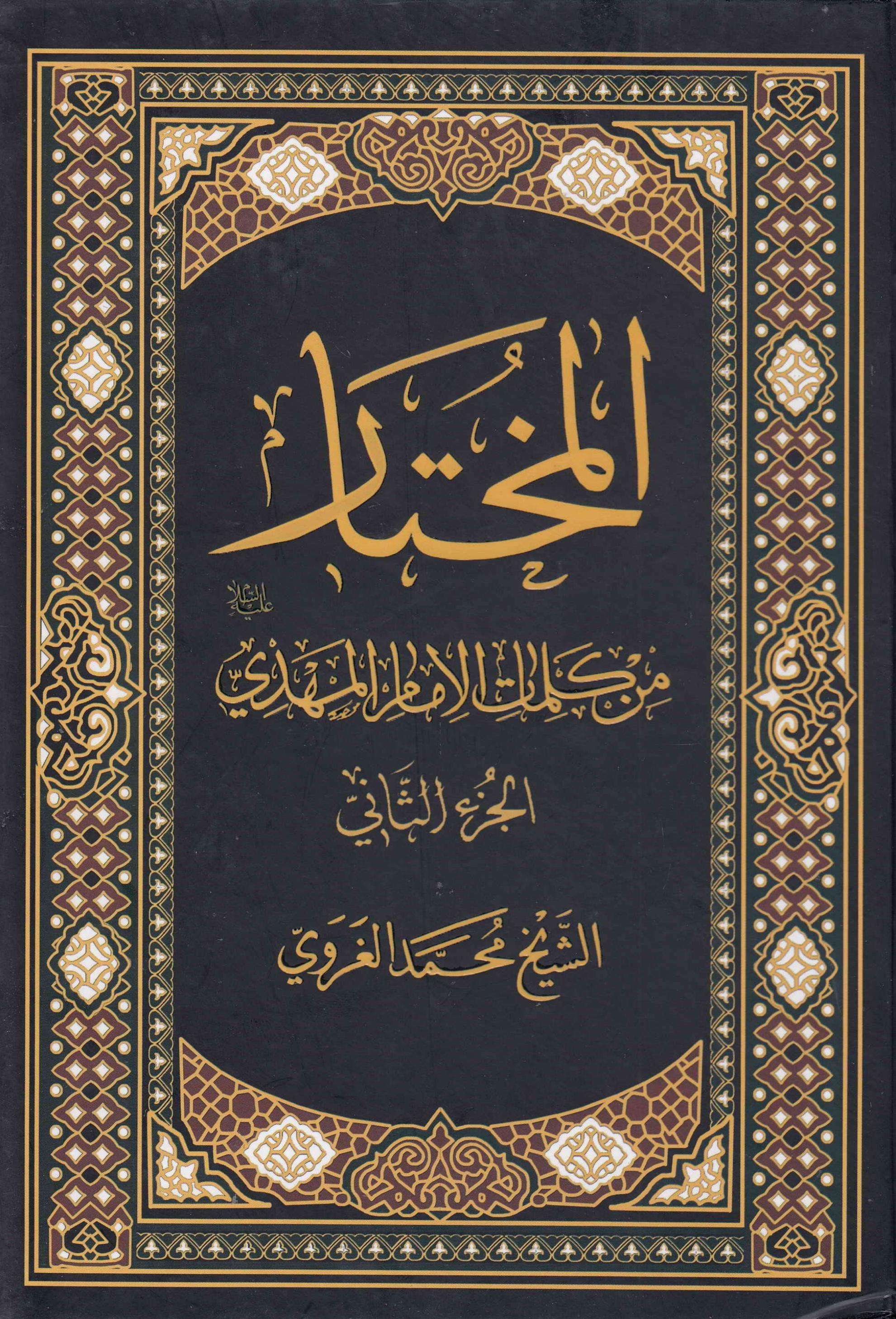

المختار
من كلمات الإمام المهدي عليه السلام
الجزء الثاني
الشيخ محمد الغروي



المختار

من كلمات الإمام المهدي عليه السلام

تأليف

الشيخ محمد الغروي

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفىٰ، والصلاة والسلام على رسول الله محمّد المصطفىٰ

وآله المعصومين الأئمّة الخلفاء عليهم السلام



باب الزاي

١٩٥

زاهداً في الدنيا زُهدَ الراحل عنها
ناظراً إليها بِعَين المستوحشين منها

من إحدى الزيارات الثلاث أو الأكثر الّتي يُزار بها يوم عاشوراء برواية ابن المشهدي: وممّا خرج من الناحية إلى أحد الأبواب، قال: تقفُ عليه صلّى الله عليه، وتقول: «السلام على آدم صفوة الله... حافظاً للعهد والميثاق، ناكباً عن سُبُل الفُسّاق، باذلاً للمجهود، طويل الركوع والسجود، زاهداً في الدنيا زُهد الرّاحل عنها، ناظراً إليها بعين المستوحشين منها آمالك عنها مكفوفة، وهمّتك عن زينتها مصروفة... ثابت الجأش غير خائفٍ ولا حاشٍ... وأمر اللعين جُنُوده فَمَنَعوك الماءَ وَوُرُودَهُ... برحمتك يا أرحم الراحمين»[1].

---

(١) المعروف بالمزار الكبير: ٤٩٦ ـ ٥٠٣ ط، قيومي. رواه جمع منهم: المجلسي ﵀ في البحار ١٠١: ٣١٧ ـ ٣٢١ فيها المختار ٣٢٨ مع شرح لها رقم الباب ٢٤ والزيارة رقمها ٩ وادّعى عدم اختصاصها بعاشور: وفي معجم رجال الحديث للسيّد الخوئي ١٧: ٢٥٩ ترجمة محمّد ابن المشهدي رقمها ١١٧٩٥، وله ﵁ كلام تسمعه من القيّومي القائم بطبع المزار أخيراً الموجود عندي في مقدّمته مع صاحب المعجم ﵀ منه نوع خلط. فراجع وانظر مقدّمة الوسائل ١: ٨ ، قبل بيان الفهارس وقبل الفصل الأخير عند تعداد الكتب قال: كتاب المزار لمحمّد بن عليّ المشهدي إلخ، وتمسّك السيّد الخوئي بكتاب المزار لمحمّد بن عليّ المشهدي بأنه لم يذكر الجدّ الّذي لم يعلم أنّه من العلماء وكيف كان تجد المختار ص ٤٩٦ من المزار وآخرها ص ٥١٣ طبعة القيّومي، قم.

الثانية: ما ذكرها ابن قولويه رحمه الله بالإسناد في الباقري المشتمل على ضمان الأجر والآداب.

أوّلها: «السلام عليك يا أبا عبدالله السلام عليك يابن رسول الله السلام عليك ياخيرة الله وابن خيَرَته... صلّى الله عليه وعليهم أجمعين، ثمّ تقول مائة مرّة: اللّهمّ العن أوّل ظالم ظلم حقّ محمّد وآل محمّد... ثمّ قل مائة مرّة: السلام عليك يا أباعبدالله وعلى الأرواح الّتي حلّت بفنائك وأناخت برحلك عليكم منّي سلام الله أبداً... ثمّ تقول مرّة واحدة: اللّهمّ خُصّ أنت أوّل ظالم ظلم آل نبيّك باللعن، ثمّ العن أعداء آل محمّد من الأوّلين والآخرين اللّهمّ العن، يزيد وأباه والعن عُبَيدالله بن زياد وآل مروان وبني اُميّة قاطبة إلى يوم القيامة، ثمّ تسجد سجدة، تقول فيها: اللّهمّ لك الحمد حمد الشاكرين على مصابهم الحمد لله على عظيم مصابي ورزيّتي فيهم اللّهمّ ارزقني شفاعة الحسين يوم الورود وثبّت لي قَدَمَ صِدْقٍ عندك مع الحسين، وأصحاب الحسين الّذين بذلوا مهجهم دون الحسين صلوات الله عليهم أجمعين.

قال علقمة: قال أبوجعفر الباقر عليه السلام: يا علقمة إن استطعت أن تزوره في كلّ يوم بهذه الزيارة من دهرك فافعل، فلك ثواب جميع ذلك إن شاء الله تعالى»[١].

الثالثة: رواية الشيخ الطوسي رحمه الله بإسناده عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع عن صالح بن عقبة، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام الزيارة المشهورة، المذكورة في الكتب المتداولة مع الدعاء عن الصادق عليه السلام برواية صفوان بن مهران بعد قراءة الزيارة[٢].

* * *

(١) كامل الزيارات: ١٧٤ ـ ١٧٩، الباب ٧١، عنه البحار ١٠١: ٢٩٠ ـ ٢٩٣، الرقم ١، البلد الأمين: ٢٦٩ ـ ٢٧٠، مصباح الزائر للسيّد ابن طاووس: ٢٦١ ـ ٢٨٦، وفي هوامشه الكتب بهذا الصدد، طبعة مؤسّسة آل البيت عليهم السلام الجديرة الرجوع إليها والبناء عليها.

(٢) مصباح المتهجّد: ٧١٣ ـ ٧٢٢.

١٩٦

زعمت الظلمة أنّ حجّة الله داحضة

قال الشيخ الصدوق طاب ثراه: حدّثنا محمّد بن عليّ ماجيلويه، وأحمد بن محمّد بن يحيى العطّار رضي الله عنهما، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى العطّار، قال: حدّثنا الحسين بن عليّ النيسابوري، عن إبراهيم بن محمّد بن عبد الله بن موسى بن جعفر عليهما السلام، عن السيّاري، قال: حدّثتني نسيم ومارية قالتا: إنّه لمّا سقط صاحب الزمان عليه السلام من بطن اُمّه جاثياً على ركبتيه رافعاً سبّابتيه إلى السماء، ثمّ عطس فقال: «الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله، زعمت الظلمة أنّ حجّة الله داحضة، لو اُذن لنا في الكلام لزال الشكّ»[1].

نعم يزول الشكّ، إلّا المعاند الألدّ الّذي في قلبه مرضٌ فزاده الله مرضاً إلى أن يدخل جهنّم وبإس المصير ﴿*وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ*﴾ وهو مثل الأئمّة عليهم السلام يخرج عملهم بإذن ربّهم ﴿*وَالَّذِى خَبُثَ*﴾ مثل لأعدائهم...»[2]

للإمام علامات: يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، وأسخى الناس، وأعبد الناس، ويلد [يولد] مختوناً، ويَرىٰ من خلفه كما يرى من بين يديه، ولا يكون له ظلّ، وإذا وقع إلى الأرض من بطن اُمّه

---

(١) إكمال الدين ٢: ٤٣٠، الباب ٤٢ ح ٥، ماروي في ميلاد القائم عليه السلام، غيبة الشيخ الطوسي: ١٤٧.
(٢) الأعراف: ٥٨. تفسير القمّي ١: ٢٣٩، تفسير نور الثقلين ٢: ٤١.

وقع على راحتيه، رافعاً صوته بالشهادتين، ولا يحتلم، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ويكون مُحدّثاً، ويستوي عليه درع رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يُرى له بول ولا غائط؛ لأنّ الله عزّ وجلّ قد وكّل الأرض بابتلاع ما يخرج منه، وتكون رائحته أطيب من رائحة المسك، ويكون أولى بالناس منهم بأنفسهم، وأشفق عليهم من آبائهم وأُمّهاتهم، ويكون أشدّ الناس تواضعاً لله عزّ وجلّ، ويكون آخذ الناس بما يأمره به، وأكفّ الناس عمّا ينهى عنه، ويكون دعاؤه مستجاباً حتّى أنّه لو دعا على صخرة لانشقّت بنصفين، ويكون عنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه ذو الفقار، ويكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعتهم إلى يوم القيامة، وصحيفة فيها أسماء أعدائهم إلى يوم القيامة، ويكون عنده الجامعة وهي صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم، ويكون عنده الجفر الأكبر والأصغر، وهما إهاب ماعز، وإهاب كبش فيهما جميع العلوم حتّى أرش الخدش، وحتّى الجلدة ونصف الجلدة، ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام[(١)].

والذي حداني إلى ذكر الرضوي اشتماله على جملة من خصائص الإمام المعصوم، وهي ثلاث وثلاثون خصيصة. وهناك حديث مطوّل حاوٍ لعشرات من فضائل وخصائص أُخرى تربو على المائة، قد رواه الشيخ الكليني والصدوق وغيرهما[(٢)]، لسنا بصدده وإنّما هي تذكرة لمن شاء ذكرها، وأخذها من عين صافية، لا من جراب النورة[(٣)].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٦٩، البحار ٢٥: ١١٦ ـ ١١٧ نقلاً من معاني الأخبار، والخصال وعيون الأخبار.

(٢) الكافي ١: ١٩٨ ـ ٢٠٣ ح ١، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٧١ ـ ١٧٥، الباب ٢٠ ما جاء عن الرضا عليه السلام ....، والبحار ٢٥: ١١٥ ـ ٣٨٦.

(٣) قال الطريحي: قوله عليه السلام: «أعطاك من جراب النورة لا من العين الصافية» على الاستعارة؛ والأصل فيه أنّه سأل سائل محتاج من حاكم قسيّ القلب شيئاً فَعَلّقَ على رأسه جراب ←

كلمة «جاثياً» من الجثو: الجلوس على الرُكب قوله تعالى: ﴿جثيّاً﴾[١] ـ أي: على الرُكَب لا يستطيعون القيام بما هم فيه ـ واحدهم (جاثٍ): وتلك جلسة المخاصم والمجادل، وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ﴿جثيّاً﴾ ـ يعني في الأرض إذا تحوّلت نيراناً ـ[٢]. وفي حديث عليّ عليه السلام: «أنا أوّل مَن يجثو للخصومة» ـ أي: يجلس على الرُكَب وأطراف الأصابع عند الحساب ـ ومنه: ﴿وترى كلّ أمّة جاثية﴾[٣]، وقيل: جاثية مجتمعة، والأوّل أعرف[٤].

ومن السوَر القرآنيّة مسمّاة بـ(الجاثية) تسمية الكلّ بجزئه، المشتملة على هذه المادّة فسُمّيت بها، ولم تأت في القرآن الكريم منها إلّا في ثلاث آيات[٥].

«رافعاً سبّابتيه» السبّابة: الإصبع الّتي تلي الإبهام ومنها حديث الجمرة: «ادفعها بسبّابتك»[٦].

قوله عليه السلام عند عطاسه: «الحمد الله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله» من الأدب الرفيع الإسلامي لكلّ عاطس.

وقد قدّمنا بحثاً ضافياً حول العطاس عند المختار: «ألا أُبشّرك في العطاس؟»[٧] فيه من الأدب الرفيع من التحميد والصلاة لحوقاً بباقي آدابه المذكورة في الموضوع نفسه.

قوله روحي فداه: «زعمت الظلمة أنّ حجّة الله داحضة».

← نورة عند فمه وأنفه كلّما تنفّس دخل في أنفه منها شيء، فصار مثلاً يضرب لكلّ مكروهٍ غير مرضيٍّ، مجمع البحرين ٣: ٥٠٦ ـ نور ـ.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦: ١٧٤.

(٢) تفسير القميّ ٢: ٥٢.

(٣) الجاثية: ٢٨.

(٤) مجمع البحرين ١: ٨١ ـ جثاً ـ.

(٥) الجاثية: ٢٨، مريم: ٦٨ و٧٢.

(٦) مجمع البحرين ٢: ٨٠ «سبب»، ولعمري فيه ما يشجي الغيور قول معاوية... فراجع.

(٧) رقمه ٦٩.

الزعم لفظ قد تناوله القرآن الكريم في سبعة عشر موضعاً في مقام الذّم.

منها قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [(١)] والأكثر استعماله في الاعتقاد الفاسد والقول الباطل، كما يتجلّى ذلك لمن تدبّر الآيات المذكورة فيها الكلمة وهي: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً﴾ [(٢)]، و ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ [(٣)] و ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [(٤)] و﴿فَقَالُواْ هَـذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ [(٥)].

نعم قد جاءت كلمة «زعيم» بمعنى الكفيل ومنها ﴿سَلْهُم أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ [(٦)].

وفيما لا واقع له أو لم يتحقّق، قال الطريحي: و عن الأزهري: أكثر ما يكون الزعم فيما يشكّ فيه ولا يتحقّق. وقال بعضهم: هو كناية عن الكذب. وعن المرزوقي: أكثر ما يستعمل فيما كان باطلاً، أو فيه ارتياب، وعن ابن القوطية في ـ زَعَمَ زَعْماً ـ قال: هو خبر لا تدري أحقّ هو أو باطل؛ ولهذا قال الخطابي: زعم مطيّة الكذب. ومثله قولهم: «بئس مطيّة الرجل زَعَموا» شبّه ما يتوصّل به إلى حاجته بمطيّة يتوصّل بها إلى مقصده.

وفي الحديث: «كلّ زعم في القرآن كذب» ...

والزعيم: الضمين والكفيل ومنه قوله عليه السلام: «وأنا بنجاتكم زعيم» ـ أي: ضامن لنجاتكم... ـ [(٧)].

يريد الإمام المهديّ عليه السلام أنّ المتمرّدين من الناس الظالمين بسلطتهم الجائرة على الرعايا، أو مطلق الظالم مهما كان نوعه، يقولون بكذبهم واعتقادهم الفاسد أن لا حجّة دائمة لله، بل هي زائلة ولا قرار لها، كما قالت الفرق غير المعترفة بوجود

---

(١) التغابن: ٧. (٢) الإسراء: ٩٢. (٣) الأنعام: ٩٤.

(٤) الأنعام: ٢٢. (٥) الأنعام: ١٣٦. (٦) القلم: ٤٠.

(٧) مجمع البحرين ٦: ٧٨ ـ زعم ـ. في الغريب الزعم مثلث الزاي يكون حقّاً وباطلاً (تفسير غريب القرآن): ٥٠٣.

الحجّة في الغيبة الكبرى: إنّه قد هلك، أو بأيّ وادٍ سلك، أو لم يأت بعد في الدنيا أو غير ذلك من اعتقادات فاسدة[١]، بأن لا خلف للحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام، أو يقولون مقالة اليهود: قد فوّض الأمر إلى الخلق بعد خلقهم فلا نبيّ مرسل، ولا أمر ولا نهي، ولا شيء من أحكام، أو حدود باقية ثابتة.

بقي الكلام حول كلمة «حجّة الله» و«داحضة»:

أمّا الحجّة فقد شرحناها شرحاً ضافياً مغنياً عن الإعادة عند المختار: «إنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم»[٢].

وأمّا «داحضة» فمن الدحض: ـ الزوال والزلق ـ وإليك الآي الكائنة فيها الكلمة، وهي أربع كلمات جاءت في القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[٣]، و ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾[٤] و ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٥] و ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾[٦]، ـ أي: صار من المغلوبين بالقرعة ـ المعبّر عنها بالسهم، والمراد به الزلق عن الظفر هنا.

قال ابن الأثير: في حديث مواقيت الصلاة: «حين تدحض الشمس» ـ أي: تزول عن وسط السماء إلى جهة المغرب ـ كأنّها دحضت ـ أي: زَلَقَت ـ ومنه حديث الجمعة «كرهت أن أُخرجكم فتمشون في الطين والدّحض» ـ أي: الزلق ـ وحديث وفد مَذْحِج: «نجباء غير دُحَّض الأقدام» الدُّحَّض: جمع داحض، وهم الّذين لا ثبات لهم ولا عزيمة في الأُمور[٧].

---

(١) كما سبق عن ابن أبي غانم القزويني المنكر لوجود الخلف عليه السلام، انظر «إذا أفل نجمٌ طلع نجمٌ» رقمه ٣٥.

(٢) رقمه ١١٧.

(٣) الكهف: ٥٦.

(٤) غافر: ٥.

(٥) الشورى: ١٦.

(٦) الصافات: ١٤١.

(٧) النهاية ٢: ١٠٤ ـ دحض ـ.

باب السين

١٩٧

الساعة الساعة الليلة الليلة

المختار من دعاء الإمام المهديّ عليه السلام من رواية الطبري عن أمير المؤمنين عليه السلام في صفة القائم (بإسنادٍ له مذكور في المصدر):

«كأنّي به قد عبر من وادي السلام إلى مسجد السهلة على فرس محجّل له شمراخٌ يزهو ويقول:

لا إله إلّا الله ـ وفي آخره ـ الساعة الساعة الليلة الليلة إنّك على كلّ شيء قدير»[١].

قد سبق كَمَلاً عند «أنت كنفي حين تعييني المذاهب»[٢]. مع شرح وافٍ له، بالرجوع إليه يتجلّىٰ كلّ شيء يمتّ به من صلة.

الساعة:

وجه تكرارها، وكذا الليلة الإلحاح في الدعاء المحثوث عليه كما في إسناد الشيخ الكليني إلى الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رحم الله عبداً طلب من الله عزّ وجلّ حاجة فألحّ في الدعاء استجيب له أو لم يستجب [له]، وتلا هذه الآية:

---

(١) دلائل الإمامة: ٢٤٤. من معرفة وجوب القائم عليه السلام وأنّه لابدّ أن يكون، الحديث العلوي المسند، ودعاؤه المروي عنه عليه السلام «... الساعة الساعة الليلة الليلة، إنّك على كلّ شيءٍ قدير».

(٢) رقمه ٩٥. «أنت كنفي حين تعييني المذاهب».

﴿وَأَدْعُوا رَبِّى عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾[١]»[٢]؛ إذ بالإلحاح الدلالة على الاهتمام.

قال الشيخ الطريحي: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ [١٢/٣٠] ـ يعني القيامة ـ. والساعة: جزء من أجزاء الزمان يعبّر بها عن القيامة؛ لوقوعها بغتة أو لأنّها على طولها عند الله كساعة من ساعات الخلق وهي من الأسماء الغالبة كالنجم والثريّا.

وروي عن المفضّل قال: سألت سيّدي الصادق عليه السلام: هل للمأمول[٣] المنتظر المهديّ من وقت يعلمه الناس؟ فقال: «حاش لله أن يوقّت ظهوره بوقت يعلمه شيعتنا. قلت: يا سيّدي ولم ذاك؟ قال: لأنّه هو الساعة الّتي قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٤] الآية»[٥] وتلا غيرها من الآيات الّتي بها لفظ الساعة.

قال ابن الأثير: قد تكرّر ذكرها في الحديث، والساعة في الأصل تطلق بمعنيين:

أحدهما: أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءاً هي مجموع اليوم والليلة.

والثاني: أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل. يقال: جلست عندك ساعة من النهار ـ أي: وقتاً قليلاً منه ـ ثمّ استعير لاسم يوم القيامة. قال الزجّاج: معنى الساعة في كلّ القرآن الوقت الّذي تقوم فيه القيامة، يريد أنّها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم. فلقلّة الوقت الّذي تقوم فيه سمّاها ساعة. والله أعلم[٦].

---

(١) مريم: ٤٨.
(٢) أُصول الكافي ٢: ٤٧٥ ح ٧.
(٣) في الأصل «للمأمون».
(٤) الأعراف: ١٨٧.
(٥) مجمع البحرين ٤: ٣٤٩ ـ سوع ـ الروم ١٢: ٣٠.
(٦) النهاية ٢: ٤٢٢ ـ سوع ـ.

قال ابن فارس: من ساع يسوع ساعة تدلّ على استمرار الشيء ومضيّه... يقال: جاءنا بعد سَوع من الليل، وسواع ـ أي: بعد هدءٍ منه ـ وذلك أنّه شيء يمضي ويستمرّ[1].

وقد جاء في القرآن الكريم لفظ (الساعة) في ٤٨ موضعاً منه.

وأمّا [في] الحديث ـ فحدّث ولا حرج ـ ومنه المثل النبويّ في الإمام المهديّ ـ عجّل الله فرجه ـ في صحيح الصدوق بإسناده إلى عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت دعبل بن عليّ الخزاعي يقول: أنشدت مولاي الرضا عليه السلام قصيدتي الّتي أوّلها:

مدارسُ آياتٍ خلت من تلاوة ومنزلُ وَحْيٍ مقفرُ العرصاتِ

فلمّا انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات

يميّز فينا كلّ حقّ وباطلٍ ويجزي على النعماء والنقماتِ

بكى الإمام الرضا عليّ بن موسى عليه السلام بكاءً شديداً، ثمّ رفع رأسه إليّ فقال: «يا خزاعي نطق الروح الأمين على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام؟ ومتى يقوم؟» فقلت: لا يا مولاي إلّا أنّي سمعت بخروج إمام منكم يطهّر الأرض من الفساد، ويملأها عدلاً وقسطاً!

فقال: «يا دعبل! الإمام بعدي محمّد، وبعده ابنه عليّ، وبعد عليّ ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وأمّا متى فإخبارٌ في الوقت، فقد حدّثني أبي عن أبيه عن آبائه أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قيل

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣: ١١٦ ـ سوع ـ.

له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذرّيّتك؟ فقال ﷺ: مَثَله مَثَل الساعة الّتي لا يجلّيها لوقتها إلّا هو...[١].

ثمّ إنّها من الخمس الّتي لا يعلمها إلّا الله عزّ وجلّ المذكورة في القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت عليهم السلام منها الكاظمي: «الغيوب الخمسة الّتي استأثرها الله تعالى بها نفسه» وما علّقنا عليها ما هو الجدير بالرجوع إليه[٢]

* * *

(١) إكمال الدين ٢: ٣٧٢ ـ ٣٧٣ ح ٦، الأمثال النبويّة ٢: ٢٤١، الرقم ٥٤١.

(٢) لقمان: ٣٤، وانظر المختار من كلمات الإمام الكاظم عليه السلام وأمثاله وحكمه ٢: ٢٦٤ ـ ٢٦٧، رقم الكلمة: ٣٥٥.

١٩٨
سبحان من لا شريك له في قدرته

روى الشيخ الصدوق طاب ثراه توقيعاً كان جواب كتاب جعفر بن حمدان قال: قال: وكتب جعفر بن حمدان، فخرجت إليه هذه المسائل[١]:

استحللت بجارية وشرطتُ عليها أن لا أطلب ولدها ولا ألزمها منزلي، فلمّا أتى لذلك مدّة قالت لي: قد حبلت، فقلت لها: كيف ولا أعلم أنّي طلبت منك الولد؟ ثمّ غبت وانصرفت وقد أتت بولد ذكر فلم أنكره ولا قطعت عنها الإجراء والنفقة، ولي ضيعة قد كنتُ ـ قبل أن تصير إليَّ هذه المَرأة ـ سبّلتُها على وصاياي وعلى سائر ولدي على أنّ الأمر في الزيادة والنقصان منه إليَّ أيّام حياتي، وقد أتت هذه بهذا الولد، فلم اُلحقه في الوقف المتقدّم المؤبّد، وأوصيت: إن حدث بي حدث الموت أن يُجرى عليه ما دام صغيراً فإذا كبر أُعطي من هذه الضيعة جملة مائتي دينار غير مؤبّد ولا يكون له ولا لعقبه بعد إعطائه ذلك في الوقف شيءٌ، فرأيك أعزّك الله في إرشادي فيما عملته، وفي هذا الولد بما أمتثله، والدعاء لي بالعافية وخير الدنيا والآخرة.

جوابها[٢]: «وأمّا الرجل الّذي استحلّ بالجارية وشرط عليها أن لا يطلب

---

(١) الظاهر أنّ الكتاب وجوابه كان بواسطة، وأنّ الحاكي له إمّا هو سعد بن عبد الله المذكور قبل الحديث أو علّان الكليني أو غيرهما. ويبدأ الكتاب من قوله: «استحللت...» راجع إكمال الدين ٢: ٥٠٠ ـ الباب ٤٥ ذكر التوقيعات، الرقم ٢٥.

(٢) أي عن المسائل.

ولدها، فسبحان من لا شريك له في قدرته.

شرطه على الجارية شرط على الله عزّ وجلّ هذا ما لا يؤمن أن يكون، وحيث عرف في هذا الشكّ وليس يعرف الوقت الّذي أتاها فيه فليس ذلك بموجب البراءة في ولده، وأمّا إعطاء المائتي دينار وإخراجه [إيّاه وعقبه] من الوقف فالمال ماله فعل فيه ما أراد».

قال أبو الحسين[١]: حسب الحساب قبل المولود فجاء الولد مستوياً[٢].

قوله عليه السلام[٣]: «فسبحان من لا شريك له في قدرته» إشارة إلى أن الرجل أشرك بالله بشرطه على الجارية بأن لا تأتي بالولد أشركها في القدرة بأن تستطيع المنع منه، وكأنّها قادرة على إتيان الولد وعدمه. فكلام الرجل يُوهم إشراكه في القدرة، وسبحان الله تعالى عن أن يكون له شريك في القدرة أو في الخلق، أو أيّ شيء من الأشياء، وله الأمر والخلق والقدرة ولا شريك له في شيءٍ من ذلك كلّه، وتعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، وسبحانه عمّا يُشركون.

وفي الكلام تحذير عن التكلّم بما يُوهم بمثل كلام هذا الرجل الفاقد للمعرفة بالله عزّ وجلّ، الجاهل بأنّه كيف يشترط، وماذا يقول، وهل هذا سائغ أم لا؟ نسأله تعالى العصمة في القول والعمل، وصون القلب عن الزلل والخطل، وفي التسبيح الدلالة على التنزيه لله عزّ وجلّ عمّا فيه شائبة صفة المخلوق؛ إذ لا تجري عليه تعالى من صفةٍ أو سمة في قول أو فعل.

* * *

---

(١) لعلّ «أبو الحسين» هو الّذي توسّط في وصول الكتاب وجوابه.

(٢) إكمال الدين ٢: ٥٠٠، الباب ٤٥، الرقم ٢٥. وفي هامشه: الظاهر أنّ الرجل حسب حسابه التقديري قبل ميلاد الولد، فجاء الولد حسبما قدّره فعرف إنّه ولده، والله العالم.

(٣) إنّما عددناه منه؛ لأنّ الصدوق ذكره في التوقيعات.

١٩٩

سبيله سبيل ابن نوح عليه السلام

المختار من توقيع جوابات مسائل إسحاق بن يعقوب الّتي أُشكلت عليه فوجّهها إلى الناحية المقدّسة على يد النائب الثاني وهي سبعة عشر سؤالاً، ولمزيد ربط المختار نذكر منه بقدر الحاجة:

قال الشيخ الصدوق طاب ثراه: حدّثنا محمّد بن محمّد بن عصام الكليني رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن يعقوب الكليني، عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمّد بن عثمان العمري رضي الله عنه أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أُشكلت عليَّ؟ فورد [ت في] التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمان عليه السلام:

«أمّا ما سألت عنه ـ أرشدك الله وثبّتك ـ من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمّنا، فاعلم أنّه ليس بين الله عزّ وجلّ وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس منّي وسبيله سبيل ابن نوح عليه السلام»[1].

صُدّر التوقيع الشريف بما يسعد الرجل في مستقبله بقوله عليه السلام: «أرشدك الله وثبّتك» دعاء لإسحاق بن يعقوب تقدّم بيانه[2].

ثمّ المسائل وجواباتها المذكورة في التوقيع قد وزّعناها على حسب الكلمات المختارة:

---

(١) إكمال الدين ٢: ٤٨٣ ـ ٤٨٤، الباب ٤٥ ح ٤، وغيبة الشيخ الطوسي: ١٧٦.

(٢) رقمه ٤٦. وفيه ما ينبغي النظر إليه، كما تقدّمت ترجمته عند الرقم ٦٨.

منها ما سبق عند «أغلقوا باب السؤال عمّا لا يعنيكم»[١]. وعند «أقلنا من استقال»[٢]. وعند «أكثروا الدعاء بتعجيل الفرج»[٣]. وعند «أمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا»[٤]. وعند: «أمّا سبيل عمّي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف عليه السلام[٥]». وعند «أمّا ما وصلتنا به فلا قبول عندنا إلّا...»[٦]. وعند «أمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي...»[٧]. وغيرها ممّا لا يخفى على من راجع الكتاب.

وإليك حاصل السؤال والجواب، وهي المسألة الأُولى من مسائل إسحاق: إنّ كثيراً من أولاد الأئمّة المعصومين عليهم السلام وبني أعمام الحجّة عجّل الله فرجه كأولاد جعفر عمّه منكرون للإمامة المنصوصة لكم، فما حكمهم وما شأنهم؟

أجاب عليه السلام: أنّ هؤلاء وإن كانوا من أرحامنا وأقربائنا، ولكن لا قرابة بين الله وبين أحد من خلقه، فمن آمن بالله تعالى منهم وأقرّ لنا بكلّ ما أعطانا من الخلافة والعصمة وغيرها فهو منّا ومن الله، وأمّا من أنكرني أو واحداً من آبائي فهو كافر وليس من الله في شيءٍ، ولا هو منّي، ولا تنفعه القرابة وإن كانت قريبة، كقرابة ابن نوح من نوح؛ والوجه فيه أنّ الله عزّ وجلّ قد نفى كونه من الأهل ردّاً على قوله: إنّه من أهلي على ما حكاه جلّ جلاله عنه:

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٨]

---

(١) رقمه ٦٢. (٢) رقمه ٦٦. (٣) رقمه ٦٨.

(٤) رقمه ٨٠. (٥) رقمه ٨١. (٦) رقمه ٨٢.

(٧) رقمه ٨٣. (٨) هود: ٤٥ ـ ٤٧.

فنفى تعالى الابن عن أبيه نوح؛ لأجل التمرّد والعصيان على الله وعلى رسوله، ولا قرابة مع الكفر والمعصية، وإنّما المقرّب الطاعة والإيمان وإن بعدت اللُحمة، كما قال الإمام الرضا عليه السلام لزيد النار أخيه: «أنت أخي ما أطعت الله»[1].

ويريد الإمام المهديّ عليه السلام من التنظير والتشبيه سبيل ابن نوح نفي قرابة المنكر له وأنّه ليس منه وإنّما القريب منه كلّ من أقرّ به وبولايته؛ لأنّ القريب من قـرّبته طاعة الله وإن بعدت لحمته، والبعيد من بعّدته معصية الله وإن قربت لُحمتُه.

* * *

(١) من أمثال وحكم الإمام الرضا عليه السلام أو كلماته المختارة ١: ١٤٥، الرقم ٣٦، طبع بـيروت، دارالزهراء، ١٤١٠ هـ، وإيران، ص ١٠٩ في جلد، وبيروت في مجلّدين، فراجع.

٢٠٠

ستخلف غيره وغيره

المختار من إخبارات الإمام المهديّ عليه السلام بما سيتحقّق في المستقبل: الإخبار عن الولد للرجل الّذي لم يسمّ باسمه، وصورته المرويّة عن الشيخ الكليني طاب ثراه أنّه قال:

عليّ عمّن حدّثه قال: ولد لي ولد فكتبت أستأذن في طهره يوم السابع؟ فورد: لا تفعل؛ فمات يوم السابع أو الثامن، ثمّ كتبت بموته فورد: «ستخلف غيره وغيره، تسمّيه أحمد ومن بعد أحمد جعفراً»، فجاء كما قال، وتهيّأت للحجّ، وودعت الناس وكنت على الخروج، فورد: «نحن لذلك كارهون والأمر إليك...»[1].

انتزعنا من التوقيع كلمات ومنها «نحن لذلك كارهون والأمر إليك»[2]، ومنها ما يأتي أيضاً عند ذكر باقي التوقيع.

وقد سبق أنّ الأئمّة عليهم السلام ربّما أجابوا عمّا في ضمير السائلين وما قدّر في المستقبل لهم من ولد أو رزق أو موت أو غير ذلك ممّا يحتاجون؛ لأسباب منها الزيادة في إيمانهم، أو للتحول إلى الخطّ المستقيم بعد الانحراف، وكان الغالب في المسائل الّتي ترد عليهم الجوابات عن الناحية استمراراً لحياتهم، أو إيمانهم، ولا منافاة بين هذا العلم الواسع الحقيقي وما يحدث لهم من حوادث الدهر

---

(١) أُصول الكافي ١: ٥٢٢ ح ١٧.

(٢) رقمه ٤٣٣.

والمصائب لو أنّها أصابت الجبال لزالت؛ وذلك كما قال النائب الثالث الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح طاب ثراه لمن قال له: إنّي أُريد أن أسألك عن شيء، فقال له: سل عمّا بدا لك، فقال الرجل: أخبرني عن الحسين بن عليّ عليهما السلام أهو وليّ الله؟ قال: نعم؛ قال: أخبرني عن قاتله أهو عدوّ الله؟ قال: نعم؛ قال الرجل: فهل يجوز أن يسلّط الله عزّ وجلّ عدوّه على وليّه؟!.

فقال له أبو القاسم الحسين بن روح قدّس الله روحه: افهم عنّي ما أقول لك، اعلم أنّ الله عزّ وجلّ لا يخاطب الناس بمشاهدة العيان ولا يشافههم بالكلام، لكنّه جلّ جلاله يبعث إليهم رسلاً من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم... فلمّا جاؤوهم وكانوا من جنسهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق قالوا لهم: أنتم بشر مثلنا ولا نقبل منكم حتّى تأتوننا بشيء نعجز أن نأتي بمثله... فجعل الله عزّ وجلّ لهم المعجزات الّتي يعجز الخلق عنها، فمنهم من جاء بالطوفان بعد الإنذار والإعذار، فغرق جميع من طغى وتمرّد... ومنهم من انشقّ له القمر، وكلّمته البهائم مثل البعير والذئب وغير ذلك.

فلمّا أتوا بمثل ذلك وعجز الخلق عن أمرهم وعن أن يأتوا بمثله كان من تقدير الله عزّ وجلّ ولطفه بعباده وحكمته أن جعل أنبياءه عليهم السلام مع هذه القدرة والمعجزات في حالة غالبين وفي أُخرى مغلوبين... ولو جعلهم الله عزّ وجلّ في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين، ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتّخذهم الناس آلهة من دون الله عزّ وجلّ، ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والاختبار، ولكنّه عزّ وجلّ جعل أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم ليكونوا في حال المحنة والبلوى صابرين، وفي حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين، ويكونوا في جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبّرين، وليعلم العباد أنّ لهم عليهم السلام إلهاً هو خالقهم ومدبّرهم فيعبدوه ويطيعوا رسله، وتكون حجّة الله ثابتة على من تجاوز الحدّ فيهم

وادّعى لهم الربوبيّة أو عاند أو خالف وعصى وجحد بما أتت به الرسل والأنبياء عليهم السلام ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ (١)

أقول: لم يذكر الأئمّة الأوصياء وكان السؤال عنهم، والجواب واضح؛ وهو أنّه يثبت لهم ما ثبت للأنبياء عليهم السلام. إلا أنّ الأنبياء ادّعوا أنّهم بعثوا من قِبَل الله إلى الناس فيجب عليهم أن يأتوا المعجزات، والأئمّة عليهم السلام ليسوا بتلك الصفة وإنّما هم حفّاظ الشريعة.

قوله عليه السلام: «ستخلف غيره وغيره» على رواية الشيخ الكليني رحمه الله عن المستأذن في طهر ولده يوم السابع من غير أن يعلم بطالب الإذن وأنّه من هو؟.

ولكن في رواية الصدوق في نفس القصّة رواها عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن محمّد بن صالح قال: وحدّثني أبو جعفر:

ولد لي مولود فكتبت أستأذن في تطهيره يوم السابع أو الثامن فلم يكتب شيئاً فمات المولود يوم الثامن، ثمّ كتبت أُخبر بموته فورد: «سيُخلف عليك غيره وغيره، فسمّه أحمد ومن بعد أحمد جعفراً»، فجاء كما قال عليه السلام. قال: وتزوّجت بامرأة سرّاً، فلمّا وطئتها علقت وجاءت بابنة فاغتممت وضاق صدري فكتبت أشكو ذلك فورد: «ستكفاها». فعاشت أربع سنين ثمّ ماتت، فورد: «إنّ الله ذو أناة وأنتم تستعجلون»(٢).

هل هما قصّتان؟ و الجواب على الظاهر لا. ولكن الاختلاف في بعض ألفاظ القصّة، خاصّة في رواية الصدوق إضافة لم تكن فيما رواه الكليني، ولعلّه يدلّ على التعدّد، وبعد ذلك كلّه في النفس منه شيء. وقد سبق أنّ الضعفاء من الشيعة يزداد في إيمانهم، أو يستبين لهم الحقّ إذا سمعوا بوقوع هذه الأخبار الغيبيّة في المستقبل أو

---

(١) إكمال الدين ٢: ٥٠٧ ـ ٥٠٨، الباب ٤٥ ح ٣٧، والآية: ٤٢، الأنفال.

(٢) إكمال الدين ٢: ٤٨٩، الباب ٤٥ ح ١٢، وانظر «إنّ الله ذو أناة...» رقمه ١١٥.

الحال، وأمّا الأقوياء الراسخون فيزدادون رسوخاً واستنارة وهم المؤمنون حقّاً؛ وصفهم الله عزّ وجلّ في كتابه في سوره وآياته المبيّنة للناس تتلى عليهم في آناء الليل وأطراف النهار قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

القمّي: فإنّها نزلت في أميرالمؤمنين عليه السلام، وأبي ذرّ وسلمان والمقداد. الصادقي: «بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنّة، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله، وبالنقصان دخل المفرطون النار»[1].

* * *

---

(١) الأنفال: ٢، تفسير القمّي ١: ٢٥٥ طبعة النجف ١٣٨٦، عنه تفسير نور الثقلين ٢: ١٢١، تفسير الصافي ٢: ٢٦٨، أصول الكافي ٢: ٣٧ ح ١.

٢٠١

سترزق ولدين ذكرين خيّرين

سَبَقَ مرّةً عند المختار «آمرك أن تُصنّف الآن كتاباً في الغيبة» وترجمة الشيخ الصدوق الولد والوالد رحمهما الله وهنا المرّة الثانية الصدوق وأخوه وُلدا بدعاء الإمام الحجّة عجّل الله تعالى له الفرج، صرّح بهما السيّد الخوئي والوالد عليّ بن الحسين ابن موسى بن بابويه القميّ أبو الحسن. شيخ القمّيّين في عصره، ومتقدّمهم، وفقيههم، وثقتهم. كان قدم العراق، واجتمع مع أبي القاسم الحسين بن روح رحمه الله[١]، وسأله مسائل، ثمّ كاتبه بعد ذلك على يد عليّ بن جعفر بن الأسود[٢]، يسأله أن يوصل له رقعة إلى الصاحب عليه السلام، ويسأله فيها الولد؟ فكتب إليه: «قد دعونا الله لك بذلك وسترزق ولدين ذكرين خيّرين»، فولد له أبو جعفر، وأبو عبد الله من أُمّ ولد، وكان أبوعبد الله الحسين بن عبيد الله يقول: سمعت أبا جعفر يقول: أنا ولدت بدعوة صاحب الأمر عليه السلام، ويفتخر بذلك[٣].

* * *

---

(١) رقم المختار: ٨ نصب للنيابة من ٣٠٥ إلى ٣٢٦ هـ. أي الحسين بن روح النوبختي.

(٢) الواسطة في إيصال الكتاب الروحي، معجم الحديث ١٧: ٣٤٠ رقم الترجمة ١١٣٤١، وترجمة الوالد المعجم ١١: ٣٦٨، والرقم ٨٠٦٢ فراجع.

(٣) النجاشي: ٢٦١، ترجمة الوالد، الرقم ٦٨٤، وفيه افتخار الصدوق رحمه الله بأنه ولد بدعاء الحجّة عليه السلام وفيه المختار الجاري.

٢٠٢
ستصل عن قريب إلى قرية أهلها جميعاً من الشيعة

من كلام مولانا الحجّة المنتظر عجّل الله فرجه لرجل صاحبه المولى عليّ الرشتي من تلامذة المرحوم السيّد الميرزا الشيرازي الكبير في حكاية له وهي السابعة والأربعون من حكايات رواها الشيخ النوري قال:

قال[١]: رجعت مرّة من زيارة أبي عبد الله عليه السلام عازماً للنجف الأشرف من طريق الفرات، فلمّا ركبنا في بعض السفن الصغار الّتي كانت بين كربلاء وطويرج، رأيت أهلها من أهل الحلّة ـ ومن طويرج تفترق طريق الحلّة والنجف ـ واشتغل الجماعة باللهو واللعب والمزاح، ورأيت واحداً منهم لا يدخل في عملهم، عليه آثار السكينة والوقار، لا يمازح ولا يضاحك، وكانوا يعيبون على مذهبه ويقدحون فيه، ومع ذلك كان شريكاً في أكلهم وشربهم، فتعجبت منه إلى أن وصلنا إلى محلّ كان الماء قليلاً فأخرجنا صاحب السفينة فكنّا نمشي على شاطئ النهر.

فاتّفق اجتماعي مع هذا الرجل في الطريق، فسألته عن سبب مجانبته عن أصحابه، وذمّهم إيّاه، وقدحهم فيه، فقال: هؤلاء من أقربائي من أهل السنّة، وأبي منهم وأُمّي من أهل الإيمان، وكنت أيضاً منهم، ولكنّ الله منّ عليَّ بالتشيّع ببركة الحجّة صاحب الزمان عليه السلام، فسألت عن كيفيّة إيمانه، فقال: اسمي ياقوت وأنا أبيع

---

(١) أي المولى عليّ الرشتي الّذي يحدّث عنه الشيخ النوري رحمهما الله تعالى.

الدهن عند جسر الحلّة، فخرجت في بعض السنين لجلب الدهن من أهل البراري خارج الحلّة، فبعدت عنها بمراحل إلى أن قضيت وطري من شراء ما كنت أُريده، وحملته على حماري، ورجعت مع جماعة من أهل الحلّة، ونزلنا في بعض المنازل، ونمنا وانتبهت، فما رأيت أحداً منهم وقد ذهبوا جميعاً، وكان طريقنا في برّيّة قفر ذات سباع كثيرة، ليس في أطرافها معمورة إلّا بعد فراسخ كثيرة.

فقمت وجعلت الحمل على الحمار ومشيت خلفهم فضلّ عني الطريق، وبقيت متحيّراً خائفاً من السباع والعطش في يومه[1]، فأخذت أستغيث بالخلفاء والمشايخ وأسألهم الإعانة وجعلتهم شفعائي عند الله تعالى وتضرّعت كثيراً فلم يظهر منهم شيء، فقلت في نفسي: إنّي سمعت من اُمّي أنّها كانت تقول: إنّ لنا إماماً حيّاً يكنّى أبا صالح، يرشد الضالّ، ويغيث الملهوف، ويعين الضعيف. فعاهدت الله تعالى إن استغثت به فأغاثني أن أدخل في دين اُمّي.

فناديته واستغثت به، فإذا شخص في جنبي وهو يمشي معي وعليه عمامة خضراء. قال رحمه الله: وأشار[2] إلى نبات حافة النهر، وقال: كانت خضرتها ـ أي العمامة ـ مثل خضرة هذا النبات.

ثمّ دلّني على الطريق، وأمرني بالدخول في دين اُمّي، وذكر كلمات نسيتها، وقال: ستصل عن قريب إلى قريةٍ أهلها جميعاً من الشيعة.

قال: فقلت: يا سيّدي أنت لا تجيء معي إلى هذه القرية؟ فقال ما معناه: لا؛ لأنّه استغاث بي ألف نفس في أطراف البلاد اُريد أن اُغيثهم. ثمّ غاب عني، فما مشيت إلّا قليلاً حتّى وصلت إلى القرية وكانت في مسافة بعيدة، ووصل الجماعة إليها بعدي بيوم، فلمّا دخلت الحلّة ذهبت إلى سيد الفقهاء السيّد مهديّ القزويني طاب ثراه،

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) أي أشار صاحب القصّة إلى ما أراد من وصف العمامة بالخضرة النباتيّة.

وذكرت له القصّة، فعلّمني معالم ديني، فسألت منه عملاً أتوصّل به إلى لقائه عليه السلام مرّة أُخرى؟ فقال: زر أبا عبد الله عليه السلام أربعين ليلة الجمعة [جمعة]، قال: فكنت أزوره من الحلّة في ليالي الجُمَع إلى أن بقي واحدة، فذهبت من الحلّة في يوم الخميس، فلمّا وصلت إلى باب البلد فإذا جماعة من أعوان الظلمة يطالبون الواردين التذكرة وما كان عندي تذكرة ولا قيمتها، فبقيت متحيّراً والناس متزاحمون على الباب فأردت مراراً أن أتخفّى وأجوز عنهم فما تيسّر لي، وإذا بصاحبي صاحب الأمر عليه السلام في زيّ لباس طلبة الأعاجم عليه عمامة بيضاء في داخل البلد، فلمّا رأيته استغثت به فخرج وأخذني معه، وأدخلني من الباب فما رآني أحد، فلمّا دخلت البلد افتقدته من بين الناس، وبقيت متحيّراً على فراقه عليه السلام(١).

بيان الاستغاثة به عليه السلام ونداؤه بـ(يا أبا صالح) مجرّبة وسيأتي قريباً ما يشابه قصّة الرجل، وليس ذلك مقصوراً على الضال في الصحراء ونحن الضوالّ على كلّ حال، والضال في الدين أسوأ حالاً ممّن ضلّ في البيداء؛ إذ هو إلى الأبد وهذا إلى أمد؛ وإنّ في ذلك لعبرة لمن اعتبر وتذكرةً لمن تذكّر وَتَفكَّرَ وتَبَصَّر وهي الّتي أمر الله عزّ وجلّ بذلك كلّه(٢).

* * *

---

(١) جنّة المأوىٰ المطبوع مع البحار ٥٣: ٢٩٢ ـ ٢٩٤ وإلزام الناصب ٢: ٧٠ ـ ٧٢.

(٢) ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ سورة الحشر الآية الثانية.

٢٠٣
ستظهر لكم من السماء آية جليّة

هذه الكلمة من كتاب الإمام المهديّ عليه‌السلام الأوّل إلى الشيخ المفيد طاب ثراه الصادر في سنة عشر وأربعمائة في أيّام بقيت من صفر، ذكر موصله أنّه يحمله من ناحية متّصلة بالحجاز نسخته:

«للأخ السديد، والولي الرشيد، الشيخ المفيد....... ـ إلى أن قال عجّل الله فرجه: ـ

ستظهر لكم من السماء آية جليّة، ومن الأرض مثلها بالسويّة»[1].

قد تقدّم بيانٌ حول هذه الآية السماوية عند كلمة «اعتصموا بالتقيّة من شبّ نار الجاهليّة يحشّشها عصب أُمويّة»[2] وكان البيان لبعض السادة الأجلّة وحاصله: أنّ التاريخ أهمل ضبط حوادث هذه السنة: أيّ سنة العشر والأربعمائة الهجريّة وقال: إنّ بعض الحوادث السماويّة حدثت بعدها بمدّة من سقوط كوكب (أيّ قذيفة منفصلة عن الكواكب) عظيم استنارت منه الأرض، وسمع له دويّ عظيم، ولكن كان ذلك في ٤١٧ هـ. إلى آخر ما نقلناه[3].

* * *

(١) الاحتجاج ٢: ٣١٨ ـ ٣٢٣. (٢) رقمه ٥٤.

(٣) الإمام المهدي عليه‌السلام من المهد إلى الظهور: ٢٨ للسيّد كاظم القزوينيّ رحمه‌الله.

٢٠٤
السجدة دعاء وتسبيح

من جواب الإمام المهديّ عليه السلام عن إحدى مسائل محمّد بن عبد الله الحميري الّتي سأله عنها في كتاب وجّهه إليه في سنة سبع وثلاثمائة، وكانت المسائل الشرعيّة بلفظة (نسأل)، كما كانت أجوبتها بكلمة (فأجاب) وقد أشرنا إلى الكتاب وثلاثة كتب اُخرى له بهذا الصدد، وذكرنا عدد المسائل كلّها مع تنوّع عناوينها وأجوبتها عند المختار: «إنّ فضل الدعاء والتسبيح بعد الفرائض كفضل الفرائض على النوافل» في أواخره فراجع[١].

ولربط المختار الجاري لا بأس بذكر السؤال والجواب معاً ـ وإن تقدّم ذكرهما عند المختار المشار إليه ـ ؛ لأنّه كما قيل:

أعِد ذكر نعمانٍ لنا إنّ ذكره ... هو المسك ما كرّرته يتضوّعُ[٢]

«وسأل عن سجدة الشكر بعد الفريضة؛ فإن بعض أصحابنا ذكر أنّها بدعة، فهل يجوز أن يسجدها الرجل بعد الفريضة؟ وإن جاز ففي صلاة المغرب هي بعد الفريضة، أو بعد الأربع ركعات النافلة؟.

فأجاب عليه السلام: سجدة الشكر من ألزم السنن وأوجبها، ولم يقل إنّ هذه السجدة بدعة إلّا من أراد أن يحدث بدعة في دين الله. فأمّا الخبر المروي فيها بعد صلاة

---

(١) رقمه ١١٢.

(٢) تاج العروس ٥: ٤٣٦، في ـ ضوع ـ.

المغرب والاختلاف في أنّها بعد الثلاث أو بعد الأربع؛ فإنّ فضل الدعاء والتسبيح بعد الفرائض على الدعاء بعقيب النوافل كفضل الفرائض على النوافل، والسجدة دعاء وتسبيح فالأفضل أن تكون بعد الفرض، فإن جعلت بعد النوافل أيضاً جاز»[1].

أفاد عليه السلام أنّ فضل الدعاء والتسبيح بعد الفرض كفضل الفرض على النافلة هذه كصغرى القياس المقبول، والسجدة دعاء وتسبيح، وهذه ككبراه، ينتج أنّ بعض الدعاء والتسبيح الواقعين بعد الفريضة بمنزلة السجدة بعدها، فلو دعا وسبّح بعد الفرض فكأنّما سَجَدَ بعده، وإذا سَجَدَ بعده فكأنّما دعا وسبّح بعده.

هنا سؤال: كيف تكون السجدة دعاءً وتسبيحاً مع أنّها من مقولة الفعل والعمل، والدعاء والتسبيح من جنس القول؟!.

الجواب بوجهين:

الوجه الأوّل: أنّ الغالب أو الأغلب في سجدة الساجد أن يذكر الله عزّ وجلّ ويجري على لسانه بعض الأذكار الموظّفة أو المطلقة، فلأجل عُلقة الحالّ والمحلّ أو الظرف والمظروف أطلق الدعاء والتسبيح عليها، وقال عليه السلام: «السجدة دعاء وتسبيح»؛ لوقوعهما فيها وأنّها كالظرف لهما، وأنّهما الحالّ في محلّهما وهو السجدة.

والوجه الثاني: أنّ الغاية من الدعاء والتسبيح التذلّل للمدعوّ والمسبّح له وهو الله جلّ جلاله، ولا ريب أنّ السجود أقرب منهما إليه وأدلّ منهما عليه؛ لأنّه غاية الخضوع للمسجود له عزّ اسمه وهذا على حساب الغاية والهدف الجامع لها جميعاً؛ لأنّه يجمع ذلك كلّه ـ أي: السجود والدعاء والتسبيح والخضوع والتّذلّل والتنزيه للمسجود له المدعوّ المسبّح له تعالى ـ وهذا الأصل يبنى على صرحه كلّ العبادات العمليّة والقوليّة، بل لو لم تَعُد إليه فهي كالجسد بلا روح، وشملها قوله تعالى:

---

(١) الاحتجاج ٢: ٣٠٨، توقيعات الناحية المقدّسة، البحار ٥٣: ١٦١، الوسائل ٤: ١٠٥٨ ـ ١٠٥٩، الباب ٣١ تأخير التعقيب وسجدة الشكر عن نوافل المغرب، ح ٣.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً﴾ (١)؛ لفقد تلك الأعمال الوجهة الّتي أمروا بها، إمّا لفقد إرادة وجه الله عزّ وجلّ وهو الأكثر، أو لعدم إتيانها من حيث يريده تعالى؛ لأنّه أبىٰ أن يطاع من حيث يُعصىٰ، أو غير ذلك من أسباب ردّها وحبطها.

ثمّ كلمة: «السجود دعاء وتسبيح» ترغيب وحثّ على التزوّد منه وقد جاء الحديث الحاثّ عليه وأنّه أقرب ما يكون العبد إلى الله أن يكون ساجداً (٢).

سجدة الشكر:

تقدّم منه عليه السلام أنّها من ألزم السنن وأوجبها، يريد أثبتها؛ لأنّ الوجوب الثبوت ردّاً على من يراها بعد الفرض بدعة، وأنّ القائل بذلك هو المبدع في الدين؛ لأنّه نفاها، ونفي ما هو الثابت في الدين بزعم أنّ النفي من الدين بدعة في الدين؛ لأنّها ثابتة فيه، لا أنّها منفيّة عنه.

ثمّ سجدة الشكر يؤتىٰ بها بمقتضى التوقيع بعد الفرض، وتجوز بعد نوافله الأربع ـ أي: بعد السابعة ـ وقد روى الشيخ الطوسي بإسناده إلى حفص الجوهري قال: صلّى بنا أبو الحسن عليّ بن محمّد عليه السلام (٣) صلاة المغرب، فسجد سجدة الشكر بعد السابعة، فقلت له: كان آباؤك يسجدون بعد الثلاثة. فقال: ما كان أحد من آبائي يسجد إلّا بعد السابعة (٤).

قيل: إنّما قال: ذلك وفعلها بعد السابعة، لأجل التقيّة، أو لبيان الجواز (٥) وفعلها الإمام الجواد عليه السلام أيضاً (٦) لذلك.

---

(١) الفرقان: ٢٣.
(٢) الوسائل ٤: ٩٧٣، الباب ١٧ من أبواب السجود، ح ٣.
(٣) أي الإمام الهادي عليه السلام.
(٤) الوسائل ٤: ١٠٥٨، الباب ٣١ من أبواب التعقيب ح ١.
(٥) الوسائل ٤: ١٠٥٨، الباب ٣١ من أبواب التعقيب ذيل ح ١.
(٦) الوسائل ٤: ١٠٥٩، الباب ٣١ من أبواب التعقيب ح ٤.

وأمّا بعد صلاة المغرب فقد عملها الإمام الكاظم عليه السلام. ففي حديث جَهْم رأيت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وقد سجد بعد الثلاث ركعات من المغرب، فقلت له: جعلت فداك رأيتك سجدت بعد الثلاث، قال: ورأيتني؟ فقلت: نعم، قال: فلا تدعها؛ فإنّ الدعاء فيها مستجاب[١].

وقد جاء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام أنّ للمصلّي للفرض دعـوة مسـتجابة، فيا حبّذا إذا حصلت في حالة سجود الشكر، فلعلّ الكلام المتقدّم ناظر إليه.

وإليك أوّل حديث من تلك الأحاديث: الحسن بن محمّد الطوسي في الأمالي، عن أبيه، عن أبي محمّد الفحّام، عن المنصوري، عن عمّ أبيه، عن عليّ بن مـحمّد الهادي عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أدّى لله مكتوبة فله في أثرها دعوة مستجابة»[٢].

والحديث الثاني الصادقي: «ما من مؤمن يؤدّي فريضة من فرائض الله إلّا كان له عند أدائها دعوة مستجابة»[٣].

والحديث الثالث في آخر النبوي المتقدّم.

قال الفحّام: رأيت والله أمير المؤمنين عليه السلام في النوم فسألته عن الخـبر؟ فـقال: «صحيح إذا فرغت من المكتوبة فقل وأنت ساجد: اللّهمّ بحقّ مَن رواه وبحقّ من رُوي عنه صلّ على جماعتهم وافعل بي كيت وكيت»[٤].

كلمة «كيت وكيت» كناية عن ذكر الحاجة دنيويّة كانت أو أُخرويّة.

---

(١) الوسائل ٤: ١٠٥٨، الباب ٣١ من أبواب التعقيب ح ٢.

(٢) الوسائل ٤: ١٠١٥، الباب ١ من أبواب التعقيب، ح ١٠.

(٣) الوسائل ٤: ١٠١٦، الباب ١ من أبواب التعقيب ح ١٢.

(٤) مستدرك الوسائل ١: ٣٥٥، الباب ٥ من أبواب سجدة الشكر، حديث ٨، الطبع القديم، ومن الحديث ٥: ١٣٦.

سجدة الشكر أدبها وأثرها:

أمّا أدب السجدة فقد روى الشيخ الكليني بإسناده إلى يحيى قال: «رأيت أبا الحسن الثالث سجد سجدة الشكر، فأفرش ذراعيه وألصق جؤجأه وصدره وبطنه بالأرض، فسألته عن ذلك؟ فقال: كذا يجب»[١] الوجوب: الثبوت.

والصادقي: «إذا نزلت برجل نازلةٌ أو شديدةٌ أو كربة أمر فليكشف عن ركبتيه وذراعيه وليلصقهما بالأرض وليلزق جؤجُأه بالأرض، ثمّ ليدع بحاجته وهو ساجد»[٢].

وآخر: «إنّما يسجد المصلّي سجدة بعد الفريضة ليشكر الله تعالى ذكره فيها على ما مَنَّ به عليه من أداء فرضه، وأدنىٰ ما يجزي فيها شكراً لله ثلاث مرّات»[٣].

والرضوي: «السجدة بعد الفريضة شكراً لله عزّ وجلّ على ما وفّق له العبد من أداء فريضة، وأدنىٰ ما يجزي فيها من القول أن يقال: شكراً لله شكراً لله شكراً لله ثلاث مرّات، قلت: فما معنىٰ قوله: شكراً لله؟ قال: يقول: هذه السجدة منّي شكراً لله على ما وفّقني له من خدمته وأداء فرضه، والشكر موجب للزيادة، فإن كان في الصلاة تقصير لم يتمّ بالنوافل تَمَّ بهذه السجدة»[٤].

وأمّا آثار السجدة فكثيرة:

ففي الصادقي: «من سجد سجدة الشكر لنعمة وهو متوضّئ كتب الله له بها عشر صلوات، ومحا عنه عشر خطايا عظام»[٥].

---

(١) الوسائل ٤: ١٠٧٦، الباب ٤ من أبواب سجدتي الشكر ح ٢.
(٢) الوسائل ٤: ١٠٧٦، من أبواب سجدتي الشكر ح ٣.
(٣ و٥) الوسائل ٤: ١٠٧٠، الباب ١ من أبواب سجدتي الشكر ح ٢ و١.
(٤) الوسائل ٤: ١٠٧١، الباب ١ من أبواب سجدتي الشكر ح ٣.

وآخر: «سجدة الشكر واجبة على كلّ مسلم تتمّ بها صلاتك، وتُرضي بها ربّك، وتعجب الملائكة منك، وإنّ العبد إذا صلّى ثمّ سجد سجدة الشكر فتح الربّ تبارك وتعالى الحجاب بين العبد وبين الملائكة فيقول: يا ملائكتي انظروا إلى عبدي أدّى فرضي وأتمّ عهدي، ثمّ سجد لي شكراً على ما أنعمت به عليه، ملائكتي ماذا له عندي؟! فتقول الملائكة: يا ربّنا رحمتك! ثمّ يقول الرّبّ تبارك وتعالى: ثمّ ماذا له؟ فتقول الملائكة: يا ربّنا جنّتك! فيقول الربّ تعالى: ثمّ ماذا؟ فتقول الملائكة: يا ربّنا كفاية مهمّه! فيقول الربّ تعالى: ثمّ ماذا؟ فلا يبقى شيء من الخير إلاّ قالته الملائكة. فيقول الله تعالى: يا ملائكتي ثمّ ماذا؟! فتقول الملائكة: يا ربّنا لا علم لنا! فيقول الله تعالى: لأشكرنّه كما شكرني، وأقبل إليه بفضلي وأُريه رحمتي»[1].

لو لم يكن من أثر سجدة الشكر شيء إلّا بشارة «لأشكرنّه كما شكرني» لكان من أعظم الآثار بل لا يقارنه أثر مهما كان نوعه، ولعمري إنّ هذا الخير المعرّض هي النّفحة المأمورة بالتعرّض إليها: «إنّ لربّكم في أيّام دهركم نفحات فتعرّضوا لها»[2]، وفي آخر «... ألا فترصّدوا لها»[3]. بل الأمر أكثر وأكثر وإنّ الخيرات والبركات ملأ الأرض والسماوات في كلّ زمان ومكان في آناء الليل وأطراف النهار مُعرّضة للجميع بلا قيد وشرط وبلا عدّ وحدّ إنّ الدنيا متجر الأولياء وأزود لمن أراد تزوّد.

* * *

---

(١) الوسائل ٤: ١٠٧١ ـ ١٠٧٢، الباب ١ من أبواب سجدتي الشكر ح ٥ في ذلك البشارة العظمى فليراجع.

(٢) الجامع الصغير ١: ٣٦٧ ح ٢٣٩٨.

(٣) عوالي اللآلي ١: ٢٩٦ ح ١٩٥ ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ البقرة: ١٩٧، انظر تفسير الصافي ١: ٢٣٤.

٢٠٥
سر ولا تخف إلى قرية عن يمينك

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام لعليّ بن فاضل المازندراني في قصّة لقائه وتشرّفه بها وهي قصّة الجزيرة الخضراء التي يذكرها العلّامة المجلسي: فيمن رآه عليه السلام قريباً من زمانه، ما يلي منها، قال المازندراني للمتواجد في الجزيرة:

«فقلت: يا سيدي! أما يمكن النظر إلى جماله وبهائه عليه السلام؟ قال: لا، ولكن اعلم يا أخي! أنّ كلّ مؤمن مخلص يمكن أن يرى الإمام ولا يعرفه. فقلت: يا سيدي! أنا من جملة عبيده المخلصين ولا رأيته.

فقال لي: بل رأيته مرّتين مرّة منها: لمّا أتيت إلى سر من رأى وهي أوّل مرّة جئتها، وسبقك أصحابك، وتخلّفت عنهم حتّى وصلت إلى نهر لا ماء فيه، فحضر عندك فارس على فرس شهباء وبيده رمح طويل وله سنان دمشقي، فلمّا رأيته خفت على ثيابك، فلمّا وصل إليك قال لك: «لا تخف». اذهب إلى أصحابك؛ فإنّهم ينتظرونك تحت تلك الشجرة». فأذكرني والله ما كان، فقلت: قد كان ذلك يا سيدي.

قال: والمرّة الأُخرى حين خرجت من دمشق تريد مصراً مع شيخك الأندلسي، وانقطعت عن القافلة، وخفت خوفاً شديداً، فعارضك فارس على فرس غرّاء محجّلة وبيده رمح أيضاً، وقال لك: «سر ولا تخف إلى قرية عن يمينك، ونَم عند أهلها الليلة، وأخبرهم بمذهبك الذي وُلدتَ عليه، ولا تتّق منهم؛ فإنّهم مع قرى

عديدة جنوبيّ دمشق مؤمنون مخلصون يدينون بدين عليّ بن أبي طالب والأئمّة المعصومين من ذرّيّته عليهم السلام» وحتّى لو لم تتّفق القصّة لعليّ بن فاضل المازندراني فلعلّك سمعت قصصاً أُخرى لأشخاص آخرين قد تيقّن اليُمن لهم بلقاء الإمام المهدي فعرفوه، أو بعد الافتراق، وأرشدهم الطريق إذ كانوا ضالّين، أو أسعفهم الحاجات إذ كانوا محتاجين، أو أعلمهم على الخفيّات من أُمورهم أو أخبرهم بالمغيّبات. وإذا رمت مزيد العلم بذلك فانظر الكتاب عن آخره حتّى تعرف شيئاً من قضاياهم عليهم السلام، لكن فتزدد إيماناً بالله عزّ وجلّ، والشيخ الصدوق رحمه الله خصّص الثالث والأربعين، من شاهد القائم عليه السلام يبدأ ذكرهم بأسمائهم وقصصهم من البداية إلى النهاية ومنهم قصّة المهزياري الأخويين وغيرهما فراجع[1].

ليس كلّ ما يُعلم يُقال: أو يُكتب، أو العمل بما يؤمر المؤمن بالكتمان وحفظ السرّ ولو بالتناسي واستمع ما تمثّل الإمام الرضا عليه السلام:

وإنّي لأنسى السرّ كيلا أُذِيعَهُ   فيا من رأى سرّاً يُصان بأن ينسى[2].

* * *

(١) البحار ٥٢: ١٧٢ ـ ١٧٣، والإكمال ٢: ٤٣٤ ـ ٤٧٩، الباب ٤٣.

(٢) أمثال وحكم الإمام الرضا عليه السلام ٢: ٦٥، الرقم ١٧، عيون الأخبار ٢: ١٧٢ ـ ١٧٣.

٢٠٦

السلام على الجيوب المضرّجات السلام على الشفاه الذابلات

من تسليمات الزيارة الصادرة عن الناحية الّتي أوّلها: «السلام علي آدم صفوة الله من خليقته...»[١] ولنسبتها إلى الإمام المهدي عليه السلام وكلماته إليك مصدرها:

قال العلّامة المجلسي طاب ثراه: قال مؤلّف المزار الكبير: زيارة أُخرى في يوم عاشوراء ممّا خرج من الناحية إلى أحد الأبواب قال: تقف عليه وتقول:

«السلام على آدم صفوة الله من خليقته...» و ساق الزيارة إلى آخرها مثل ما مرّ، فظهر أنّ هذه الزيارة منقولة مرويّة. ويحتمل أن لا تكون مختصّة بيوم عاشوراء كما فعله السيّد المرتضى رحمه الله[٢].

أقول: يريد بما مرّ ما ذكره قبل هذا الكلام من نقل الزيارة فراجع[٣].

«السلام على الجيوب المضرّجات، السلام على الشفاه الذابلات، السلام على النفوس المصطلمات، السلام على الأرواح المختلسات، السلام على الأجساد العاريات، السلام على الجسوم الشاحبات، السلام على الدماء السائلات، السلام على الأعضاء المقطّعات، السلام على الرؤوس المشالات، السلام على النسوة البارزات...»[٤].

---

(١) البحار ١٠١: ٣١٧، سَبَقَ باب الزاي الرقم ١٩٥ «السلام...» المزار الكبير: ٤٩٨.

(٢) البحار ١٠١: ٣٢٨، الباب ٤١.

(٣) البحار ١٠١: ٣١٧، الباب ٤١.

(٤) البحار ١٠١: ٣١٨ ـ ٣١٩.

لهذه الكلمات شرح يطول به المقام، ونكتفي ببيان الكلمتين المختارتين هنا.

الجيوب مفردها الجيب، وقد جاء في صفة الإمام المهديّ عليه السلام: «عليه جيوب النور تتوقد بشعاع ضياء القدس»[١] والجيب القميص، وما يبرز منه الرأس عند لبسه والمراد هنا الأوّل.

والتضريج التلطيخ يقال: ضرّجت الثوب إذا صبغته بالحمرة وهو دون المشبع وفوق المُورّد[٢] والغرض هنا التلطيخ بالدم. وذبول الشفاه يبسها وذهاب نضارتها وماء جلدها بسبب حرارة العطش الّتي تعلوها، وربّما صارت من يبوستها كالخشبة. ومن أمضّ كوارث الطف عطش الحسين وأهل بيته عليهم السلام ومنعهم الماء المحرّم في شرع العقل والشرائع، وقد فعلته هذه الأُمّة حتّى بالرضيع يوم عاشوراء.

قد عرفت أنّ المختار من زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء الصادرة عن الناحية المقدّسة وهي التاسعة من المزار الكبير والرابعة الّتي يزار عليه السلام بها يوم عاشوراء، المجموع الرقم ٦، ٧، ٨، ٩ عدد ما يزار به يوم عاشوراء في المزار الكبير أربع زيارات[٣].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٦، أمثال وحكم الإمام الرضا عليه السلام ١: ١١٧، رقم الكلمة ٢٧.

(٢) مجمع البحرين ٢: ٣١٤ ـ ضرج ـ.

(٣) طبعة القيّومي ـ قم المقدّسة ص ٤٧٣ ـ ٥١٣، تجد المختار في ص ٤٩٨.

٢٠٧

السلام على الشجرة النبويّة

من الزيارة المرويّة عن الإمام المهديّ عجّل الله فرجه العلوية المثمرة، ومن أثمارها تعليم الناس كيف يزورون، وماذا يقولون، والخير كلّه في محاكاة القول المأثور، قال السيّد ابن طاووس رحمه الله:

زيارة أمير المؤمنين عليه السلام برواية من شاهد صاحب الزمان عليه السلام وهو يزورها في اليقظة لا في النوم يوم الأحد وهو يوم أمير المؤمنين عليه السلام:

«السلام على الشجرة النبويّة، والدوحة الهاشميّة المضيئة المثمرة بالنبوّة المونقة بالإمامة، وعلى ضجيعيك آدم ونوح، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيّبين الطاهرين، السلام عليك وعلى الملائكة المحدقين بك والحافين بقبرك، يا مولاي يا أمير المؤمنين هذا يوم الأحد وهو يومك وباسمك وأنا ضيفك فيه وجارك، فأضفني يا مولاي وأجرني؛ فإنّك كريم تحبّ الضيافة ومأمور بالإجارة، فافعل ما رغبت إليك فيه ورجوته منك، بمنزلتك وآل بيتك عند الله ومنزلته عندكم، وبحقّ ابن عمّك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعليهم أجمعين»[1].

إذا كان الإمام المهدي عليه السلام يقول: «وأنا ضيفك فيه وجارك» فما نقول نحن معاشر الجاهلين، ويماثله قول الصادق عليه السلام عند الاستئذان لدخول الحرم العلوي:

---

(١) جمال الأسبوع: ٣٠ ـ ٣١، والحكاية الخامسة والثلاثون من جنّة المأوى المطبوع مع البحار ٥٣: ٢٧١، البحار ١٠٢: ٢١٢.

«عبدك وابن عبدك وابن أمتك جاءك مستجيراً بذمّتك قاصداً إلى حرمك...»[١]، فنحن أولى بأن نكون عبيداً مستجيرين بهم.

إنّما يعرف المعصوم المعصوم؛ للحديث النبوي الذي رواه ابن شهرآشوب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عليّ ما عرف الله حقّ معرفته غيري وغيرك وما عرفك حقّ معرفتك غير الله وغيري»[٢].

والوجه فيه أنّ حرم المعصوم حرم الله؛ ففي أدب دخول الصحن العلوي ما يلي، قال: فإذا بلغت باب الصحن فقل: «اللّهمّ إنّ هذا الحرم حرمك، والمقام مقامك، وأنا أدخل إليه أُناجيك بما أنت أعلم به منّي...»[٣]

والخطاب في الزيارات وإن كان إلى المعصوم لكنّه يعود إلى الله، وكأنّ الزائر زائر الله؛ وعن زيد الشحّام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال: كمن زار الله في عرشه[٤].

والمذكور في الحديث من باب المثال بصفته معصوم، ولا شكّ أنّ أميرالمؤمنين أفضل من الحسين عليهما السلام. وذكر العرش إنّما هو للرفعة لا للسرير.

ولا يخفى على العارف المراد من التمثيل والاستعارة المذكورة في زيارة الإمام المهدي عليه السلام، والأئمّة بأجمعهم أثمار النبوّة ودوحتها، وأنوار الإمامة وبهجتها، وهم الشموس الطالعة والأقمار المنيرة والأنجم الزاهرة وهم محمّد وآل محمّد المعصومون عليهم السلام. والمهدي المسلّم على جدّه هو السلام، السالم عن رقعة الآثام وما يزاوله الناس من الخطايا. وهو الأمل وغوث البرايا والماء المعين للأكباد

---

(١) في آداب دخول الزائر في الحرم المقدس على احتمال أنّه من الصادق عليه السلام.

(٢) المناقب ٣: ٢٦٧ ـ ٢٦٨ والمشهور «ما عرف الله إلّا أنا وأنت، و ما عرفني إلاّ الله وأنت، وما عرفك إلاّ الله وأنا».

(٣) البحار ١٠٠: ٢٨٣.

(٤) كامل الزيارات: ١٤٧، الباب ٥٩.

الصادية، وكلّ نعت جاء في زيارته لأمير المؤمنين عليه السلام المرويّة عنه في اليقظة لا في النوم متجسد فيه أيضاً، ولهم شؤون لا نعرفها، فهل تدري حين يتشهّد النبيّ صلى الله عليه وآله في الصلاة ويقول: اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وكذا آله ماذا يقصدون؟ وهل هنا لفظ يستطيع اللافظ معه إفهام المعنى الحقيقي، ولا يخطئ؟ ولا يعرف ذلك إلّا المعصوم عن الخطأ، هم آل محمّد وعترته الطاهرون الأربعةعشر المعصومون صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين وعجّل الله فَرَجَ قائمهم آمين، لا يقاس بهم أحدٌ صرّح بذلك أبو الأئمّة القائم مقام خاتم الأنبياء إمام الأُمّة صلّى الله عليهم وسلّم، من خطبة له عليه السلام بعد انصرافه من صفّين: «... لا يقاس بآل محمّد صلى الله عليه وآله من هذه الأُمّة أحد، ولا يُسوَّى بهم مَن جَرَتْ نعمتهم عليه أبداً هم أساس الدين، ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة، الآن إذ رجع الحقّ إلى أهله، ونُقل إلى منتقله»[1].

فراجعه، ونقاش المعتزلي في السند وجوابه.

* * *

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٣١ ـ ١٥٠، الخطبة ٢، وشرحها لا مجال لذكرها.

٢٠٨

السلام على المرمّل بالدماء، السلام على المهتوك الخباء

من فقرات زيارة الناحية المتقدّم بيانها عند «السلام على الجيوب المضرّجات، السلام على الشفاه الذابلات»[١]. وقلنا هناك أنّ لكلمات الزيارة شرحاً يطول به المقام، كما ذكرنا ما قاله العلّامة المجلسي طاب ثراه عن المزار الكبير[٢] تأليف محمّد بن المشهدي، وهي مرويّة عن المفيد والمرتضى وعدّة من أصحابنا الإماميّة قدّس الله أسرارهم.

وبما أنّ الزيارة من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام ومنها كلماته المختارة لم يخل منها الكتاب، ولولا خوف الإطناب لأوردناها عن آخرها، وإليك ما يربط المختار:

«السلام على ابن خاتم الأنبياء، السلام على ابن سيّد الأوصياء، السلام على ابن فاطمة الزهراء، السلام على ابن خديجة الكبرى، السلام على ابن سدرة المنتهى، السلام على ابن جنّة المأوى، السلام على ابن زمزم والصفا، السلام على المرمّل بالدماء، السلام على المهتوك الخباء...»[٣].

«السلام على المهتوك الخباء» متى هتكت أخبية الإمام عليه السلام؟ تسائل أجاب عنه بقوله عجّل الله فرجه: «فلمّا رأين النساء جوادك مخزيّاً، ونظرن سرجك عليه ملويّاً،

---

(١) رقمه ١٩٥، ٢٠٦، المزار الكبير لابن المشهدي رحمه الله والمختار: ٤٩٨.

(٢) البحار ١٠١: ٣٢٨، الباب ٤١.

(٣) البحار ١٠١: ٣١٨، الباب ٤١.

برزن من الخدور، ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات، الوجوه سافرات، وبالعويل داعيات، وبعد العزّ مذلّلات، وإلى مصرعك مبادرات»[١].

إنّ من أمرّ كوارث الطف كارثة هتك الأخبية وبروزهن؛ لأنّ الشهادة للرجال عزّ وشرف، ومن أشدّها سبيهنّ وسوقهنّ من بلد إلى بلد، فوا لهفاه.

قال ياقوت الحموي: حدّثني الخالع قال: كنت مع والدي في سنة ستّ وأربعين وثلاثمائة وأنا صبيٌّ في مجلس الكبودي في المسجد الّذي بين الورّاقين والصاغة وهو غاصٌّ بالناس، وإذا رجلٌ قد وافىٰ وعليه مُرقّعة وفي يده سطيحة وركوة[٢] ومعه عُكّاز، وهو شعثٌ فسلّم على الجماعة بصوت يرفعه، ثمّ قال: أنا رسول فاطمة الزهراء صلوات الله عليها، فقالوا: مرحباً بك وأهلاً ورفعوه فقال: أتعرّفون لي أحمد المزوّق النائح؟ فقالوا: ها هو جالس، فقال: رأيت مولاتنا عليها السلام في النوم فقالت لي: امْض إلى بغداد واطلبه وقل له: نح على ابني بشعر الناشئ ـ الّذي يقول فيه ـ الطويل:

بني أحمد قلبي لكم يتقطّعُ　　　بمثل مصابي فيكُم ليس يسمعُ

وكان الناشئ حاضراً فلطم لطماً عظيماً على وجهه وتبعه المزوّق والناس كلّهم وكان أشدّ الناس في ذلك الناشئ ثمّ المزوّق[٣].

* * *

(١) البحار ١٠١: ٣٢٢، الباب ٤١ كتاب المزار، المزار الكبير زيارة يوم عاشوراء ٤٩٧.

(٢) السطيحة المزادة، والركوة الدلو الصغير.

(٣) حكاها الحجّة الأميني في الغدير ٤: ٣٠ كملاً.

٢٠٩
السلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتّبع الهدى

المختار من كلام الإمام المهديّ عليه السلام المذكور في آخر جواباته عن مسائل إسحاق بن يعقوب الّتي أُشكلت عليه ووجّهها إلى الناحية على يد أبي جعفر محمّد ابن عثمان العَمري النائب الثاني، وهي سبعة عشر سؤالاً، وزّعناها مع الجوابات على عناوين الكتاب.

ومنها و«أمّا وجه الانتفاع في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبتها عن الأبصار السحاب»[١]، و«إنّي لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء»[٢]، و«أغلقوا باب السؤال عمّا لا يعنيكم»[٣]، و«لا تتكلّفوا علم ما قد كفيتم»[٤]. ولربط المختار المتبقّى من الجوابات عن تلك المسائل:

«وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج[٥]؛ فإنّ ذلك فرجكم، والسلام عليك يا إسحاق ابن يعقوب، وعلى من اتّبع الهدى»[٦].

السلام من الآداب الرفيعة التي لا تفارق المؤمنين فضلاً عن أئمّتهم المعصومين عليهم السلام، معلمي الأخلاق والمُثُل الإنسانيّة العليا، والإمام المهدي عجّل الله فرجه خاتمهم، وختامهم المسك المتضوّع به عالم الأشباح والأرواح والنفوس

---

(١) الرقم ٨٣.
(٢) الرقم ١٢٠.
(٣) الرقم ٦٢.
(٤) الرقم ٣١٦.
(٥) الرقم ٦٨.
(٦) إكمال الدين ٢: ٤٨٥، الباب ٤٥.

والأفلاك، وكيف لا وهو ابن المخاطب بـ «لولاك لما خلقت الأفلاك»[١]، وإنّه لأصل السلام والسلامة، وتشهد لذلك قصّة ملاقاة عليّ بن مهزيار حين أخذ بـه الدليـل صاحب الوجه الجميل، وعلا به إلى قرب ذروة جبل الطائف، وإليك بـلفظ غـيبة الشيخ الطوسي بعضها:

ونحن قد توسطنا جبال الطائف، فلمّا أن كان هناك أمرني بالنزول وقـال لي: انزل فصلّ صلاة الليل فصلّيت، وأمرني بالوتر فأوترت، وكانت فائدة منه، ثمّ أمرني بالسجود والتعقيب، ثمّ فرغ من صلاته وركب، وأمرني بالركوب، وسار وسرت معه حتّى علا ذروة الطائف، فقال: هل ترى شيئاً؟ قلت: نعم أرى كثيب رمل عليه بيت شعر، يتوقّد البيت نوراً. فلمّا أن رأيته طابت نفسي، فقال لي: هناك الأمل والرجاء، ثمّ قال: سر بنا يا أخ! فسار وسرت بمسيره إلى أن انحدر من الذروة، وسـار فـي أسفله، فقال: انزل، فهاهنا يذلّ كلّ صعب، ويخضع كلّ جبّار، ثمّ قال: خلّ عن زمام الناقة، قلت فعلى من أُخلفها؟ فقال: حرم القائم عليه السلام لا يدخله إلّا مؤمن، ولا يخرج منه إلّا مؤمن، فخلّيت من زمام راحلتي وسار وسرت معه إلى أن دنا من باب الخباء، فسبقني بالدخول وأمرني أن أقـف حـتّى يـخرج إليّ ثـمّ قـال لي: ادخـل هـناك السلامة...»[٢].

وإنّما أردنا منها الكلمة الأخيرة، وأمّا سواها فكما قال الشاعر:

أعد ذكر نـعمان لنـا إنّ ذكـره   هو المسك ما كرّرته يتضوّع[٣]

وأمّا ترجمة إسحاق بن يعقوب فقد تعرّضنا لها عند «أكثروا الدعـاء بـتعجيل

---

(١) عن كشف اللآلي لصالح بن عبد الوهّاب بن العرندس المتوفّى حدود ٨٤٠ هـ، كما في الجُنّة العاصمة للسيّد مير جهاني: ص ١٤٨ ـ ١٤٩، وله قصّة في رؤية الكتاب فراجعه.

(٢) كتاب الغيبة: ١٦٠ في الأصل: «ولا يخرجه منه إلّا مؤمن» والصحيح ما أثبتناه وانظر رقم المختار ٣٧.

(٣) تاج العروس ٥ : ٤٣٦، ـ ضوع ـ.

الفرج»[١]، ونقلنا بعض أقوال أرباب التراجم، وأنّه مجهول، وآخر أنّه حسن الحال، ونزيد هنا أنّ في السلام الصادر عن الناحية المقدّسة عليه ما يدلّ على حسن حال الرجل، وربّما يقال بمنع ذلك؛ لأنّه من طريقه وهو أوّل الكلام.يجاب عنه أنّ تسالم الأصحاب على نقله دليل القبول، وإن أبيت إلّا القدح فإنّا نقنع بالمدح له من أيّ وجه كان يوجب الوثوق ولو من لحن محتوى الحديث.

قوله عليه السلام: «على من اتّبع الهدى» المراد غير إسحاق؛ لأنّ ظاهر التعدّد ـ أي غيره ممّن يتّبع الهدى ـ ويشهد له قول الفيض طاب ثراه بعد آية ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾[٢] والسلامة من عذاب الله على المهتدين[٣].

والوجه في مدح إسحاق بن يعقوب بذلك أنّ سلام الإمام عليه السلام عليه ثمّ ذكر متّبع الهدى تطبيق منه له، وأنّه من أفراده ومصاديقه.

بقي سؤال: وهو أنّ هذا القسم من السلام خاصّ بالمشرك والمنحرف عن الحقّ، كما في رواية الشيخ الكليني بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: أقبل أبو جهل ابن هشام ومعه قوم من قريش، فدخلوا على أبي طالب، فقالوا: إنّ ابن أخيك قد آذانا وآذى آلهتنا، فادعه ومره فليكف عن آلهتنا ونكفّ عن إلهه، قال: فبعث أبو طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فدعاه، فلمّا دخل النبي صلى الله عليه وآله لم ير في البيت إلّا مشركاً، فقال: السلام على من اتّبع الهدى، ثمّ جلس فخبّره أبو طالب بما جاؤوا له فقال: أوهل لهم في كلمةٍ خيرٌ لهم من هذا، يسودون بها العرب، ويطأون أعناقهم؟ فقال أبو جهل: نعم، وما هذه الكلمة؟ فقال: تقولون: لا إله الاّ الله، قال: فوضعوا أصابعهم في آذانهم، وخرجوا هراباً وهم يقولون: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[٤]...[٥].

---

(١) رقمه ٦٨. (٢) طٰه: ٤٧. (٣) تفسير الصافي ٣: ٣٠٨.

(٤) صٓ: ٧. (٥) أُصول الكافي ٢: ٦٤٩ ح ٥، باب التسليم على أهل الملل.

دلّت على أنّه يسلّم به على المشرك إذ لم ير الرسول صلى الله عليه وآله عند دخوله البيت إلّا المشرك وهو أبو جهل وقوم من قريش معه، وعليه فالتوقيع دليل القدح.

والجواب: أنّ أهل البيت أدرىٰ بما فيه واستعمال الكلمة في إسحاق بن يعقوب، مع علمه عليه السلام، بورودها فيما ذكر دليل على عدم الاختصاص، على أنّه عليه السلام ذكره بعد السلام على ابن إسحاق بالخصوص، فتدبّر. ﴿وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْـهُدَى﴾ قيل نزلت في فرعون، ولكن الفيض رحمه الله من قال: والسلامة من عذاب الله على المهتدين[1].

* * *

(١) طه: ٤٧، تفسير الفيض الكاشاني ٣: ٣٠٨.

٢١٠
السلام عليك يا أوّل قتيل من نسل خير سليل

نكتفي ببعض التسليمات الواردة في زيارة الشهداء التي رواها ابن طاووس ومحمّد بن المشهدي عن الشيخ الطوسي، وفي تاريخ الصدور إشكال تعرفه، وإليك صورته بلفظ البحار:

ولنذكر هنا زيارة أوردها السيّد في كتاب الإقبال تشتمل على أسماء الشهداء وبعض أحوالهم رضوان الله عليهم، وأسماء قاتليهم لعنهم الله.

روّينا بإسنادنا إلى جدّي أبي جعفر الطوسي عن محمّد بن أحمد بن عيّاش [عبّاس] عن الشيخ الصالح أبي منصور عبد المنعم بن النعمان البغدادي رحمهم الله، قال: خرج من الناحية سنة اثنتين وخمسين[١] ومائتين على يد الشيخ محمّد بن غالب الأصفهاني حين وفاة أبي رحمه الله وكنت حديث السنّ، وكتبت أستأذن في زيارة مولاي أبي عبد الله عليه السلام وزيارة الشهداء رضوان الله عليهم[٢]، فخرج إليَّ منه:

---

(١) سيأتي عن بعض احتمال تحريف الستّين بالخمسين فيصحّ الصدور، وإلّا فلا.

(٢) لبعض السادة تعليق ما هذا لفظه:

في التعبيرات الشرعيّة ورد الدعاء للآخرين ـ وخاصّة الأموات ـ بـ(الرحمة) وبـ(الرضوان). فما هي الرحمة؟ وما هو الرضوان؟ و ما هو الفارق بينهما؟ كما ورد الدعاء للأولياء بـ(السلام) وبـ(الصلاة) فما هو السلام؟ وما هي الصلاة؟.

الرحمة من الرحم، وهو الإحاطة بالشيء لتنميته وصيانته بعطف وشفقة، ومنه الرحم لوعاء الجنين؛ لأنّه يحوطه وينمّيه، ومنه أرحام الرجل لأقربائه؛ لأنّهم يحوطونه بإشفاق ←

← وانعطاف. والرحمة من الإنسان تعني الحماية من الأذى، وهي ناتجة من رقّة القلب، ومن الله تعني اللطف والإحسان، وهي صفة ذاتيّة له، وليست وليدة من صفة أُخرى.

ورحمة الله تعمّ جميع مخلوقاته؛ بدليل أنّه أوجدها ويحوطها ويُنميها بأقدار استعدادتها للقبول ـ أي بمقدار قابليّاتها ـ؛ لأنّ رحمته متاحة من قبله بلا حدود، وإنّما على الخلائق أن تكون قابلة للتلقّي والقبول، فمن كان أوسع ظرفيّة وأوفر مؤهّلات فهو يستوعب أكثر، ومن كان أضيق ظرفيّة وأضحل مؤهّلات فهو يستوعب أقلّ ﴿**ورحمتي وسعت كلّ شيء فسأكتبها للذين يتّقون ويؤتون الزكوة والّذين هم بئايتِنَا يؤمنون**﴾ الأعراف: ١٥٦.

ولا يحرم من فيض الله إلّا من أغلق نفسه عنه بأن كفر به؛ فإنّ الله لا ينميه ولا يحوطه ـ أي يتركه لنفسه ولسلبيّاته ـ فيكون ملعوناً ـ أي مطروداً من محيط اللطف والإحسان ـ فلا يتكامل.

والرضوان: من الرضا، ولكنّه يدلّ على أكثر من مجرّد الرضا، فتوحي بالقبول، وهو الوصول إلى درجة اللياقة؛ لأنّ الله سريع الرضا، فلا يرضى بالله عبد إلّا ويرضى الله به، ولكن قد يكون العبد في أدنىٰ قاعدته فيحظى بالرضى لا بالقبول، وربّما يكون في أعلى قمّته، فيحظى بالقبول أيضاً، فكلّ من كان وضعه يزحزحه عن النار، ويدخله الجنّة فهو ممّن رضي الله عنهم ورضوا عنه ـ أي خشي ربّه ـ فلم يتورّط في اللامبالاة، ومن كان وضعه يضعه فوق مستوى الجنّة ـ بكلّ ما تعني الجنّة ـ فهو ممّن يبلغون رضوان الله، وأمّا الذين يبتغون الجنّة فهم دون مستوى الرضوان ﴿**ورضوانٌ من الله أكبر**﴾ التوبة: ٧٢.

ولذلك قد يقال: بأنّه يصحّ الدعاء بالرحمة لكلّ المؤمنين، ولا يصحّ الدعاء بالرضوان إلّا لمن لم يكن عملهم سعياً وراء الجنّة وإنّما بحثاً عن رضوانه تعالى، فأطاعوا الله لا خوفاً من ناره، وطمعاً في جنّته، وإنّما تقرّباً إليه فقط. وبذلك يظهر الفارق الكبير بين الرحمة والرضوان.

والسلام: هو استسلام الأشياء له بأن لا يناقضه شيء بأن يصل العبد إلى درجة يضع الله تحت تصرّفه الأشياء كما في الحديث القدسي: «عبدي أطعني أجعلك مِثْلي أو مَثَلي.

أقول للشيء: كن فيكون، وتقول للشيء: كن فيكون».

ومستوى السلام أصحاب الولاية الكونية كأصحاب ليلة القدر التي ورد التعبير في القرآن: ﴿**ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر * سلام هى حتّى مطلع الفجر**﴾ القدر: ٣ ـ ٥.

وأمّا المصائب الّتي وردت على أولياء الله فلا تعبّر عن تناقض الأشياء معهم؛ لأنّها ←

بسم الله الرحمن الرحيم، إذا أردت زيارة الشهداء رضوان الله عليهم فقف عند رجلي الحسين عليه السلام؛ فإنّ هناك حومة الشهداء، وأومِئ وأشر إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام وقل:

السلام عليكِ يا أوّل قتيل من نسل خير سليل، من سلالة إبراهيم الخليل، صلّى الله عليك وعلى أبيك إذ قال فيك: قتل الله قوماً قتلوك يا بنيّ! ما أجرأهم على الرحمن، وعلى انتهاك حرمة الرسول، على الدنيا بعدك العفا، كأنّي بك بين يديك ماثلاً، وللكافرين قاتلاً قائلاً:

أنا عليّ بن الحسين بن عليّ	نحن وبيت الله أولىٰ بالنبيّ
أطعنكم بالرمح حتّى ينثني	أضربكم بالسيف أحمي عن أبي
ضرب غلام هاشميّ عربيّ	والله لا يحكم فينا ابن الدعيّ

حتّى قضيت نحبك، ولقيت ربّك، أشهد أنّك أولى بالله وبرسوله، وأنّك ابن رسوله، وحجّتهُ وأمينهُ وابن حجته وأمينه، حكم الله على قاتلك مرّة بن منقذ بن

← من جملة الوسائل التي تساعد على تكاملهم بصورة أسرع من العبادات التقليديّة، فاتّفق معهم عليها فقبلوا بها طائعين، فلم يفاجأ أحدهم بشيء منها، ولسان حالهم يقول: ﴿**قل لن يصيبنا إلّا ما كتب الله لنا هو مولانا**﴾ التوبة: ٥١.

فلا يصل أحد إلى مرحلة السلام إلّا بعد تجاوز مرحلة الرضوان: ﴿**يهدى به الله من اتّبع رضوانه سُبُل السلام...**﴾ المائدة: ١٦.

والصلاة هي الصلة الدائمة، بأن تكون المشاعر كلّها دائمة التوجّه إلى الله في جميع الحالات. هذه أعلى الدرجات التي لا يهضمها الكثيرون، فلا نعمّق الحديث عنها؛ لاحتياج ذلك إلى مجال واسع كبير.

انظر كلمة الإمام المهدي عليه السلام: ٣٨٩ ـ ٣٩١.

أقول: قد جرت السيرة الجميلة على ذكر السلام على الإمام المعصوم، والصلاة والسلام على النبيّ صلى الله عليه وآله، والرضوان على الأولياء وأصحاب الأئمّة عليهم السلام.

وأمّا المؤمنون الأموات يطلب لهم الرحمة والغفران، وبذلك عسى أن ينالوا الرضا والرضوان والحشر مع أولياء الله تعالى.

النعمان العبدي ـ لعنه الله وأخزاه ـ ومن شركه في قتلك، وكانوا عليك ظهيراً، أصلاهم الله جهنّم وساءت مصيراً، وجعلنا الله من ملاقيك ومرافقي جدّك وأبيك وعمّك وأخيك، وأُمّك المظلومة، وأبرأُ إلى الله من أعدائك أُولي الجحود، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

السلام على عبد الله بن الحسين، الطفل الرضيع، المرميّ الصريع، المتشحّط دماً، المصعّد دَمُهُ في السماء، المذبوح بالسهم في حجر أبيه، لعن الله راميه حرملة بن كاهل الأسدي وذويه...

السلام على أبي الفضل العبّاس بن أمير المؤمنين، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له، الواقي الساعي إليه بمائه، المقطوعة يداه، لعن الله قاتله يزيد بن الرقاد الجهني، وحكيم بن الطفيل الطائي...(١).

قال السيّد حيدر الحسني الكاظمي طاب ثراه: قال بعض العلماء: في تاريخ الخبر إشكال؛ لتقدّمه على ولادة القائم عليه السلام بأربع سنين، ولعلّه وقع فيه بعض التحريف من الرواة أو النسّاخ بأن كانت العبارة اثنتين وستّين. ويحتمل أن يكون خروج التوقيع عن العسكري عليه السلام (٢).

وقال الآخر: ولعلّه سهو من النسّاخ وأصله سنة اثنين وستّين ومائتين، كما احتمله العلامة المجلسي رحمه الله وغيره، وإلّا فالحجّة صلوات الله و سلامه عليه لم يكن مولوداً في ذاك التأريخ، والزيارة تكون للإمام الحسن العسكري عليه السلام (٣).

أقول: كلمة الناحية تطلق على العسكري عليه السلام أيضاً وعليه يقوى صدورها عنه، وإنّما ذكرناها؛ لأجل احتمال الصدور عن الحجّة عجّل الله فرجه.

يقول مؤلّف هذا الكتاب: عزيزي الكريم إن أرادوا بكلمة الصدور عن الناحية

---

(١) الإقبال: ٥٧٣ ـ ٥٧٤. (٢) عمدة الزائر: ١٦٠.

(٣) كلمة الإمام المهدي عليه السلام ٣٧٩، وظاهره الميل إلى الصدور عن المنتظر عليه السلام.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام فيما أسلفناه من كلماتنا المختارة، منها: الزيارة يوم عاشوراء الّتي أوّلها: «السلام على آدم صفوة الله المشتملة على ولئن أخرتني الدهور وعاقني عن نصرك المقدور لأبكينّ عليك صباحاً ومساءً... إلخ» إنّ ظاهر البكاء من الباكي الحيّ وهو الإمام الهمام الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الحيّ الحاضر المستتر عن أبصار الظالمين على اعتقاد الإماميّة الاثني عشرية، الإمام المعصوم الّذي قضى نحبه شهيداً أو مسموماً على أنه قد صُرّح في بعض الزيارات الصادرة عن الناحية إلى الأبواب فهو واضح المراد والحمد لله.

* * *

٢١١
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

من بركات الإمام المهديّ عليه السلام سلامه على الصالحين من عباد الله باستمرار، والمختار من حديث الزيارة الصادرة عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال، وقد سبق ذكره عند «إذا أردتم التوجّه بنا إلى الله تعالى...»[١]، وعند «حكمة بالغة فما تغني النذر عن قوم لا يؤمنون»[٢]، وعند «خير من تقمّص وارتدى»[٣]؛ ولأجله لا نعيد سوى قدر الحاجة.

قال[٤]: خرج التوقيع عن الناحية المقدّسة ـ حرسها الله ـ بعد المسائل: «بسم الله الرحمن الرحيم، لا لأمره تعقلون [ولا من أوليائه تقبلون][٥]، حكمة بالغة... السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»[٦] وفيها كرّر السلام الموزّع على حالاته روحي فداه العاديّة والعباديّة.

صيغ السلام:

قوله عليه السلام: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» من التسليمات الواردة في تشهّد الصلوات التي يخرج بها المصلّي منها، وإنّما التسليم محلّلها كما كان التكبير

---

(١) رقمه ٣٣.
(٢) رقمه ١٧٢.
(٣) رقمه ١٨١.
(٤) أي الحميري.
(٥) في نسخة البحار ١٠٢: ٨١.
(٦) الاحتجاج ٢: ٣١٥ـ٣١٦.

محرّمها، ففي علوي: «افتتاح الصلاة الوضوء وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم»[١].

والسلام في الصلاة علامة الأمن والخروج منها وتحليل الكلام بعده ذكرناه في كتاب (السلام في القرآن والحديث)[٢].

وأمّا صيغة السلام المخرج فقد دلّ النصّ الصريح الصحيح على أنّ التسليم الثاني كالثالث دون الأوّل، كما في صحيح الحلبي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «كلّ ما ذكرت الله عزّ وجلّ به والنبيّ صلى الله عليه وآله فهو من الصلاة وإن قلت: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقد انصرفت» وصحيح أبي كهمس: «إذا جلستُ فيهما[٣] للتشهد فقلتُ وأنا جالس: السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته انصراف هو؟ قال: لا ولكن إذا قلت: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فهو الانصراف»، وفي الآخر: «فقد فرغ من الصلاة»[٤].

قال المحقّق الحلّي طاب ثراه: الثامن[٥] التسليم وهو واجب على الأصحّ، ولا يخرج من الصلاة إلّا به. وله عبارتان: إحداهما أن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، والأُخرى أن يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبكلّ منهما يخرج من الصلاة، وبأيّهما بدأ كان الثاني مستحبّاً[٦].

ولكلّ ما قال دليل لا مجال لتوضيحه، والمهمّ بيان أسرار التسليم في الصلاة، وغيرها، فهنا أمران.

---

(١) الوسائل ٤: ١٠٠٥ الباب ١ من أبواب التسليم ح ٨.
(٢) طبع بيروت، دار الأضواء، ١٤١١ هـ، ولا أدري وليتني كنت دارياً هل طبع ثانياً؟
(٣) أي الركعتين.
(٤) الوسائل ٤: ١٠١٢ ـ ١٠١٣ الباب ٤ من أبواب التسليم وجملة من أحكامه ح ١، ٢، ٥.
(٥) من واجبات الصلاة.
(٦) الشرائع ١: ٧٠.

الأمر الأوّل:

سرّ السلام في الصلاة ومعناه: ففي موثّق عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن معنى التسليم في الصلاة؟ فقال: التسليم علامة الأمن وتحليل الصلاة، قلت: وكيف ذلك جعلت فداك؟ قال: كان الناس فيما مضى إذا سلّم عليهم وارد أمنوا شرّه، وكانوا إذا ردّوا عليه أمن شرّهم، وإن لم يسلّم لم يأمنوه، وإن لم يردّوا على المسلّم لم يأمنهم، وذلك خُلُقٌ في العرب، فجعل التسليم علامة للخروج من الصلاة وتحليلاً للكلام، وأمناً من أن يدخل في الصلاة ما يفسدها.

والسلام اسم من أسماء الله عزّ وجلّ وهو واقع من المصلّي على ملكي الله الموكّلين[1] ولنعم الوجه والسرّ الّذي يغفل الأكثر من المصلّين عن هذا السرّ يجدر بهم العلم بذلك والتفقّه لأحكام الصلاة وأسرارها:

الأمر الثاني:

قد جمع الحديث المذكور لسرّ السلام في الصلاة وغيرها وأنّه اسم الله المبارك ومعناه كالظُلّة على الرؤوس والحافظ لها؛ ومن ثمّ عدّي بـ «على»، وأنّ الرسول صلى الله عليه وآله حين صلّى بالأنبياء والملائكة في المعراج أُمر بالتشهّد بعد إتيان أفعال الصلاة وسلّم تعالى عليه قائلاً: السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته. قال صلى الله عليه وآله تواضعاً: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. فقال تعالى: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وتجد ذلك كلّه في رواية الكليني الّتي لعلّها أصحّ رواية جاءت في المعراج فراجع[2].

وسلام الإمام المهديّ عليه السلام على نفسه وعلى الصالحين دعاء وطلب وإنشاء،

---

(١) الوسائل ٤: ١٠٠٦ الباب ١ من أبواب التسليم ح ١٣.

(٢) الكافي ٣: ٤٨٢ ـ ٤٨٦ ح ١.

ويجوز أن يكون إخباراً أيضا؛ لأنّه صادق فيما أخبر، وكيف لا ونفسه المقدّسة حقيقة السلام الأصيل وأمّا سائر الأنفس الصالحة فهي الفرع والبديل، والسلام هو العصمة في المعصوم، وفي غيره طهارة الطويّة وخلوص النيّة والصدق، وقد اشتملت الزيارة الصادرة عن الناحية المقدّسة على تسليمات كثيرة على كلّ وجهات الإمام المهدي أرواح من في الوجود فداه على أفعال وأقوال صلواته عليه السلام وقيامه وقعوده وقيامه وركوعه وسجوده، وتكبيره وتهليله ويصبح ويمسي وحين يحمد ويستغفر وكلّ حركاته وسكناته، بل السلام الكامل التامّ على كلّ شيئه؛ إنه طهر طاهر مطهّر من طهر طاهر والسلام عليه وعلى آبائه وأجداده المطهّرين الطاهرين. وقد ورد في زيارة من زيارات الإمام الحسين عليه وعلى جدّه وأبيه وأُمّه وأخيه: «أشهد أنّك طهر طاهر من طهر طاهر طهرت وطهرت بك البلاد وطهرت أرض أنت بها وطهر حرمك»[1].

* * *

(١) كامل الزيارات: ١٩٤ ـ ١٩٦، الباب ٧٩.

٢١٢
سلام الله عليك أيّها الناصر للحقّ الداعي إليه بكلمة الصدق

من أهمّ المؤهلات المقرّبة إلى الإمام المهديّ عليه السلام هي النصرة للحقّ، والدعوة إلى الله الصادقة المخلصة وقد تحققتا في الشيخ المفيد؛ ومن أجل ذلك بلغ قمّة الجدارة لأن يسلّم عليه الإمام المعصوم عليه السلام بسلام الله في مفتتح الكتاب إليه بعد البسملة وناهيك شرفاً ـ وفوق كلّ شرف ـ ورفعةً ومقاماً محموداً أن أذن الله لحجّته بمكاتبته إيّاه كما قال عليه السلام في الكتاب الأوّل الصادر عنه عام ٤١٠ هـ.

«... إنّه قد أُذنَ لنا في تشريفك بالمكاتبة، وتكليفك ما تؤدّيه عنّا إلى موالينا قِبلَك...»[١]. وجاء المختار في أوّل مفتتح الثاني:

«بسم الله الرحمن الرحيم، سلام الله عليك أيّها الناصر للحقّ، الداعي إليه بكلمة الصدق...»[٢].

ومرجع ضمير «إليه» هو الله أو الحقّ، وحقيقة الحقّ هو الإمام المهديّ عليه السلام، وهو الدين الذي وجب الاستمساك به، كما جاء ذلك في رواية الشيخ الكليني بإسناده عن الكاظم عليه السلام يأمر عليّ بن سويد في كلام له وهو في الحبس ويأمره بأهمّ ما يجب عليه القيام به قال عليه السلام ما لفظه: «فاستمسك بعروة الدين آل محمّد والعروة الوثقى الوصيّ بعد الوصيّ، والمسألة والرضا بما قالوا، ولا تلتمسنّ دين من ليس من

---

(١) الاحتجاج ٢: ٣٢٢.

(٢) الاحتجاج ٢: ٣٢٤.

شيعتك وتحبنّ دينهم؛ فإنّهم الخائنون الذين خانوا الله ورسوله، وخانوا لماناتهم...»[١] كي لا يكون ضالاً مضلّاً منحرفاً كأبي العلاء المعرّي أحمد بن عبدالله ابن سليمان قائلاً:

تناقض ما لنا إلّا السكوت له — وأن نعوذ بمولانا من النار
يد بخمس مئين عسجد فديت — ما لها قطعت في ربع دينار[٢]

أجابه السيّد المرتضى ﵀:

عزّ الأمانة أغلاها وأرخصها — ذلّ الخيانة فافهم حكمة الباري[٣]

ومن كفرياته:

عقول تستخف بها سطور — ولا يدري الفتى لمن الثبور
كتاب محمّد وكتاب موسى — وإنجيل ابن مريم والزبور[٤]

نعوذ بالله من سوء الختام ونسأله تعالى الثبات على الإيمان والإسلام والحشر مع محمّد وآل محمّد عليهم الصلاة والسلام. طوبى لأمثال الشيخ المفيد الّذي يسلّم عليه الإمام المهديّ ﵇ وعجّل الله تعالى فرجه وجعلنا من أنصاره وأعوانه وخدمته ويدخلنا فيما أدخله مدخل صدق وأخرجنا مخرج صدق آمين ربّ العالمين.

* * *

---

(١) روضة الكافي ٨: ١٢٤ ـ ١٢٥، ح ٩٥.

(٢ و ٤) معجم الأدباء ٣: ١٦ و ١٧٠ لياقوت الحموي

(٣) أدب المرتضى: ٩٤، الطبعة الأُولى: مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٥٧ م، المستعار منه السيّد أحمد الإشكوري.

٢١٣
سلّموا لنا وردّوا الأمر إلينا

سبق من الشيخ الطوسي ﵀ بإسناده إلى الشيخ الموثوق بـه التـوقيع الصـادر عنه ﵇ على يده ردّاً على تشاجر ابن أبي غانم القزويني مع الشيعة في الخلف بعد مضيّ أبي محمّد العسكري ﵉: «... لكلّ أجل كتاب، فاتّقوا الله، وسلّموا لنا، وردّوا الأمر إلينا، فعلنا الإصدار كما كان منّا الإيراد»[1].

وأهل البيت أدرىٰ بما في البيت، وأهل مكّة أعرف بها وبشعابها، ومن ثمّ قال تعالى: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، وقال عزّ من قائل: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[2].

أراد ﵀ بالشيخ الموثوق به أبا عمرو عثمان بن سعيد السمّان العمري طاب ثراه كان وكيلاً معتمداً للإمام الهادي والعسكري والحجّة﵈ وابنه أبوجعفر محمّد بـن عثمان العمري وكيلاً للإمام العسكري والحجّة ﵉ وقد اتّفق أصحابنا الإماميّة على وثاقتهما وأمانتهما.

قال السيّد الخوئي ﵀ بعد الاسم واللقب: ذكره الشيخ في السفراء الممدوحين، وروى عدّة روايات في مدحه وجلالته....

وللسيّد الخوئي ﵀ نقاش على قول شهرآشوب والعلّامة من أن العمري السمّان كان من أصحاب أبي جعفر الثـاني ﵇ وخَـدَمَهُ وهـو ابـن إحـدى عشـره سـنة

---

(١) كتاب الغيبة: ١٧٣.

(٢) أمثال وحكم ١: ٣١٧، موسوعة أمثال العرب ٣: ٢٣٠، الأنعام: ١٢٤، النساء: ٥٩.

غير صحيح فراجع[١].

ثمّ للتوقيع الشريف قال عليه السلام: «ولا تحاولوا كشف ما غُطّي عنكم» قوله تعالى: ﴿... وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[٢]، روى الصدوق بإسناده عن الصادق عليه السلام: «... وأمّا قوله عزّ وجلّ: ﴿... وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾؛ فإنّه ـ يعني التسليم له ـ فيما ورد عنه»[٣] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وأهل بيته المعصومون عليهم السلام لا يقولون إلّا عنه وبالعلم الّذي أخذوه منه صلى الله عليه وآله وهو عن جبرئيل عن الله تعالى.

في صحيح حمّاد عن الصادق عليه السلام يقول: حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدّي وحديث جدّي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله وحديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ[٤].

ولنعم ما قيل:

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهباً ... ينجيك يوم الحشر من لهب النار

فوال أناساً قولهم وحديثهم ... روى جدّنا عن جبرئيل عن الباري[٥]

في صحيح الثمالي عن جابر قال أبو جعفر عليه السلام:

«... نحدّثهم بآثار عندنا من رسول الله صلى الله عليه وآله، يتوارثها كابر عن كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضّتهم»[٦]؛ التمثيل به؛ للاهتمام.

* * *

---

(١) معجم رجال الحديث ١١: ١١١ ـ ١١٣، رقم الترجمة ٧٥٩١، وهو وابنه من النوّاب الأربعة.

(٢) الأحزاب: ٥٦، في كلّ أُمورهم المعاشيّة والمعادية: لعمومها المطوقي.

(٣) معاني الأخبار: ٣٦٨، باب معنى الصلاة من الله والملائكة والناس. فراجع.

(٤) أُصول الكافي ١: ٥٣، ح ١٤.

(٥) أشعّة من بلاغة الإمام الصادق: ٦؛ للواعظي رحمه الله.

(٦) بصائر الدرجات: ٣٢٠، ح ٦ الباب ١٤ في الأئمّة أن عندهم أُصول العلم ماورثوه.

٢١٤

سَيُردىٰ الجاهل رداءة عمله

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام الواردة في التوقيع، رواها الشيخ الطوسي ردّ على تشاجر ابن أبي غانم القزويني وجماعة من الشيعة في الخلف، نذكر أنّ أبا محمّد عليه السلام مضى ولا خَلَفَ له... إلى آخره ما سبق[1] والمهمّ بالذات بيان امتحانه عليه السلام بجعفر الكذّاب: «لو لا ما عندنا من محبّة صلاحكم ورحمتكم والإشفاق عليكم لكنّا عن مخاطبتكم في شُغلٍ فيما قد امتحنا به من منازعة الظالم العتلّ، الضالّ، المتتابع في غيّه، المضادّ لربّه، الداعي ما ليس له، الجاحد حقّ من افترض الله طاعته، الظالم الغاصب، وفي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لي أُسوةٌ حسنةٌ، وسيردى الجاهل رداءة عمله، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار، عَصَمَنا الله وإيّاكم من المهالك...»[2].

وقوله عليه السلام: «سيردى الجاهل... إلى آخره» المراد: به الهلاك. وبالجاهل جعفر أو الموصوف به مطلقاً.

ويشهد للأوّل صياغ التوقيع الشريف.

ولعلّ وجه التأسّي بالزهراء عليها السلام: إمّا دفاعها روحي فداها عن الولاية الكبرى

---

(١) تقدّم قريباً رقمه ٢١٣، ومصادره المذكورة في تعليقاته فليراجع.

(٢) غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٣ ـ ١٧٤.

وصاحبها أميرالمؤمنين عليه السلام والمحيي للشريعة وأحكامها المتفرّعة عـنها. والدليـل على أنها الأصل حديث بناء الإسلام «على خمس وأنّها مفتاحهنّ وأفضلهنّ».

والوالي هو الدليل والدخول مع الصادقين ولم يناد بشيء كما نُودي بـالولاية بوجه الإخلاص ولاية وليّنا وعداوة عدوّنا.(١)

والولاية ليس يقع شيء مكانها دونها، وانتظار قائمنا عجّل الله فرجه.

والوجه الثاني لم تكن بيعةٌ من طغاة العالم في عنق المهدي كما لم تكن فـي عنقها صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها والسرّ المستودع فيها.

عود على بدء: إخبار الإمام المهدي عليه السلام بهلاك جعفر الكذّاب بقوله: «سيردى الجاهل رداءة عمله».

الطبري عن أبي حمزة الثمالي عن الكابلي قال: «دخلت على سيدي علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام فقلت له: يابن رسول الله أخـبرني بـالّذين فـرض الله طاعتهم ومودّتهم، وأوجب على خلقه الاقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال لي: يا أبا كنكر إنّ أُولي الأمر الّذين جَعَلَهُم الله أئمّة للناس، وأوجب عليهم طاعتهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ثمّ انتهى الأمر إلينا، ثمّ سكت.

فقلت له: يا سيّدي روي لنا عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنّه قال: «لا تخلو الأرض من حجّة لله على عباده فمن الحجّة والامام بعدك؟ قال: ابني (محمّد) واسمه في التوراة (باقر) يبقر العلم بقراً، هو الحجّة والإمام بعدي، ومن بعد محمّد، ابنه (جعفر) اسمه عند أهل السماء (الصادق). فقلت له: يا سيّدي فكيف صار اسـمه الصـادق وكلّكم صادقون؟ فقال: حدّثني أبي عن أبيه: أنّ رسول الله قال: إذا وُلِدَ ابني جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، فسمّوه الصادق؛ فإنّ الخامس من

(١) الكافي ٢: ١٨ ـ ٢٤، باب دعائم الإسلام فيه ١٥ حديثاً صحاح أكثرها بل كلّها منها النبويّ: «من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية» المصدر: ح ٦.

ولده الّذي اسمه جعفر يدّعي الإمامة؛ اجتراءً على الله، وكذباً عليه فهو عند الله (جعفر الكذّاب) المفتري على الله، المدّعي؛ لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه، والحاسد لأخيه؛ ذلك الّذي يروم كشف سرّ الله عند غيبة ولي الله ثمّ بكى عليّ بن الحسين بكاءً شديداً، ثمّ قال: كأنّي بجعفر الكذّاب، وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله، والمغيب في حفظ الله، والتوكيل بحرم أبيه جهلاً منه بولادته، وحرصاً على قتله إن ظفر به، طمعاً في ميراث أبيه حتّى يأخذه بغير حقّه».

قال أبوخالد: «فقلت له: يابن رسول الله وإنّ ذلك لكائن؟ فقال: إي وربّي إنّه لمكتوب عندنا في الصحيفة الّتي فيها ذكر المحن الّتي تجري علينا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

* * *

(١) الاحتجاج ٢: ٤٨ ـ ٤٩.

٢١٥

سيروا إلى هذه الطاغية

المختار من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام قد جاء فيما رواه العيّاشي من حديث الإمام الباقر عليه السلام عن سيرته وأقواله عند الخروج، ومنه:

«لكأنّي أنظر إليهم مصعدين من نجف الكوفة، ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، كأنّ قلوبهم زبر الحديد، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، يسير الرعب أمامه شهراً وخلفه شهراً، أمدّه الله بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين[1] حتّى إذا صعد النجف قال لأصحابه: تعبّدوا ليلتكم هذه، فيبيتون بين راكع وساجد، يتضرّعون إلى الله، حتّى إذا أصبح، قال: خذوا بنا طريق النُخيلة،[2] وعلى الكوفة جند مجنّد،[3] قلت[4]: جندٌ مجنّد؟ قال: إي والله حتّى ينتهي إلى مسجد إبراهيم بالنخيلة، فيصلّي فيه ركعتين، فيخرج إليه من كان بالكوفة من مرجئها[5] وغيرهم من جيش السفياني، فيقول لأصحابه: استطردوا لهم، ثمّ يقول: كرّوا عليهم، قال أبو جعفر عليه السلام: ولا يجوز والله الخندق منهم، ثمّ يدخل الكوفة، فلا يبقى مؤمن إلّا كان فيها أو حنّ

---

(١) جمع مسوّم من الوسامة: العلامة.

(٢) سبق الكلام حول النُخيلة عند «خذوا بنا طريق النخيلة» الخاء مع الذال رقمه ١٨٠، وهي اليوم موضع يبعد عن كربلاء ثلاثة فراسخ على طريق النجف، ولعلّها غيرها.

(٣) وفي نسخة: «خندق مخندق»، وأُخرى: «جنّة مجنّة».

(٤) القائل عبد الأعلى الجبلي أو الحلبي.

(٥) المرجئة هم فرق، انظر المقالات والفرق ٥ ـ ٦.

إليها، وهو قول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام،[١] ثمّ يقول لأصحابه: سيروا إلى هذه الطاغية...»[٢].

قد سبق بعض الحديث الباقري المطوّل عند «اسكت يا فلان»[٣]، وفيه بعض التعاليق الجديرة بالنظر، كما وتقدّم بكامله عند «انطلقوا فأخرجوا إليهم أصحابهم»[٤].

الطاغية من الطغيان: التجاوز، والطاغية المتجاوز عن الحدود، ومنها: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾[٥] ـ أي بتجاوزهم ـ أو كما قال الفيض: بالواقعة المجاوزة للحد في الشدّة وهي الصيحة والرجفة[٦].

والظاهر المراد من الطاغية في الحديث السفياني، كما صرّح به بعد أسطر من بيعته للإمام عليه السلام، واعتراض قوم كلب وهم أخواله، فيرجع السفياني عن بيعته، ثمّ يقع القتال بينه وبين جيش المهدي روحي فداه فيقتله بيده، أو يأمر بقتله على اختلاف بعض الروايات المأثورة في الباب، قال المفيد: وذلك في زمن السفياني وعندها يكون بواره وبوار قومه[٧].

* * *

---

(١) البحار ٥٢: ٣٤١ ـ ٣٤٤ ح ٩١.
(٢) تفسير العيّاشي ٢: ٥٩ ـ ٦٠.
(٣) رقمه ٥١.
(٤) رقمه ٩٩.
(٥) الحاقّة: ٥.
(٦) تفسير الصافي ٥: ٢١٧.
(٧) الإرشاد ٢: ٣٧٣ طبعة آل البيت عليهم السلام.

٢١٦
سيصلح الله له قلبه ويزيل عنه شكّه

المختار من جوابات الإمام المهديّ عليه السلام عن مسائل إسحاق بن يعقوب الّتي أُشكلت عليه فوجّهها إلى الناحية المقدّسة، فخرج التوقيع جواباً عن جميعها، ولربط المختار به ما يلي، قال عجّل الله فرجه:

«وأمّا محمّد بن عليّ بن مهزيار الأهوازي فسيصلح الله له قلبه ويزيل عنه شكّه»[١].

محمّد بن عليّ بن مهزيار الأهوازي:

لا شكّ أنّه غير محمّد بن إبراهيم بن مهزيار الّذي ورد العراق شاكّاً مرتاداً في(الخلف)، الخارج فيه التوقيع، ومنه: «يا محمّد اتّق الله، وتب من كلّ ما أنت عليه»[٢]، بل هو ابن عمّه؛ لأنّ عليّ بن مهزيار أخو إبراهيم بن مهزيار، صرّح بذلك النجاشي[٣].

وما احتمله بعض[٤] من تصحيف أحدهما بالآخر خلاف الأصل، وأنا لم أجده في معجم الرجال، ولا بُعد أن يكون لعليّ بن مهزيار ابن اسمه محمّد، كما كان

---

(١) إكمال الدين ٢: ٤٨٥، الباب ٤٥ ح ٤، غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٧.

(٢) إكمال الدين ٢: ٤٨٧، الباب ٤٥ ح ٨. (٣) رجال النجاشي: ٢٥٣، الرقم ٦٦٤.

(٤) اشتبه الأمر على المعلّق على الخرائج والجرائح ٣: ١١١٤ فحسبه ابن إبراهيم المهزياري.

لإبراهيم بن مهزيار ولد يسمّى محمّداً، ومن قوي الظنّ أنّه كان معهوداً بين إسحاق ابن يعقوب وبينه عليه السلام فقال له المقالة التبشيريّة من صلاح قلبه بزوال شكّه بعد التصريح والظاهر أنّ الله يزيل شكّه ويُصلح قلبه، وأنّه الإخبار بذلك وأنّه متحقّق في المستقبل، لا دعاء صرف؛ إذ دعاء المعصوم عليه السلام مستجاب.

ثمّ إنّ إسحاق بن يعقوب ترجمه السيّد الخوئي رحمه الله وقال النمازي رحمه الله: إسحاق ابن يعقوب أبومحمّد البغدادي، لم يذكروه، روى محمّد بن يعقوب الكليني عنه قال: سألت محمّد بن عثمان العمري أن يُوصل عن مسائل أُشكلت عليّ فورد التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمان (عج) «أمّا ما سألت عنه أرشدك الله، وثبّتك من أمر المنكرين من... إلى آخره وذكر التوقيع المفصّل...».

وفيه دلالة على جلالة الرجل وعلوّ شأنه ولم يزد المامقاني، والخوئي في ترجمة الرجل غير ذكر هذا التوقيع الشريف، وفي آخره «والسلام عليك يا إسحاق ابن يعقوب وعلى من اتّبع الهدى».

قال في قاموس الرجال: هو أخو الكلينيّ، وفي خبر الإكمال: «والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب الكليني» انتهى، قال النمازي بعد الترجمة: وجد ج ٢ / ٩٠، وج ٥٢ / ٩٢، و١١١، وج ٥٣ / ١٨، الكليني عنه أنّه ورد عليه من الناحية المقدّسة انتهى كلام النمازي رحمه الله تعالى.

أقول: راجعت الإكمال[1] فلم أجد ما ادّعاه المحقّق التستري على رواية المستدركات، ولعلّ كتاب إكماله كان فيه إسحاق بن يعقوب الكليني أخو محمّد بن يعقوب الكليني.

*

---

(١) مستدركات علم رجال الحديث ١: ٥٩٠ ـ ٥٩١، انظر الإكمال طبعة قم المقدّسة، النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدّرسين، ج ٢ ص ٤٨٢ ـ ٤٨٥، الباب ٤٥ في ذكر التوقيعات الواردة عن القائم عليه السلام، التوقيع ٤، الصدوق بإسناده... ثمّ عدد المسائل الّتي أشكلت على إسحاق بن يعقوب مذكورة العدد المعلوم من أجوبة القائم عجّل الله فرجه.

٢١٧
سيظهر لك من السَرْج إعجاز وبركة

كلمة الإمام المهدي عليه السلام قد قالها للشيخ الحرّ العاملي صاحب كتاب الوسائل وقال المؤلّف هذا قد رأيت من المهديّ عليه السلام معجزات في النوم مراراً، فراجع رحمه الله يَعدّ الرؤى الخمس الّتي خامسها مايلي إنّي رأيته عليه السلام في المنام وأنـا فـي المشـهد[١] الكاظم عليه السلام، وأنّه نزل في بيتٍ رجل يقال له إبراهيم، وإنّي قصدته، ودخلت عليه، فأردت أن أسأله أن يريني إعجازاً، فابتدأني قبل أن أتكلّم، فـقال: ليس هـذا وقت المعجزة؛ لأنّي لم أخرج بعدُ، وإذا خرجت فأسألوني ما شئتم. فتحدّثنا ساعة، ثمّ أمر بإحضار الخيل ليركب، فأحضروها، وكان معه جماعة دون العشرة، فقال قـبل أن يركب: عندنا سَرْج لا نحتاج إليه قد وهبناه للشيخ ليتبرّك به، وأشار إليّ، فقلت في نفسي: كيف أتبرّك بهذا السرج ولم أر من صاحبه إعجازاً؟ فالتفت إليّ وتبسّم، وقال: لا حاجة هنا إلى الإعجاز، وسيظهر لك من السَرج إعجاز وبركة.

ثمّ انتبهت ووقعت فـي أخـطار عـظيمة ومـهالك شـديدة، ونـجّاني الله مـنها ببركته عليه السلام[٢] ولعلّك تسمع أو تراجع المصدر في الهامش.

* * *

---

(١) والصحيح في مشهد الكاظم عليه السلام بالإضافة.

(٢) إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ٧: ٣٨١ الرقم ١٦٩.

٢١٨

سيولد له ولدٌ مبارك ينفع الله به

من بشريات الإمام المهديّ عليه السلام لعليّ بن بابويه القمّي في الولد المبارك، وهو الشيخ وإليك صورتها وحدّثنا أبو جعفر محمّد بن عليّ الأسود رضي الله عنه قال: سألني عليّ ابن الحسين بن موسى بن بابويه رضي الله عنه[1] بعد موت محمّد بن عثمان العَمري رضي الله عنه أن أسأل أبا القاسم الروحي أن يسأل مولانا صاحب الزمان عليه السلام أن يدعو الله عزّ وجلّ أن يرزقه ولداً ذكراً، قال: فسألته فأنهىٰ ذلك، ثمّ أخبرني بعد ذلك بثلاثة أيّام أنّه قد دعا لعليّ بن الحسين، وأنّه سيولد له ولد مبارك ينفع [الله] به وبعده أولاد.

قال أبو جعفر محمّد بن عليّ الأسود رضي الله عنه: وسألته في أمر نفسي أن يدعو الله لي أن يرزقني ولداً ذكراً فلم يجبني إليه، وقال: ليس إلى هذا سبيل، قال: فولد لعليّ بن الحسين رضي الله عنه محمّد بن عليّ وبعده أولاد، ولم يولد لي شيءٌ. ترجمه السيّد الخوئي في رجال الحديث[2]. وقد سَبَقَ المختار تحت الرقم ٢٠١. وسَترزق وَلدين ذكرين خيّرين.

ثمّ المراد بقوله عليه السلام بـ«ولدٌ مباركٌ ينفع الله به» لعلّه كتبه الّتي أصبحت مصادر الأُمّ لأنواع العلوم والمعارف الدينيّة، والأحكام الأُصوليّة والفرعيّة الّتي منها كتاب

---

(١) والد الصدوق، والمتوفّى ٣٢٩هـ المدفون في قم، وله كتبٌ نافعة كما في المعجم الآتي.

(٢) في نسخة في تلك السنة، كما في هامش إكمال الدين ٢: ٥٠٣ الباب ٤٥ ذيل ح ٣١ والمعجم ١١: ٣٦٨، الرقم ٨٠٦٢، وفيه أسماء الكتب النافعة من أرادها نظر المعجم.

التوحيد، وكتبه الكثيرة من النبيّ والأئمّة المعصومين عليهم السلام والاهتمام بشؤون النبوّة والإمامة والخلافة الّتي هي أساس ومعالم الدين والشريعة والولاية الكبرى المعبّر عنها بالأمامة المعروضة على السماوات والأرض والجبال في الكتاب العزيز وغيرها من الآيات القرآنية[1] الّتي هي أصل الأُصول والأُسس والأحكام الشرعيّة الّتي تصرّح بها عدّة من مؤلّفاته رحمه الله وهي كالشمس المضيئة في الوضوح وانظر رجال النجاشي ذكرها في ترجمة الصدوق بلا إحصاء وترقيم؛ لعلّك تحيط وتنتفع وتجد البركة من كلام المعصوم عليه السلام، وقد يقال: إنّها تناهز الثلاثة المائة كتاب والله العالم[2].

* * *

(١) الأحزاب: ٧٢.

(٢) رجال النجاشي: ٣٨٩، رقم الترجمة ١٠٤٩.

باب الشين

٢١٩

شأنكم وإيّاه اصنعوا به ما شئتم

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام في خبر لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام يصف فيه سيرته وظفره بالسفياني، وبعض أقواله برواية المقدسي وفيه: «حتّى يلحقوا السفياني على بُحيرة طبريّة، و يغضب الله عزّ وجلّ على السفياني وجيشه، ويغضب سائر خلقه عليهم، حتّى الطير في السماء فترميهم بأجنحتها، وإنّ الجبال لترميهم بصخورها، فتكون وقعة يُهلك الله فيها جيش السفياني، ويمضي هارباً فيأخذه رجل من الموالي اسمه صباح، فيأتي به إلى المهدي عليه السلام وهو يصلّي العشاء الآخرة فيبشّره فيخفّف ويكون السفياني قد جعلت عمامته في عنقه وسحب، فيوقفه بين يديه، فيقول السفياني للمهدي يا ابن عمّي منّ عليّ بالحياة أكون سيفاً بين يديك وأجاهد أعداءك.

والمهدي جالس بين أصحابه، وهو أحيى من عذراء[١]، فيقول خلّوه، فيقول أصحاب المهدي: يا ابن بنت رسول الله تمنّ عليه بالحياة، وقد قتل أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله! ما نصبر على ذلك.

---

(١) من المثل السائر أحيا من فتاة، مجمع الأمثال ١: ٢٢٨، موسوعة أمثال العرب ٢: ٩٧٧ «أحيى من بكر، في الحياء أحيينا من فتاةٍ العذراء».

فيقول: شأنكم وإيّاه، اصنعوا به ما شئتم...»[١].

والخبر طويل يأتي بعضه الآخر عند «عليَّ أن لا أتّخذ حاجباً، ولا ألبس إلّا كما تلبسون، ولا أركب إلّا كما تركبون»[٢].

وقد تناول ذكر السفياني من بعض جوانبه بما يدلّ على أنّه يقتله غيره عليه السلام بينما دلّ بعضِ النصوص بأنّه يذبحه بيده عجّل الله فرجه، من هو السفياني المتكرّر في الملاحم؟

منها النبويّ: ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب قال: فيما هم كذلك يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فور ذلك حتّى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق، وآخر إلى المدينة حتّى ينزلوا بأرض بابل من المدينة الملعونة ـ يعني بغداد الخ ـ.

ولا شكّ أن خروجه من العلامة ففي الصادقي قال عليه السلام «فإذا بلغك أن السفياني قد خرج فَارحَلْ إلينا ولو على رجلك».

وذكره الشيخ المفيد في الإرشاد في باب علامات القائم (عج)، اسمه عثمان بن عنبسة في الهامش[٣].

* * *

---

(١) عقد الدرر في أخبار المنتظر عليه السلام: ٩٩. (٢) رقمه ٢٥١.

(٣) انظر رقم ٩٩، البحار ٥٢: ١٨٦، علامات ظهوره عليه السلام، روضة الكافي ٨: ٢٦٤ ـ ٢٦٥ رقم الحديث ٣٨٣ و في ثنايا الكتاب بحث عن السفياني فلاحظ الإرشاد ٢: ٣٦٨، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٥.

٢٢٠
شأنٌ يظهر على نظام واتساق

المختار من كلمات كتاب الإمام المهديّ عليه السلام الأوّل للشيخ المفيد رحمه الله، ولربطه به إليك بقدر الحاجة قال عجّل الله فرجه:

«ولنا في تيسير حجّهم على الاختيار منهم والوفاق شأن يظهر على نظام واتّساق»[١].

تقدّم الكتابان الصادران عن الناحية المباركة للشيخ المفيد طاب ثراه بكاملهما لغاية المختار من كلماتهما، فتجد الكتاب الأوّل كَمَلاً عند «اعتصموا بالتقيّة...»[٢]، وبعضه عند «أدام الله إعزازه»[٣]، و«أدام الله توفيقك»[٤]، و«استيقظوا من رقدتكم»[٥]، و«أعزّهم الله بطاعته وكفاهم المهمّ برعايته»[٦]، و«أمدّك الله بعونه على أعدائه المارقين»[٧]، و«إنّ أمرنا بغتة»[٨]، و«إنّا غير مهملين لمراعاتكم»[٩].

ولا يخفى أنّ الكلمات المختارة لم نخلها عند مسّ الحاجة من شرح غريبتها، وبيان المراد منها، سواء أكان نقلاً عن بعض السادة الأجلّة الشارح لها، أم بياناً منّا أو شيئاً من توضيح، نرجو أن لا نحرم من إصابة الرشد، والظفر بما هو الأولىٰ بالأخذ والقبول.

---

(١) الاحتجاج ٢: ٣٢٣. (٢) رقم المختار ٥٤. (٣) الرقم ٢٨.
(٤) الرقم ٢٩. (٥) الرقم ٤٩. (٦) الرقم ٥٥. (٧) الرقم ٧٥.
(٨) (إنّ) المشدّدة، الرقم ١٠٤. (٩) (إنّ) المشدّدة مع الألف، الرقم ١٠٦.

وتجد الكتاب الثاني تمامه عند «إنّه من اتّقى ربّه من إخوانك في الدين كان آمناً من الفتنة»[١]، و بعضه عند «أيّدك بنصره»[٢].

إذا تبيّنت المواضع فجيء بنا إلى قوله عليه السلام: «ولنا في تيسير حجّهم على الاختيار منهم والوفاق شأن يظهر على نظام واتساق».

ليس معنى التيسير في الحج من قبله عليه السلام الإجبار المسلوب معه الاختيار من الحجّاج المؤمنين، بل معناه الرعاية الربانيّة في توفير السفر والتوفيق الإلهي بواسطته روحي فداه؛ وإنّ الشيعة الشعاع من ضياء قدسه واللطف المخيّم عليهم، ولولاه لما حجّ منهم حاجّ أبداً[٣].

«شأن» وما أدراك ما الشأن!؟.

وهل يعلم شأن المعصوم إلّا المعصوم؟؛ لأنّه من شؤون الله الذي ليس شأن إلّا وله فيه شأن. قال شارح النهج عند الخطبة الأُولى منه: من مستحسن ما وقفت من تعظيم الباري عزّ جلاله بلفظ الحمد قول بعض الفضلاء...:

الحمد لله بقدر الله لا قدر وُسع العبد ذي التناهي

والحمد لله الذي برهانه أن ليس شأنٌ ليس فيه شأنه

والحمد لله الّذي من ينكره فإنّما ينكر من يُصوّره[٤]

قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾[٥] ولا يخفى ما في ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ﴾ ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ...﴾ وجه تخصيص ﴿وَمَا...﴾ بالنبيّ صلى الله عليه وآله، واختصاص ﴿وَلَا...﴾

---

(١) (إنّ) المشدّة، الرقم ١١٨. (٢) الرقم ١٣١.

(٣) أقول: كلمة «تيسير» من اليسر ضدّ التعسير، لا «تسيير» من السير، واحتمله بعض على هذه القراءة.

(٤) شرح النهج ١: ٦٠ وإن تكن الأرجوزة في التحميد، لكنّها اشتملت على الشأن.

(٥) يونس: ٦١.

بسائر الناس، ولعلّك بالتدبّر في الآية تفهم ما لا أفهم يحتمل أن تكون الإشارة إلى أنّ «ما» تستعمل في المعرفة، و«لا» في الأعمّ منها ومن النكرة.

وسبق الكلام حول الحج، والحديث النبويّ: «حجّوا قبل أن لا تحجّوا...» عند «إذا حيل بينكم...»[1]، ودلائل أُخرى يجدها في ثنايا الكتاب الناظر الكريم في أكثر من مناسبة ماسّة وماصرّك لو رعيت الأُصول الّتي تتبعها فروعها في كلّ باب منها العناية الرّبانيّة الرحمته الجارية على يدي الإمام مفترض الطاعة على الخلق في العصور كلّها من يوم خلق الله عزّ و جلّ السماوات والأرض لولاه لساخت بهم الأرض.

* * *

(١) الرقم ٣٨.

٢٢١
شرطه على الجارية شرط على الله

جاء المختار في الجواب الصادر عن الناحية المحفوفة بالنور والجلال عن كتاب جعفر بن حمدان المتقدّم ذكره عند «سبحان من لا شريك له في قدرته»[١]، والجدير بالذكر هنا الشرط وما لهذه الكلمة؛ لأنّها المصرّح بها في التوقيع الشريف. فنقول:

للشرط معنىً لغوي والعرف العامّ المعبّر عنه عند أهل العلم بالشرط الابتدائي. وآخر ما يقصده الفقهاء والعرف الخاص. والفارق بينهما أنّ الأوّل يُراد به صرف الالتزام من جهةٍ. والثاني الالتزام من كلّ جهة. نظير القسم الأوّل ما جاء في دعاء الندبة المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام بسندٍ معتبر نصّ عليه الشيخ عبّاس القمّي المترجم[٢] «بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء» ومنه التوقيع الجاري.

وأمّا الشرط المصطلح عند الفقهاء فهو الدائر مدار المشروط وجوداً وعدماً وهو معنى الالتزام من كلّ جهة وجوداً وعدماً؛ ومن ثمّ قالوا للمشتري: بخيار الشرط عند عدم تحقّق الشرط في البيع والإجارة وغيرهما والأوّل فيه نقاش، ولكن كما قال الشيخ الأنصاري طاب ثراه: لا إشكال في صحته لوقوعه في الأخبار كثيراً

---

(١) رقمه ١٩٨.

(٢) جمال الأُسبوع للسيّد ابن طاووس ص ٥٥٣.

مثل قوله صلى الله عليه وآله في حكاية بيع بريرة: «إنّ قضاء الله أحقّ، وشرطه أوثق، والولاء لمن اعتق»[١]. وقول أمير المؤمنين صلوات الله عليه في الردّ على مشترط عدم التزويج بامرأة أُخرى في النكاح: «إنّ شرط الله قبل شرطكم»،[٢] وقوله: «ما الشرط في الحيوان؟ قال: ثلاثة أيّام للمشتري، قلت: وفي غيره؟ قال: هما بالخيار حتّى يفترقا»[٣]. وقد أُطلق على النذر أو العهد في بعض أخبار الشرط في النكاح ... وأمّا كونه مجازاً فيدفعها مضافاً إلى أولويّة الاشتراك المعنوي... استدلال الإمام عليه السلام[٤] بالنبويّ: «المؤمنون عند شروطهم»[٥].

فالشرط في عُرف الفقهاء هو الالتزام في البيع وغيره الّذي ضدّه تخلّفه الخيار المسمّى بخيار الشرط، فالمشتري مخيّر بين الامضاء والفسخ.

ولكن المستفاد من الشيخ السابق الذكر أن العرف العامّ لا يعرف من الشرط في البيع وغيره هو صرف الالتزام فكما يراد به المصدر ـ أي: الالتزام ـ وهو فعل الفاعل كذلك يراد به ملتزمه الذي هو أثر الفعل، ويمكن جعل قولهم: الشرط ما يلزم من عدمه عدم ملزومه بلا نظر إلى توقف وجوده على وجوده، أو بالعكس بل هو شامل للابتدائي ـ أي وجود الملتزم به ـ دون فرض عدمه لعدم الشرط المعبّر بالشرط الابتدائي المتقدّم بيانه هذا بالقياس العرف العام.

وأمّا اصطلاح الشرط الّذي يريده النحاة الجاري على ألسنتهم لفظ الشرط من الجملة الواقعة عقيب أدوات الشرط فهو كما قاله الشيخ الأنصاري اصطلاح خاصّ

---

(١) سنن البيهقي ١٠: ٢٩٥، وفي معناه الوسائل ١٥: ٣١ ح ٦.
(٢) الوسائل ١٥: ٣١، الباب ٢٠ من أبواب المهور، ح ٦.
(٣) الوسائل ١٢: ٣٤٩، الباب ٣ من الخيار، ح ٥.
(٤) أي الإمام الكاظم روحي فداه.
(٥) الوسائل ١٥: ٣٠، الباب ٢٠ من أبواب المهور ح ٤.

مأخوذ من إفادة تلك الجملة لكون مضمونها شرطاً بالمعنى الثاني[(١)] والمتحصّل ما ذكر أنه مردّد بين المعنى الابتدائي كما تقدّم من التوقيع الشريف ودعاء الندبة.

المعنى الاصطلاحي الثاني:

هو استعماله في ألسنة أهل المعقول والأُصول فيما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده الوجود كما قال طاب ثراه مقابلاً للسبب.

فتلخّص ممّا ذكر أنّ للشرط معنيين عرفيّين وآخرين اصطلاحيّين لا يحمل عليهما الإطلاقات العرفيّة بل هي مردّدة بين الأوّلين فإن قامت قرينة على إرادة المصدر تعيّن الأوّل، أو على إرادة الجامد تعيّن الثاني، وإلاّ حصل الإجمال[(٢)].

ثمّ لا يخفى إنّا وإن أطلنا ولكن في هذه الإطالة بعض الإحاطة بما للشرط من تفسير يمكّن للناظر الوصول إلى المراد من الشرط الوارد في التوقيع، وأنّه من أيّ المعاني الأربعة بعد الرجوع إليه[(٣)]، وإلى النصوص الّتي منها العلوي: «من شرط لامرأته شرطاً فليف لها به؛ فإنّ المسلمين عند شروطهم إلّا شرطاً حرّم حلالاً، أو أحلّ حراماً»[(٤)] الّذي لا يخفى على الأريب.

* * *

---

(١) أي العرف الخاصّ.

(٢) نفس المصدر.

(٣) إكمال الدين ٢: ٥٠٠، الباب ٤٥، ح ٢٥.

(٤) الوسائل ١٥: ٥٠، الباب ٤٠ من أبواب المهور ح ٤.

٢٢٢

الشريعي والنميري والهلالي والبلالي

صدر عن ناحية الإمام المهديّ عليه السلام المحفوفة بالقدس والجلال التوقيع في لعن هؤلاء الأربعة وغيرهم أمثال العزاقري، والحلّاج ممّن ظهرت منهم دعوى البابيّة أو الألوهيّة، وإليك ما يربط المختار من التوقيع الوارد على يد الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه بقدر الحاجة.

ومنهم الضالّ الشلمغاني الآتي ذكره عند «عجّل الله له النقمة»:

«... كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراناً مبيناً، وإنّا برئنا إلى الله وإلى رسوله صلوات عليه وسلامه ورحمته وبركاته منه[١]، ولعناه، عليه لعائن الله تترى في الظاهر منّا والباطن، في السرّ والجهر، وفي كلّ وقت، وعلى كلّ حال، وعلى كلّ من شايعه وبلغه هذا القول منّا فأقام على تولّيه بعده.

إعلم[٢] تولّاك الله أنّنا في التوقّي والمحاذرة منه[٣] على مثل ما كنّا عليه ممّن تقدّمه من نظرائه من الشريعي[٤]، والنميري، والهلالي، والبلالي، وغيرهم. وعادة الله جلّ ثناؤه مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة، وبه نثق وإيّاه نستعين وهو حسبنا في

---

(١) أي محمّد بن عليّ الشلمغاني.

(٢) حسين بن روح، ترجمته الكنى والألقاب للمحدّث القمّي رحمه الله ٢ : ١٨٣ ـ ١٨٧.

(٣) أي الشلمغاني.

(٤) في الاحتجاج ٢: ٢٩٠ (السريعي) و الصحيح بالشين.

كلّ أُمورنا ونعم الوكيل»[١].

في التوقيع الشريف مختارات تأتي في مواردها بتوفيق الله تعالى.

الشريعي[٢] اكتفى السيّد الأُستاذ ﵀ بما قاله الشيخ الطوسي والطبرسي في كتابيهما: قال الشيخ ﵀ في ذكر المذمومين: الحسن الشريعي (السريعي)[٣] الّذين ادّعوا البابيّة لعنهم الله، أخبرنا جماعة عن أبي محمّد التلعكبري عن أبي عليّ محمّد ابن همام قال: كان الشريعي يُكنّى أبا محمّد، قال هارون: وأظنّ اسمه كان الحسن وكان من أصحاب أبي الحسن عليّ بن محمّد ثمّ الحسن بن عليّ بعده ﵉ وهو أوّل من ادّعىٰ مقاماً لم يجعله الله فيه ولم يكن أهلاً له، وكذب على الله وحججه ﵈ ونسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء فلعنته الشيعة وتبرّأت منه، وخرج توقيع الإمام ﵇ بلعنه والبراءة منه، قال هارون: ثمّ ظهر منه القول بالكفر والإلحاد.

وقال الطبرسي في الاحتجاج في أواخره فيما خرج عن صاحب الزمان ﵇ ردّاً على الغُلاة من التوقيع:

روى أصحابنا أنّ أبا محمّد الحسن السريعي[٤] كان من أصحاب أبي الحسن عليّ بن محمّد ثمّ الحسن بن عليّ ﵉ وهو أوّل من ادّعى مقاماً لم يجعله الله فيه من قبل صاحب الزمان ـ عجّل الله تعالى فرجه ـ و كذب على الله وحججه ﵈، ونسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء، ثمّ ظهر منه القول بالكفر والإلحاد[٥].

---

(١) الاحتجاج ٢: ٢٩٠ وفيه: أعلمهم، غيبة الطوسي: ٢٥٤ مع اختلاف في ألفاظه.

(٢) بالشين المعجمة والراء المهملة والياء المثنّاة من تحت والعين المهملة والياء، لعلّها نسبة إلى الشريع: الكتّان الجيّد باعتبار بيعة له، أو إلى الشريع: الليف المشتدّ شوكه، الصالح لغلظه أن يخرز به، تنقيح المقال للمامقاني ١: ٢٨٥، ترجمة الحسن الشريعي أبي محمّد. وفق نسخة غيبة الطوسي.

(٣) تقدّم أنّه بالشين على المشهور، والآخر احتمالاً.

(٤) المصدر من جهة ضبط اللقب، وله نظائر في كتب التراجم.

(٥) كتاب الغيبة: ٢٤٤.

ولولا زيف الإطالة لجئنا بأوسع منه وقد يرىٰ البعض الاتّساع هو الأحرى من مثل المقام حرصاً على الاحتراز الأكثر.

وكيف كان فالسيّد الأُستاذ ﷺ اقتصر عليه وتجد المعنى واللفظ المروي عن الغيبة والاحتجاج تقريباً واحداً، وكان الأنسب الاكتفاء بأحدهما والإحالة على الآخر، وذكرناهما تباعاً وكلمة الأصحاب متفقة على انحراف الرجل بل كفره وإلحاده، ولا يغرّنك اسمه وكنيته فإنّ ابن أبي العوجاء كان اسمه عبدالكريم وكان جاحداً للكريم وهو الله تعالى والإيمان أو الكفر مقرّه القلب لا الجسم أو الاسم، ولا يخصّ هؤلاء فحسب، بل متواجدون في كلّ الأدوار ولكلام الشيخ تتمة لم يذكره في المعجم، ومن موضع القطع قال: (قال: وكلّ هؤلاء المدّعين إنّما يكون كذبهم أوّلاً على الإمام وأنّهم وكلاؤه فيدعون الضعفة بهذا القول إلى موالاتهم، ثمّ يترقّى الأمر بهم إلى قول الحلاجيّة كما اشتهر من أبي جعفر الشلمغاني ونظرائه عليهم جميعاً لعائن الله تترىٰ)[١] كلمة تقال عند إرادة التكثير تجري على الألسن في هذا المقام ذمّاً، وفي مقام المدح كذلك تؤتىٰ بها إذا اقتضى ذلك.

النميري:

هو محمّد بن نصير النميري المدّعي أنّه رسول عليّ بن محمّد العسكري الوارد لعنه في التوقيع المتقدم ذكره وقد اتفقت كلمة الإماميّة على إلحاده، ويشهد لها ما يلي المروي عنهم عليهم السلام، تجده أيّها الناظر الكريم فيما قاله الأُستاذ الخوئي:

قال الكشّي (٣٨٣): قال أبو عمرو: وقالت فرقة بنبوّة محمّد بن نصير الفهري النميري، وذلك أنّه ادّعى أنّه نبي رسول وأنّ عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام أرسله،

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٤٤.

وكان يقول بالتناسخ والغلوّ في أبي الحسن عليه السلام، ويقول فيه بالربوبية، ويقول بإباحة المحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويقول: إنّه من الفاعل والمفعول به أحد الشهوات والطيبات، وإنّ الله لم يحرّم شيئاً من ذلك، وكان محمّد بن موسى بن الحسن بن فرات يقوّي أسبابه ويعضده...، وافترق الناس فيه بعده فرقاً، وتقدم في ترجمة الحسن بن محمّد بن بابا القمّي أنّ عليّ بن محمّد العسكري لعنه ولعن محمّد بن نصير وفارس بن حاتم القزويني[1].

قال الشيخ الطوسي في ذكر المذمومين:

ومنهم محمّد بن نصير النميري، قال ابن نوح: أخبرنا أبو نصر هبة الله بن محمّد قال: كان محمّد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام، فلمّا توفّي أبو محمّد ادّعى مقام أبي جعفر محمّد بن عثمان أنّه صاحب إمام الزمان وادّعى له البابية، وفضحه الله تعالى، بما ظهر منه من الإلحاد والجهل، ولعن أبي جعفر محمّد بن عثمان له وتبرّيه منه واحتجابه عنه، وادّعى ذلك الأمر بعد الشريعي.

قال أبو طالب الأنباري: لمّا ظهر محمّد بن نصير بما ظهر، لعنه أبو جعفر رضي الله عنه وتبرّأ منه، فبلغه ذلك فقصد أبا جعفر رضي الله عنه ليعطف بقلبه عليه، أو يعتذر إليه فلم يأذن له وحجبه وردّه خائباً.

قال سعد: فلمّا اعتلّ محمّد بن نصير العلّة الّتي تُوفي فيها قيل له وهو مثقل اللسان: لمن هذا الأمر من بعدك؟ فقال بلسان ضعيف ملجلج: أحمد، فلم يدروا من هو، فافترقوا بعده ثلاث فرق، قالت فرقة: إنّه أحمد ابنه، وفرقة قالت: هو أحمد بن محمّد بن موسى بن الفرات، وفرقة قالت: إنّه أحمد بن أبي الحسين بن بشر بن يزيد، فتفرّقوا فلا يرجعون إلى شيء[2] هذا مجمل ترجمة الشريعي أو السريعي الخطر هو

---

(١) معجم رجال الحديث ١٧: ٢٩٩ ـ ٣٠٠، كتاب الغيبة: ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

(٢) كتاب الغيبة: ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

وأمثاله على الأُمّة المرحومة الّتي امتحنت بالمدّعين بالسفارة ومن أُولئك.

الهلالي:

قال الشيخ: ومنهم أحمد بن هلال الكرخي، قال أبوعليّ بن همام: كان أحمد بن هلال من أصحاب أبي محمّد عليه السلام فاجتمعت الشيعة على وكالة محمّد بن عثمان رضي الله عنه بنصّ الحسن عليه السلام في حياته، ولمّا مضى الحسن عليه السلام قالت الشيعة الجماعة له: ألا تقبل أمر أبي جعفر محمّد بن عثمان وترجع إليه وقد نصّ عليه الإمام المفترض الطاعة؟ فقال لهم: لم أسمعه ينص عليه بالوكالة وليس أنكر أباه ـ يعني عثمان بن سعيد ـ فأمّا أن أقطع أنّ أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه، فقالوا: قد سمعه غيرك، فقال: أنتم وما سمعتم، ووقف على أبي جعفر، فلعنوه وتبرّؤا منه، ثمّ ظهر التوقيع على يد أبي القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه في جملة من لعن[1].

وبه الدلالة بكلّ صراحة أنّ على الجميع لزاماً البراءة واللعن على كلّ من تبرّأ المعصوم عليه السلام منه ولعنه ولا سيّما المذكور في التوقيع عقيب المختار بعضه الخاصّ بالأربعة الأشخاص الشريعي والنميري والهلالي والبلالي، ويأتي صدره عند «عجّل الله له النقمة ولا أمهله»[2] المختص بلعن محمّد بن عليّ المعروف بالشلمغاني العزاقري الملعون فراجع.

وسبقت ترجمة الهلالي تفصيلاً عند «بتر الله عمره»[3]، ومن أجله لا نطيل وقد دريتَ حقّ الدراية المدّعين للسفارة المصرّح بهم ومنهم.

البلالي:

قال الشيخ طاب ثراه: ومنهم أبو طاهر محمّد بن عليّ بن بلال، وقصّته معروفة فيما جرى بينه وبين أبي جعفر محمّد بن عثمان العَمري ـ نضّر الله وجهه ـ وتمسّكه

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٤٥. (٢) رقمه ٢٤٥. (٣) رقمه ١٣٦.

بالأموال التي كانت عنده للإمام، وامتناعه من تسليمها وادّعاؤه أنّه الوكيل حتّى تبرّأت الجماعة منه ولعنوه، وخرج فيه من صاحب الزمان ما هو معروف.

وحكى أبو غالب الزراري، قال: حدّثني أبو الحسن محمّد بن محمّد بن يحيى المعاذي، قال: كان رجل من أصحابنا قد انضوى إلى أبي طاهر بن بلال بعد ما وقعت الفرقة، ثمّ إنّه رجع عن ذلك وصار في جملتنا فسألناه عن السبب؟ قال: كنت عند أبي طاهر بن بلال يوماً وعنده أخوه أبو الطيب وابن حرز، وجماعة من أصحابه إذ دخل الغلام، فقال: أبو جعفر العَمري على الباب، ففزعت الجماعة لذلك وأنكرته؛ للحال التي كانت جرت، وقال: يدخل، فدخل أبو جعفر ﷺ فقام له أبو طاهر والجماعة، وجلس في صدر المجلس وجلس أبو طاهر كالجالس بين يديه، فأمهلهم إلى أن سكنوا، ثمّ قال: يا أبا طاهر نشدتك بالله ألم يأمرك صاحب الزمان عليه السلام بحمل ما عندك من المال إليّ؟ فقال: اللّهمّ نعم، فنهض أبو جعفر ﷺ منصرفاً، ووقعت على القوم سكتة، فلمّا تجلّت عنهم قال له أخوه أبو الطيب: من أين رأيت صاحب الزمان؟ فقال أبو طاهر: أدخلني أبو جعفر ﷺ إلى بعض دوره فأشرف عليّ من علوّ داره، فأمرني بحمل ما عندي من المال إليه، فقال له أبو الطيب: ومن أين علمت أنّه صاحب الزمان عليه السلام ؟ قال: قد وقع عليّ من الهيبة له ودخلني من الرعب منه ما علمت أنّه صاحب الزمان عليه السلام، فكان هذا سبب انقطاعي عنه[1].

لو لم يكن للبلالي ذنبٌ سوى مخالفته لأمر صاحب الأمر عليه السلام بحمل ما عنده من المال إلى العَمري، واعترافه بذلك لكفى في تمرّده وانحرافه، فحكّم عقلك، ثمّ اقض ما أنت قاضٍ.

ولانحراف هؤلاء الجماعة عن الإسلام وإمام زمانهم سببان ولو قلت أحد

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

السببين كافٍ لينحرف صاحبه لكان حقّاً فكيف بهما.

السبب الأوّل: حبّ الرئاسة المتشعب عن حبّ الدنيا و«حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة» كما عن الإمام السجّاد عليه السلام[١]، والمثل السائر: (حبّك الشيء يُعمي ويصمّ) عدّه الشريف السيّد الرضي وعدّدناه من الأمثال النبويّة، وإن عدّه الشريف من المجازات[٢].

والسبب الثاني: الجهل المستحكم في النفوس المُفضي بصاحبه إلى الإهلاك والهلاك، والشلمغاني والشريعي والنميري والهلالي والبلالي المذكورة أسماؤهم في التوقيع قد توفّر فيهم السببان، ولعلّ الحسين بن منصور الحلّاج الّذي تشمله كلمة «وغيرهم»[٣] في التوقيع قد تغلّب عليه الجهل فادّعى الوكالة كغيره من الجهلة والمشعوذة، ولا يأبى الجهل الحب الرئاسي أيضاً، وقد غلبت عليهم الشقوة فادّعوا ما لم يجعل الله لهم فيه نصيباً فأهوت بهم من شاهق إلى الحضيض والخسران، وإلى دار البوار، ودخول النار.

الحسين بن منصور الحلاج:

قال الشيخ: ومنهم[٤] الحسين بن منصور الحلّاج، أخبرنا الحسين بن إبراهيم عن أبي العبّاس أحمد بن عليّ بن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمّد الكاتب ابن بنت أُمّ كلثوم بنت أبي جعفر العَمري، قال: لمّا أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلّاج ويظهر فضيحته ويخزيه وقع له أن أبا سهل بن إسماعيل بن عليّ النوبختي رضي الله عنه ممّن تجوز عليه مخرقته[٥] وتتمّ عليه حيلته، فوجّه إليه يستدعيه

---

(١) أُصول الكافي ٢: ١٣٠ ـ ١٣١.

(٢) مجمع الأمثال ١: ٢٠٥، المجازات النبويّة: ١٧٥ ح ١٣٦.

(٣) كتاب الغيبة: ٢٥٤.

(٤) أي من الذين ادّعوا البابية لعنهم الله.

(٥) من المخرقة إظهار الخرق توصّلاً إلى حيلة، والمخرّق المموّه هامش كتاب الغيبة: ٢٤٦.

وظنّ أن أبا سهل كغيره من الضعفاء في هذا الأمر بفرط جهله[١]، وقدّر أن يستجرّه إليه فيتمخرق به ويتسوّف[٢] بانقياده على غيره فيستتبّ له ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضعفة، لقدر أبي سهل في أنفس الناسّ ومحلّه من العلم والأدب أيضاً عندهم، ويقول في مراسلته إيّاه:

(إنّي وكيل صاحب الزمان عليه السلام. وبهذا أوّلاً كان يستجرّ الجهّال، ثمّ يعلو منه إلى غيره وقد أُمرتُ بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك لتقوي نفسك ولا ترتاب بهذا الأمر).

فأرسل إليه أبو سهل رضي الله عنه يقول له: إنّي أسألك أمراً يسيراً يخفّ مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين: وهو أنّي رجل أُحبّ الجواري وأصبو إليهنّ ولي منهنّ عدّة اتخطاهنّ والشيب يبعدني عنهنّ واحتاج أن أُخضبه في كلّ جُمُعة، وأتحمل منه مشقة شديدة لأستر عنهنّ ذلك، وإلاّ انكشف أمري عندهنّ، فصار القرب بُعداً والوصال هجراً، وأُريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته وتجعل لحيتي سوداء، فإنّي طوع يديك وصائر إليك، وقائل بقولك وداع إلى مذهبك، مع ما لي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة.

فلمّا سمع ذلك الحلّاج من قوله وجوابه علم أنّه قد أخطأ في مراسلته، وجهل في الخروج إليه بمذهبه، وأمسك عنه، ولم يردّ إليه جواباً ولم يرسل إليه رسولاً، وصيّره أبو سهل رضي الله عنه أُحدوثة وضحكة ويطنز[٣] به عند كلّ أحد وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سبباً لكشف أمره وتنفير الجماعة عنه[٤].

فأراد الحلاج تسخير أكبر شخصيّة فذّة يروم من ورائه انقياد باقي الناس، ولكنّه

---

(١) يشهد لما قلناه من جهل البعض. (٢) لعلّه بالشين أي يطلع.
(٣) اطنز به أي سخر، لولا علماء الدين لتغلّب الجهّال المُبدعين المضلّين.
(٤) كتاب الغيبة: ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

أخطأ رشده، واستمع قصّة أُخرى هي أفضع من الأُولى، قال الشيخ الطوسي:

وأخبرني جماعة عن أبي عبد الله الحسين[١] بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه أنّ ابن الحلّاج صار إلى قم، وكاتب قرابة أبي الحسن[٢] يستدعيه ويستدعي أبا الحسن أيضاً ويقول: أنا رسول الإمام ووكيله، قال: فلمّا وقعت المكاتبة في يد أبي رضي الله عنه خرقها، وقال لموصلها إليه: ما أفرغك للجهالات. فقال له الرجل: وأظنّ أنّه قال: ـ إنّه ابن عمّته أو ابن عمّه[٣]؛ فإنّ الرجل[٤] قد استدعانا، فَلِم خرقت مكاتبته؟ وضحكوا منه وهزؤا به، ثمّ نهض إلى دكانه ومعه جماعة من أصحابه وغلمانه[٥] قال: فلمّا دخل إلى الدار الّتي كان فيها دكانه[٦] نهض له من كان هناك جالساً غير رجل رآه جالساً في الموضع فلم ينهض له ولم يعرفه أبي، فلمّا جلس وأخرج حسابه ودواته كما يكون التجّار أقبل[٧] على بعض من كان حاضراً فسأله عنه[٨]، فأقبل عليه وقال له[٩]: تسأل عنّي وأنا حاضر؟ فقال له أبي: أكبرتك أيّها الرجل وأعظمت قدرك أن أسألك، فقال له: تخرق رقعتي وأنا أُشاهدك تخرقها؟ فقال له أبي: فأنت الرجل إذاً، ثمّ قال: يا غلام برجله وبقفاه، فخرج من الدار العدو لله ولرسوله، ثمّ قال له: أتدّعي المعجزات؟ عليك لعنة الله، أو كما قال، فأخرج بقفاه، فما رأيناه بعدها بقم[١٠]، بل فرّ إلى بغداد وقتل هناك قيل: في سنة ٣٠٩. وكيف كان فإنّه عاش كما سمعت غير مرضي بخلاف ما هو المشهور بين ثلة كذلك.

وذكره صاحب معجم الرجال بعد قوله: (الحسين بن منصور الحلّاج: ذكره

---

(١) هو أخو الصدوق هو وأخوه وُلدا ببركة دعاء الإمام المهدي عليه السلام وعجّل الله فرجه.
(٢) كنية والد الصدوق رحمهما الله تعالى. إنّهما من مرّوجي أحكام الشريعة الغراء.
(٣) أي الوالد رضي الله عنه.
(٤) أي الحلّاج المعلوم الحال.
(٥) أي ابن بابويه المدفون في قم المقدّسة.
(٦) المصدر.
(٧) كذا في المصدر.
(٨) عن الّذي لم ينهض وهو الحلّاج.
(٩) القائل الحلّاج.
(١٠) كتاب الغيبة: ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

الشيخ في كتاب الغيبة في المذمومين الّذين ادّعوا (النيابة) البابية لعنهم الله وذكر شيئاً من أحواله)[١] أمّا السيّد الأستاذ فاكتفى بما تقدّم عن الشيخ ﵀ قتل سنة ٣٠٩ هـ، ترجمه المحدّث الكبير الحاجّ الشيخ عبّاس القمّي ﵀[٢] كان ﵀ المعتمد، صاحب البصيرة برقي المنبر في عشرة عاشوراء في النجف الأشرف في المسجد الهندي صباحاً.

* * *

---

(١) معجم رجال الحديث ٦: ٩٧، رقم الترجمة ٣٦٦٢.

(٢) الكُنىٰ والألقاب ٢: ١٦٤، المتوفّى سنة ١٣٥٩ هـ ، أدركناه ولي قصة معه ﵀.

٢٢٣

شملهم الله ببركتنا ودعائنا

من كتاب الإمام المهديّ عليه السلام الثاني للشيخ المفيد طاب ثراه نسخةِ التوقيع باليد العليا صلوات الله على صاحبها:

هذا كتابنا إليك أيّها الولي الملهم للحقّ العليّ، بإملائنا وخطّ ثقتنا، فأخفه عن كلّ أحد، واطوه، واجعل له نسخة يطلع عليها من تسكن إلى أمانته من أوليائنا شملهم الله ببركتنا ودعائنا إن شاء الله.

الحمد لله والصلاة على سيّدنا محمّد النبيّ وآله الطاهرين[١]، لأنّهم أبواب رحمته وأعظم نعمته والوسيلة المُبتغاة إلى الله تعالى ﴿*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ...*﴾[٢].[٣]

تقدّم الكتاب والتوقيع الثاني كملاً عند «إنّه من اتّقى ربّه من إخوانك»، وبعضه الآخر عند «آية حركتنا من هذه اللوثة»[٤]، وعند «أيّدك الله بنصره»[٥]. مع شرح الكلمات في غضونها، ومن ثمّ لا نعيد سوى كلمة «شملهم الله ببركتنا ودعائنا» من التوقيع الشريف في الجناس.

من الشملة: كساء يتغطّى به ويتلفّف فيه ـ أي تغطّيهم بركتنا ودعوتنا كما يغطّي

---

(١) الاحتجاج ٢: ٣٢٥. (٢) المائدة: ٣٥.

(٣) تفسير القمّي ١: ١٦٨، الباقري: «تقرّبوا إليه بالإمام».

(٤) رقمه ١١٨. (٥) رقمه ١٣١.

الكساء البدن ـ لأن بركة الإمام المهديّ عليه السلام هي بركة الله وشملته شملته تعالى ودعاؤه مستجاب لا محالة، ولو لم يكن لهم إلّا هذا الدعاء لكان كثيراً. ولا يخفى أنّ الشمل: الاجتماع ومنه الدعاء «أسألك رحمة تجمع بها شملي» و من الأوّل العلوي عليه السلام: «قال للأشعث بن قيس: «إنّ أبا هذا كان ينسج الشمال بيمينه» وفي رواية «ينسج الشمال باليمين» الشمال جمع شملة وهو الكساء والمئزر يتّشح به وقوله: «الشمال بيمينه» من أحسن الألفاظ وألطفها بلاغة وفصاحة.

الطريحي رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [١٨/١٧]، الشِمال بالكسر: خلاف اليمين، وجمعها أشمل كذِراع وأذرعُ، ونحو الشمالين اسمه عمر بن عبد عمرو صحابي وكان يعمل بيديه قاله في القاموس... وريح الشمال بالفتح هي الريح الّتي تهبّ من ناحية القطب وفيها خمس لغات مذكورة في الصحاح. وشملهم بالبلاء أي عمّهم وهو من باب تعب. وشملهم شمولاً من باب قعد لغةً... وأشمل القوم ـ أي دخلوا في ريح الشمال ـ وإن أردت أنّها أصابتهم قلت: شملوا...[١].

مسائل عُرضت على الإمام الهادي عليه السلام منها سجود يعقوب وولده ليوسف عليه السلام أجاب عليه السلام عنه أنه لم يكن السجود ليوسف إنّما كان ذلك طاعة لله وتحيّة ليوسف كما كان السجود من الملائكة لآدم ولم يكن لآدم إنّما كان ذلك طاعة لله وتحيّة لآدم «فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكراً لله لاجتماع شملهم، ألا ترىٰ أنّه يقول في ذلك الوقت: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ الآية[٢].[٣] كلّ ذلك لكلمة «شملهم» وأنا أقول: العذر عند كرام الناس مقبول والحمد لله.

* * *

---

(١) أخذناه من النهاية ٢: ٥٠١ ـ ٥٠٢ ـ شمل ـ، مجمع البحرين ٥: ٤٠٤ ـ شمل ـ.

(٢) سورة يوسف: ١٠٠ ـ ١٠١.

(٣) الوسائل ٤: ٩٨٦، الباب ٢٧ من أبواب السجود، حث ٦، النقل بالمعنى.

٢٢٤

الشيخ الدخني

كلمة مختارة من قصّة اقتصّها الشيخ النوري وقد عدّها في ذكر من فاز بلقاء الحجّة في الغيبة الكبرى وجعلها الحكاية الثامنة والعشرين من الحكايات المنهاة إلى تسع وخمسين حكاية قد طبعت مع كتاب البحار، نذكرها بلفظها كما ذكرنا عنه ﷺ قصصاً منها قصّة مسجد جمكران عند المختار: الباب مفتوح[1]، والسبب الوحيد لبناء هذا المسجد.

(الحكاية الثامنة والعشرون):

حدّثني السيّد الثقة التقيّ الصالح السيّد مرتضى النجفي ﷺ وقد أدرك الشيخ شيخ الفقهاء وعمادهم الشيخ جعفر النجفي وكان معروفاً عند علماء العراق بالصلاح والسداد، وصاحبته سنين سفراً وحضراً فما وقفت منه على عثرة في الدين، قال: كنّا في مسجد الكوفة مع جماعة فيهم أحد من العلماء المعروفين المبرّزين في المشهد الغروي، وقد سألته عن اسمه غير مرّة فما كشف عنه، لكونه محلّ هتك الستر، وإذاعة السرّ.

قال: ولمّا حضرت وقت صلاة المغرب جلس الشيخ لدى المحراب للصلاة والجماعة في تهيئة الصلاة بين جالس عنده ومؤذّن ومتطهّر. وكان في ذلك الوقت

---

(١) رقمه ١٣٣ وغير ذلك.

في داخل الموضع المعروف بالتنوّر ماء قليل من قناة خربة وقد رأينا مجراها عند عمارة مقبرة هانئ بن عروة، والدّرج الّتي تنزل إليه ضيّقة مخروبة لا تسع غير واحد، فجئت إليه وأردت النزول، فرأيت شخصاً جليلاً على هيئة الأعراب قاعداً عند الماء يتوضّأ وهو في غاية من السكينة والوقار والطمأنينة، وكنت مستعجلاً لخوف عدم إدراك الجماعة، فوقفت قليلاً فرأيته كالجبل لا يحرّكه شيء، فقلت وقد أُقيمت الصلاة ما معناه: لعلّك لا تريد الصلاة مع الشيخ؟ أردت بذلك تعجيله، فقال: لا، قلت: ولم؟ قال: لأنّه الشيخ الدّخني، فما فهمت مراده، فوقفت حتّى أتمّ وضوءه وصعد وذهب، ونزلت وتوضّأت وصلّيت، فلمّا قضيت الصلاة وانتشر الناس وقد ملأ قلبي وعيني هيئته وسكونه وكلامه، فذكرت للشيخ ما رأيت وسمعت منه، فتغيّرت حاله وألوانه، وصار متفكّراً مهموماً، فقال: قد أدركت الحجّة عليه السلام وما عرفته، وقد أخبر عن الشيء ما اطّلع عليه إلاّ الله تعالى.

اعلم أنّي زرعت الدخنة في هذه السنة في الرحبة وهي موضع في طرف[1] الغربي من بحيرة الكوفة ومحلّ خوف وخطر من جهة أعراب البادية المتردّدين إليه، فلمّا قمت إلى الصلاة ودخلت فيها ذهب فكري إلى زرع الدخنة وأهمّني أمره، فصرت أتفكّر فيه وفي آفاته.

هذا خلاصة ما سمعته منه رحمه الله قبل هذا التأريخ بأزيد من عشرين سنة وأستغفر الله من الزيادة والنقصان في بعض كلماته[2].

أقول: يحتمل أن يكون الرجل من أحد الأولياء لا الحجّة عليه السلام وأن يكون هو الحجّة عجّل الله فرجه كما صرّح بذلك الشيخ الدخني، وكلام الإمام عليه السلام في حقّه كان سبباً لأن يتنبّه، ويصلح قلبه وأنّ القلب سواء أكان الدخن فيه، أو غير الدخن من

---

(١) الصحيح «الطرف».

(٢) جنّة المأوى المطبوع مع البحار ٥٣: ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

الأُمور الدنيويّة، بفقد الحضور والاتّجاه إلى الله تعالى، ومعه يسقط صاحبه عن نظرء عزّ وجلّ ونظر أهل البيت عليهم السلام، لأنّ نظرهم نظر الله، فَمَن قبله اللهُ قبلُوهُ، ومن ردّه الله ردّوه كما ورضاهم رضى الله وسخطهم سخطه، وعليه فلا يخصّ الذمّ بالشيخ المذكور؛ إذ أنّ الحكم وأثره تابعٌ لأقوى الملاك الشرعي غير المعارض المعتبر المقرّر في محلّه غير الخفيّ عن أهله.

الدخن والدخنة

قال ابن فارس: الدال والخاء والنون أصل واحد وهو الذي يكون من الوقود، ثمّ يشبّه به كلّ شيءٍ يُشبهه من عداوة ونظيرها. فالدخان معروف، وجمعه دواخن على غير قياس. ويقال دَخَنَت النار تدخُنُ: إذا ارتفع دخانها، ودخنت تَدخَنُ: إذا أُلقيت عليها حطبا فأفسدتها حتّى يهيج لذلك دخان، وكذلك دخِنَ الطعامُ يَدخَن، ويقال: دخن الغبار: ارتفع. فأمّا الحديث: «هدنة على دخن»[1] فهو استقرار على مكروهة. والدّخنَةُ من الألوان: كُدرةٌ في سواد.شاة دخناء، وكبش أدخن، وليلة دخنانة. ورجل دَخِنُ الخُلق. وأبناء دُخان غنىٰ وباهلة. والدُخنَة: بخور يُدخن به البيت[2].

وقال ابن الأثير فيه ـ أي في الحديث النبويّ ـ: «أنّه ذكر فتنة فقال: دَخَنُها من تحت قدمَيْ رجل من أهل بيتي» ـ يعني ظهورها وإثارتها ـ شبّهها بالدخان المرتفع. والدخَنَ بالتحريك: مصدر دخِنَت النارُ تَدخَن إذا اُلقي عليها حطب رطب فكثر دُخانها. وقيل أصل الدخن: أن يكون في لون الدابّة كُدورة إلى سوادٍ[3].

وقال الشيخ الطريحي:

والدخن: حبّ معروف، والحبّة دخُنة: والدخنة كالذريرة يدخن بها البيوت.

---

(١) الأمثال النبويّة ٢: ٣٣٨، الرقم ٦٢٦، موسوعة أمثال العرب ٥: ٥٥٠.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢: ٣٣٦ ـ دخن ـ.

(٣) النهاية ٢: ١٠٩ ـ دخن ـ.

والدُخنة في الألوان: كدرة في سواد[١].

الدُخن في لغة الفرس: «أرزن»، وبالهندي: «كنكني» أو «جنيا» والدُخن أيضاً يقال في الفرس: «كاورس» ، وبالهندي «باجرا» وهو ألطف من «أرزن» وأقلّ غذاءً...[٢].

وكلمة «الشيخ الدخني» تشمل زرع الحبّة المعروفة وبالفعل كان الشيخ قد زرعها، وتشمل أيضاً الدخن من دخان النار، لأنّ القلب الفاقد للحضور بطابعه يكون من القلوب المظلمة ذات دخان معنوي وقد صرّح في حديث الشيخ الكليني طاب ثراه الصادقي: «تجد الرجل لا يخطئ بلامٍ ولا واوٍ خطيباً مصقعاً، ولقلبه أشدّ ظلمة من الليل المظلم، وتجد الرجل لا يستطيع يعبّر عمّا في قلبه بلسانه وقلبه يزهر كما يزهر المصباح»[٣] وفي الباقري: «إنّ القلوب أربعة...»[٤] والآخر: «القلوب ثلاثة... وقلب فيه نكتة سوداء...»[٥]، وأيُّ منها القلب السليم الّذي قال الله جلّ جلاله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٦] الصادقي: «السليم الّذي يلقى ربّه وليس فيه أحد سواه...»[٧]. كما يزهر المصباح في الإضاءة والإنارة بعد تفسيره بما رواه عن الصادق عليه السلام.

الشيخ محمّد بن يعقوب الكليني رحمه الله في الكافي في باب الإخلاص ذكر ستّ روايات خامسها الصادقي المفسّر للقلب السليم بالّذي يلقى ربّه وليس فيه أحَدٌ سواه ـ قال عليه السلام تماماً لهذا التفسير ـ : «وكلّ قلب فيه شركٌ أو شكٌ فهو ساقطٌ؛ وإنّما أرادوا الزهد في الدنيا؛ لتفرغ قلوبهم للآخرة» نذكر من الستّة أربعة مكمّلة للخامس

---

(١) مجمع البحرين ٦: ٢٤٧ ـ دخن ـ.

(٢) نهاية الأرب ١: ٣٦٣ ـ دخن ـ بعد التعريب منّا أي ردّ الى الأصل وهو كتابٌ عربيٌ فارسيٌ.

(٣ و ٤ و ٥) أُصول الكافي ٢: ٤٢٢ ـ ٤٢٣، ح ١، ٢، ٣.

(٦) الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩.

(٧) أُصول الكافي ٢: ١٦ ح ٥.

السابق الذكر اختصاراً:

١ ـ الصادق عليه السلام قول الله عزّ وجلّ ﴿حُنِيفاً مُسْلِماً﴾ قال: «خالصاً مخلصاً ليس فيه شيءٌ من عبادة الأوثان» الآلة الباطلة من داخل وخارج.

٢ ـ أبو جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أيّها الناس إنّما هو الله والشيطان، والحق والباطل، والهدىٰ والضلالة، والرشد والغيّ، والعاجلة والآجلة، والعاقبة، والحسنات والسيّئات، فما كان من حسنات فللّه وما كان من سيّئات فللشيطان لعنه الله».

٣ ـ الرضا عليه السلام: «أنّ أميرالمؤمنين صلوات الله عليه كان يقول: طوبىٰ لمن أخلص لله العبادة والدعاء ولم يَشْغَلْ قَلْبَهُ بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذُناهُ ولم يَحْزن صدرُهُ بما أُعْطِيَ غَيْرَهُ».

٤ ـ الصادق عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ «قال: ليس يعني ـ أكثر عملاً، ولكن أصوَبكُم عَملاً ـ وإنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصادقة والحسنة في الخشية، ثمّ قال: الإبقاء على العمل حتّى يخلص أشدّ من العمل، والعمل الخالص الّذي لا تريد أن يحمدك عليه أحدٌ إلّا الله عزّ وجلّ والنيّة أفضل من العمل، ألاٰ وإنّ النيّة هي العمل، ثمّ تلا قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ ـ يعني على نيّته ـ»[1].

* * *

(١) أُصول الكافي ٢: ١٥ ـ ١٦، ح ١ و٢ و٣ و ٤، آل عمران: ٦٧، الملك: ٢، الإسراء: ٨٤، الحديث، يرجى من القارئ الكريم الرجوع إليه، لقد دريت الوجه لعدم ذكره والله العالم.

باب الصاد

٢٢٥

صر إلى بغداد وادفع المال إلى حاجز

صدرت عن الناحية المحفوفة التقديس والإجلال رقعة بشأن ابن أبي روح في قصّة له رواها قطب الدين الراوندي، وصورتها بكاملها مذكورة عند «خذ منه ما يعطيك لنفقتك إلى منزلك»[1].

ومن أجلها لا نعيد إلّا ما جاء في الرقعة: «وصر إلىٰ بغداد وادفع المال إلى حاجز...»[2].

وإذا نظرتها رأيت امتثال أحمد إلى ما أمره عليه السلام من دفع المال وأخذ ما أعطاه حاجز، وتعتبر القصة من عجائب القصص؛ لاشتمالها على الإخبار بالغائبات وهو من دلائل إمامته عليه السلام وتثبيت قلب أحمد بن أبي روح وأمثاله ممّن لا معرفة كافية له بما للإمامة من أثر فيأخذ مرّة إلى يمنة وآونة إلى يسرة فيميل إلى مثل جعفر الكذّاب، إلى أن يسرّ له الله الوصول إلى الحقّ الذي لا معدل عنه، وذلك وعد الله تعالى لكلّ من جاهد في سبيل الحقّ الهداية والمعرفة بالسُبل قال عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

وكلّ مجاهد محسن لنفسه ولمجتمعه الحاضر والأجيال القادمة؛ ولأنّ ما ينفع

---

(١) رقمه ١٧٨. (٢) الخرائج والجرائح ٢: ٧٠١. (٣) العنكبوت: ٦٩.

الناس يمكث في الأرض وهو في وديعة الله الّتي لا تضيع أبداً.

والأمانة من تلك الودائع وتجد الإمام المهديّ عليه السلام يبجّل ابن أبي روح وينوّه بذكره في الرقعة: «وقد أدّيت الأمانة ولم تفتح الكيس و لم تدر ما فيه» هكذا ينبثق نور الحقّ عن نور الطاعة ونور الأمانة فيحظى بالشهادة من قبله وأنّه الأمين، ولو لا ذلك لما أودعه الناس المال ليوصله إلى أهله؛ لأنّه الأمين عنده عليه السلام دلّل على أداء الأمانة بأنّه لم يفتح الكيس فهو الأمين حبيب الله ورسوله والأئمّة المعصومين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، وقد أنزل الله جلّ جلاله القرآن الكريم الآمر بردّ الأمانات إلى أهلها كائناً من كان؛ وإنّه من علائم الإيمان والدين في صادقي عليه السلام قال: «قال أميرالمؤمنين عليه السلام: إن لأهل الدين.علامات يعرفون بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة، ووفاء بالعهد، وصلة الأرحام، ورحمة الضعفاء وقلّة المراقبة للنساء أو قال: قلّة المواتاة للنساء[1] وبذل المعروف، وحُسن الخلق، وسعة الخلق وإتّباع العلم، وما يقرّب إلى الله عزّ وجلّ الزلفى طوبى لهم وحسن مآب، وطوبى شجرة في الجنّة...»[2]

* * *

(١) المواتاة: الموافقة والمطاوعة أي منها المحادثة والمواجهة ونحوها.

(٢) أُصول الكافي ٢: ٢٣٩، باب المؤمن وعلاماته وصفاته، ح ٣٠، وراجع من ص ٢٢٦ ـ ٢٤٢ من هذا الكتاب الشريف.

٢٢٦
صِر إليهم

من كتاب صادر عن صاحب الأمر عليه السلام لابن أبي حليس رواه الشيخ الصدوق طاب ثراه قال:

حدّثني أبي رضي الله عنه عن سعد بن عبد الله قال: حدّثني أبو القاسم بن أبي حليس قال:

ومات لي غريم فكتبت أستأذن في الخروج إلى ورثته بواسط[١] و قلت: أصير إليهم حدثان موته لعلّي أصل إلى حقّي فلم يؤذن لي، ثمّ كتبت ثانية فلم يؤذن لي فلمّا كان بعد سنتين كتب إليّ ابتداءً «صر إليهم» التوقيع الشريف.

فخرجت إليهم فوصل إليَّ حقّي[٢].

لم نذكر تمام حديث سعد بن عبد الله المشتمل على كتاب ابن أبي حليس الآتي ذكره عند «من كان في حاجة الله عزّ وجلّ كان الله في حاجته»[٣].

تجد منع الإمام عليه السلام عن خروج ابن أبي حليس في المرّة الأُولى والثانية إلى

---

(١) اسم لعدّة مواضع: موضع بين الجزيرة ونجد، وموضع بين البصرة والكوفة قال الجوهري: بلد، سمّي بالقصر الذي بناه الحجّاج بين الكوفة والبصرة. اللسان ٧: ٤٣١ ـ ٤٣٢ ـ وسط ـ.

* والفضل ما شهدت به الأعداءُ *

اكتبها؛ ليسمع الثقلان إن كان لهما أُذنان.

(٢) إكمال الدين ٢: ٤٩٣، الباب ٤٥ ح ١٨. (٣) رقمه ٤٢٣.

واسط، إلى ورثة غريم له، وأمره بالخروج بعد مضيّ سنتين وصيرورته إليهم وكان ذلك كلّه بصالحه ومصلحته؛ إذ لو تجشم نَصَب السفر إلى واسط من سرّ من رآه إلى بلدتي الكوفة والبصرة أو غيرهما لم يصل إلى حقّه الذي كان يطلبه من غريمه قبل مضيّ السنتين، ولكنّه يصل إليه بعدهما، فتفضّل عليه السلام بأمره بالذهاب إلى واسط بعد هذه الفترة لعلمه روحي فداه بالحصول على حقّه، ولا يقصر فضله وعطفه على ابن أبي حليس فحسب؛ لعدم الاختصاص بفرد دون فرد؛ لأنّ نظر الإمام المعصوم عليه السلام والنبيّ صلى الله عليه وآله نظر الله عزّ وجلّ إلى الخلق أجمع.

ابن أبي حليس هو أبو القاسم المسبق الذكر المأذن له في الخروج بعد المنع مرّتين، الواصل إلى حقّه، هكذا علم المعصومين عليهم السلام.

قد سبقت ترجمته إجمالاً وأُمور أُخرى لها علقة عند كلمة «تبعث بدنانير أبو رميس» [أو دميس][1].

وإنّما نتصدّى في بعض الأحيان لترجمة الرواة مع أنّ الكتاب ليس موضوعه التراجم؛ للحصول على معرفة الحالات أو الصفات المؤهّلة للفوز بلقاء الإمام المهدي عجّل الله فرجه، أو الّتي تبعد الإنسان منه وقد جاء في كلام الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في وصيّته لابنه الحسن عليه السلام ما يشير إلى ذلك: «أحي قلبك بالموعظة... وأعرض عليه أخبار الماضين وذكّره بما أصاب من كان قبلك من الأوّلين، وسر في ديارهم وآثارهم، فانظر فيما فعلوا، وعمّا انتقلوا، وأين حلّوا ونزلوا...» إيّاك أعني واسمعي يا جارة[2].

* * *

---

(١) رقمه ١٤٣.

(٢) شرح النهج ٦: ٦٢.

٢٢٧

صرع الله كلّ واحد منهما مصرع أشباههما من الناكثين

من جوابات الإمام المهديّ عليه السلام عن مسائل سعد بن عبد الله الأشعري، سبق منها: «إذا ذكر الحسين خنقته العَبرة»[١]، وعند «إذا كان طلاقهن وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله...»[٢]، وعند «إن كانت مقدّسة مطهّرة...»[٣]، وعند «أوردها لك ببرهان ينقاد له عقلك»[٤]، ولربط المختار بها ما يلي:

«... أتى طلحة والزبير عليّاً عليه السلام فبايعاه، وطمع كلّ واحد منهما أن ينال من جهته ولاية بلد، فلمّا آيسا نكثا بيعته وخرجا، فصرع الله كلّ واحد منهما مصرع أشباههما من الناكثين»، عليك بالنظر إلى كتب التراجم الّتي تكشف عن أقوام وأدوارهم المخزية والحروب ومصارع الرجال ومواقفهم تلك الحروب منها حرب الجمل الّتي مرّت على الأُمّة المستمرة الخزي والعار للزبير وصاحبه.

أمّا طلحة فقد قال الشيخ المفيد عند مرور أمير المؤمنين عليه السلام على قتلى حرب البصرة. و مرّ على طلحة بن عبيد الله فقال: هذا الناكث بيعتي والمنشئ الفتنة في الأُمّة والمجلب عليّ والداعي إلى قتلي وقتل عترتي، أجلسوا طلحة بن عبيد الله، فأُجلس، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا طلحة قد وجدتُ ما وعدني ربّي حقّاً، فهل وجدتَ ما وعدك ربّك حقّاً؟ ثمّ قال: أضجعوا طلحة، وسار فقال له بعض من كان

---

(١) رقمه ٣٩. (٢) رقمه ٤٣. (٣) رقمه ١٠١. (٤) رقمه ١٢٣.

معه: يا أمير المؤمنين أتكلّم كعباً وطلحة بعد قتلهما؟ فقال: أم والله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر[١].

وقال الإربلي: وأمّا طلحة فجاءه سهم وهو قائم للقتال فقتله، ثمّ التحم القتال[٢].

وقال ابن الأثير: طلحة بن عبيد الله الذي من العشرة وأشكل على الناس وقيل: إنّه الذي نزل في أمره ﴿*وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا*﴾[٣]، وذلك أنّه قال: لئن مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأتزوجنّ...[٤]

الزبير وبعض شؤونه

قال الإربلي في وصف بعض ما حدث في حرب الجمل عن عليّ عليه السلام: صاح بأعلى صوته: أين الزبير بن العوام فليخرج إليّ؟ فقال الناس: يا أمير المؤمنين أتخرج إلى الزبير وأنت حاسر وهو مدجّج في الحديد؟ فقال عليه السلام: ليس عليّ منه بأس، ثمّ نادى ثانية: فخرج إليه ودنا منه حتّى وافقه، فقال له عليّ عليه السلام: يا أبا عبد الله ماحملك على ما صنعت؟ فقال: الطلب بدم عثمان، فقال عليه السلام: أنت وأصحابك قتلتموه، فيجب عليك أن تقيد من نفسك، ولكن أُنشدك الله الذي لا إله إلّا هو الّذي أنزل الفرقان على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله أما تذكر يوماً قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله: يا زبير أتحبّ عليّاً؟ فقلت: وما يمنعني من حبّه وهو ابن خالي، فقال لك: أما أنك فتخرج عليه يوماً وأنت له ظالم؟ فقال الزبير: اللهّم بلى فقد كان ذلك، فقال عليّ عليه السلام: فأنشدك الله الذي أنزل الفرقان على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله أما تذكر يوماً جاء رسول الله صلى الله عليه وآله من عند ابن عوف وأنت معه وهو آخذ بيدك فاستقبلته أنا فسلّمت عليه فضحك في وجهي وضحكت

---

(١) الإرشاد ١: ٢٥٣ ـ ٢٥٦.
(٢) كشف الغمّة ١: ٢٤٢.
(٣) الأحزاب: ٥٣.
(٤) أُسد الغابة ٣: ٦٢.

أنا إليه فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبداً، فقال لك النبيّ: مهلاً يا زبير فليس به زهو، ولتخرجنّ عليه يوماً وأنت ظالم له؟ فقال الزبير: اللّهمّ بلى، ولكن أنسيت، فأمّا إذا ذكّرتني ذلك فلأصرفنّ عنك ولو ذكرت ذلك لما خرجت عليك، ثمّ رجع إلى عائشة فقالت: ما وراءك يا أبا عبد الله؟ فقال الزبير: والله ورائي أنّي ما وقفت موقفا في شرك ولا إسلام إلّا ولي فيه بصيرة، وأنا اليوم على شكّ من أمري وما أكاد أبصر موضع قدمي. ثمّ شقّ الصفوف وخرج من بينهم ونزل على قوم من بني تميم، فقام إليه عمرو بن جرموز المجاشعي فقتله حين نام وكان في ضيافته فنفذت دعوة عليّ عليه السلام والحديث ذو شجون[1] شأن أينما حَلَّ ونَزَلَ يعم الأجيال النساء والرجال، والغاية من الترجمة وسرد الأقوال للإلماع، لا الإشباع.

* * *

---

(١) كشف الغمّة ١: ٢٤١ ـ ٢٤٢.

٢٢٨
الصقري أحلّ الله له ذلك

هذه الكلمة قد رواها الشيخ الصدوق عن أبيه عن سعد بن عبد الله قال: وكتب محمّد بن كشمرد يسأل الدعاء أن يجعل ابنه أحمد من أُمّ ولده في حلّ، فَخَرَج.

«والصقري أحلّ الله له ذلك». فأعلم عليه السلام أنّ كنيتَه أبو الصقر[1]، والظاهر من «الصقرى» اللقب، والله العالم، ثمّ الصدوق تكرّر عنه (قال) في صدر الكتب الّتي أُرسلت إلى الناحية المقدّسة أو أسئلة السائلين؟ إذا أُمعن النظر في صحيفة المصدر ارتفع الغموض واندفع النقاش أن في سند الحديث غموض؛ لأنّ كلمة (قال) قد تكرّرت فيه، ولا يدرى من هو القائل هل هو سعد بن عبد الله القمّي الأشعري؟ كما استظهره بعض المعلّقين عليه حيث قال: ـ يعني قال سعد، أو علّان الكليني ـ وهو الصواب، وهكذا إلى آخر الحديث[2].

والسند نفسه هكذا (١٨ ـ حدّثني أبي رضي الله عنه عن سعد بن عبد الله قال: حدّثني أبوالقاسم ابن أبي حليس)[3] ثمّ تسلسل كلمة (قال) فيه في عدّة مواضع منه منهاة إلى أربعة عشر مرّة بعضها قد ذكر قائل (قال) فيه والآخر لم يذكر.

وقد استظهر السيّد الأُستاذ الخوئي في معجمه أنّ القائل لـ(قال: وكتب محمّد

---

(١) إكمال الدين ٢: ٤٩٥، الباب ٤٥ ح ١٨ .

(٢) هامش إكمال الدين ٢: ٤٩٤.

(٣) إكمال الدين ٢: ٤٩٣، الباب ٤٥ ح ١٨.

ابن كشمرد يسأل الدعاء) هو ابن أبي حليس ونحن نذكر لفظ المعجم وبعده فلتكن أنت القاضي بين ما استظهره المعلّق، وبين صاحب المعجم، قال عند الترجمة:

١١٦٤٣ ـ محمّد بن كشمرد:

عدّه الصدوق (قدّس سرّه) فيما رواه بسنده عن محمّد بن أبي عبد الله الكوفي، ممّن رأى الحجّة عليه السلام من غير الوكلاء من همدان. كمال الدين: الجزء ٢ باب من شاهد القائم عليه السلام ورآه وكلّمه ٤٤، الحديث(١٦).

وروى بسنده عن أبي القاسم بن أبي حليس، قال كنت أزور الحسين عليه السلام في النصف من شعبان (إلى أن قال): وكتب محمّد بن كشمرد: يسأل الدعاء أن يجعل ابنه أحمد من أُمّ ولده في حلّ، فخرج (والصقري أحلّ الله له ذلك).

فأعلم عليه السلام أنّ كنيته أبو الصقر. كمال الدين: الجزء ٢، الباب ٤٥ في ذكر التوقيعات الواردة عن القائم عليه السلام الحديث ١٨[(١)].

تجده كالتصريح بأنّ القائل لكلمة (قال: وكتب محمّد بن كشمرد) هو أبو القاسم ابن أبي حليس، بينما يجعله المعلّق سعد بن عبد الله، أو علّان الكليني.

والظاهر أنّ ذكر علّان الكليني من المعلّق تخيّله السقط في الكلام، صرّح بذلك فراجع[(٢)]، و السقط خلاف الأصل.

وكيف كان، أنّ التوقيع المبارك اشتمل على الإخبار بالغيب وجعل الحلّ لصاحبه (المتقدّم الذكر).

يبقى سؤال: أنّ الصقري ظاهره اللقب وليس فيه الابن أو الأب؛ لكي يكون كنية، وقد سَبَق النقاش وردّه، لكنّه قد تطلق الكنية على اللقب أو بالعكس ـ أي اللقب على الكنية ـ فيقال: لعثمان بن سعيد الأسدي اسم النائب الأوّل من النوّاب

---

(١) معجم رجال الحديث ١٧: ١٧٨ ورقم الترجمة ١١٦٤٣.

(٢) إكمال الدين ٢: ٤٩٣، هامشه.

الأربعة للإمام المهدي عليه السلام، وقد قال قوم من الشيعة: إنّ أبا محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام قال: «لا يجمع على امرئٍ بين عثمان وأبوعمر» فأمر بكسر كنيته فقيل العمري، ويقال له العسكري أيضاً، كان من عسكر (سرّ من رآه)[1].

والمشهور على الألسن والكتب العمروي مع ثبت وكيف كان إن تدلّ الدليل عليه كما في الخبر المروي أُخذ به وإلّا فالكنية ما كان المصدّر بالأب. والابن في المذكّر وعليه العمل وسيرة العرف الأدبي هو الأصل وقد اشبعنا البحث في الكتاب المختار من كلمات الإمام الكاظم عليه السلام وأمثاله وحكمه[2].

* * *

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ٢١٤.

(٢) ج١: ٢٠٥ ـ ٢١٣: (إذا كان الرجل حاضراً فكنّه وإذا كان غائباً فسمّه، رقمه ٦٠ من ربيع الأدب.

٢٢٩
صلّ عليهم كلّهم وسمّهم

المختار ممّا رواه الشيخ الطوسي من الأخبار المتضمّنة لمن رآه عليه السلام في فصلٍ مخصّص له، ومنه قصّة الضرّاب الغساني المطولة وفيها نفس الكلمة من رواية العجوز التي كانت تسكن بأمر الإمام الحسن العسكري عليه السلام في دار خديجة المسماة بدار الرضا في مكّة وملاقاة يعقوب بن يوسف لها في سفرة حجّه سنة إحدى وثمانين ومائتين مع قوم مخالفين كانوا ينامون في زقاق الدار، وكان يعقوب عندما لاقاها قد سألها عن اسم الدار، فقالت هذه دار الرضا عليّ بن موسى وأسكنّيها الحسن بن عليّ ـ أي العسكري ـ (إلى أن قال يعقوب:) وقلت لها: ادفعي هذه الدراهم إلى من يستحقّها من ولد فاطمة وكان في نيّتي أنّ الرجل الذي رأيته هو القائم تدفعها إليه، فأخذت الدراهم وصعدت وبقيت ساعة، ثمّ نزلت وقالت: يقول ـ أي الحجّة عليه السلام ـ لك: ليس لنا فيها حقّ فاجعلها في الموضع الذي نويت ولكن الرضائيّة [الرضويّة][1] خذ منها بدلها وألقها في الموضع الذي نويت، ففعلت ما أُمرت به عن الرجل، ثمّ كانت معي نسخة توقيع خرج إلى القاسم بن العلاء بآذربيجان فقلت لها تعرضين هذه النسخة على إنسان قد رأى توقيعات الغائب وهو يعرفها، فقالت: ناولني، فإنّي أعرفها فأريتها النسخة وظننت أنّ المرأة تُحسن أن تقرأ،

---

(١) أي الدراهم المضروبة باسم الرضا عليه السلام.

فقالت: لا يمكنني [أن] أقرأ في هذا المكان فصعدت به[١] إلى السطح. ثمّ نزلت قالت: صحيح، وفي التوقيع إنّي أُبشّركم ما سررت به، وقالت: يقول لك: إذا صلّيت على نبيّك، فكيف تصلّي عليه؟ فقلت: أقول: (اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وبارك على محمّد وآل محمّد، وارحم محمّداً وآل محمّد كأفضل ما صلّيت وباركت وترحّمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد).

فقالت: لا، إذا صلّيت عليهم فصلّ عليهم كلّهم وسمّهم، فقلت: نعم، فلمّا كان من الغد نزلت ومعها دفتر صغير قد نسخناه، فقالت: يقول لك: إذا صلّيت على نبيّك فصلّ عليه وعلى أوصيائه على هذه النسخة، فأخذتها وكنت أعمل بها ورأيته عدّة ليال قد نزل من الغرفة وضوء السراج قائم وخرج، فكنت أفتح الباب وأخرج على أثر الضوء وأنا أراه اعني الضوء ولا أرى أحداً حتّى يدخل المسجد وأرى جماعة من الرجال من بلدان كثيرة يأتون باب هذه الدار قوم عليهم ثياب رثّة يدفعون إلى العجوز رقاعاً معهم، ورأيت العجوز تدفع إليهم كذلك الرقاع وتكلّمهم ويكلّمونها ولا أفهم عنهم، ورأيت منهم جماعة في طريقنا حتّى قدمنا بغداد.

نسخة الدعاء: «اللّهمّ صلّ على محمّد سيّد المرسلين...»[٢].

أقول: لطول الرواية لم نذكرها بكاملها وفي المذكور الكفاية لأهل الدراية.

* * *

(١) مرجع الضمير النسخة، والصحيح بها.

(٢) غيبة الشيخ الطوسي: ١٦٥ ـ ١٧٠، دلائل الإمامة للطبري: ٣٠٠ ـ ٣٠٤.

٢٣٠

صلّها وأرغم أنف الشيطان

كلمة مختارة من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام عن أجوبة مسائل محمّد بن جعفر الأسدي وهي في أوّل جواب له عمّا سأله قد رواها الشيخ الصدوق طاب ثراه بسنده إليه قال:

حدّثنا محمّد بن أحمد الشيباني، وعليّ بن أحمد بن محمّد الدقّاق، والحسين ابن إبراهيم بن أحمد بن هشام المؤدّب، وعليّ بن عبد الله الورّاق رضي الله عنهم، قالوا: حدّثنا أبو الحسين محمّد بن جعفر الأسدي رحمه الله قال: كان فيما ورد عليّ من الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان ـ قدّس الله روحه ـ في جواب مسائلي إلى صاحب الزمان عليه السلام:

«أمّا ما سألت عنه من الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها فلإن كان كما يقولون: إنّ الشمس تطلع بين قرني الشيطان، وتغرب بين قرني الشيطان فما[1] أرغم أنف الشيطان أفضل من الصلاة، فصلّها وأرغم أنف الشيطان»[2].

ما المراد من الإرغام؟ وهل المراد به المعنى الكنائي الموسع؟ الجواب نعم ويشهد له الأمر بالصلاة؛ لأنّ الشيطان ينضجر منها لأنّ السجود من أركانها الّذي

---

(١) لفظة «ما» النافية.

(٢) إكمال الدين ٢: ٥٢٠، الباب ٤٥ ح ٤٩.

لعن وطرد لأجل تركه للسجود يصبح مرغوم الأنف فيقول: سجد ونجى وامتنعت فهلكت وهو كذلك.

في بعض النسخ: «فصلّها وأرغم الشيطان أنفه»(١).

ثمّ إنّ العامّة لا يسوّغون الصلاة بعد فرض الصبح إلى شروق الشمس، وبعد العصر إلى غروبها زاعمين أنّهما لا يصلحان للصلاة، للنبويّ: «لا تصلّوا حين تطلع الشمس ولا حين تسقط، فإنّها تطلع بين قرني الشيطان، وتغرب بين قرني الشيطان»(٢).

والآخر: «لا تنحروا طلوع الشمس ولا غروبها فتصلّوا عند ذلك».

وكذا قد ورد النهي عنها في هذين الوقتين من طريق الشيعة، ولكنّ الشيخ الطوسي وغيره قد حمله على الكراهة؛ لما ورد من أخبار جواز الصلاة عندهما، وجوّز حملها على التقيّة؛ لأنّ العامّة كما عرفت قد منعوها، ولعلّ وجه المنع عنها الابتعاد عن المضاهاة لعبدة الشمس، أو المنع عن تأخير الفريضة إلى هذا الوقت، أو غير ذلك(٣).

ولا بأس بالإشارة إلى بعض أحاديث المنع من طرقنا.

منها صحيح الحلبي عن الصادق عليه السلام: «لا صلاة بعد الفجر حتّى تطلع الشمس؛ فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الشمس تطلع بين قرني الشيطان، وتغرب بين قرني الشيطان، وقال: لا صلاة بعد العصر حتّى تصلّي المغرب»(٤).

وكذا غيره ومجموع روايات المنع والجواز أربعة عشر رواية(٥):

ومن روايات الجواز: ما عن الإمام الكاظم عليه السلام: «وصلّ بعد العصر من النوافل

---

(١) الاحتجاج ٢: ٢٩٨.

(٢) سنن ابن ماجة ١: ٣٩٦ ح ١٢٥١، ومجمع الزوائد ٢: ٢٢٥ انظر هامش الخصال ١: ٧٠.

(٣) هامش الخصال ١: ٧٠.

(٤) الوسائل ٣: ١٧٠ ـ ١٧١، الباب ٣٨ من أبواب المواقيت، ح ١.

(٥) الوسائل ٣: ١٧٠ ـ ١٧٤، الباب ٣٨ من أبواب المواقيت.

ما شئت، وصلّ بعد الغداة من النوافل ما شئت»[١].

ومنها: ما عن محمّد بن جعفر الأسدي قال: كان فيما ورد من الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان العَمري في جواب مسائله إلى صاحب الدار عليه السلام، وذكر بعينه[٢]. وهو نفس الحديث الجاري، فالجواز قوي، ويشهد له النبويّ «من صلّى البَردين دخل الجنّة» ـ يعني بعد الغداة وبعد العصر ـ [٣].

قال الصدوق: مرادي بإيراد هذه الأخبار الردّ على المخالفين؛ لأنّهم لا يرون بعد الغداة وبعد العصر صلاة، فأحببت أن أُبيّن أنّهم قد خالفوا رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله وفعله[٤]، ومن المعلوم الخلاف عليه صلى الله عليه وآله لا يثمر إلّا الهلاك والإهلاك.

أقول: لأنّ الشيخ الحرّ روى عن الصدوق فعل النبيّ صلى الله عليه وآله للصلاة في هذين الوقتين فراجع[٥]. يا أخي العزيز ترشد إلى الحقّ.

والمرحوم الطباطبائي اليزدي قال:

(مسألة: النافلة تنقسم إلى مرتّبة وغيرها، والأُولى هي النوافل اليوميّة الّتي مرّ بيان أوقاتها. والثانية إمّا ذات السبب كصلاة الزيارة، والاستخارة والصلوات المستحبّة في الأيّام والليالي المخصوصة. وإمّا غير ذات السّبب وتسمّى بالمبتدأة، فلا إشكال في عدم كراهة المرتّبة في أوقاتها وإن كان بعد صلاة العصر أو الصبح، وكذا لا إشكال في عدم كراهة قضائها في وقت من الأوقات، وكذا في الصلوات ذوات الأسباب.

وأمّا النوافل المبتدأة الّتي لم يرد فيها نصّ بالخصوص وإنّما يستحبّ الإتيان

---

(١) الوسائل ٣: ١٧١، الباب ٣٨ من أبواب المواقيت ح ٥.

(٢) الوسائل ٣: ١٧٢، الباب ٣٨ من أبواب المواقيت ح ٨.

(٣) إكمال الدين ٢: ٥٢٠، الباب ٤٥ ح ٤٩، والنبويّ في الوسائل ٣: ١٧٣، الباب ٣٨ من أبواب المواقيت ح ١٣.

(٤) الخصال ١: ٦٩ ـ ٧١ ذيل ح ١٠٨.

(٥) الوسائل ٣: ١٧٣، الباب ٣٨ من أبواب المواقيت، والخصال ١: ٦٩ ـ ٧١.

بها؛ لأنّ الصلاة خير موضوع[١]، وقربان كلّ تقي[٢]، ومعراج المؤمن[٣] فذكر جماعة أنّه يكره الشروع فيها في خمسة أوقات:

أحدها: بعد صلاة الصبح حتّى تطلع الشمس.

الثاني: بعد صلاة العصر حتّى تغرب الشمس.

الثالث: عند طلوع الشمس حتّى تنبسط.

الرابع: عند قيام الشمس حتّى تزول.

الخامس: عند غروب الشمس أي: قبل الغروب، وأمّا إذا شرع فيها قبل ذلك فدخل أحد هذه الأوقات وهو فيها فلا يكره إتمامها، وعندي في ثبوت الكراهة في المذكورات إشكال)[٤].

ومن فقهائنا من رجّح أحاديث المنع فأفتى بالكراهة جمعا بينها وبين ما دلّ على الجواز، ومنهم من توقّف كصاحب العروة وغيره فراجع المظانّ.

محمّد بن جعفر الأسدي.

قال السيّد الأُستاذ تحت عنوان:

١٠٣٨٤ ـ محمّد بن جعفر بن محمّد بن عون:

قال النجاشي: محمّد بن جعفر بن محمّد بن عون الأسدي أبو الحسين الكوفي ساكن الري، يقال له محمّد بن أبي عبد الله، كان ثقة، صحيح الحديث، إلاّ أنّه روى عن الضعفاء، وكان يقول بالجبر والتشبيه، وكان أبوه وجهاً، روى عنه أحمد بن محمّد بن عيسى، له كتاب الجبر والاستطاعة.

أخبرنا أبو العبّاس بن نوح، قال: حدّثنا حسن بن حمزة، قال: حدّثنا محمّد بن

---

(١) البحار ٧٧: ٧٢، النبويّ.

(٢) البحار ١٠: ٩٩، العلوي، والرضوي في الكافي ٣: ٢٦٥، عيون أُخبار الرضا عليه السلام ٢: ٧ ح١٦.

(٣) في مرآة العقول ١٥: ٤٧٧، إشارة إليه.

(٤) متن مستمسك الحكيم ٥: ١٤١ ـ ١٤٨.

جعفر الأسدي، بجميع كتبه، قال: ومات أبو الحسين محمّد بن جعفر ليلة الخميس لعشر خلون من جمادى الأوّل[١] سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة، وقال ابن نوح: حدّثنا أبو الحسين بن داود، قال: حدّثنا أحمد بن حمدان القزويني عنه بجميع كتبه[٢].

وقال الأُستاذ الخوئي بعد نقل أقوال ذوي الرأي من أرباب التراجم ما ينفي دعوى كون الأسدي جبريّاً؛ لأنّ تلميذه محمّد بن يعقوب الكليني قد عقد باباً من كتابه الكافي في إبطال الجبر والتشبيه، فلو كان المترجم له جبريّاً ومشبّهاً لردّ عليه، ولما تتلمذ عنده.

* * *

---

(١) الصحيح «الأُولى» كما في المطبوع أخيراً.

(٢) معجم رجال الحديث ١٥: ١٦٥ ـ ١٦٩ الرقم ١٠٣٨٤، وانظر ترجمة رجال النجاشي: ٣٧٣ الرقم ١٠٢٠.

٢٣١
صلّها ولا تفعل كالمصنوع الّذي كنت تفعل

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام التي جاءت في قصّة رؤيا الشيخ المجلسي الأوّل طاب ثراه، قد سبق ذكرها عن آخرها عند «رُح وخذ منه»[١] فلا وجه لتكرارها سوى موضع الربط.

قال رحمه الله:

رأيت بين النوم واليقظة أنّ صاحب الزمان صلوات الله عليه كان واقفاً في الجامع القديم في أصبهان قريباً من باب الطنبي الّذي الآن مدرسي، فسلّمت عليه صلوات الله عليه وأردت أن أُقبّل رجله عليه السلام فلم يدعني وأخذني فقبّلت يده، وسألت عنه [منه] مسائل قد أُشكلت عليّ:

منها أنّي كنت أُوسوس في صلواتي وكنت أقول: إنّها ليست كما طلبت منّي، وأنا مشتغل بالقضاء ولا يمكنني صلاة الليل، وسألت عنه شيخنا البهائي رحمه الله فقال: صلّ صلاة الظهر والعصر والمغرب بقصد القضاء وصلاة الليل، وكنت أفعل هكذا، فسألت الحجّة عليه السلام أُصلّي صلاة الليل؟ فقال عليه السلام: «صلّها ولا تفعل كالمصنوع الّذي كنت تفعل...»[٢]. وبه قد زال عنه الشكّ الوسواس الموجب لترك النوافل.

---

(١) رقمه ١٩٠.

(٢) روضة المتّقين ١٤: ٤١٩ ـ ٤٢٠.

بيان:

لعلّ وجه قول الشيخ البهائي: ـ صلّ صلاة الظهر والعصر والمغرب بقصد القضاء وصلاة الليل ـ لأجل عمليّة الإزالة للوسوسة. ولتسكين خاطر الشيخ المجلسي الذي كان آسفاً من فوات صلاة الليل وأنّ قصدها في ضمن قضاء الصلوات قضاء لما فات منه من ثوابها ولم ير طريقاً أحسن منه لرفع وسوسته وليس نهي الإمام عليه السلام عن فعل ما كان يفعله منافياً لتلك الطريقة لزوال الوسوسة ونفي الموضوع بقول الإمام روحي فداه رأساً. أو أنّ الصادر من الإمام عليه السلام حكماً واقعياً وحكم الشيخ البهائي ظاهريّا من جواز قصد الفائت تبعاً للفائت الآخر الأصيل بأن ينوي تدارك ثواب صلاة الليل الفائتة بفعل قضاء الصلوات الأُخرى، مجرّد نيّة التدارك. لا أنّه كان قصداً لهما بنحو الشركة، وكيف كان فقد زال عن المجلسي المذمومة: الوسوسة. ومن أجله قال عليه السلام: «صلّها ولا تفعل كالمصنوع الذي كنت تفعل».

وفي كلمة «كالمصنوع» إشارة إلى أنّه مجرّد اجتهادٍ من الشيخ البهائي لا ينبغي أن يصار إليه، والاجتهاد قد يصيب وقد يخطئ عندنا، ولا نقول بالتصويب، وأنّ العصمة لأهلها.

وكان البهائي شيخ المجلسي الأوّل تتلمذ عنده أيّام شبابه حتّى شرب منه المشارب؛ وفاز بالمآرب العظام، وتخلّق بأخلاق الكرام رحمهما الله.

أقول:

ولي رؤياً رأيتها في مدرسة الصدر في النجف الأشرف قبل التهجير[١] وموجزها أنّي رأيت بين اليقظة والنوم كأنّي في صحن الإمام الرضا عليه السلام وفي اتجاه قبلته قصدت مقبرة الشيخ البهائي قبل وقوعها في الرواق لقراءة الفاتحة على روحه

---

(١) عن مسقط رأسي وموضع دراساتي بأسرها سنة ١٣٩٥ هـ بعد خروجي من السجن بين النجف وكربلاء عند رجوعي من زيارة الإمام الحسين عليه السلام ليلة الجمعة.

الطاهرة، فلم أر نفسي إلّا وأنا في بستان بهيج وروضة مدّ البصر، لها النسيم والأجواء الّتي تحيي الرميم، والبهائي فيها قائم وعليه نضرة النعيم، فسلّمت عليه، وبعد المعانقة والمصافاة قلت له: إنّك بحمد الله كتبت من كلّ العلوم والفنون الشيء الكثير، فهل صنّفت كتاباً في معرفة الله تعالى؟ وكان الجواب أن سَلَكَ يديه إلى جيبه ثمّ انتزعها كما انتزع موسى الكليم عليه السلام: ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [1] لموسى، وللبهائي كتاب يقرؤه من كان مثله، لا كمثلي، وتكلّم معي بكلمتين الأُولى أنّه قال: هذا الكتاب عزيز الوجود في الأسواق، فأعطانيه وأخذت أقرأ فإذا أنا لا أستطيع قراءته بالرغم من السعي وبذل الطاقة، فلمّا أحسّ الشيخ بذلك قال كلمته الثانية: إنّ محتواه موجود في كتاب (المجالس السنيّة) للسيّد محسن العاملي رحمهما الله تعالى.

وانصرفت عن النوم أو ما يشبهه، وأنا لأوّل مرّة أسمع باسم الكتاب ومضيت إلى باعة الكتب، وابتعته وهو خمسة أجزاء في مجلدين موجود في مكتبتي الخاصّة، فأخذت أنقد الحوالة وبكلّ دقّة فأبتدأتُ من بداية الكتاب الأجزاء حتّى انتهيت إلى الجزء الخامس صفحة ٥٥٥ فإذا فيها اسم الشيخ البهائي، وفرّج عن همّي الّذي شغل فكري أو كاد، وكادت الحوالة تفوتني وهي: (مدائح المهدي عليه السلام واستنهاضه) [2] كالآتي فانظر واغتنم.

قال الشيخ بهاء الدين بن الحسين العاملي المعروف بالشيخ البهائي قدّس الله روحه وسمّاها وسيلة الفوز والأمان في مدح صاحب الزمان:

سرى البرق من نجد فهيّج تذكاري ... عهوداً بحزوى والعُذيب وذي قار

وهيّج من أشواقنا كلّ كامنٍ ... وأجّج في أحشائنا لاعج النار

ألا ياليَيلات الغوير وحاجز ... سُقيت بهام من بني المزن مدرار

---

(١) الشعراء: ٣٣.

(٢) هذا العنوان من نفس كتاب المجالس السنية بألفاظه فراجع.

ويـــا جـيرة بـالمازنين خـيامهم عـليكم سـلام الله مـن نـازح الدار
خـليليّ مـالي والزمـان كـأنّما يـطالبني فـي كـلّ وقت بـأوتار
فـأبعد أحـبابي وأخـلى مرابعي وأبـدلني مـن كـلّ صفو بـأكـدار
وعادل بي من كـان أقصى مرامـه من المجد أن يسمو إلى عُشر معشاري
مقامي بفرق الفرقدين فما الّذي يؤثّره مسعاه في خفض مقداري
وإنّي امرأً لا يُدرك الدهر غايتي ولا تصل الأيدي إلى سبر أغواري
أُعـاشر أبـناء الزمـان بـمقتضى عـقولهم كـي لا يـفوهوا بـإنكار
وأُظـهر أنّـي مـثلهم تستفزّني صـروف اللـيالي بـاحتلاء وإمـرار
ويُصمي فؤادي نـاهد الثدي كـاعب بـأسمر خـطّار وأحـور سـحّار
وإنّـي سـخيّ بـالدموع لوقـفة عـلى طـللٍ بـالٍ ودارس أحـجار
ومـا عـلموا أنّـي إمرأً لا يـروعني تـوالي الرزايـا فـي عشـيّ وإبكـار
وخـطبٌ يـزيل الروع أيسر وقعة كـؤود كـوخز بـالأسنّة سـعّار
تـلقّيته والحـتف دون لقـائه بـقلب وقـور فـي الهـزاهـز صبّار
ولم أبـده كـي لا يسـاء لوقـعه صديقي ويأسى من تعسّره جاري
ومـعضلة دهـماء لا يـهتدي لهـا طريق ولا يهدى إلى ضوئها الساري
تشيب النواصي دون حلّ رموزها ويحجم عن أغـوارهـا كـلّ مغوار
أجـلت جـياد الفكـر فـي حـلباتها ووجّـهت تـلقاها صـوائب أنـظاري
فأبرزت من مستورها كـلّ غـامض وثـقّفت مـنها كـلّ قسور سوّار
أ أضرع للبلوىٰ وأغضي على القذىٰ وأرضى بما يـرضى بـه كـل مـخوار
إذاً لا ورى زَنْـدي ولا عـزّ جـانبي ولا بزغت في قمّة المجد أقماري
ولا بـلّ كـفّي بـالسماح ولا سرت بطيب أحاديثي الركاب وأخباري
ولا انتشرت في الخافقين فضائلي ولا كان في المهدي رائق أشعاري

خـــليفة ربّ العـــالمين وظـــلّه ... على ساكـني الغبراء مـن كـلّ ديّـار
هو العـروة الوثـقى الذي مـن بـذيله ... تــمسّك لا يــخشى عــظائم أوزار
إمـــام هــدى لاذ الزمـــان بــظلّه ... وألقـــى إليـــه الدهــر مقود خـوّار
علوم الورى في جنب أبحر عـلمه ... كــغرفة كـفّ أو كـغمسة مـقنار
فـلو زار أفـلاطون أعـتاب قـدسه ... ولم يـعشه عــنها سـواطعي أنـوار
رأى حكـــمة قـــدسيّة لا يشــوبها ... شــواثب أنــظار وأدنــاس أفكــار
بـــإشراقــها كــلّ العــوالم أشـرقت ... لما لاح في الكونين من نوره الساري
إمام الورى طود النُهى مـنبع الهـدى ... وصــاحب ســرّ الله فـي هـذه الدار
ومــنه العـقول العشـر تـبغي كـمالها ... وليس عــليها فـي التـعلّم من عـار
هــمام لو السـبع الطـباق تـطابقت ... على نقض مايقضيه منحكمه الجاري
لنكّس مـن أبـراجـها كـلّ شـامخ ... وسكّـن مـن أفـلاكـها كـلّ دوّار
أيــا حـجّة الله الذي ليس جـارياً ... بـغير الذي يـرضاه سـابق أقـدار
ويــا مــن مـقاليد الزمـان بكـفّه ... وناهيك من مجدٍ بـه خـصّه البـاري
أغث حوزة الإسلام واعـمر ربـوعه ... فـلم يـبق مـنها غـير دارس آثـار
وأنــقذ كـتاب الله مــن يـد عـصبةٍ ... عــصوا وتـمادوا فـي عـتوّ وإصـرار
يــحيدون عــن آيــاته لروايــة ... رواها أبو شعيون عن كـعب الاحـبار
وفي الدين قد قاسوا وعاثوا وخـبّطوا ... بآرائــهم تـخبيط عشـواء معشار[1]
وأنعش قـلوباً فـي انـتظارك قـرّحت ... وأضـجرها الأعــداء أيّــة إضـجار
وخــلّص عـباد الله كـلّ غـاشم ... وطــهّر بــلاد الله مــن كـلّ كـفّار
وعــجّل فـداك العـالمون بـأسرهم ... وبادر على اسم الله مـن غـير إنـظار

(١) كذا في الأصل ولعلّه «معثار» من العثرة.

تـجد من جـنود الله خـير كـتائب ... وأكــرم أعــوان وأشـرف أنــصار
بهم مـن بـني هـمدان أخـلص فـتية ... يخوضون أغمار الوغـى غـير فكّـار
أيــا صــفوة الرحـمن دونك مـدحة ... كــدُرّ عــقودٍ فــي تـرائب أبكـار
يهنّى ابـن هـانٍ[1] إن أتـى بـنظيرها ... ويـعنو لهـا الطـائي مـن بـعد بشّـار
إليك البــهائي الحــقير يــزفّها ... كــقانيةٍ مــيّاسة القـدّ مِـعطار
تــغار إذا قــيست لطــافة نـظمها ... بــنفحة أزهــار ونســمة أسـحار
إذا ردّدت زادت قــبولا كــأنّــها ... أحــاديث نــجدٍ لا تـملّ بـتكرار[2]

وعن آخرها أتينا؛ لأنّها الجواب عن السؤال الآنف الذكر، وبالحوالة على كتاب المجالس السنيّة وما حوته القصيدة من ثناء الإمـام المـهديّ عليه السلام عـرفت الغـاية المتحققة اليوم به عجّل الله فرجه والتلازم بين المعرفة الصحيحة من طريق الإمـام المعصوم عليه السلام.

قال الفيض: في العلل عن الصادق عليه السلام قال: خـرج الحسين بـن عـليّ عليهما السلام على أصحابه. فقال: أيّها الناس إنّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلّا ليعرفوه، فـإذا عرفوه عبدوه، وإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه فقال له رجل: يا بن رسول الله بأبي أنت وأُمّي فما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الّذي تجب عليهم طاعته[3].

وما رواه الصفار بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: قال: أبى الله أن يُجري الأشياء إلاّ بالأسباب، فجعل لكلّ شيء سبباً، وجعل لكلّ سبب شرحاً، وجعل لكلّ شرح

---

(١) هو أبو نؤاس الحسن بن هاني الشاعر المشهور لا ابن هاني الأندلسي هـامش المـجالس السنيّة.
(٢) المجالس السنيّة ٢ : ٧٤٣ ـ ٧٤٧ ط، دار التعارف.
(٣) تفسير الصافي ٥: ٧٥ عند آية ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون﴾ الذاريات: ٥٦.

مفتاحاً، وجعل لكلّ مفتاح علماً، وجعل لكلّ علم باباً ناطقاً، من عرفه عرف الله ومن أنكره أنكر الله ذلك رسول الله ونحن[١].

وزيارة الجامعة الكبيرة منها، «من أراد الله بدأ بكم ومن وحّده قبل عنكم ومن قصده توجّه إليكم»[٢]. والجامعة الصغيرة منها «ومن عرفهم فقد عرف الله ومن جهلهم فقد جهل الله»[٣]. رَزقنا الله تعالى الثبات على الولاية وخيراتها وبركاتها في الدنيا والآخرة والشفاعة. والحشر مع محمّد وآل محمّد وأن يعجّل لإمامنا المهدي عليه السلام.

* * *

---

(١) بصائر الدرجات ١: ٢٦، أُصول الكافي ١: ١٨٣ ح ٧ مع اختلاف ما.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٨١، باب الزيارات.

(٣) روضة المتقين ٥: ٤٥٠.

باب الضاد

٢٣٢

ضع الرمّانة فيها لينكشف له جليّة الحال

جاء المختار في قصّة رمّانة وزير دولة البحرين وحلّ مشكلتها على يد الإمام المهديّ عليه السلام، وإليك صورتها برواية الشيخ الحرّ صاحب كتاب الوسائل، قال عند عدّ معجزات صاحب الزمان عليه السلام في كتابه إثبات الهداة:

ومنها ما أخبرني به بعض الأفاضل والثقات عمّن يثق به قال: لمّا كانت بلدة البحرين تحت ولاية الإفرنج جعلوا واليها رجلاً من المسلمين، وكان من النواصب وله وزير أشدّ نصباً منه، فلمّا كان في بعض الأيّام دخل على الوالي وفي يده رمّانة فأعطاها الوالي، فإذا فيها: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ خلفاء رسول الله، فتأمّل الوالي فرأى الكتابة من أصل الرمّانة وتعجّب من ذلك، وقال: هذه آية بيّنة على إبطال مذهب الرافضة، فأرسل إلى العلماء والأفاضل والسادات من أهل البحرين وأحضرهم وأراهم الرمّانة وأخبرهم بما رأى فيهم إن لم يجيبوا بجواب شافٍ من القتل والأسر وأخذ الأموال، أو أخذ الجزية، فتحيّروا وخافوا فقالوا: أمهلنا أيّها الأمير ثلاثة أيّام لعلّنا نأتيك بجواب ترتضيه، وإلاّ فاحكم فينا ما شئت، فأمهلهم فخرجوا واجتمعوا فاتّفق رأيهم أن يختاروا من زهّاد البحرين وصلحائهم عشرة، ففعلوا ثمّ اختاروا من العشرة ثلاثة، فقالوا لأحدهم: اخرج الليلة

إلى الصحراء واعبد الله فيها واستغث بإمام زماننا لعلّه يبيّن المخرج من هذه الداهية، فخرج وبات متعبّداً داعياً باكياً يدعو ويستغيث، حتّى أصبح ولم ير شيئاً. فبعثوا في الليلة الثانية الثاني منهم فرجع كصاحبه ولم يأت بخبر، فازداد قلقهم وجزعهم، فأخرجوا الثالث فخرج الليلة الثالثة، فدعا وبكى وتوسّل إلى الله واستغاث بصاحب الزمان عليه السلام، فلمّا كان آخر الليل إذا هو برجل يخاطبه ويقول: أنا صاحب الأمر فاذكر حاجتك، فقال: إن كنت هو فأنت تعلم قصّتي، فقال صلوات الله عليه: نعم خرجت لما دهمكم من أمر الرّمانة وما كتب عليها وما وعدكم الأمير به ثمّ قال: إنّ الوزير لعنه الله في داره شجرة رمّانٍ، فلمّا حملت تلك الشجرة صنع شيئا من الطين على هيئة الرمّانة، وجعلها نصفين وجعل في داخل كلّ نصف بعض تلك الكتابة، ثمّ وضعهما على الرمانة وشدّهما عليها وهي صغيرة فأثّر فيها وصارت هكذا.

ثمّ دلّه على مكانها في كيس أبيض في كوّة في غرفة في دار الوزير، وعرّفه كيف يأخذها، وقال: ضعها أمام الوالي، وضع الرمانة فيها، لينكشف له جليّة الحال، وقال: قل للوالي: إنّ لنا معجزة أُخرى وهي: إنّ الرمّانة ليس فيها إلاّ الرماد والدخان، وإن أردت صحة ذلك فأمر الوزير بكسرها، فإذا كسرها طار الرماد والدخان على وجهه ولحيته، فلمّا سمع ذلك من الإمام فرح فرحاً شديداً، وانصرف، فلمّا أصبحوا مضوا إلى الوالي وفعلوا كلّ ما أمر به الإمام عليه السلام، فظهر كلّ ما أخبره، فقال: من أخبرك بهذا؟ قال: إمام زماننا وحجّة الله علينا، فآمن الوالي وأقرّ بالأئمّة عليهم السلام إلى آخرهم، وأمر بقتل الوزير، والإحسان إلى أهل البحرين[1].

قد روى القصّة العلامة المجلسي وأنّ النسخة تختلف مع نسخة إثبات الهداة كثيراً، ومن باب المثال أنّ الحرّ لم يذكر اسم الثالث وفي البحار أنّ اسمه محمّد بن

---

(١) إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ٧: ٣٧٥ ـ ٣٧٦.

عيسى وكان رجلاً تقيّاً فاضلاً، وأنّه أمره الإمام عليه السلام بأن يقول للوالي: جئتك بالجواب ولكني لا أُبديه إلاّ في دار الوزير فإذا مضيتم إلى داره فانظر عن يمينك ترى فيها غرفة. فقل للوالي لا أُجيبك إلّا في تلك الغرفة، وسيأبىٰ الوزير عن ذلك، وأنت بالغ في ذلك ولا ترض إلّا بصعودها فإذا صعد فاصعد معه، ولا تتركه وحده يتقدّم عليك، فإذا دخلت الغرفة رأيت كوّة فيها كيس أبيض فانهض إليه وخذه فترى فيه تلك الطينة الّتي عملها لهذه الحيلة...[1].

ولا أدري ماذا تقول الشيعة وماذا يكون العذر لديهم إذا اجتمعوا مع إمام زمانهم عليه السلام وقد مرّت عليهم من أعظم الدواهي، والحوادث الّتي راحت النفوس ضحايا وقد هتكت الأعراض وهدمت الدور وقال لهم: لم لا تستغيثون بي كما استغاث محمّد بن عيسى ومن حذا حذوه ودعاني فأغثته بإذن الله تعالى وأنا الغوث؟؟ لا غوث إلّا غوثك، ولا نجاة إلّا نجاتك. لولا نجاتك لكنّا هلكىٰ، ولو لا إنقاذك لكنّا غرقىٰ وهلكىٰ.

* * *

---

(١) البحار ٥٢: ١٧٨ ـ ١٨٠، انظره عن آخره.

٢٣٣

ضعيفك ضعيفك فرّج غمّته

من دعاء العبرات الّذي علّمه الإمام المهديّ عليه السلام السيّد محمّد بن محمّد الآوي وله قصّة تقدّم بيانها عند المختار: «انظره تجده»[١].

وللدعاء نسختان صرّح بهما الشيخ النوري طاب ثراه بعد كلام العلّامة المجلسي الّذي ذكرناه عند كلمة «انظره تجده»[٢] والعمدة نسخة السيّد الآتي ذكره.

قال السيّد ابن طاووس: «و من ذلك ما حدّثني به صديقي والمواخي لي محمّد ابن محمّد القاضي الآوي ضاعف الله جلّ جلاله سعادته، وشرّف خاتمته، وذكر له حديثاً عجيباً وسبباً غريباً وهو: أنّه كان قد حدثت له حادثة، فوجد هذا الدعاء في أوراق لم يجعله فيما بين كُتُبه، فنسخ منه نسخة فلمّا أنسخه فقد الأصل الذي كان قد وجده.

رأيت هذا الدعاء في نسخة عتيقة قد أصاب بعضها بلل وفيه زيادة ونقصان أحضرها ابن الوزير الورّاق، وذكر أنّه اشتراها لولد محمّد المُقري الأعرج بدرهم ونصف، ويمكن أن يكون هذا الدعاء موجوداً في الكتب، وما كان أخي الرضا الآوي يعرف موضعه، فأنعم الله جلّ جلاله عليه بتعريفه كما ذكرناه عنه رحمه الله ويسمّى دعاء

---

(١) رقمه ١٠٠.

(٢) البحار ٥٣: ٢٢٢ من جنّة المأوى المطبوع مع البحار، فلا تغفل، وقد سبق منّا التوضيح حول الموضوع.

العبرات... وهو: «اللّهمّ إنّي أسألك يا راحم العبرات، ويا كاشف الكربات...»[١] وراح السيّد طاب ثراه يذكر الدعاء عن آخره، ثمّ بعده نسخته الأُخرى وإليك ربط المختار بما في النسختين من نفس الدعاء إلى أن قال: «إلهي عبدك عبدك أجب دعوته، وضعيفك ضعيفك فرّج غمّته، فقد انقطع به كلّ حبل إلّا حبلك، وتقلّص عنه كلّ ظلّ إلّا ظلّك...»[٢].

لو كان لنا المجال لذكرنا الدعاء عن آخره ولشرحنا كلماته المشتملة على تمثيلات واستعارات عجيبة تلفت فكرة الأديب الأريب، ولكن كما ذكرنا أنّ من الجدير إفراد كتاب خاص لها حتّى يتاح للجميع تناولها والاطّلاع على ما تضمّن من أسرار، وما يترك في النفس من آثار.

قوله: «ضعيفك ضعيفك فرّج غمّته» فيه إشارة إلى أنّ الضعف تلازمه الغمّة الّتي لا تزال إلّا بالتفريج، والكربة المفتقرة إلى الكشف؛ وقد قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً﴾[٣]

أي من نطفة وهي أضعف شيء، أو ضعفاء تؤلمكم البقّة، وتدميكم الشوكة، وتصرعكم العثرة، أو أيّة حادثة أو وقعة. لا يتخلّص أحدٌ إلّا من بعد إذنه تعالى وحتّى إذا شاء وإذا لم يشأ لم يكن.

* * *

---

(١) مهج الدعوات: ٣٣٨ ـ ٣٤٢.

(٢) المصدر: ٣٤١ و٣٤٤.

(٣) الروم: ٥٤.

٢٣٤
الضيعة لا يجوز ابتياعها إلّا من مالكها

من جوابات الإمام المهديّ عليه السلام عن كتاب آخر لمحمّد بن عبد الله الحميري، وقد تقدّم بعضها عند «جائز أن يتّزر الإنسان كيف شاء...»[١]، وعند «السجدة دعاء وتسبيح»[٢]، ولربط المختار ما صورته سؤالاً وجواباً برواية الطبرسي:

وسأل أنّ لبعض إخواننا ممّن نعرفه ضيعة جديدة بجنب خراب للسلطان فيها حصّة وأكرته[٣] ربّما زرعوا حدودها وتؤذيهم عمّال السلطان ويتعرّضون في الأكل[٤] من غلّات ضيعته، وليس لها قيمة لخرابها وإنّما هي بائرة منذ عشرين سنة وهو يتحرّج من شرائها؛ لأنّه يقال: إنّ هذه الحصّة من هذه الضيعة كانت قبضت عن الوقف قديماً للسلطان، فإن جاز شراؤها من السلطان[٥] كان ذلك صلاحاً له وعمارة لضيعته، وإنّه يزرع هذه الحصّة من القرية البائرة لفضل ماء ضيعته العامرة، وينحسم عنه طمع أولياء السلطان، وإن لم يجز ذلك عمل بما تأمره به إن شاء الله تعالى؟.

فأجاب: «الضيعة لا يجوز ابتياعها إلّا من مالكها أو بأمره أو رضاء منه»[٦].

وسند عدم الجواز قوله الآخر عليه السلام: «لا يحلّ لأحد أن يتصرّف في مال غيره

---

(١) رقمه ١٥٧.
(٢) رقمه ٢٠٤.
(٣) جمع أكّار بالتشديد.
(٤) في الأصل «الكل».
(٥) في الأصل «وكان» فيبقى الشرط بلا جزاء ونسخة البحار لا غبار عليها فراجع.
(٦) الاحتجاج ٢: ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

بغير إذنه»[١] وحديث «الناس مسلّطون على أموالهم»[٢] ومن آثار سلطنته عدم جواز تصرّف الغير فيها إلّا من بعد إذنه، وإلّا يلزم الظلم المحرّم شرعاً وعقلاً، ولا يرضى الله ذلك لعباده ولو كان بقدر مثقال ذرّة. فالمتصرّف ضامن و«على اليد ما أخذت حتّى تؤديه»[٣] وهو من المسائل الفقهية فلينظر المظانّ. منها كتاب جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام للمحقّق الحلّي قال في الغصب: «الاشتغال بإثبات اليد على مال الغير عدواناً».

قال الشارح ﷺ: الّذي يحضرني من استعمال لفظ الغصب في الكتاب والسنّة قوله تعالى: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾[٤] وقول الصادق عليه السلام في خبر أبي ولّاد في شأن البغل الّذي استأجره حيث قال: عليه علفه؟ قال: «لا؛ لأنّك غاصبٌ» وقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «إذا اغتصب أمة فافتضّت فعليه عُشر قيمتها»[٥]. يأتي الكلام حول الغصب عند التوقيع المنسوب إلى الإمام المهدي عليه السلام: «الغاصب يؤخذ بأشدّ الاحوال»[٦] مثلاً إذا غَصَب حجراً وبنى عليه بناءً، وطلب المغصوب منه نفس الحَجَر وجب على الغاصِب ردّه وإن تضرّر بهدم البناء وقد مَثَّلَ الفقهاء بغصب لوح وجَعْلَه في ألواح السفينة وطلب المالك لوحه يجب على الغاصب ردّه وإن تضرّر بكسر السفينة. وإذا امتنع ألزمه الحاكم بردّ ما اغتصبه وحتّى المنافع والنماء المتّصل والمنفصل؛ كلّ ذلك عقوبة عليه ويضمن كلّ شيء فوّت على المالك بقاعدة الضمان وقاعدة اليد المتّفق عليها قولاً واحداً و من أكل مالاً بالباطل المصرّح به في الكتاب العزيز ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن

---

(١) الوسائل ١٧: ٣٠٩، الباب ١ من أبواب الغصب، ح ٤. (٢) عوالي اللآلي ١: ٢٢٢ ح ٦٩.
(٣) كنز العمال ١٠: ٣٦٠ ح ٢٩٨١١. (٤) الكهف: ٧٩.
(٥) الوسائل ١٧: ٣١٣، الباب ٧ من كتاب الغصب، ح ١، الوسائل ١٤: ٥٨٧ الباب ٨٢ من أبواب نكاح العبيد والإماء، ح ١، فليراجع. (٦) شرح اللمعة ١٠: ١٣٨.

تَراضٍ﴾ [١] و﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [٢] وترى الحكم السماوي بتحريم أكل المال بالباطل لا فرق بين الفِرق والأديان الإسلام واليهود والنصارى؛ فإن الأُولى تخصّ المؤمنين المصرّح بهم والثانية بأُولئك ومن باب الأهمّيّة في المنع ترى التصريح بكلمة (أموال الناس) فإن دلّ على شيء ففيها الدالّة على تمام الاهتمام في هذا الأمر في الشرائع السماويّة وكيف كان فقد بان وجه المنع وعدم الجواز الضيعة إلّا من مالكها فحسب، وإنّ الإمام عليه السلام كما في التوقيع الشريف عمّا سأله السائل من جزئيّات المسائل الّتي تخصّ الضيعة المذكورة، وأموال الناس موضع اهتمام الشارع المقدّس وشدّة المنع عن التصرّف من أيّ شخص كائناً من كان من سوقة أو سلطان.

* * *

(١) النساء: ٢٩، وأمّا الأحاديث فحدّث ولا حرج موسوعة أمثال العرب ٣: ٥٤٣: حدّث عن معنٍ ولا حرج.
(٢) النساء: ١٦١.

باب الطاء

٢٣٥

طالبهم واستقض عليهم

كلمة الإمام المهديّ عليه السلام قد قالها في جواب كتاب محمّد بن صالح كـتبه إلى الناحية المقدّسة وإليك ما رواه الشيخ الكليني طاب ثراه قال: عليّ بن محمّد عـن محمّد بن صالح قال: لمّا مات أبي وصار الأمر لي، كان لأبي على الناس سفاتج من مال الغريم[١] فكتبت إليه أُعلمه، فكتب:

«طالبهم واستقض عليهم»، فقضاني الناس إلّا رجل واحد كانت عليه سفتجة بأربعمائة دينار، فجئت إليه أُطالبه فماطلني واستخفّ بي ابنه وسفه عليّ، فشكوت إلى أبيه، فقال: وكان ماذا؟ فقبضت على لحيته، وأخذت برجله وسحبته إلى وسط الدار، وركلته ركلاً كثيراً[٢]، فخرج ابنه يستغيث بأهل بغداد ويقول: قميّ رافضيّ قد قتل والدي، فاجتمع عليّ منهم الخلق، فركبت دابّتي، وقلت: أحسنتم يا أهل بغداد

---

(١) سفاتج جمع السُفتجة بالضمّ وهي: أن تعطي مالاً لرجل فيعطيك خطّاً يمكنك من استرداد ذلك المال من عميل له في مكان آخر. انظر هامش أُصول الكافي ١: ٥٢١. وباللغة الفارسيّة: «سفته» وفي علوي: «لا بأس بأن يأخذ الرجل الدراهم بمكّة ويكتب لهم سفاتج. أن يعطوها بالكوفة»، الوسائل ١٢: ٤٨١، الباب ١٤ من أبواب الصرف، ح ٣. والغريم الصـاحب عليه السلام وهذا رمز كانت الشيعة تعرفه قديما بينها ويكون خطابها عليه عليه السلام للتقيّة. إرشاد المفيد: طبعة آل البيت عليهم السلام ج ٢: ٣٦٢، انظر الهوامش ؛ فإنّ فيها مصادر جمّة.

(٢) السحب الجرّ. والركل: ضرب الرجل بالرجل.

تميلون مع الظالم على الغريب المظلوم، أنا رجل من أهل همدان من أهل السنّة وهذا ينسبني إلى أهل قم والرفض ليذهب بحقّي ومالي.قال: فمالوا عليه وأرادوا أن يدخلوا على حانوته حتّى سكنتهم، وطلب إليَّ صاحب السفتجة وحلف بالطلاق أن يوفّيني مالي حتّى أخرجتهم عنه[١].

محمّد بن صالح من هو؟

قال السيّد الأُستاذ: محمّد بن صالح بن محمّد الهمداني الدهقان من أصحاب العسكري عليه السلام وكيل ـ نقلاً من العلّامة مع تغيير مّا للفظه ـ[٢].

وقد روى بإسناده إلى محمّد بن أبي عبد الله الكوفي أنّه ذكر عدد من انتهى إليه ممّن وقف على معجزات صاحب الزمان عليه السلام ورآه من الوكلاء: ببغداد: العَمري وابنه، وحاجز، والبلالي، والعطّار.

ومن الكوفة: العاصمي.

ومن أهل الأهواز: محمّد بن إبراهيم بن مهزيار.

ومن أهل قم: أحمد بن إسحاق.

ومن همدان: محمّد بن صالح، المتقدّم ما في المعجم ترجمته فلاحظ.

ومن أهل الري: البسّامي والأسدي ـ يعني نفسه ـ.

ومن أهل آذربيجان: القاسم بن العلاء.

ومن أهل نيسابور: محمّد بن شاذان[٣].

فالمستفاد من هذا الكلام أنّ محمّد بن صالح كان من الوكلاء المشاهدين له عليه السلام.

---

(١) أُصول الكافي ١: ٥٢١ ـ ٥٢٢.

(٢) معجم رجال الحديث ١٦: ٢٠٤ ـ ٢٠٥، الرقم ١٠٩٧٢.

(٣) إكمال الدين ٢: ٤٤٢، الباب ٤٣ ح ١٦.

ثمّ المترجم له قد روى روايات: منها: ما تقدّمت عند المختار «أنتم القرى الظاهرة»[١]؛ إنّ الوكلاء الممدوحين بعد الأربعة النوّاب جماعة: كثرة منهم رأى الإمام عليه السلام وطرح مسائل شرعيّة وفاز بالجواب. ومنهم من يراه إلّا أنّه صدر في حقّه التوقيع المشتمل على الجواب عن مسائله. ومنهم الّذين بواسطة النوّاب الأربعة الّذين نوّهنا باسمائهم عند مفتتح الكتاب الّذي بحضرتك ولا أقول إنّي قمت بالواجب عليّ من ذكر الترجمة لأُولئك هذا حال الممدوحين.

أمّا المذمومين فقد تعرضنا لهم بصورة موجزة منهم الشريعي، والنميري، والهلالي، والبلالي، والدهقان ومن لفّ لفّهم مثل الحلّاج وغيره فإنّا قد أودعنا الكتاب بصورة موجزة أو بعض التفاصيل.

وليعلم أنّ في كلّ دور لعلمك تسمع من يدعي الرؤية أو السماع أو في المنام ولعلّه الأكثر أو المكاشفة أو غير ذلك ممّا لا يحصى كثرة وكما قيل:

وكلّ يدعي وصلاً بليلىٰ   وليلىٰ لا تقرّ لهم بذاكا[٢]

* * *

---

(١) راجع رقمه ٩٦، فإنّ فيه ما يزيدك وضوحاً.

(٢) أمثال وحكم علي أكبر دهخدا ج ٤: ١٨٩٣.

٢٣٦
طلب المعارف من غيرنا أهل البيت مساوق لإنكارنا

كلمة نسبها الشيخ الميرزا المهدي الأصفهاني المتوفّى ١٣٦٥ هـ إلى الإمام المهديّ عليه السلام لقصّة حدثت له في سفرته إلى النجف الأشرف وحاصل القصّة:

إنّ الشيخ كان مولعاً بعلم الفلسفة اليونانيّة والحكمة المتداولة بين أربابها، والعرفان الذي عند العرفاء، وقد صرف مدّة عشرين سنة في سبيل الحصول على هذه المعلومات حتّى صار شاخصاً يشار إليه بالبنان، وقد استحكمت قواعدها فيه وأصبح ذا نظر ورأي، وكان يرى أنّ حقيقة العلم هي الحكمة والعرفان والفلسفة المتداولة، وفي سفرته من خراسان إلى العراق وإلى النجف الأشرف في أواخر مكثه هناك، بعد التوسل إلى الله وجعل أمير المؤمنين عليه السلام شفيعا إليه، هداه الله إلى الحقّ الّذي لا معدل عنه، وهو طريقة أهل البيت وأخذ المعارف عنهم عليهم السلام لا بالأفكار اليونانيّة ولا الفلسفة ولا ما يسمّونه بالعرفان ووحدة الوجود وأنّ الكلّ بالكلّ هو الله تعالى عمّا يقولون، ومنهم عامر بن العامر البصري.

قال الأصفهاني في كتابه أبواب الهدى نقلاً عن الرجل المذكور في مفتتح قصيدته التي سمّاها ذات الأنوار في معنى الوحدة الصرفة:

إنّ ذلك ليس بحلول كما ظنّه بعض المتوهّمين، وذلك؛ لأنّ الحلول يقتضي وجود شيئين أحدهما حالّ والثاني محلّ، وليس الأمر كذلك عند فحول المتوحّدين،

بل عندهم أنّ الواحد المطلق من كلّ الوجوه لا يبقى سواه وهو ظاهر بالكلّ للكلّ ولكلّ فرد من أفراد كثرته الداخلة في حقيقة وحدته نصيب من عين تلك الوحدة ولا خروج له عنها ولا انعدام يطرو على شيء، ثمّ افتتح القصيدة إلى أن قال:

بدا ظاهراً بالكلّ للكلّ بـيّناً ... فشاهَدَهُ العينان في كلّ ذرّة

إلى أن قال:

هو الواحـد الفـرد الكـثير بـنفسه ... وليس سـواه إن نـظرتَ بـدقّةٍ

إلى أن قال... : لك الكلّ يا من لا سواك فمن رأى[١]. وما أقول فيما سطر أنت الخبير فقل أو دع.

والأصفهاني ببركة علوم أهل البيت عليهم السلام انكشف له فساد قولهم بوحدة الوجود والموجود بأنّ الوجود وما فيه إنّما هو آياته تعالى لا حقيقة، كما صرّح بهذا الأمر في نفس الكتاب حيث قال رحمه الله: وهذا الوجود ليس بربّ العزّة[٢].

وحصيلته: أنّ علماء الحكمة اليونانيّة زعموا أنّ الأشياء هي حقيقة الربّ تعالى، مع أنّ الوجود برمّته فعله ومن الكواشف وآياته، والوجود بذاته من أكبر الشواهد لربّ العزّة جلّ جلاله وكيف تكون الأشياء هي الله تعالى ولا تنفكّ عنها التغيّرات والحالات المتضادة من الفناء والبقاء والزيادة والنقصان والفعل والانفعال وعروض العوارض التي لا يسلم منها شيء كائناً ما كان، والربّ تعالى لا يكون معرضاً لها ولا تجري عليه صفات المخلوقين، وإن من شيء مرئيّ وغير مرئيّ إلّا وهو مخلوق له، والله وراء ذلك وفوق ذلك وعالم بذلك وكلّ ذلك دليل عليه وفي فناء الأشـياء وما في الوجود دليل على بقاء خالقها، وفقرها على غناه، ونقصها على كماله، هذا ما فهمنا من كلامه رحمه الله تعالى.

---

(١) أبواب الهدى: ١٠٠ ـ ١٠١.

(٢) المصدر نفسه: ٨٩ ـ ٩١.

ولنعد إلى قصّته قال ﷺ: إنّي كنت في بعض تضرعاتي إلى الله وتوسّلي ببقيّة الله عجّل الله فرجه وأنا عند قبر هود وصالح الكائن في وادي السلام في النجف رأيت الحجّةعليه السلام في اليقظة وهو قائم وعلى صدره الشريف ورقة قرطاس مذهّبة الأطراف، ونظرت إلى وسط الورقة وإذا بخطّ أخضر مكتوب من نور: «طلب المعارف من غيرنا أهل البيت مساوقٌ لإنكارنا» و توقيع تحت الكتابة بخطٍّ أنعم من خطّها: «وقد أقامني الله وأنا الحجّة ابن الحسن».

فأحسست من ساعتي بالنور في قلبي وانشراح صدري وضوء ذهني بشكل قد بان لي فساد قواعد الفلسفة والعرفان وخلافها لدين الإسلام بعين العيان، وذهب الريب عني بأنّها ضدّ المعارف الإسلامية[1].

وهو كذلك إن زعموا وحدة الذات الربوبيّة معها وأرى من المناسب ذكر حديث صادقيّ يضمن العلم الصحيح وأدبه الرفيع وهو من غرر الأحاديث الجدير بمن يربط نفسه بوليّ الله وحجّته الإمام المهديّ عليه السلام؛ وقلّ من يتخلّق بخلقه، ويتأدّب بأدبه.

روى العلّامة المجلسي طاب ثراه نقلاً عن كفاية الأثر عن عليّ بن الحسين، عن هارون بن موسى، عن محمّد بن همام، عن الحميري، عن عمر بن عليّ العبدي، عن داود بن كثير الرقي، عن يونس بن ظبيان، قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام، فقلت: يا ابن رسول الله إنّي دخلت على مالك وأصحابه وعنده جماعة يتكلّمون في الله، فسمعت بعضهم يقول: إنّ لله وجهاً كالوجوه. وبعضهم يقول: هو كالشابّ من أبناء ثلاثين سنة! فما عندك في هذا يا ابن رسول الله؟! قال: وكان متّكئاً فاستوى جالساً وقال: «اللّهمّ عفوك عفوك»، ثمّ قال: «يا يونس من زعم أنّ لله وجهاً

---

(١) أبواب الهدى: ٤٦ ـ ٤٧، بغد التعريب. والكلمة المختارة موجودة في كتيبة من كتيبات مسجد جمكران في خارج بلدة قم المقدسة في الجانب الغربي من جدار بناء المسجد يراها المتواجد في رحبته الخارجيّة على ما رأيت في السنين الماضية والله العالم.

كالوجوه فقد أشرك. ومن زعم أنّ لله جوارح كجوارح المخلوقين فهو كافر بالله، ولا تقبلوا شهادته، ولا تأكلوا ذبيحته، تعالى الله عمّا يصفه المشبّهون بصفة المخلوقين، فوجه الله أنبياؤه وأولياؤه و قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ﴾[(١)] فاليد القدرة، كقوله: ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾[(٢)]. فمن زعم أنّ الله في شيء أو على شيءٍ، أو يحول من شيءٍ إلى شيء، أو يخلو منه شيءٌ، أو يشغل به شيءٌ فقد وصفه بصفة المخلوقين والله خالق كلّ شيءٍ لا يقاس، ولا يشبّه بالناس، لا يخلو منه مكان، ولا يشغل به مكان، قريب في بعده بعيد في قربه، ذلك الله ربّنا لا إله غيره، فمن أراد الله وأحبه ووصفه بهذه الصفة[(٣)] فهو من الموحّدين، ومن أحبّه ووصفه بغير هذه فالله منه بريء ونحن منه برآء!».

ثمّ قال ﷺ: «إنّ أُولي الألباب الذين عملوا بالفكرة حتّى ورثوا منه حبّ الله، فإن حبّ الله إذا ورثه القلب واستضاء به أسرع إليه اللطف، فإذا نزل [منزلة] اللطف صار من أهل الفوائد، فإذا صار من أهل الفوائد تكلّم بالحكمة فصار صاحب فطنة[(٤)] فإذا نزل منزلة الفطنة عمل في القدرة، فإذا عمل في القدرة عرف الأطباق السبعة، فإذا بلغ هذه المنزلة صار يتقلّب في فكره بلطف وحكمة وبيان، فإذا بلغ هذه المنزلة جعل شهوته ومحبّته في خالقه، فإذا فعل ذلك نزل المنزلة الكبرى فعاين ربّه في قلبه وورث الحكمة بغير ما ورثه الحكماء، وورث العلم بغير ما ورثه العلماء، وورث الصدق بغير ما ورثه الصدّيقون؛ إنّ الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت، وإنّ العلماء ورثوا العلم بالطلب، وإنّ الصدّيقين ورثوا الصدق بالخشوع وطول

---

(١) ص: ٧٥، جزء آية هي: ﴿قال: يا إبليس ما منعك أن تسجد لما...﴾.
(٢) الأنفال: ٢٦.
(٣) قال المعلّق على البحار في المصدر: «فمن أراد الله وأحبّه بهذه الصفة» هامش البحار ٣٦: ٤٠٣.
(٤) قال المعلّق في المصدر: «فإذا تكلّم بالحكمة صار صاحب فطنة» البحار ٣٦: ٤٠٤.

العبادة، فمن أخذه بهذه السيرة إمّا أن يسفل وإمّا أن يرفع، وأكثرهم الّذي يسفل ولا يرفع؛ إذ لم يرع حقّ الله ولم يعمل بما أمر به، فهذه صفة من لم يعرف الله حقّ معرفته ولم يحبّه حقّ محبّته، فلا يغرنّك صلاتهم وصيامهم ورواياتهم وعلومهم فإنّهم ﴿حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾[١].

ثمّ قال: يا يونس إذا أردت العلم الصحيح فعندنا أهل البيت، فإنّا ورثناه وأُوتينا شرع الحكمة وفصل الخطاب! فقلت: يا ابن رسول الله وكلّ من كان من أهل البيت ورث كما ورثتم من كان من ولد عليّ وفاطمة عليهما السلام؟! فقال: ما ورثه إلّا الأئمّة الاثنا عشر، قلت: سمّهم لي يا ابن رسول الله؟! قال: أوّلهم عليّ بن أبي طالب وبعده الحسن والحسين، وبعده عليّ بن الحسين، وبعده محمّد بن عليّ الباقر، ثمّ أنا، وبعدي موسى ولدي، وبعد موسى عليّ ابنه، وبعد عليّ محمّد ابنه، وبعد محمّد عليّ ابنه، وبعد عليّ الحسن ابنه، وبعد الحسن الحجّة صلوات الله عليهم، اصطفانا الله وطهّرنا وآتانا ما لم يؤت أحداً من العالمين.

ثمّ قلت: يا ابن رسول الله إنّ عبد الله بن سعد دخل عليك بالأمس فسألك عمّا سألتك، فأجبته بخلاف هذا فقال: يا يونس كلّ امرئ وما يحتمله[٢] ولكلّ وقت حديثه[٣] وإنّك لأهل لما سألت، فاكتمه إلّا عن أهله والسلام[٤].

وفي حديث آخر رواه أيضا العلّامة المجلسي رحمه الله بسنده إلى شعيب العقرقوفي هو نفس الحديث إلّا أنّه يقول شعيب عند قوله ليونس: إذا أردت العلم الصحيح

---

(١) المدّثر: ٥٠.

(٢) هذا مثل سائر نظير: «كلّ طائر يصيد قدره» المستقصى ٢: ٢٢٨. و«كلّ يأتي ما هو له أهل» مجمع الأمثال ٢: ١٥٩، موسوعة أمثال العرب ٤: ٦١٠، ٦١٧.

(٣) مثل قولهم: «لأمر ما قيل: دع الكلام للجواب» مجمع الأمثال ٢: ٢٥٨، و «لكلّ مقام مقال» المستقصى ٢: ٢٩٣، مجمع الأمثال ٢: ١٤٨ موسوعة أمثال العرب ٥: ١٨٧.

(٤) البحار ٣٦: ٤٠٣ ـ ٤٠٥، الباب ٤٦ في نصوص الصادق على الأئمّة عليهم السلام ح ١٥.

فعندنا، فنحن أهل الذكر الذي قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوٓاْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

وللمجلسي طاب ثراه حول الحديث بيان إن شئت نظرت[٢] ونرى أيضاً لأجل علقة الكلام حول معرفة الله تعالى الّتي هي من أرفع المعارف المذكورة في كلمة «طلب المعارف من غيرنا أهل البيت مساوق لإنكارنا» المهدويّة أن أذكر حديث أبي‌الحسن عليه‌السلام وبه ختام هذا المختار، رواه الشيخ الصدوق رحمه‌الله قال: حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي‌الله‌عنه قال: حدّثنا محمّد بن يحيى العطّار، قال: حدّثنا محمّد بن أحمد قال: حدّثنا محمّد بن عيسى عن هشام بن إبراهيم قال: قال العبّاسي: قلت له ـ يعني أبا الحسن عليه‌السلام ـ جعلت فداك أمرني بعض مواليك أن أسألك عن مسألة: قال: ومن هو؟ قلت: الحسن بن سهل، قال: في أيّ شيء المسألة؟ قال: قلت في التوحيد، قال: وأيّ شيء من التوحيد؟ قال: يسألك عن الله جسم، أو لا جسم؟ قال: فقال لي: إنّ للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب: مذهب إثبات بتشبيه، ومذهب النفي، ومذهب إثبات بلا تشبيه. فمذهب الإثبات بتشبيه لا يجوز، ومذهب النفي لا يجوز، والطريق في المذهب الثالث إثبات بلا تشبيه[٣].

أقول: التنزيه المطلق هو عدم التشبيه الذي لا معدل عنه، وكلّ ما جاء في القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت عليهم‌السلام بهذا الصدد ليس إلّا بيان التقديس المطلق المقصود به صفات الجلال، وهكذا الأذكار المصدّرة بالتسبيح والتقديس، نعم، هناك أذكار تدلّ على صفة الجمال، ويراد من الجمال والجلال الكمال المطلق، ولا بأس بالقول عن صفات الجلال بالنعوت السلبيّة، وعن الجمال بالثبوتيّة وعن الكلّ

---

(١) النحل: ٤٣، والأنبياء: ٧. (٢) البحار ٣٦: ٤٠٥.

(٣) التوحيد: ١٠٠ ـ ١٠١. للحديث شرح جاء بعضه في أبواب الهدى: ٩٤ ـ ٩٥. ونرجو منه تعالى أن يهب لنا توحيده الخالص آمين.

بالكماليّة كما هو مصطلح عرف المتكلّمين.

* عباراتنا شتّى وحسنك واحد *

* وكلّ إلى ذاك الجمال يشير [١] *

وكلّ الأسماء الحسنى الّتي جاء ذكرها في الكتاب العزيز والروايات والأدعية ومنها الألف من الأسماء المذكورة في دعاء الجوشن الكبير [٢] و غيرها تنصّ على الكمال وتنزيه الذات الربوبيّة عمّا يلحق المخلوق، وكلّ وصف فيه أدنى دلالة على فقد أو على ما لا يليق بساحة الربّ تعالى من تشبيه وغيره ممّا يشعر بالحاجة والنقص فالربّ منزّه عنه.

ثمّ كلّ ما جاء من رسله وكتبه المنزلة عليهم ولا سيّما القرآن الكريم المنزل على رسول الله والحافظون لشريعته الغرّاء الاثنا عشر الأئمّة النجباء صلوات الله عليهم أجمعين فيه التوحيد والعلم الصحيح، فلا يؤخذ إلّا عنهم، ولا تشدّ الرحال إلّا إليهم ولنعم من قال:

إليهم وإلّا لا تشدّ الركائب ... ومنهم وإلّا لا تصحّ المواهب

وفيهم وإلّا فالحديث مزخرف ... وعنهم وإلّا فالمحدّث كاذب [٣]

*

نور النبوّة والإمامة فيهُمُ ... فالعلم لا يؤخذ إلّا عنهُمُ

لا عن سواهم؛ لأنّ العلم الصحيح عندهم كما تقدّم ومنه تعلم صحّة الكلمة المختارة «طلب المعارف من غيرنا أهل البيت مساوق لإنكارنا»، وأنّها الحقّ المؤيدة بالباقري: «كلّ ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل» [٤].

---

(١) أمثال وحكم ٢: ١٠٨٩. (٢) البحار ٩٤: ٣٨٩.

(٣) أشعّة من بلاغة الإمام الصادق عليه السلام: ٣، للشيخ عبد الرسول الواعظي المتوفّى ١٣٨٦ هـ رحمه الله تعالى أخوه اليوم حيّ يرزق حفظه الله.

(٤) الوسائل ١٨: ٥٠ الباب ٧ في وجوب الرجوع في جميع الأحكام إليهم عليهم السلام ح ٣٤.

٢٣٧
طوائف عن الإسلام مرّاق

كلمة منتزعة عن كتاب الإمام المهديّ عليه السلام الأوّل للشيخ المفيد طاب ثراه، وقد اخترنا منه كلمات أُخرى أيضاً ذكرناها بشكل موزّع، منها عند «أدام الله إعزازه»[١]، و«أدام الله توفيقك»[٢] وغيرهما، وانظره بكامله عند «اعتصموا بالتقيّة»[٣]. ولربط المختار ما يلي من الكتاب:

«ستظهر لكم من السماء آية جليّة ومن الأرض مثلها بالسويّة، ويحدث في أرض المشرق ما يُحزن ويُقلق، ويغلب من بعدُ على العراق طوائف عن الإسلام مرّاق، تضيق بسوء فعالهم على أهله، ثمّ تنفرج الغمّة من بعدُ ببوار طاغوت من الأشرار...»[٤].

ما هذه الآية الجليّة السماويّة؟ وما الحادث في أرض المشرق الّذي يُحزن الناس ويُقلقهم؟ و من هم الطوائف المارقة عن الإسلام المتغلّبة على أرض العراق المتسبّبة لضيق الأرزاق؟.

والجواب أنّ الحوادث الثلاثة المذكورة حسب إخبار الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه قد تحقّقت في الشهر المذكور من تلك السنة: ـ أي في جمادى الأُولى ـ

---

(١) رقمه ٢٨. (٢) رقمه ٢٩. (٣) رقمه ٥٤.

(٤) الاحتجاج ٢: ٣٢٣، التوقيعات المقدّسة، البحار ٥٣: ١٧٥ ـ ١٧٦.

وهو الشهر الخامس من شهور سنة[1] ٤١٠ هـ تاريخ صدور التوقيع عن الناحية المقدّسة الكتاب الأوّل للشيخ المفيد رحمه الله.

وقد تصدّى بعض السادة الأجلّة للتوجيه ـ قال حفظه الله ـ بعد كلمة «ستظهر لكم من السماء آية جليّة، ومن الأرض مثلها بالسوية...»:

مع كلّ الأسف أنّ التأريخ أهمل ذكر الحوادث التي حدثت في تلك السنة. ونجد في كتب التأريخ حوادث لا تتّفق مع تلك السنة تأريخيّاً؛ لأنّ تأريخ هذه الرسالة سنة ٤١٠ هـ. وقد حدثت حوادث في سنين متأخّرة عن تأريخ هذه الرسالة، ولا ينطبق عليها إخبار الإمام المهديّ عليه السلام، مثلاً: «ستظهر لكم من السماء آية جليّة...».

الآية السماويّة الّتي حدثت هو سقوط كوكب (أي قذيفة منفصلة عن الكواكب) عظيم، استنارت منه الأرض، وسمع له دويّ عظيم، ولكن كان ذلك في سنة ٤١٧ هـ. وحدث مثل هذا الحدث سنة ٤٠١ هـ. وارتفع ماء دجلة ـ بسبب الفيضان ـ مقدار إحدى وعشرين ذراعاً، وغرق جانب كبير من بغداد وأراضي العراق.

فمن المستبعد جدّاً أن يأمر الإمام عليه السلام شيعته بأن يعتبروا بما يحدث في شهر جمادى الأُولى من تلك السنة من الحوادث من ظهور آية سماويّة ومن الأرض مثلها بالسويّة ثمّ تحدث الحوادث بعد سبع سنوات!.

ولا محيص لنا من أن نقول: إنّ حوادث سماويّة وأرضيّة حدثت في تلك السنة ولكن التأريخ أهمل ذكرها، أو لم يصل إلينا خبرها بسبب تطاول الزمان.

«ويغلب من بعد على العراق طوائف عن الإسلام مرّاق» مُرّاق ـ جمع مارق ـ يقال: مَرَقَ عن الدين ـ أي خرج منه ـ أخبر الإمام المهديّ عليه السلام عن غلبة طوائف

---

(١) لا ندري حقيقة الأمر وبيننا وبينه ألف سنة بالضبط ونحن نعيش في ١٤١٠ هـ.

خارجة عن الإسلام، أو خارجة عن تعاليم الإسلام على العراق.

يقال: إنّ (طغرل بك) أوّل ملوك السلاجقة، استولى على العراق بعد حروب دامية، وشمل شرّه العباد والبلاد، وذلك في سنة ٤٤٧، فدخل جيشه بغداد، وضيّق على الناس في المساكن والأرزاق، فوقع القحط والغلاء في المواد الغذائيّة، وارتفعت الأسعار ارتفاعاً جنونيّاً، وكثر الموت، وحدث وباء عظيم، واشتدّ الأمر وتطوّر من سيء إلى أسوأ، حتّى عجز الناس عن دفن الموتى.

فلعلّ المقصود من الطوائف المُرّاق عن الإسلام هم: (طغرل بك) وعساكره الذين أفسدوا في البلاد العراقيّة، وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة، وأهلكوا الحرث والنسل، وهتكوا الحُرمات بعد أن أراقوا الدماء، وارتكبوا أبشع الجرائم وأفظع الفجائع، وجعلوا الحياة الاقتصاديّة في تدهور وتأزّم والله العالم.

«ثمّ تنفرج الغمّة ـ من بعدُ ـ ببوار طاغوت من الأشرار، ثمّ يسرّ بهلاكه المتّقون الأخيار».

وأخيراً مات الطاغوت طغرل بك، وانفرجت الغمّة والأزمة، وفرح المتّقون الأخيار بهلاكه وموته، و انحلت المشاكل، وزال الغلاء و تحسّنت الأوضاع، وتبدّلت الحياة إلى التي هي أحسن[1].

أقول كما يأتي أنّ كلّ حادثة وإن كانت تحدث في برهة من الزمن وتزول أنّ الحكم التشريعي السماوي المحمّدي لا يخصّ بزمن دون زمن، وقوم دون قوم فالحكم ثابت مستمرّ.

قال: هل هذه الحوادث عامّة، أو أنّها قضيّة في واقعة لا تمسّ إلّا أهل ذلك الزمان وعصر الشيخ المفيد؟.

---

(١) الإمام المهديّ عليه السلام من المهد إلى الظهور: ٢٨٣ ـ ٢٨٥.

الجواب المستفاد من عدّة أحاديث استمرار الحوادث على امتداد الأزمنة والأجيال غير أنّ نوعيّة الحوادث تختلف والوظيفة هي أخذ الإجراءات اللازمة بحسب مقتضيات الأعصار والأمكنة، ولا يتوهّم أنّ الإنسان في قبال الحوادث مرفوع التكليف وأن لا حكم له، وإنّما الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، بل أحكام الإسلام والحلال والحرام باقية إلى يوم القيامة كما في النبويّ: «حلالي حلال إلى يوم القيامة وحرامي حرام إلى يوم القيامة»[1].

وأهمّ شيء يجب على العبد رعايته في غيبة الإمام المهديّ عليه السلام الثبات على إمامته والتمسّك بها والدؤوب على محبّته والتوسّل إلى الله تعالى والدعاء لتعجيل الفرج له والإكثار منه كما جاء عنه الأمر به بقوله عليه السلام: «وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإنّ ذلك فرجكم...»[2]، والتصدّق بالمستطاع عنه روحي فداه، والعمدة الانتظار الّذي هو من أفضل الأعمال لهذه الأمّة، ومعنى ذلك: التهيّؤ والاستعداد للقيام بأوامره عند ظهوره عليه السلام وأنّ عليه قبل الظهور بالتوجّه به إلى الله عزّ وجلّ، فإنّه باب الله الأعظم، وإنّه الوسيلة المبتغاة إلى الله تعالى بعد الإيمان به، والتقوى إتيان الواجبات الّتي للتفضيل إلّا بترك الذنوب صغيرها وكبيرها، وأجاد القائل بنظمه:

خَلِّ الذنوب صغيرها و ... كبيرها ذاك التّقى

واصلاح كما شرفوا وأر ... ض الشرك يحذر ما يرى

لاتحقرن صغيرةً ... إنّ الجبال من الحصى[3]

ولا يخفى عليك قوله صلى الله عليه وآله رواه الكليني رحمه الله بإسناده إلى الصادق عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه إئتوا بحطب» فقالوا: يا رسول الله

(١) الأمثال النبويّة ١: ٣٧٨، رقم المثل ٢٤٠، هذا مثل حديثي قرّرناه في محلّه.
(٢) إكمال الدين ٢: ٤٨٥، الباب ٤٥، ح ٥، غيبة الطوسي: ١٧٧.
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١: ١٦٢، ذيل آية ٢ من سورة البقرة.

نحن بارض قرعاء ما بها من حطب قال: «فليأت كلّ إنسان بما قدر عليه» فجاؤوا به حتى رموه بين يديه بعضه على بعض فقال رسول الله ﷺ: «هكذا تجتمع الذنوب ثمّ قال: إيّاكم والمحقّرات من الذنوب: وإنّ لكلّ شيء طالباً، ألا وإنّ طالبها يكتب ما قدّموا وآثارهم وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبيّن[1] والغاية ممّا ذكر التوبة قبل الظهور وقبل رؤية العذاب، فإنّ فرعون: عند الغرق آمن وتاب، ونزلت فيه الآيـة: ﴿ءَالْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[2].[3]

* * *

(١) الكافي ٢: ٢٨٨، باب استصغار الذنب ح ٣، ذكرناه في الأمـثال النـبويّة ٢: ٣٣٦، الرقـم ٦٢٤، سورة يس: ١٢.

(٢) يونس: ٩١.

(٣) والزيارة المرويّة عنه عجّل الله فرجه، كتاب الاحتجاج للطبرسي ٢: ٣١٧ المعروفة بزيارة آل ياسين خرج التوقيع من الناحية المقدّسة لابن عبدالله بن جعفر الحميري أُنظر ٢: ٣١٥ـ ٣١٨، الاحتجاج.

باب الظاء

٢٣٨
ظهرت الحمرة في السماء ثلاثاً

من ملاحم الإمام المهدي عجّل الله فرجه في كلام له مع عليّ بن مهزيار في جبال الطائف جواباً عن سؤاله، قد رواه الشيخ الصدوق طاب ثراه، قال ابن مهزيار: «فقلت: متى يكون ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة بأقوام لا خلاق لهم، والله ورسوله منهم برآء، وظهرت الحمرة في السماء ثلاثاً فيها أعمدة كأعمدة اللجين تتلألأ نوراً»[١].

تقدّم الكلام حول: «إذا حيل بينكم...»[٢]، و«أعمدة كأعمدة اللجين تتلألأ نوراً»[٣]. كما وسبق البحث أيضا حول هذه الحمرة السماوية ومشاهدة النار في الجو عند «أعمدة...»، وباقي الحديث المشتمل على الإخبار بالحوادث المستقبلة، ولربط المختار والكشف عن حقيقة الحمرة نذكر من ذلك:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «يزجر الناس قبل قيام القائم عليه السلام عن معاصيهم بنار تظهر في السماء، وحمرة تجلّل السماء...»[٤].

---

(١) إكمال الدين ٢: ٤٦٩، باب ٤٣ ح ٢٣. (٢) رقمه ٣٨.

(٣) رقمه ٥٩.

(٤) إرشاد المفيد ٢: ٣٨٧، آل البيت عليهم السلام «وخسف ببغداد وخسف ببلدة البصرة...».

والحديث الآخر: «إذا رأيتم في السماء ناراً عظيمة من قبل المشرق تطلع ليالٍ فعندها فرج الناس وهي قدّام القائم بقليل»[١].

واحتمل بعض الكتّاب أن النار السماوية هي القذائف والغارات الجويّة التي شاهدناها ونحن في قم المقدّسة إلّا أنّها استمرت مدّة لا يمكن حملها على المدّة المحدّدة في الأخبار، على أنّها لم تزجر الناس عن معاصيهم عمليّاً، والمذكور فيها «يزجر الناس قبل قيام القائم...» إلى آخره، فلعلّ ظهورها قبل ظهوره عليه السلام بقليل.

الزجر عن المعاصي على قسمين: الأوّل الممدوح في حال الاختيار، والثاني حال الاضطرار ضدّه المراد من الحديث، ويشهد عليه قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾[٢] والسرّ فيه أنّ الأوّل كان الخوف من الله، لا عن شيء آخر، والثاني، الخوف من ذهاب النفس وهو غير مجدٍ، فإنّ الكافرين المنكرين والظالمين يوم القيامة حين يرون العذاب والدخول في نار جهنّم يؤمنون وإنّما النافع هو الإيمان بالله تعالى قبل الموت ورؤية العذاب.

* * *

---

(١) إلزام الناصب ٢: ١٦٢، والأمر أبين من الشمس في رابعة النهار.

(٢) غافر: ٨٥.

٢٣٩
ظهر لك الحقّ وذهب عنك العمى أتعرفني؟

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام، رواها الشيخ الصدوق بإسناده إلى الأزدي، وشيخ الطائفة إلى الآودي[١] وتقدّمت صورتها التامّة عند «أنا الذي أملأها عدلاً كما ملئت جوراً»[٢] وغير تامّة عند «ثبتت عليك الحجّة»[٣]، فلا نعيدها إلّا بقدر ما يربط المختار، قال الأزدي أو الآودي الذي شاهد الإمام في بيت الله الحرام، وأراه من المعجزة: «فقال لي: ثبتت عليك الحجّة، وظهر لك الحقّ وذهب عنك العمى، أتعرفني؟ فقلت: لا، فقال عليه السلام: أنا المهدي [و] أنا قائم الزمان أنا الذي أملأها عدلاً كما ملئت جوراً...» على الناس السؤال من أهل الذكر عمّا يجهلون، وعلى الهداة الإعلام العامّ لعامّتهم وهو البلاغ المبين، ولكن الهداية الخاصّة مخصّصة بمن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٤]؛ لأنّ جهادهم مشكور، وأجرهم مذخور، والإمام المهديّ عليه السلام بهدايتهم مأمور؛ وكيف لا وهو حجّة الله في أرضه على عباده، فكلّ من اتّجه وانقطع إليه تعالى اتّجه إليه الحجّة، ومن أعرض أعرض؛ ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[٥].

---

(١) كما في الإكمال ٢: ٤٤٤ ح ١٨، والغيبة: ١٥٢. (٢) رقمه ٩١.

(٣) رقمه ١٥٢. (٤) العنكبوت: ٦٩.

(٥) الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧، تفسير الصافي ٣: ٣٣٥ ذيل الآية ٢٧ من سورة الأنبياء، فيه رواية الخرائج والجرائح الآية قصّة الخارجي فراجع.

ونظر أهل البيت عليهم السلام إلى الناس هو نظر الله عزّ وجلّ وعطفهم عطفه، فإذا سمعت أو رأيت أنّ أحداً منهم لقي أو تكلّم مع آحاد الناس فأعلم أنّه كان من بعد إذن الله تعالى.

ويشهد لذلك قوله عليه السلام للشيخ المفيد: «إنّه قد أُذن لنا في تشريفك بالمكاتبة...»[١] وناهيك من دلالة واضحة في الآية والرواية على ذلك القطب الراوندي قال: ومنها: أنّه اختصم رجلٌ وامرأة إليه، فَعَلا صوت الرجل على المرأة، فقال له عليّ عليه السلام: «اخسأ» وكان خارجيّاً فإذاً رأسه رأس كلب.

فقال رجل: يا أميرالمؤمنين صِحْتَ بهذا الخارجيّ فصار رأسه رأس كلب فما يمنعك عن معاوية؟ فقال: «ويحك لو أشاء أن آتي بمعاوية إلى هاهنا على سريره لدعوت الله حتّى فَعَلَ، ولكنّ لله خُزّانٌ، لا على ذهبٍ ولا على فضّة ولكن على أسرار هذا تأويل الله أما تقرأ ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾»[٢] رواه جمع منهم الكاشاني في تفسيره للآية والنسخة التفسيريّة أصحّ كما أشرنا في التعليقة، فعليك النظر والتحقيق ثمّ القضاء.

ولا يخفى أنّ الإمام عليه السلام قال كما رواه الفيض: «هذا تأويل ما تقرأ ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾»[٣] وإجابة الدعاء لا تنفكّ عن إذن الله جلّ جلاله وعمّ نواله.

* * *

---

(١) الاحتجاج ٢: ٣٢٢، الكتاب الأوّل إلى الشيخ المفيد رحمه الله.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ١٧٢، الرقم ٣ في معجزات أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام، نسخة الصافي أصحّ فراجعها كي تعرف الحقّ فتتّبعه والحق أحقّ أن يتّبع.

(٣) راجع التفسير المسبق الذكر تحت الرقم (١) من هذا التعليق.

باب العين

٢٤٠

عادة الله جلّ ثناؤه... ، إلى أن قال: عندنا جميلة

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام الصادرة في لعن جماعة منهم الشلمغاني والشريعي والنميري وغيرهم على يد الشيخ أبي القاسم الروحي «أطال الله بقاك»[١] تقدّم التوقيع، فلا نعيده، وفي آخره المصرّح على أسماء عدد منهم والإشارة إلى الشلمغاني، قال روحي فداه: «أعلمهم تولّاك الله أنّنا في التوقّي والمحاذرة ـ أي الشلمغاني ـ على مثل ما كنّا عليه ممّن تقدّمه من نظرائه من الشريعي والنميري والهلالي والبلالي، وغيرهم وعادة الله جلّ ثناؤه مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة، وبه نثق ونستعين وهو حسبنا في كلّ أُمورنا ونعم الوكيل»[٢].

قوله عليه السلام: «عادة الله جلّ ثناؤه...جميلة».

ما هي العادة؟ الدُربة والتمادي في شيء حتّى يصير له سجيّة، ويقال للمواظب على الشيء المعاود. وفي بعض الكلام: «الزموا تُقىٰ الله تعالى واستعيدوها» ـ أي تعوّدوها ـ ويقال في معنى تعوّد: أعاد قال:

---

(١) رقمه ٥٣.

(٢) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٤٤ (ذكر المذمومين) طبعة النجف الثانية ـ النعمان الاحتجاج ٢: ٢٩٠.

الغرب غَرب بَقرِيّ فارض   لا يستطيعُ جَرَّهُ الغوامضْ
إلّا المعيداتُ به النَواهضُ[١]

يعني النوق التي استعادت النهض بالدلو. ويقال للشجاع: بطلٌ معاود ـ أي لا يمنعه ما رآه من شدّة الحَربِ أن يعاودَها ـ والقياس في كلّ هذا صحيح. فأمّا الجَمَلُ المسنّ فهو يسمّى عَوداً، ويمكن أن يكون من هذا؛ كأنّه عاود الأسفار والرّحل مرّة بعد مرّة...

ويقال منه: عوّد يعوّد تعويداً، إذا بلغ ذلك الوقت، وقال:

هل المجدُ إلّا السؤددُ العَود والنَّدى   ورأب الثأي والصَّبر عند المواطنِ[٢]

كأنّه أراد السؤدد القديم. ويقولون أيضاً للطريق القديم: عَود قال القائل:

عَودٌ على عودٍ لأقوامٍ أُولْ   يَموتُ بالتَركِ وَيَحيَا بالعَملْ[٣]

يعني بالعود الجمل. على عود ـ أي طريق قديم ـ[٤].

قال ابن منظور: وممّا اتّفق لفظه واختلف معناه فلم يكن إيطاء قول بعض المولدين:

يا طيب لذّة إيّام لنا سَلَفَتْ   وحُسن بهجة أيّام الصَّبا عُودي
أيّام أسحَبَ ذَيلاً في مفارقها   إذا تَرنَّمَ صوتُ الناي والعُودِ
وقهوة من سلاف الدنّ صافيةٍ   كالمِسكِ والعنبر الهنديّ والعُود
تستلّ روحك في برّ وفي لَطَف   إذا جَرَت منك مجرى الماء في العود[٥]

لا يراد به إلّا الحبّ ولوازمه وإن كانت الأُخرىٰ وأضربها عرض الجدار.

---

(١) لسان العرب ٣: ٣١٨ ـ عود ـ، معجم مقاييس اللغة ٤: ١٨٢.
(٢) البيت للطرمّاح في ديوانه كما في هامش المقاييس ٤: ١٨٢ ـ عود ـ.
(٣) معجم مقاييس اللغة ٤: ١٨٣ لابن فارس ترجمه مؤلّف الكُنى والألقاب ١: ٣٦٠ ـ ٣٦٢.
(٤) المصدر السابق رقم (٣) لابن فارس المترجم في الكُنى والألقاب للمحدّث الخبير القمّي طاب ثراه.
(٥) لسان العرب ٣: ٣٢٠ ـ عود ـ.

وعادة الله ليس سجيّةً؛ لأنّ السجيّة الطبع الحاصل أو المحصّل عن الفعل والانفعال وتعالى الله وتقدس عن أن يكون محلاً وموضعاً للانفعالات بل المراد بها أنّ شأنه عزّ وجلّ الإحسان والفعل الجميل كما أنشد ابن الأعرابي:

لم تزل تلك عادة الله عندي والفتى آلف لما يستعيد[١]

أي يعاملني بالمعاملة الجميلة؛ وهي لم تزل كعادة اعتادها وقد جاء في الزيارة الجامعة «وعادتكم الإحسان»[٢] وكلّ صفة يشترك فيها المخلوق كالرحمة ففيه مع مبادئها وفي الله تعالى تؤخذ بغاياتها وتترك المبادئ، وغاية الرحمة الّتي هي انكسار القلب وانفعاله الّذي يعقبه الإحسان، ففي الله الإحسان دون علله من الإنكسار والانفعال وهذا معنى المثل السائر (خذوا الغايات واتركوا المباديء)[٣]؛ ولأنّ فعله تعالى لا يعلّل بعلل، وإحسانه ابتداء غير مسبق بشيء؛ إذ هو الأوّل لأوّليّته في كلّ ما يفعله، والآخر لا آخر لآخريّته وإحسانه فيض وفيضه لا ينقطع ونوره لا يأفل، والعادة لها آخر في المخلوق وهي صفته فلا تبقى إذا ذهب موصوفها والله هو الباقي فإحسانه باقٍ ببقائه، واطلاق كلمة العادة عليه تعالى بالمعنى الّذي قدّمناه صحيح أراده الإمام المهديّ عليه السلام.

ولا يقتصر التنزيه عليها، بل كلّ كلام أو كلمة جاءت في الكتاب العزيز، والسنّة النبويّة وكلمات أهل البيت عليهم السلام وفيها تصريح أو إيهام قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ فيه تأويلان: وفق اقترح الكفرة، أو تقدير كلمة أمر الله. قاله الفيض الكاشاني، ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال

---

(١) المصدر: ٣١٧ من كتاب اللغة العربية لابن منظور المترجم في كُنى القمّي ٢: ١٣٨ ـ ١٣٩ فانظره.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٨١، الباب ٦٨ فيه الزيارات منها الجامعة.

(٣) أمثال وحكم ٢ : ٧٢٣.

الطباطبائي: وقد تقدّم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ الأعراف: ٥٤: أنّ الاستواء على العرش كناية عن الاحتواء على الملك والأخذ بزمام تدبير الأُمور وهو فيه تعالى على ما يناسب ساحة كبريائه وقدسه ـ ظهور سلطنته على الكون واستقرار ملكه على الأشياء بتدبير أُمورها وإصلاح شؤونها[1] فراح ﷺ يبيّن ذلك أكثر؛ ليزداد وضوحاً، لكيلا يبقى للنقاش موضع، والرضوي النبويّ: «من زارني في حياتي وبعد موتي فقد زار الله»[2] من زار النبيّ ﷺ كمن زار الله[3].

* * *

(١) ا تفسير الصافي ١: ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ذيل الآية ٢١٠ من سورة البقرة، تفسير الميزان ١٤: ١٢١، ذيل الآية ٥ من سورة طه، التفسير ذاته ج ١٨: ٢٧٤ ذيل الآية ١٠ من سورة الفتح. إن شئت الزيادة فانظر المصدرين.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٩٤ ح ٣.

(٣) الكافي ٤: ٥٨٥ ح ٥ (ما لمن زار رسول الله ﷺ قال: كمن زار الله عزّ وجلّ).

٢٤١
عاش أبوك سعيداً ومات حميداً

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام السائرة على اللسان إذا ما مات مـن الطـيّبين السعداء إنسان وقد جاءت الكلمة في التوقيع في تعزية العَمري بموت أبيه الّـذي ذكرناه عند «أجزل الله لك الثواب»[١] بكامله، وعند «أحسن ـ الله ـ لك العزاء»[٢] الفصل الثاني منه وعند «رُزئت ورُزئنا وأوحشك فراقه وأوحشنا»[٣] أيضاً. ولربط المختار ما يلي منه:

قال الصدوق: قال عبدالله بن جعفرالحميري: وخرج التوقيع إلى الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري في التعزية بأبيه رضي الله عنهما في فصل من الكتاب:

«إنّا لله وإنّا إليه راجعون، تسليماً لأمره ورضاء بقضائه، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً...»[٤]؛ وإنّه لو لم يكن إلّا كلام المعصوم عليه السلام لكفىٰ له مقاماً محموداً؛ حيث جرى الذكر الجميل على لسانه الناطق بالحقّ في حقّه.

بيان: ومنه المثل السائر: عاش عيشاً ضارباً بجران، يضرب لمن طاب عيشه في دعة وإقامة، والجران: باطن عنق البعير، ويقال: ضرب الأرض بجرانه، إذا ألقى عليها كلاكله[٥] قال الطرابلسي:

---

(١) رقمه ١٨.
(٢) رقمه ٢١.
(٣) رقمه ١٩٤.
(٤) إكمال الدين ٢: ٥١٠، باب ٤٥ ح ٤١.
(٥) مجمع الأمثال ١ : ٤٩٧، موسوعة أمثال العرب ٤: ٣٣٧، ومصادره.

عمرو الكريم من أتـاه طـالباً فبجران عاش عيشاً ضارباً[١]

أرى كلمة الإمام أوقع وأوسع لما تضمن سعادة الدارين وليس المراد من سعادة العيش لعثمان بن سعيد العَمري طاب ثراه في الدنيا أكله للطيّبات، والشراب البارد بل لشرف طاعة الله تعالى، واتّباعه للأئمّة الهداة، وإيثار رضاهم على رضا نـفسه، وحسن معاشرة الناس والقيام بوظائف العبوديّة بكلِ معنى الكلمة، حتّى كان موته وفراقه ممّا أوحش المعصوم عليه السلام وكان رُزؤه رُزءه؛ فإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على جانب عظيم من موقع القبول والقرب لديه، والموت الحـميد ـ أي المـحمود العاقبة والختام بالخير ـ والخير كلّه الرضا والرضوان؛ إنّه من أكبر غـاية، سـبقت ترجمة *الوالد والولد* عند «*أحسن لك العزاء*»، وغيره، وقلنا: *إنّه لم يتبيّن لنا بوضوح* تأريخ وفاة عثمان بن سعيد، وأمّا ابنه محمّد فقد مات ٣٠٤، أو ٣٠٥ هـ على ترديد شيخ الطائفة رحمهم الله جميعاً[٢] . والسيّد الأُستاذ رحمه الله تـرحـم الوالد وأنّـه مـن أصحاب الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام قال: وتقدّم له مدح بليغ في رواية الكشّي في ترجمة إبراهيم بن عبده النيسابوري ثمّ أورد كلام الشيخ[٣].

* * *

(١) فرائد اللآل ٢ : ٢٨ في مجلّد ضخم متناً وهامشه أمثال أبي هلال العسكري.

(٢) رقمه ٢١، «احسن الله لك العزاء».

(٣) الغيبة: ٢٢٣ فراجعه. انظر معجم رجال الحديث ١١: ١١١ ـ ١١٣، الرقم ٧٥٩١.

٢٤٢

عافاك وصحّ لك جسمك

من دعوات الإمام المهديّ عليه السلام السائرة على الألسن، تقال لمن يهتمّ بحياته، ومن أظهر مواضع حسن القول للناس الّذي أمر الله تعالى به حيث قال عزّ من قائل: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾(١)، ولربط المختار ما يلي من حديثه برواية قطب الدين الراوندي الّتي ذكرها في أعلام المهدي عليه السلام قال:

١٨ ـ ومنها: ما روي عن أحمد بن أبي روح قال: خرجت إلى بغداد في مال لأبي الحسن الخضر بن محمّد لأُوصله، وأمرني أن أدفعه إلى أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري، وأمرني أن [لا] أدفعه إلى غيره، وأمرني أن أسأله الدعاء للعلّة الّتي هو فيها، وأسأله عن الوبر يحلّ لبسه.

فدخلت بغداد وصرت إلى العَمري فأبى أن يأخذ المال، وقال: صر إلى أبي جعفر محمّد بن أحمد وادفع إليه، فأخرج إليّ رقعة، فإذا فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، سألت الدعاء من العلّة التي تجدها، وهب الله لك العافية، ودفع عنك الآفات، وصرف عنك بعض ما تجده من الحرارة وعافاك وصحّ لك جسمك...»(٢).

وإنّه دعاء مستجاب؛ لأنّه عن الإمام المعصوم المقرّب عند الله جلّ جلاله وعمّ

---

(١) البقرة: ٨٣.

(٢) الخرائج والجرائح ٢: ٧٠٢.

نواله. والإمام المعصوم من أعظم أبواب الله الّذي منه يُؤتىٰ بعد رسول الله ﷺ والزلفى. يأتي التوقيع عند «وهب الله لك العافية»،[١] وهل هذا الدعاء تحصيلاً أو إخباراً بالحصول؟ و كيف كان فالعافية حاصلة لأبي الحسن الخضر بن محمّد لا محالة سواء أكانت عاجلاً له أم آجلاً؛ لأنّ دعاء المعصوم عليه السلام مستجاب لا يردّه الله تعالى وإن كان ظاهر التوقيع الإخبار بالحصول دون التحصيل، نعم هم الوسيلة التي أمر الله تعالى العباد بابتغائها إليه في كلّ ما يهمّهم، قال عزّ وجلّ: ﴿*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ*﴾[٢]. عليّ بن إبراهيم قال: فقال: تقرّبوا إليه بالإمام[٣]، وفي النبوي: «...هم العروة الوثقى والوسيلة إلى الله» رواه الفيض عن العيون عن النبيّ ﷺ[٤]، والعلوي: «أنا وسيلته» والأئمّة المعصومون الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً الهُداة الدعاة الولاة لولاهم لما خلق الله الخلق قال ابن عرندس من قصيدة له:

وأسماؤهم مكتوبةٌ فوق عرشه	ومكتوبةٌ مِن قبل أن يخلق الذر
ولولاهم لم يخلق آدماً	ولا كان زيدٌ في الأنام ولا عمروُ[٥]

* * *

---

(١) الرقم ٤٦٢.

(٢) المائدة: ٣٥.

(٣) تفسير القمّي ١: ١٦٨ ذيل الآية ٣٥ من سورة المائدة؛ لأنّ عليّ بن إبراهيم المعتمد الثقة عند الجميع.

(٤) تفسير الصافي ٢: ٣٣، ذيل الآية ٣٥ من سورة المائدة.

(٥) تفسير البرهان ١ : ٤٦٩ ذيل الآية ٣٥ من سورة المائدة. انظر المختار ج ١: ٣٦٨ رقم الكلمة ١٢٨، فيه القصيدة بكاملها لابن العرندس الحلّي المتوفّى حوالي ثمانمائة هـ.

٢٤٣

عافانا الله وإيّاكم من الضلالة والفتن

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام جاءت في جواب كتاب انفذته الشيعة إلى الناحية عند تشاجرهم مع ابن أبي غانم القزويني المنكر لوجود الخلف بعد أبي محمّد العسكري عليهما السلام، فورد جواب كتابهم بخطّه عليه وعلى آبائه السلام:

«بسم الله الرّحمن الرحيم، عافانا الله وإيّاكم من الضلالة والفتن، ووهب لنا ولكم روح اليقين، وأجارنا وإيّاكم من سوء المنقلب، إنّه أُنهي إليّ ارتياب جماعة منكم في الدين، وما دخلهم من الشكّ والحيرة في ولاة أُمورهم، فغمّنا ذلك لكم لا لنا وساءنا فيكم لا فينا؛ لأنّ الله معنا ولا فاقة بنا إلى غيره...»[١].

سَبَقَ الجواب عند «أجارنا وإيّاكم من سوء المنقلب»[٢] وعند «سيردى الجاهل رداءة عمله» فعليك بالنظر إذا رُمت الوضوح الأكثر أما عدد التوقيعات سواءً كانت بلفظ الجواب عن الكتب المرسلة أو الأسئلة أو نحو آخر، فإنّ الشيخ الصدوق طاب ثراه أنهاها إلى اثنين وخمسين توقيعاً[٣]

أقول: لم أجد ترجمة لهذا المنكر لوجود الخلف أرواح مَن في الوجود فداه إلّا مايلي:

---

(١) غيبة الطوسي: ١٧٢ ـ ١٧٣، الاحتجاج ٢: ٢٧٨.

(٢) رقمه ١٧.

(٣) رقمه ٢١٤، الإكمال ج ٢: ٤٨٢ ـ ٥٢٢، الباب ٤٥، ذكر التوقيعات الواردة عن القائم عليه السلام.

ابن أبي غانم القزويني:

قد جاء في كتاب ضيافة الإخوان لمؤلّفه رضي الدين محمّد بن الحسن القزويني المتوفّى ١٠٩٦ هـ، العنوان التالي: (عبد الله بن أبي غانم القزويني) المكنّى بأبي جعفر... وعبد الله هذا كان في أوائل زمان الغيبة الصغرى، وقد كان في بادئ الحال متحيّراً مع جماعة في أمر الغيبة إلى أن ورد عليهم كتاب من الناحيَة المقدّسة بخطّه عليه السلام[1]، يظهر ذلك ممّا روى شيخ الطائفة رحمه الله في كتاب الغيبة بقوله: أخبرنا جماعة....

وسرد الخبر عن آخره وتقدم سنده عند «أجارنا وإيّاكم...» الآنف الذكر، ولم يظهر من شيخ الطائفة رجوع المترجم له عن تشاجره بينما يتراءى من مؤلّف الضيافة أنّه (كان في بادئ الحال متحيّراً) وزال بعد ذلك تحيّره، وكيف كان لعلّ الناظر إلى التوقيع يجزم بالبقاء، ونسخته تختلف مع نسخة غيبة الشيخ الموجودة عندنا والله العالم بالصواب.

ثمّ إنّ المنكرين الجاحدين في كلّ كورٍ ودورٍ متواجدون لا يهمّنا ذلك فإنّ الله جلّ جلاله يُجازي المُحسن الجزاء الأحسن من عمله، والمسيء بقدر اساءته ويوم القيام والقيامة يفصل بينهم فيما كانوا فيه يختلفون، على العبد الطاعة المرضيّة، وإن كانت الأُخرى فالجزاء كلّ منهما من خيرٍ أو شرّ يراه الكلّ حاضراً حقّاً قال الله تعالى: ﴿*فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ*﴾، ﴿*هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ...*﴾[2].

* * *

---

(١) ضيافة الإخوان: ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٢) الغيبة: ١٧٢ ـ ١٧٤، الزلزلة: ٧ ـ ٨، الجاثية: ٢٩.

٢٤٤
العاقبة بجميل صنع الله سبحانه تكون حميدة لهم

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام الجليلة الداعية بحسن العاقبة الجميلة للشيعة الموالين لأهل البيت عليهم السلام. جاءت في كتاب ثانٍ له إلى الشيخ المفيد تقدم بكامله عند «إنّه من اتّقى ربّه من إخوانك في الدين كان آمناً من الفتنة»[١]، وبعضه عند «آية حركتنا من هذه اللوثة»[٢] وعند «أيّدك الله بنصره»[٣]، وعند «تبسل نفوس قوم حرثت باطلاً»[٤]، وأوّله عند «سلام الله عليك أيّها الناصر للحقّ»[٥]. وإليك ما يربط المختار منه بقدر الحاجة برواية الشيخ الطبرسي:

«فليطمئنّ بذلك من أوليائنا القلوب، وليثقوا بالكفاية منه، وإن راعتهم بهم الخطوب، والعاقبة بجميل صنع الله سبحانه تكون حميدة لهم ما اجتنبوا المنهي عنه من الذنوب»[٦]؛ لخروج العبد عن ولاية إبليس، والدخول في ولاية الله؛ وهي ولاية عليّ بن أبي طالب أبي الأئمّة الأحد عشر من وُلده المعصومين لا يتحصّل ذلك إلّا بالعبوديّة الخالصة لله تعالى، والتقوى المثمرة للعلم قال جلّ جلاله: ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٧].

---

(١) رقمه ١١٨. فليراجع ومايليه من الأرقام؛ فإنّ فيها من بحوث قيّمة.
(٢) رقمه ١٠.
(٣) رقمه ١٣١.
(٤) رقمه ١٤٢.
(٥) رقمه ٢١٢.
(٦) الاحتجاج ٢: ٣٢٥، البحار ٥٣: ١٧٧ وفيه: «و العاقبة لجميل صنع الله تكون حميدة لهم».
(٧) البقرة: ٢٨٢.

وهل الخطاب يختصّ بالمتواجدين من أوليائهم في عصر المفيد فحسب، أو يعمّ عامّتهم والّذين وجدوا بعدهم ويوجدون إلى يوم القيامة؟.

الجواب هو العموم لنفس السبب الداعي للخطاب، والملاك واحد في الجميع ـ أي الولاية لأهل البيت عليهم السلام ولزوم الاتّباع ـ والحكم دائماً تابع لملاكه من دون قصر على العصور والأجيال، ومورد الخطاب لا يخصّصُ عموم الحكم الوارد، كما قرّر في موضعه، وعليه فيجب الاطمئنان، والوثوق بالكفاية واجتناب المنهي عن الذنوب، وإزالة الريب عن القلوب، وحتّى تكون العاقبة محمودة ببركة الله، وجميل صنعه تعالى بعباده المؤمنين، والشفيع لغفر الذنوب إذا انتهينا عن الركوب وتُبنا عمّا مضى منها هو الإمام المهدي وأهل البيت عليهم السلام إن شاء الله تعالى والنجاة بشفاعتهم بإذنه عزّ وجلّ.

ثمّ المختار المصدّر بكلمة العافية الحميدة ناشئة عن صُنع الله الجميلِ قد جاء ذكره الجميل في دعاء الجوشن الكبير المشتمل على ألفٌ من أسمائه الحُسنى الجميلة بالذات الربوبيّة المنعوتة بالجلال والجمال والكمال الرضويّ الباقري من دعاء السحر من ليالي شهر رمضان الّذي أنزل فيه القرآن[١]، المروي عنهما صلوات الله عليهما أجمعين، وللكليني عنه في الصادقي العلوي: «إنّ الله جميل يحبّ الجمّال»[٢].

* * *

---

(١) البلد الأمين: ٤٠٢ ـ ٤١١، إقبال السيّد ابن طاووس دعاء السحر ص ٧٦ ـ ٧٨، كلاهما القطع الكبير.

(٢) الكافي ٦: ٤٣٨، الحديث ١، ٤، باب التجمّل...

٢٤٥
عجّل الله له النقمة ولا أمهله

الدعاء بتعجيل النقمة لمستوجبها أو اللعنة عليه واحد، فمن استوجب الأُولى استوجب الثانية أيضاً، والشلمغاني كما في التوقيع الصادر عن الإمام المهديّ عليه السلام وإليك ما يربط المختار من التوقيع الوارد على يد الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رحمه الله:

«عرّف ـ أطال الله بقاك، وعرّفك الخير كلّه، وختم به عملك ـ من[1] تثق بدينه، وتسكن إلى نيّته من إخواننا... بأنّ محمّد بن عليّ المعروف بالشلمغاني، عجّل الله له النقمة ولا أمهله قد ارتدّ عن الإسلام وفارقه، وألحد في دين الله، وادّعى ما كفر معه بالخالق جلّ وتعالى، وافترى كذباً وزوراً، وقال بهتاناً وإثماً عظيماً...»[2].

تقدّم ذكر التوقيع عند «أطال الله بقاك»[3]، وأشرنا إليه عند «عادة الله جلّ ثناؤه... عندنا جميلة»[4] وتجد بقيّته الباقية عند «الشريعي والنميري والهلالي والبلالي»[5]؛ ومن ثمّ لم نأت عن آخره، وسبقت ترجمة هؤلاء الأربعة وغيرهم في العنوان نفسه.

---

(١) مفعول لـ«عرّف» أي الموثّق عندك بدينه وتعرّف الّذي تثق بدينه وعامله.
(٢) الاحتجاج ٢: ٢٩٠، غيبة الطوسي: ٢٥٣.
(٣) رقمه ٥٣ أنفذ ابن روح التوقيع سنة ٣١٢ من محبس المقتدر... الغيبة: ٢٥٢.
(٤) رقمه ٢٤٠. (٥) رقمه ٢٢٢.

الشلمغاني[١]:

وفاءً لما واعدناك عند «عادة الله جلّ ثناؤه...» أن نذكر من ترجمته: وهو محمّد ابن عليّ الشلمغاني أبو جعفر ويعرف بابن أبي العزاقر[٢]، وقد ترجمه جمع منهم النجاشي، قال: محمّد بن عليّ الشلمغاني أبو جعفر المعروف بـ(ابن أبي العزاقر)، كان متقدماً في أصحابنا، فحمله الحسد لأبي القاسم الحسين بن روح على ترك المذهب، والدخول في المذاهب الرديئة، حتّى خرجت فيه توقيعات، فأخذه السلطان وقتله وصلبه[٣]، له كتب منها: كتاب التكليف، ورسالة إلى ابن أبي همّام، وكتاب ماهية العصمة، كتاب الزاهر بالحجج العقلية، كتاب المباهلة، كتاب الأوصياء كتاب المعارف، كتاب الإيضاح، كتاب فضل النطق على الصمت، كتاب فضائل العمرتين، كتاب الأنوار، كتاب التسليم، كتاب البرهان والتوحيد، كتاب البداء والمشيئة، كتاب نظم القرآن، كتاب الإمامة الكبير، كتاب الإمامة الصغير.

قال أبو الفرج محمّد بن عليّ الكاتب القناني[٤]: قال لنا أبو المفضل محمّد بن عبد الله بن المطلب: حدّثنا أبو جعفر محمّد بن عليّ الشلمغاني في استتاره بمَعْلثايا: بكتبه[٥].

---

(١) نسبة إلى الشلمغان بفتح الشين المعجمة وسكون اللام وفتح الميم والغين المعجمة والألف والنون: ناحية من نواحي واسط الحجّاج.

(٢) بالعين المهملة والزاي وبعد الألف قاف مكسورة وراء، تنقيح المقال للمامقاني ٣: ١٥٦ في ترجمة محمّد بن عليّ الشلمغاني، وقد جاء ضبط العزاقرِي في شرح اللمعة الدمشقيّة ٣: ١٣٩، آواخر الفصل الأوّل من كتاب الشهادات.

(٣) سنة ٣٢٢ في أيّام الراضي بالله، ومن مذهبه إباحة فروج الأرحام، انظر الكنى والألقاب للقمّي ٢: ٣٣٠.

(٤) شيخ إجازة النجاشي، رجاله: ٣٩٨ الرقم ١٠٦٦.

(٥) رجال النجاشي: ٣٧٨ ـ ٣٧٩. مَعْلثايا: بليد قرب جزيرة ابن عمر من نواحي الموصل معجم البلدان ٥: ١٥٨.

وقال الشيخ الطوسي كما في معجم رجال الحديث:

محمّد بن عليّ، يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن أبي العزاقر، له كتب وروايات، وكان مستقيم الطريقة ثم تغيّر وظهرت منه مقالات منكرة، إلى أن أخذه السلطان فقتله وصلبه ببغداد، وله من الكتب التي عملها في حال الاستقامة كتاب التكليف.

أخبرنا به جماعة عن أبي جعفر بن بابويه عن أبيه عنه، إلّا حديثاً واحداً منه في باب الشهادات أنّه يجوز للرجل أن يشهد لأخيه إذا كان له شاهد واحد من غيره[١].

أقول:

قد ردّه جمع منهم الشهيدان في باب الشهادة وتحملها وأدائها قالا: ومن نقل عن الشيعة جواز الشهادة بقول المدعي إذا كان أخاً في الله معهود الصدق فقد أخطأ في نقله؛ لإجماعهم على عدم جواز الشهادة بذلك، نعم، هو مذهب محمّد بن عليّ الشلمغاني (العزاقري) نسبة إلى أبي العزاقر بالعين المهملة والزاي والقاف والراء أخيراً من الغلاة، لعنه الله.

ووجه الشبهة على من نسب ذلك إلى الشيعة؛ أنّ[٢] هذا الرجل الملعون كان منهم أوّلاً، وصنّف كتاباً سمّاه كتاب التكليف، وذكر فيه هذه المسألة، ثمّ غلا، وظهر منه مقالات منكرة فتبرّأت الشيعة منه، وخرج فيه توقيعات كثيرة من الناحية المقدّسة على يد أبي القاسم بن روح وكيل الناحية، فأخذه السلطان وقتله، فمن رأى هذا الكتاب وهو على أساليب الشيعة وأُصولهم توهّم أنّه منهم وهم بريئون منه.

وذكر الشيخ المفيد رحمه الله أنّه ليس في الكتاب ما يخالف سوى هذه المسألة[٣].

قال الشيخ الطوسي طاب ثراه: وكان سبب قتله أنّه لمّا أظهر لعنه أبوالقاسم بن

---

(١) معجم رجال الحديث ١٧: ٤٧. (٢) خبر وجه...

(٣) لم نعثر عليه، ووجدناه في كتاب شرح اللمعة ٣: ١٣٩ ـ ١٤٠، متناً وشرحاً من كتاب الشهادات آواخر الفصل الأوّل.

روح ﷺ واشتهر أمره وتبرّأ منه وأمر جميع الشيعة بذلك لم يمكنه التلبيس، فقال في مجلس حافل فيه رؤساء الشيعة ـ وكلّ يحكي عن الشيخ أبـي القـاسم لعـنه، والبراءة منه ـ: أجمعوا بيني وبينه حتّى آخذ يده ويأخذ بيدي، فإن لم تنزل عليه نار من السماء تحرقه، وإلّا فجميع ما قاله فيّ حقّ، ورُقي ذلك إلى الراضي؛ لأنّه كان ذلك في دار ابن مقلة، فأمر بالقبض عليه وقتله، فقتل واستراحت الشيعة منه[١].

ومن أقوال الشلمغاني الباطلة القول بحمل الضـدّ الذي تكـذّبه العـقول، رواه الشيخ ﷺ قال: وقال أبو الحسن محمّد بن أحمد بن داود: كـان مـحمّد بـن عـليّ الشلمغاني المعروف بابن ابي العزاقر لعنه الله يعتقد القول بحمل الضد ومعناه: إنّه لا يتهيّأ إظهار فضيلة للولي إلّا بطعن الضد فيه، لأنّه يحمل سامعي طعنه على طلب فضيلته؛ فإذا هو أفضل من الولي؛ إذ لا يتهيّأ الفضل إلّا به.

وساقوا المذهب من وقت آدم الأوّل إلى آدم السابع؛ لأنّهم قالوا: سبع عوالم وسبع أوادم، ونزلوا إلى موسى وفرعون، ومحمّد وعليّ مع أبي بكر ومعاوية. وأمّا في الضد فقال بعضهم: الولي ينصب الضدّ، ويحمله على ذلك، كما قال قوم من أصحاب الظاهر: إنّ عليّ بن أبي طالب ﷺ نصب أبا بكر في ذلك المـقام. وقـال بـعضهم: لا ولكن هو قديم معه لم يزل، قالوا: والقائم الذي ذكر أصحاب الظاهر أنّه من ولد الحادي عشر فإنّه معناه إبليس؛ لأنّه قال: ﴿فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ﴾[٢]، فلم يسجد؛ ومن ثمّ قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٣] فدلّ على أنّه كان قائماً في وقت ما اُمر بالسجود، ثمّ قعد بعد ذلك[٤] وقوله: يقوم القائم إنّما هو ذلك القائم الذي اُمر بالسجود فأبى وهو إبليس لعنه الله، وقال شاعرهم لعنهم الله:

---

(١) الغيبة: ٢٥٠.

(٢) الحجر: ٣٠ و٣١، ص: ٧٣ و٧٤ ولولا أنّه ذكره الشيخ لضربنا عنه صفحاً.

(٣) الأعراف: ١٦.

(٤) ما أجهلهم بلحن الخطاب والقعود هنا الإرصاد.

يا لاعناً للضّد من عـديّ　　　　ما الضد إلّا ظاهر الوليّ[١]

الأبيات، وأنا أُجلّ الكتاب عن ذكرها وإنّما أردنا الإشارة إلى مذهب العزاقري الفاسد، وهو القائل بالحلول حيث يقول أبو عليّ بن همّام الّذي روى الشيخ عـنه بواسطة الصفواني قال: سمعت محمّد بن عليّ العزاقري الشـلمغاني يـقول: الحـقّ واحد وإنّما تختلف قُمصُه، فيوم يكون في أبيض، ويوم يكون في أحمر، ويكون في أزرق، قال ابن همّام: فهذا أوّل من أنكرته من قوله؛ لأنّه قول أصحاب الحلول[٢].

قال الشيخ: وأخبرنا جماعة عن أبي محمّد هارون بن موسى، عن أبي عـليّ محمّد بن همّام أنّ محمّد بن علي الشلمغاني لم يكـن قـط بـاباً إلى أبـي القـاسم ولا طريقاً له ولا نصبه أبو القاسم لشيءٍ من ذلك على وجهٍ ولا سببٍ، ومن قـال بذلك فقد أبطل، وإنّما كان فقيهاً من فقهائنا، وخلط وظهر عنه ما ظهر، وانتشر الكفر والإلحاد عنه، فخرج فيه التوقيع على يد أبي القاسم بلعنه والبراءة ممّن تابعه وشايعه وقال بقوله[٣].

قد سمعت التوقيع السابق الذكر وفيه «قد ارتدّ عن الإسلام وفارقه وألحد في دين الله، وادّعىٰ ما كفر معه بالخالق جلّ وتعالى، وافترى كذباً وزوراً، وقال بـهتاناً وإثماً عظيماً».

والشريعي المصرّح فيه بالبراءة منه واللعنة عليه، «وعلى كلّ من شايعه وبلغه هذا القول منّا فأقام على تولّيه بعده»[٤].

وهؤلاء موجودون في جميع الأدوار ينقاد لأقوالهم الضعفاء وأرباب الغوايات، فالحذار الحذار من أُولئك، والمعرفة الكافية نور في الدرب إلى العافية، وسيف قاطع يقضي عليهم ولا يُبقي لهم من باقية، فعلى المؤمنين الاستباق على حصولها.

* * *

---

(١) الغيبة: ٢٥٠ ـ ٢٥١.　　(٢) الغيبة: ٢٥١.　　(٣) المصدر.

(٤) الاحتجاج ٢: ٢٩٠، والغيبة: ٢٥٤ مع تغيير مّا.

٢٤٦
عرّفك الخير كلّه وختم به عملك

استجاب الله تعالى دعاء الإمام المهديّ عليه السلام في الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي، فقد جمع الله له الخير وختم به عمله بنعمة المعرفة والولاية والطاعة، وأيّ خير أعظم وأجمع للعبد من معرفة سيده وطاعته لإمامه، وأية حياة أو موت أهنأ وأرغد من الحياة والموت مع المعرفة والعلم والقيام بالواجب، وقد أُتيح جميع ذلك للشيخ ابن روح قدّس الله روحه.

وجاء المختار في التوقيع الصادر عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال على يده في التحذير والبراءة واللعن لجماعة ادّعوا النيابة وما ليس لهم فيه نصيب، وسبق صدر التوقيع عند «عجّل الله له النقمة ولا أمهله»[1]، وانظر تمامه عند «الشريعي والنميري والهلالي والبلالي»[2]، افتتحه بقوله عليه السلام:

«عرّف أطال الله بقاءك، وعرّفك الخير كلّه، وختم به عملك من تثق بدينه...»[3].

واشتمل التوقيع على أسماء أشخاص: محمّد بن عليّ الشلمغاني ومن قبله الأربعة الآنفة الذكر، وغيرهم الذين لم يذكر اسمهم فيه بل عمّتهم كلمة «وغيرهم» على تفصيل تقدّم هناك فراجع[4].

---

(١) رقمه ٢٤٥. (٢) رقمه ٢٢٢.

(٣) الاحتجاج ٢: ٢٩٠ كتاب الغيبة: ٢٥٣، مع اختلاف مّا.

(٤) الاحتجاج ٢: ٢٩٠، كتاب الغيبة: ٢٥٤، مع اختلاف مّا.

ترجمة النائب الثالث:

وأحسن ترجمة للشيخ أبي القاسم الحسين بن روح قول الإمام عليه السلام «أطال الله بقاءك وعرّفك الخير كلّه وختم به عملك».

أفهل بقيت باقية بعده؟ والألفاظ تقصر عن إعطاء ترجمة من دعا له المعصوم عليه السلام بطول البقاء؛ إذ لو كان من العصاة أو غير المرضيّين لما ساغ الدعاء له بطول البقاء، ولما كان يستأهل للسفارة لباب الله، والواسطة بين حجّة الله في الأرضين وبين الناس، فجعله أهلاً لهذا المنصب الرفيع يدلنا على رفعته التي أغنتنا عن الترجمة نحو كلمة السيّد الأُستاذ عند ذكره وترجمته ما هذا لفظه:

٣٣٩٧ ـ الحسين بن روح النوبختي أبو القاسم: هو أحد السفراء والنوّاب الخاصّة للإمام الثاني عشر (عجّل الله تعالى فرجه)، وشهرة جلالته وعظمته أغنتنا عن الإحاطة في شأنه.

روى الشيخ الطوسي رحمه الله في كتاب الغيبة في بيان الممدوحين في زمان الغيبة عند ذكر أبي القاسم الحسين بن روح بسنده عن أبي نصر هبة الله بن محمّد الكاتب: أنّ أبا القاسم بن روح رضي الله عنه مات في شعبان سنة ٣٢٦.

روى بعنوان الحسين بن روح، عن محمّد بن زياد، وروى عنه الحسن بن محمّد ابن جمهور. التهذيب: الجزء ٦ باب فضل زيارة أبي الحسن وأبي محمّد عليهما السلام، الحديث ١٧٦[١].

نصّ العَمري مراراً على إقامة الروحي مقامه والإرجاع إليه، جاء ذلك في عدد من روايات الشيخ الطوسي:

منها: أنّ أبا جعفر العَمري لمّا اشتدت حاله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة:

---

(١) معجم رجال الحديث ٥ : ٢٣٦.

منهم أبو عليّ بن همّام وأبو عبد الله بن محمّد الكاتب الياقطاني وأبو سهل إسماعيل ابن عليّ النوبختي وأبو عبد الله بن الوجناء وغيرهم من الوجوه والأكابر، فدخلوا على أبي جعفر رضي الله عنه فقالوا له: إن حدث أمر فمن يكون مكانك؟ فقال لهم: هذا أبوالقاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر عليه السلام والوكيل والثقة الأمين، فارجعوا إليه في أُموركم وعوّلوا عليه في مهمّاتكم، فبذلك أُمرت وقد بلّغت(١).

قال ابن نوح: ... وكان أبو القاسم رحمه الله من أعقل الناس عند المخالف والموافق، ويستعمل التقيّة(٢).

أقول: وكان رحمه الله حاضر الجواب قوي العارضة رزيناً متيناً، قال الشيخ الطوسي طاب ثراه:

(وسأله بعض المتكلّمين) وهو المعروف بتُرك الهروي، فقال له: كم بنات رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: أربع، قال: فأيّهنّ أفضل؟ فقال: فاطمة، فقال: ولم صارت أفضل، وكانت أصغرهنّ سنّاً، وأقلهنّ صحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لخصلتين خصّها الله بهما تطولاً عليها وتشريفاً وإكراماً لها: إحداهما أنّها ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يرث غيرها من ولده. والأُخرى أنّ الله تعالى أبقى نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها ولم يبقه من غيرها، ولم يخصصها بذلك إلّا لفضل إخلاص عرفه من نيّتها.

قال الهروي: فما رأيت أحداً تكلّم وأجاب في هذا الباب بأحسن ولا أوجز من جوابه.

وقال أبو الحسين بن تمام: حدّثني عبد الله الكوفي خادم الشيخ الحسين بن روح رضي الله عنه قال: سئل الشيخ ـ يعني أبا القاسم ـ رضي الله عنه عن كتب ابن أبي العزاقر بعد

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٢٦ ـ ٢٢٧. (٢) الغيبة: ٢٣٦.

ما ذُمّ وخرجت فيه اللعنة؟ فقيل له: فكيف نعمل بكتبه وبيوتنا منها ملاء؟ فقال: أقول فيها ما قاله أبو محمّد الحسن بن عليّ صلوات الله عليهما ـ وقد سئل عن كتب بني فضّال فقالوا: كيف نعمل بكتبهم وبيوتنا منها ملاء؟ فقال صلوات الله عليه: خذوا بما رووا وذروا ما رأوا[١].

وأمّا تاريخ موته وقبره رضي الله عنه فقد حدّث بذلك الشيخ الطوسي رحمه الله، قال:

وأخبرني الحسين بن إبراهيم عن أبي العبّاس أحمد بن عليّ بن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمّد الكاتب ابن بنت أُمّ كلثوم بنت أبي جعفر العَمري رضي الله عنه أنّ قبر أبي القاسم الحسين بن روح في النوبختيّة في الدرب الّذي كانت فيه دار عليّ بن أحمد النوبختي النافذ إلى التلّ وإلى الدرب الآخر وإلى قنطرة الشوك رضي الله عنه .

قال: وقال لي أبو نصر: مات أبو القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه في شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة[٢].

وتقدّم التاريخ أيضاً عن نفس الراوي من السيّد الأُستاذ[٣]، رزقنا الله تعالى زيارة ساداتنا في العراق من الأئمّة المعصومين عليهم السلام والنواب الأربعة في بغداد رضوان الله عليهم.

قوله عليه السلام: «عرّفك الخير كلّه وختم به عملك» دعاء وتعليم له لمن يستأهل لذلك، أو يرجى اهتداؤه، ومورد الدعاء قد عرفت أنّه النائب الثالث المهتدي بهدى الإمام المهديّ عليه السلام، وهو هدى الأنبياء وخاتمهم والأئمّة الهادين عليهم السلام.

* * *

---

(١) كتاب الغيبة: ٢٣٩ ـ ٢٤٠. (٢) الغيبة: ٢٣٨.

(٣) معجم رجال الحديث ٥: ٢٣٦. أمّا تاريخ نصبه للنيابة فهو من موت العمري ٣٠٤، أو ٣٠٥؛ لعلّه يشهد الثاني أوّل كتاب ورد بالأهواز يوم الأحد لست ليال خلون من شوّال سنة خمس وثلاثمائة انظر كتاب الغيبة: ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

٢٤٧
عصمنا الله وإيّاكم من المهالك والأسواء

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام جاءت في التوقيع الصادر على يد أبي عمرو العَمري جواباً عمّا أنفذته الشيعة حين تشاجروا مع ابن أبي غانم القزويني السابق الذكر عند «عافانا الله وإيّاكم...»[(١)]، وعند «أجارنا وإيّاكم من سوء المنقلب»[(٢)]، وعند «إذا أفل نجم طلع نجم»[(٣)] وكلمات مختارة منه. ولربط الكلمة به ما يلي:

«وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار. عصمنا الله وإيّاكم من المهالك والأسواء والآفات والعاهات كلّها برحمته؛ فإنّه وليّ ذلك والقادر على ما يشاء، وكان لنا ولكم وليّاً وحافظاً...»[(٤)].

أقول:

إنّها كلمة دعاء ووقاية تقال عند مظنّة المزلق. و«وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار» اقتباس من آية ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[(٥)]: أي العقبى الجميلة للمؤمنين، وتكون الأُخرى للكافرين. ولعلّه عليه السلام يريد بالوعيد المذكور المنكرين لنفسه المقدّسة كابن أبي غانم القزويني المتشاجر في وجود الخلف، والعتلّ طاغوت عصر إمام العصر روحي فداه.

---

(١) رقمه ٢٤٣. (٢) رقمه ١٧. (٣) رقمه ٣٥.
(٤) كتاب الغيبة: ١٧٤، الاحتجاج ٢: ٢٧٩. (٥) الرعد: ٤٢.

قوله عليه السلام: «عصمنا الله وإيّاكم من المهالك والأسواء» دعاء وقاية.

ما هي العصمة:

للعصمة معنيان: معنى خاصّ الّذي نعتبره في النبي أو الوحي. ومعنى مطلق.

أمّا الأوّل: فالمعصوم هو الممتنع عن المعاصي المعتصم بحبل الله وهي حالة يمتنع معها من نيّة العصيان فضلاً عن ركوبه وليست الحالة حالة جبر وقهر رافع لأصل التكليف، بل لطف ربانيّ.

قال الشيخ الطريحي: والمعصوم: الممتنع من جميع محارم الله كما جاءت به الرواية، وعن عليّ بن الحسين عليه السلام: «الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فتعرف، قيل: فما معنى المعصوم؟ قال: المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام؛ ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ[1]﴾[2]».

والمعصوم هو القرآن الناطق بوجوده المقدس، وسيرته تجسّد القرآن، والقرآن لا بدّ له من ترجمان، وترجمانه المعصوم عليه السلام؛ ومن أجله لا يفترقان، ويشهد ذلك حديث الثقلين المتّفق ثبوته عند الشيعة والسنّة[3].

وأمّا المعنى المطلق للعصمة فهو عبارة عن التمسّك والحفظ والامتناع في كلّ شيء ومنه «من كانت عصمته شهادة أن لا إله إلّا الله» ـ أي ما يعصمه من المهالك يوم القيامة ـ العصمة: المنعة، والعاصم: المانع الحامي، والاعتصام: الامتساك بالشيء افتعال منه ومنه شعر أبي طالب عليه السلام:

❊ ثمال اليتامى عصمة للأرامل ❊[4]

---

(١) الإسراء: ٩.

(٢) مجمع البحرين ٦: ١١٦ ـ عصم ـ.

(٣) مجلّد خاصّ من عبقات الأنوار.

(٤) نهاية ابن الأثير ٣: ٢٤٩ ـ عصم ـ.

﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [١] قرئ بالتخفيف والتشديد. وعصم الكوافر هو ما يعتصم به من عقد وسبب ـ أي لا تتمسّكوا بنكاح الكافرات ـ... ويسمّى النكاح عصمة؛ لأنّها لغة: المنع والمرأة بالنكاح ممنوعة من غير زوجها [٢].

قوله ﷺ: «عصمنا الله...» فيه سؤال وهو أنّ الإمام المهدي روحي فداه معصوم بكلّ ما للعصمة من مفهوم، فما وجه الطلب منه تعالى لنفسه؟ وأمّا الآخرون فللطلب لهم مجال واسع.

والجواب: أنّ المعصوم ﷺ عبدٌ من عباد الله نعم ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [٣] إلّا أنّه يحبّ ما يحبّه الله والله تعالى يحبّ أن يطلب منه إطلاقاً، على أنّ الله القدرة المطلقة والغنى كلّه، وبيده الأمر والخلق؛ وذلك للازدياد أو لطلب الدوام المطلق أو غير ذلك، فتدبّر.

* * *

---

(١) الممتحنة: ١٠.

(٢) مجمع البحرين ٦: ١١٦ ـ عصم ـ.

(٣) الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧.

٢٤٨
على الله حصاد الباقين

من ملاحم الإمام المهديّ عليه السلام ما رواه الشيخ الصدوق من حديث مشاهدة عليّ ابن مهزيار في جبال الطائف وسؤاله عن وقت الخروج، قال عليه السلام في كلام له:

«ويخرج السروسي من إرمنية [في الأصل إرمنيّة] وآذربيجان، يريد وراء الريّ الجبل الأسود المتلاحم بالجبل الأحمر لزيق جبل طالقان، فيكون بينه وبين المروزي وقعة صيلمانية[١] يشيب فيها الصغير، ويهرم منها الكبير، ويظهر القتل بينهما، فعندها توقعوا خروجه إلى الزوراء فلا يلبث بها حتّى يوافي باهان [ماهان][٢] ثمّ يوافي واسط العراق، فيقيم بها سنة أو دونها، يخرج إلى كوفان، فيكون بينهم وقعة من النجف إلى الحيرة إلى الغري وقعة شديدة تذهل منها العقول، فعندها يكون بوار الفئتين، وعلى الله حصاد الباقين»[٣].

بيان:

يخرج رجل من أرمنستان وآذربيجان الشرقية الروسية في المستقبل، واحتمالاً يريد إيران ويدخل جيشه فيها فيتحرك الخراساني من مرو خراسان بجيشه فيحاربونهم بما يشيب منه الصغير ويبيد الكبير، ثمّ يدخل العراق فيغزو بغداد

---

(١) أي الحرب الشديدة. (٢) الدينور والنهاوند.

(٣) إكمال الدين ٢: ٤٦٩، الباب ٤٣ ح ٢٣.

وكوفان والنجف وحواليها، وتستعر نار الحرب المدمّرة فيهلك الجيشان، وعلى الله هلاك البقية الباقية قبل خروجه عليه السلام.

ويحتمل المراد منه الشروسي بالشين[١] الرجل الشرس الغليظ السيء الخلق وغزو التتر لإيران وبغداد وهو المُغل الروسي جنكز خان ومن حوادث سنة ٦١٧هـ، ولد في أقليم دولون بلدق بلاد الروس سلطان التتر المُغل الشرس، يقال ولد وعلى يده بقعة متجمّدة من الدم كأنّها علامة إراقة الدماء، هزّ بحروبه الدول العالميّة غزا إيران والعراق وما والاهما من بلاد، وكان بغزوه ذهاب الدولة العباسيّة التي استمرت حوالي ٥٢٤ سنة.

ولعلّه يشهد له قوله عليه السلام «و على الله حصاد الباقين».

* * *

(١) السروس أو الشروس مدينة في جبل نفوسة إفريقية معجم البلدان ٣: ٢١٧ أو غيرها.

٢٤٩

علمنا على ثلاثة أوجه: ماضٍ وغابر وحادث

المختار من جواب الإمام المهديّ عليه السلام عن سؤال السمري.

قال الطبري:

وقال عليّ بن محمّد السمري: كتبت إليه أسأله عمّا عندك من العلوم؟

فوقع عليه السلام :

علمنا على ثلاثة أوجه: ماضٍ وغابرٍ وحادثٍ، أمّا الماضي فتفسير، وأمّا الغابر فموقوف، وأمّا الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع وهو أفضل علمنا، ولا نبي بعد نبيّنا(١).

من أحاديثهم الصعبة المستصعبة حديث علمهم عليهم السلام، وفي الكافي باب جهات علومهم.

روى الشيخ الكليني ثلاث روايات: قال:

١ ـ قال محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن إسماعيل، عن عمّه حمزة بن بزيع، عن عليّ السائي، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قال: مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماضٍ وغابر وحادث: فأمّا الماضي فمفسّر، وأمّا الغابر فمزبور، وأمّا الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع، وهو أفضل علمنا ولا نبي بعد نبيّنا(٢).

---

(١) دلائل الإمامة: ٢٨٦.

(٢) أُصول الكافي ١: ٢٦٤ ح ١.

فتجدها نفس التوقيع إلّا تفسير الغابر بـالمزبور ـ أي المكـتوب ـ والمـاضي المفسّر بالتفسير.

٢ ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن أبي زاهر، عن عليّ بن موسى، عن صفوان ابن يحيى، عن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام [قال] قلت: أخبرني عن علم عالمكم؟ قال: وراثة من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن عليّ عليه السلام قال: قلت: إنّا نتحدّث أنّه يقذف في قلوبكم وينكت في آذانكم، قال: أو ذاك[1].

أي ربما كان هذا أو ذاك.

٣ ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عمّن حدّثه، عن المفضّل بن عمر، قال: قـلت لأبي‌الحسن عليه السلام: روّينا عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: إنّ علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب، ونقر في الأسماع، فقال: أمّا الغابر فما تقدّم من علمنا، وأمّـا المـزبور فما يأتينا، وأمّا النكت في القلوب فإلهام وأمّا النقر في الأسماع فأمر الملك[2].

فترى بعضها يفسّر بعضها الآخر أو هو بيان موطنه وعلومهم عليهم السلام بما كان وبما يكون وبما هو كائن في صقع الدهر هذا المعلوم، وأمّا العلم فحقيقته غير معلومة.

والعلّامة المجلسي قد فسّر الماضي المفسّر بما فسّر لهم الرسول صلى الله عليه وآله وبيّن لهم من العلوم التي أخبروا بها من الوقائع الواقعة في الأنبياء والأُمم والحوادث وبداية الأُمور والعوالم.

والغابر: ما تعلّق بالأُمور الآتية، قال في القاموس: غَبَر الشيء غَبراً ـ أي بقي ـ والغابر الباقي، فيراد به الإخبار بالمحتوم المتعلق في المستقبل[3].

ولكن ينافي هذا التفسير ما في حديث المفضل ثالث أحاديث الكـافي «أمّـا الغابر: فما تقدّم من علمنا»، وكذا المـروي عـن النـاحية المـقدسة «وأمّـا الغـابر: فموقوف»، إلّا بتوجيهٍ بأن يراد من تقدّم العلم تقديره لهم قبل خلق الخلق والعوالم، وبالموقوف: الاختصاص بهم دون غيرهم من وقف على الشيء بمعنى عدم التجاوز

---

(١) أُصول الكافي ١: ٢٦٤ ح ٢. (٢) المصدر نفسه ح ٣. (٣) مرآة العقول ٣: ١٣٦ تلخيصاً.

عنه وهو وجه وجيه.

والمزبور: ـ أي المكتوب لنا في الجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام وغيرهما ـ وتدخل الشرائع والأحكام في الأُولى أو الثانية أو بالتفريق.

والحادث: ما يتجدّد من الله حتمه في الأُمور البدائية أو العلوم والمعارف الربانيّة أو تفصيل المجملات أو الأعمّ.

«فقذف في القلوب» بالإلهام من الله تعالى بلا توسط ملك أو «نقر في الأسماع» بتحديث الملك وكونه من أفضل علومهم؛ لاختصاصه بهم ولحصوله لهم بلا واسطة بشر، أو لعدم اختصاص الأوّلين به؛ إذ قد اطّلع على بعضهما بعض خواصّ الصحابة مثل سلمان وأبي ذرّ بإخبار النبيّ صلى الله عليه وآله، بل قد رأى بعض أصحابهم عليهم السلام بعض مواضع تلك الكتب. أو لأنّها من المعارف الربانيّة التي هي أشرف العلوم.

ولمّا كان هذا القول منه عليه السلام يوهم ادّعاء النبوّة؛ فإنّ الإخبار عن الملك عند الناس مخصوص بالأنبياء نفى عليه السلام ذلك الوهم بقوله: «ولا نبيّ بعد نبيّنا»؛ وذلك؛ لأنّ الفرق بين النبيّ والمحدّث إنّما هو برؤية الملك عند إلقاء الحكم وعدمها بالإسماع منه وعدمه[1].

وكلمة «أو ذاك» في آخر الحديث الثاني يفسّرها ما جاء في صحيح صادقيّ «إنّ الأرض لا تترك بغير عالم. قلت: الذي يعلمه عالمكم ما هو؟ قال: وراثة من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن عليّ بن أبي طالب عليه السلام علم يستغني عن الناس ولا يستغني الناس عنه. قلت: وحكمة يقذف [تقذف] في صدره أو ينكث [تنكث] في أُذنه؟ قال: ذاك وذاك»[2].

وعليه فيحتمل سقوط كلمة «ذاك» الأُولى منها، ويحتمل أن تكون «أو ذاك» استفهام فلا سقوط.

* * *

---

(١) مرآة العقول ٣: ١٣٦ ـ ١٣٨.

(٢) البصائر: ٣٤٦، الباب ٨ ح ١.

٢٥٠
علينا الإصدار كما كان منّا الإيراد

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام المختارة الصادرة على يد أبي عمرو العمري رحمه الله جواباً عن كتاب أنفذه جماعة من الشيعة تشاجروا مع ابن أبي غانم القزويني في (الخلف) ومنه:

«فاتّقوا الله وسلّموا لنا وردّوا الأمر إلينا، فعلينا الإصدار، كما كان منّا الإيراد...»[١].

وزّعنا التوقيع على نبذة كلمات مختارة منها: «إذا أفل نجم طلع نجم»[٢]، و«حذو النعل بالنعل»[٣]، و«لكلّ أجل كتاب»[٤]، و«ما شاء الله كان»[٥].

تماثل كلمة «علينا الإصدار كما كان منّا الإيراد» من بعض الوجوه آية ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[٦].

وفقرة من فقرات زيارة الجامعة: «وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم»[٧].

وقد عقد الشيخ الكليني طاب ثراه في الكافي باباً في معرفتهم أولياءهم، والتفويض إليهم ففي الباقري: «إنّا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان، وحقيقة النفاق»[٨].

---

(١) غيبة الطوسي: ١٧٣، الاحتجاج ٢: ٢٧٩.
(٢) رقمه ٣٥.
(٣) رقمه ١٦٨.
(٤) رقمه ٣٦٠.
(٥) رقمه ٣٩٠.
(٦) الغاشية: ٢٥ ـ ٢٦.
(٧) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٧٩.
(٨) أُصول الكافي ١: ٤٣٨ ح ٢.

وعن أحمد بن إدريس ومحمّد بن يحيى، عن الحسن بن عليّ الكوفي، عن عبيس بن هشام، عن عبد الله بن سليمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الإمام فوّض الله إليه كما فوّض إلى سليمان بن داود؟ فقال: نعم؛ وذلك أنّ رجلاً سأله عن مسألة فأجابه فيها، وسأله آخر عن تلك المسألة فأجابه بغير جواب الأوّل، ثمّ سأله آخر فأجابه بغير جواب الأوّلين، ثمّ قال: ﴿هَـٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ (أعط) بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، وهكذا هي في قراءة عليّ عليه السلام، قال: قلت: أصلحك الله فحين أجابهم بهذا الجواب يعرفهم الإمام؟ قال: سبحان الله أما تسمع الله يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ وهم الأئمّة ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [1] لا يخرج منها أبداً، ثمّ قال لي: نعم، إنّ الإمام إذا أبصر إلى الرجل عرفه وعرف لونه، وإن سمع كلامه من خلف حائط عرفه وعرف ما هو...[2].

وإنّ حساب الخلق غدا إليهم وبيدهم الشفاعة يشفعون بإذن الله.

قال رضي الدين محمّد بن الحسن القزويني:

والمراد بقوله عليه السلام: «علينا الإصدار كما كان منّا الإيراد»[3] لبيان وجوب الردّ والتسليم المذكورين أنّ إرجاعكم من الباطل الذي يذهب إليه وهمكم بإيضاح الحق لازم علينا على طبق المصلحة، كما أنّ إحضاركم على الحقّ عند غفلتكم عنه كان منّا دائماً؛ فإنّنا أئمتكم الراعون الدالّون إلى الصواب، الرادّون عن الخطأ.

فعلى ذلك لا يتعلّق الإصدار والإيراد بشيء واحد كما يتبادر إلى الأذهان من أصل الورود والصدور المستعملين في مشارب الإبل عند العطش والريّ. ويمكن اعتبارهما بالنسبة إلى شيء واحد باعتبار رعاية المصالح بحسب الأزمان كاستعمال التقيّة وعدمها في مسألة واحدة[4].

---

(١) الحجر: ٧٥ ـ ٧٦. (٢) أُصول الكافي ١: ٤٣٨ ـ ٤٣٩، ح ٣.

(٣) في التوقيع نفسه «وسلّموا لنا وردّوا الأمر إلينا» الغيبة: ١٧٣. (٤) ضيافة الإخوان: ٢٣٧.

من العيان غير المفتقر إلى بيان أنّ المعصومين عليهم السلام هداة الخلق ورعاتهم وهم الرعايا لهم، فلو جاء التمثيل لهم عليهم السلام بالرعاة، وللرعية بالأغنام لكان واقعاً موقعه؛ ومن ثمّ صحّ استعمال الإصدار والإيراد؛ ويشهد لضرب التمثيل لهما بذلك قول الشيخ الحر:

وفي كتاب فضل الشيعة عن أبيه عن سعد عن أحمد بن محمّد عن عبّاد بن سليمان عن سليمان الديلمي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: أنا الراعي راعي الأنام، أفترى الراعي لا يعرف غَنَمه؟ فقيل له: مَن غنمك يا أمير المؤمنين؟ فقال: صُفر الوجوه، ذُبل الشفاه من ذكر الله[1].

* * *

(١) الوسائل ٤: ١١٨٤، الباب ٥ من أبواب الذكر ح ١٣.

٢٥١
عليّ أن لا أتّخذ حاجباً ولا ألبس إلّا كما تلبسون ولا أركب إلّا كما تركبون

مشارطة الإمام المهديّ عليه السلام مع نقبائه ورؤساء جيشه، وإليك موجزها من حديث أمير المؤمنين عليه السلام المفصّل[١] قال: «فيقول لهم: إنّي لست قاطعاً أمراً حتّى تبايعوني على ثلاثين خصلة تلزمكم، لا تغيّرون منها شيئاً، ولكم عليَّ ثمان خصال.

قالوا: قد فعلنا ذلك، فاذكر ما أنت ذاكر يا ابن رسول الله...

فيخرجون معه إلى الصفا، فيقول: أنا معكم على أن لا تولّوا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا مُحرماً، ولا تأتوا فاحشة، ولا تضربوا أحداً إلّا بحقّه، ولا تكنزوا ذهباً ولا فضّة ولا بُراً ولا شعيراً، ولا تأكلوا مال اليتيم، ولا تشهدوا بغير ما تعلمون، ولا تخربوا مسجداً، ولا تقبّحوا مسلماً، ولا تلعنوا مؤاجراً إلّا بحقّه، ولا تشربوا مسكراً، ولا تلبسوا الذهب ولا الحرير ولا الديباج، ولا تبيعوها ربا، ولا تسفكوا دماً حراماً، ولا تغدروا بمستأمن، ولا تبقوا على كافر ولا منافق، وتلبسون الخشن من الثياب، وتتوسّدون التراب على الخدود، وتجاهدون في الله حقّ جهاده، ولا تشتمون، وتكرهون النجاسة، وتأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر.

---

(١) انظر عقد الدرر: ١٢٦ ـ ١٣٧.

فإذا فعلتم ذلك فعليّ أن لا أتّخذ حاجباً، ولا ألبس إلّا كما تلبسون، ولا أركب إلّا كما تركبون، وأرضى بالقليل، وأملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وأعبد الله عزّ وجلّ حقّ عبادته.

قالوا: رضينا واتبعناك على هذا. فيصافحهم رجلاً رجلاً»[1].

أقول:

تقدّم من الحديث عند «شأنكم وإيّاه»[2] كما وسبق سيرة النقباء[3].

* * *

---

(١) عقد الدرر: ١٣٣ ـ ١٣٤. (٢) رقمه ٢١٩.

(٣) رقمه ١. وقد تعرّضنا لهم وبعض ترجمتهم في غضون الكلمات المختارة.

٢٥٢

عليّ بالصندل الأحمر

جاء المختار من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام في حديث ظريف. رواه الشيخ الطوسي، عن علّان، عن ظريف أبي نصر الخادم قال: دخلت عليه ـ يعني صاحب الزمان عليه السلام ـ فقال لي: عليّ بالصندل الأحمر، فقال: فأتيته به، فقال عليه السلام: أتعرفني؟ قلت: نعم، قال: من أنا؟ فقلت: أنت سيّدي وابن سيّدي، فقال عليه السلام: ليس عن هذا سألتك، قال ظريف: فقلت جعلني الله فداك فسّر لي، فقال: أنا خاتم الأوصياء، وبي يدفع الله البلاء عن أهلي وشيعتي[1].

ما كنت قاصداً ذكر الحديث عن آخره؛ لأنّه سبق تمامه عند «أنا خاتم الأوصياء»[2] ولكنّ ذكر الحبيب حداني:

أدر ذكر من أهوى ولو بملامي[3] فإنّ أحاديث الحبيب مدامي

أعد ذكر نعمان لنا إنّ ذكره هو المسك ما كرّرته يتضوّع[4]

الصندل الأحمر:

قد تقدّم عن بعض السادة معناه وأنّه اسم شجر هندي طيّب الرائحة، كان يتّخذ

---

(١) غيبة الطوسي: ١٤٨، الإكمال ٢: ٤٤١، باب ٤٣ ح ١٢. (٢) رقمه ٨٨.

(٣) في ديوان ابن الفارض: ٨٥

* ولو بمنام * ولأمر ما أبدلناه * بملامي *

(٤) تاج العروس ٥: ٤٣٦ ـ ضوع ـ.

عوده للاستشمام بمنزلة العطور...[١].

الصندل معرب (چندن) من الأعواد الطيبة وأحسنه الأحمر فالأبيض مذيب الأورام نافع للصداع والخفقان وضعف المعدة، من شجر أصله من الهند ويوجد اليوم في المناطق الحارة صغيرة الأزهار ذو الأوراق وهو مقوي القلب، وقابض، ويستعمل في صنع القنائف والكراسي من أعواده، وصنع الأدوية[٢].

وكيف ما كان فلعلّ الأمر بإحضار الصندل الأحمر، لتطييب الجوّ وتعطير المجلس، وليزيده تضوّعاً وجمالاً.

لو أسمعوا يعقوب ذكر ملاحة — في وجهه نسي الجمال اليوسفي[٣]

* * *

(١) رقمه ٨٨، كلمة الإمام المهديّ عليه السلام: ٥٤٣.

(٢) منتهى الأرب ٢: ٧٠٥ بعد التعريب ـ صندل ـ.

(٣) ديوان ابن الفارض: ٨١.

٢٥٣
عهد إليّ أن لا أُجاور قوماً غضب الله عليهم ولعنهم

من وصيّة أبي محمّد العسكري لولده المهدي المنتظر عليه السلام برواية الشيخ الطوسي، ولربط المختار ما يلي منها:

«فقال: يابن المازيار[1] أبي أبو محمّد عهد إليّ أن لا أجاور قوماً غضب الله عليهم ولعنهم ولهم الخزي في الدنيا والآخرة ولهم عذاب أليم...»[2].

أقول:

قد وفى عليه السلام بالعهد فاختار الله له التفريد والاختفاء عن أعين العصاة اللعناء المغضوب عليهم والظالمين إلى أن يأذن الله له بالظهور. وفي وصيّة أُخرى أشرنا إليها في إهداء الكتاب إليك نصّ بعضها:

«فعليك يا بني بلزوم خوافي[3] الأرض وتتبّع أقاصيها؛ فإنّ لكلّ وليّ لأولياء الله عزّ وجلّ عدوّاً مقارعاً، وضدّاً منازعاً...»[4].

وإنّ من أعظم مؤهّلات الغضب واللعنة في الدارين مضادّة وليّ الله وحجّته والمقارعة والمنازعة، وقد أضبّت وأكبّت الأُمّة إلّا القليل منهم على ذلك كلّه. فترى الأُمّة قد تحكّمت عليهم فهم ما بين تقتيل وتشريد. فلو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرهم

---

(١) مخفّف مهزيار.

(٢) كتاب الغيبة: ١٦١.

(٣) انظر الإهداء.

(٤) إكمال الدين ٢: ٤٤٨، الباب ٤٣ ح ١٩.

بذلك لما زادوا عليه وهم القربى وأمسّ الناس به رحماً وقد أمرهم الله بالمودّة فيهم قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [(١)].

وعليه قد جاءت الوصية بترك المجاورة لأقوام غضب الله عليهم، وأن يسكن الجبال الوعرة، والبلاد العفرة وفي أبعد وأقصى الأرض.

قال: «وأمرني أن لا أسكن من الجبال إلّا وعرها؛ ومن البلاد إلّا عفرها...» [(٢)]، بأبي أنت وأُمّي من فريد وطريد وشريد ووحيد.

وإنّما كان ذلك ظلماً وقهراً من هذه الأُمّة وطواغيت الدنيا.

لا أضحك الله سنّ الدهر إن ضحكت
وآل أحمد مظلومون قد قهروا
مشرّدون نفوا عن عُقر دارهِمُ
كأنّهم قد جنوا ما ليس يغتفر [(٣)]

* * *

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) الغيبة: ١٦١.

(٣) المجالس السنية ١: ٤٩.

٢٥٤
عهد إليّ أن لا أُوطّن من الأرض إلّا أخفاها

من عهود الله على الأنبياء والأوصياء المشدّدة المأخوذة عليهم في عالم الميثاق أن يقوموا بما أُمروا به، وكلّ يعمل على شاكلته ووظيفته، إلى أن انتهى الأمر إلى أبي محمّد العسكري عليه السلام وتنفيذ ما عليه من العهد بأن يعهد إلى ولده المهدي عجّل الله فرجه.

ولموضع إبراهيم بن مهزيار عنده أظهر له بعض أسرار الاستتار وإليك برواية الشيخ الصدوق ربط المختار قال: «ثمّ قال: إنّ أبي عليه السلام عهد إليّ أن لا أُوطّن من الأرض إلّا أخفاها وأقصاها؛ إسراراً لأمري، وتحصيناً لمحلّي لمكائد أهل الضلال المردة من أحداث الأُمم الضوالّ. فنبذني إلى عالية الرمال، وجبت صرائم الأرض، ينظر[1] الغاية الّتي عندها يحلّ الأمر، وينجلي الهلع»[2].

أقول:

فوقعت الغيبة التامّة الكبرى بعد الصغرى إحداها أطول من الأُخرى، والكلام بيان لبعض أسرارها فمنها ما جاء في حديث ذكرنا عند «عهد إليّ أن لا أجاور قوماً غضب الله عليهم ولعنهم»[3] وأنّ جانب الحقّ لعزيز لا يذلّ لأقوام أنذال.

---

(١) أي أبوه عليه السلام.

(٢) إكمال الدين ٢: ٤٤٧، الباب ٤٣ ح ١٩.

(٣) نفس العنوان رقمه ٢٥٣.

ومنها أنّه عليه السلام لم يؤمر بالبيعة والمداراة لطواغيت الدهر كما كانت في آبائه عليهم السلام، ولعلّ ما قاله في بعض التوقيعات: «وفي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله لي أُسوة حسنة»[1] أنّ وجه المشابهة بينه وبينها أنّها عليها السلام لم تبايع أحداً من خلفاء عصرها كذلك ولدها المهدي يخرج حين يخرج ولا بيعة في عنقه من طواغيت زمانه؛ ومن ثمّ ابتعد عن الناس حتّى يأذن الله له بالخروج عجّل الله له ذلك.

* * *

(١) غيبة الطوسي: ١٧٣ ـ ١٧٤. أو استتارة كما كانت مستترة حتّى قبرها أو مظلوميتها.

باب الغين

٢٥٥

الغاصب يؤخذ بأشدّ الأحوال

نسبه إلى الإمام المهديّ عليه السلام بعض المعلّقين على مكاسب الشيخ الأنصاري في فروع الضمان ومنها الثوب المخاط بالخيوط المغصوبة المستلزمة للتلف إذا أُخرجت، وأنّ الواجب على الغاصب قيمة أوصافها[1] لا نفسها ولتوضيح المقصود نذكر متن المكاسب والتعليق، قال الشيخ طاب ثراه:

فالمبذول عوض عمّا خرج المال بذهابه عن التقويم، لا عن نفس العين، فالمضمون في الحقيقة هي تلك الأوصاف الّتي تقابل بجميع القيمة، لا نفس العين الباقية كيف[2] ولم تتلف هي، وليس لها على تقدير التلف أيضاً عهدة ماليّة، بل الأمر بردّها[3] مجرد تكليف لا يقابل بالمال، بل لو استلزم ردّها ضرراً ماليّاً على الغاصب أمكن سقوطه فتأمّل[4].

قال المعلق على كلمة (فتأمّل):

لعلّ وجه التأمل منافاة السقوط مع قوله عجّل الله له الفرج: «الغاصب يؤخذ بأشدّ الأحوال»[5].

---

(١) من سلامة الخيوط ودوامها ولونها مثلاً.

(٢) لأنّ قيمة العين بعد تلفها.

(٣) أي العين التالفة الأوصاف.

(٤) مكاسب السيّد محمّد كلانتر ٧: ٣١٦.

(٥) هامش المصدر نفسه رقم التعليق ٥.

أقول: على تقدير صدور القول عنه ﷺ وجوب قيمة الأوصاف ورد العين معاً وإن استلزم ردّها ضرراً ماليّاً على الغاصب؛ لأنّه يؤخذ بأشدّ أو أشقّ الأحوال. وقد تمسّك به جمع من الفقهاء، وطبّقوه على أعلى القيم من يوم الغصب ويوم التلف ويوم الأداء فيما لم يرد النص فيه، إذا اختلفت القيم نزولاً وصعوداً.

وفي مسألة اختلاط السفينة المغصوب أحد ألواحها مع سفن أُخرى للغاصب وإليك لفظ الجواهر[١]:

بل لو اختلطت السفينة بسفن كثيرة للغاصب ولم يوقف على اللوح إلّا بفصل الكلّ فالظاهر ذلك أيضاً للمقدّمة، وإن حكي عن الشافعيّة احتمال العدم، لكنّه في غير محلّه؛ لما عرفت من تطابق النص والفتوى على إلزام الغاصب هنا بالأشقّ على وجه يقدّم على نفي الضرر والحرج، كما أومأ ﷺ إليه بقوله: «الحجر المغصوب في الدار رهن على خرابها»[٢]؛ ضرورة اقتضائه ردّه على مالكه وإن استلزم خراب الدار أجمع، كما هو واضح[٣].

بيان:

إنّك تجد تمسّك المستدلّ على إخراج اللوح المغصوب مهما كلّف الأمر بالنصّ والفتوى وقاعدة الأخذ بالأشقّ.

وفي مسألة فقد المثل إذا كان المغصوب مثليّاً حتّى من البلاد النائية ردّاً لمن قال بعدم تحصيله، والرجوع إلى قيمة المثل قال صاحب الجواهر: بل مقتضى تكليف الغاصب بالأشقّ لزوم تحصيل المثل ولو من البلاد النائية التي لا ينقل منها عادة إن لم يستلزم التكليف بالمحال[٤].

---

(١) (وجوب نزع اللوح المغصوب المستدخل في السفينة).

(٢) الوسائل ١٧: ٣٠٩، الباب ١ من أبواب الغصب ح ٥. علوي.

(٣) الجواهر ٣٧: ٧٧ ـ ٧٨.

(٤) الجواهر ٣٧: ٩٦.

وفي مسألة تلف المغصوب، واختلاف الغاصب والمغصوب منه في القيمة إلى قولين، والأكثر على أنّ القول قول المغصوب منه المطبّق على قاعدة الأخذ بالأشقّ، وإن ضعّف ذهابهم إليه قال صاحب الرياض:

(لو تلف المغصوب واختلفا في القيمة فالقول قول الغاصب) الغارم وفاقاً للمبسوط[١] والخلاف[٢] والحلي[٣] والفاضلين[٤] والشهيدين[٥] وكثير من المتأخرين بل عامتهم استناداً إلى أنّه منكر وغارم والأصل عدم الزيادة.

وقيل: كما عن النهايه[٦] والمقنعة[٧] و نسبه الماتن في الشرائع[٨] إلى الأكثر أنّ (القول قول المغصوب منه) قيل: لأنّ المالك أعرف بقيمة ماله من الغاصب، مع مناسبة ذلك لمؤاخذته بأشقّ الأحوال...[٩].

ومن قول الأكثر يظهر أن الترجيح من جانب المغصوب منه لانطباقه على قاعدة «الغاصب يؤخذ بأشق الأحوال» ولا يخفى أنّ ما رواه المعلق السابق الذكر من الحديث هو لفظه «بأشد» و في كلمات الفقهاء المتقدّم بعضها «بأشق».

وكيف كان ومع ذلك كلّه فقد قال الشيخ الأنصاري: وأمّا ما اشتهر من أنّ الغاصب مأخوذ بأشق الأحوال فلم نعرف له مأخذاً واضحاً[١٠].

وظاهره عدم ثبوت الحديث عنده، وقد عرفت في أوائل الكتاب أنّا لا نردّ حديثاً منسوباً إليهم عليهم السلام ما لم يستلزم محالاً، بل وعلى العكس أنّ الحديث الجاري موافق للمقياس الشرعي والعقلي من كبح الظالم بكلّ أشكاله وكسح الظلم من جذوره بالتشدّد على من اتّخذه ذريعة للحصول على ما دام من أُمنياته، وسحق حقوق الآخرين وإن كان في ذلك مخالفة للعقل والدين.

---

(١) المبسوط ٣: ٧٥. (٢) الخلاف ٣: ٤١٢ المسألة ٢٦. (٣) السرائر ٢: ٤٩٠.
(٤) شرائع الإسلام ٣: ٢٤٩، مختلف الشيعة ٦: ١٢٨. (٥) اللمعة الدمشقية: ١٤٢، الروضة ٧: ٥٨.
(٦) النهاية: ٤٠٢. (٧) المقنعة: ٦٠٧. (٨) شرائع الإسلام ٣: ٢٤٩.
(٩) رياض المسائل ١٢: ٢٩٣. (١٠) مكاسب السيّد كلانتر ٧: ٣٣١.

والغصب لغة كما قال ابن الأثير: هو أخذ مال الغير ظلماً وعدواناً[١] أو أخذ الشيء ظلماً.

قال ابن منظور الأزهري: سمعت العرب تقول: غصبت الجلد غصباً إذا كددت عنه شعره أو وبره قسراً بلا عطن في الدباغ، ولا إعمال في ندى أو بول، ولا إدراج[٢].

وفي عرف الفقه: الاستقلال بإثبات اليد على مال الغير عدواناً. وقال صاحب الجواهر: وفي الكفاية والمفاتيح: الاستيلاء على حقّ الغير بغير حقّ... وعن الوسيلة: الاحتواء على مال الغير بغير تراض[٣].

الغصب في القرآن: قوله تعالى: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾[٤].

وأمّا الحديث فحدّث ولا حرج، و منه التفسير بما في الآية لزرارة بن أعين في صحيح عبد الله بن زرارة، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: اقرأ منّي على والدك السلام، وقل له: إنّي إنّما أعيبك دفاعاً منّي عنك... فأحببت أن أعيبك ليحمدوا أمرك في الدين بعيبك وبنقصك ويكون بذلك منّا دافع شرهم عنك يقول الله عزّ وجلّ: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾[٥]... فافهم المثل يرحمك الله... فإنّك أفضل سفن ذلك البحر القمقام الزاخر، وإنّ من ورائك مَلِكاً ظلوماً غصوباً يرقب عبور كلّ سفينة صالحة ترد من بحر الهدى ليأخذها غصباً...[٦].

ذكرناه في أمثال وحكم الإمام الصادق عليه السلام[٧].

عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث المناهي ممّن خان جاره شبراً من الأرض جعله الله

---

(١) النهاية ٣: ٣٧٠ ـ غصب ـ. (٢) اللسان ١: ٦٤٨ ـ غصب ـ. (٣) الجواهر ٣٧: ٨.
(٤) الكهف: ٧٩. (٥) الكهف: ٧٩.
(٦) اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشيّ: ١٣٨ ـ ١٣٩، الرقم ٢٢١.
(٧) مخطوط.

طوقاً في عنقه من تخوم الأرض السابعة حتّى يلقى الله يوم القيامة مطوّقاً إلّا أن يتوب ويرجع.

وعن العبد الصالح عليه السلام... وله[١] صوافي الملوك ما كان في أيديهم على غير وجه الغصب؛ لأنّ الغصب كلّه مردود[٢].

وصادقي «عمّن أخذ أرضاً بغير حقّها وبنى فيها؟ قال: يرفع بناؤه، وتُسلّم التربة إلى صاحبها، ليس لعرق ظالم حقّ، ثمّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أخذ أرضاً بغير حقّ كلّف أن يجعل ترابها إلى المحشر[٣].

أقول: دلّ بكلّ صراحة ووضوح على منع التصرف ووضع اليد على أموال الناس قلّت أو كثرت، ومنه قوله عجل الله فرجه: «لا يحلّ لأحد أن يتصرّف في مال غيره بغير أذنه»[٤] والغصب من أجلى مظاهر التصرّف الحرام الثابت تحريمه بالأدلّة الأربعة: الكتاب والسنّة والإجماع والعقل.

ونذكر تبعاً للشيخ الأنصاري صحيحة أبي ولّاد؛ لعلقة البحث حول الغصب والضمان.

قال طاب ثراه: وحيث إنّ الصحيحة مشتملة على أحكام كثيرة وفوائد خطيرة فلا بأس بذكرها جميعاً، وإن كان الغرض متعلّقاً ببعضها[٥].

والأُولى روايتها بلفظ الشيخ الكليني قال رحمه الله:

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن أبي ولّاد الحنّاط، قال: اكتريت بغلاً إلى قصر ابن هبيرة[٦] ذاهباً وجائياً بكذا وكذا، وخرجت في طلب

---

(١) أي للإمام عليه السلام. (٢) الوسائل ١٧: ٣٠٩، الباب ١ من أبواب الغصب ح ٢ و٣.

(٣) الوسائل ١٧: ٣١١، الباب ٣ من أبواب الغصب ح ١ و٢.

(٤) الوسائل ١٧: ٣٠٩، الباب ١ من أبواب الغصب ح ٤. (٥) مكاسب كلانتر ٧: ٢٦٨، البيع.

(٦) موضع قريب من الحائر هامش الكافي ٥: ٢٩١، وفي هامش مكاسب كلانتر ٧: ٢٦٨: وهبيرة كان عاملاً عند بني أُميّة في أواخر حكومتهم... والقصر هذا واقع في غربيّ الحلة... ←

غريم لي، فلمّا صرت قرب قنطرة الكوفة خُبّرت أنّ صاحبي توجّه إلى النيل[١] فتوجّهت نحو النيل، فلمّا أتيت النيل خُبّرت أنّ صاحبي توجّه إلى بغداد، فأتبعته وظفرت وفرغت ممّا بيني وبينه، ورجعنا إلى الكوفة وكان ذهابي ومجيئي خمسة عشر يوماً، فأخبرت صاحب البغل بعذري وأردت أن أتحلّل منه ممّا صنعت وأرضيه، فبذلت له خمسة عشر درهماً فأبى أن يقبل، فتراضينا بأبي حنيفة، فأخبرته بالقصّة وأخبره الرجل، فقال لي: وما صنعت بالبغل؟ فقلت: قد دفعته إليه سليماً، قال: نعم بعد خمسة عشر يوماً، فقال: ما تريد من الرجل؟ قال: أُريد كرى بغلي فقد حبسه عليّ خمسة عشر يوماً فقال: ما أرى لك حقّاً؛ لأنّه اكتراه إلى قصر ابن هبيرة فخالف وركبه إلى النيل وإلى بغداد فضمن قيمة البغل وسقط الكرى فلمّا ردّ البغل سليماً وقبضته لم يلزمه الكرى، قال: فخرجنا من عنده وجعل صاحب البغل يسترجع فرحمتهُ ممّا أفتى به أبوحنيفة: فأعطيتهُ شيئاً وتحلّلت منه، فحججت تلك السنة فأخبرت أبا عبد الله عليه السلام بما أفتى به أبو حنيفة فقال: في مثل هذا القضاء وشبهه تحبس السماء ماءها وتمنع الأرض بركتها، قال: فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: فماترى أنت؟ قال: أرى له عليك مثل كرى بغل ذاهباً من الكوفة إلى النيل، ومثل كرى بغل راكباً من النيل إلى بغداد، ومثل كرى بغل من بغداد إلى الكوفة توفيه إيّاه، قال: فقلت: جعلت فداك إنّي قد علفته بدراهم فلي عليه علفه، فقال: لا؛ لأنّك غاصب، فقلت: أرأيت لو عَطَبَ البغل ونفق أليس كان يلزمني؟ قال: نعم قيمة يوم خالفته، قلت: فإن أصاب البغل كسر أو دَبَر أو غمز[٢] فقال: عليك قيمة ما بين الصحة والعيب يوم تردّه عليه، قلت: فمن يعرف ذلك؟ قال: أنت وهو إمّا أن يحلف هو على القيمة فتلزمك،

← الجربوعيّة سابقاً وحالياً الهاشميّة... وتبعد عن الحلّة عشرين كيلومتراً... وعن الكوفة بستّة وستّين... وهذا القصر لم يبق منه أثر سوى أطلال.

(١) قرية بالكوفة بين واسط وبغداد أوّل المصدرين. قرية كانت للكوفة كما في ثانيهما ٢٦٩.

(٢) بالتحريك الخراج الحادث بالرجل مجمع البحرين. والغمز الميل فيه.

فإن ردّ اليمين عليك فحلفت على القيمة لزمه ذلك، أو يأتي صاحب البغل بشهود يشهدون أنّ قيمة البغل حين أكرى كذا وكذا فيلزمك، قلت: إنّي كنت أعطيته دراهم ورضي بها وحلّلني، فقال: إنّما رضي بها وحلّلك حين قضى عليه أبو حنيفة بالجور والظلم، ولكن ارجع إليه فأخبره بما أفتيتُك به فإن جعلك في حلّ بعد معرفته فلا شيء عليك بعد ذلك، قال أبو ولّاد: فلمّا انصرفت من وجهي ذلك لقيت المكاري فأخبرته بما أفتاني به أبوعبد الله وقلت له: قل ما شئت حتّى أعطيكه، فقال: قد حبّبت إليّ جعفر بن محمّد عليهما السلام ووقع في قلبي له التفضيل وأنت في حلّ، وإن أحببت أن أردّ عليك الّذي أخذت منك فعلت[1].

أقول:

وفي حديث الإمام الرضا عليه السلام: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقلت: وكيف يُحيي أمركم؟ قال: يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس؛ فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا»[2].

والحقّ تجده عياناً في حكمهم وكيف لا وهم الحَكَم العَدل وعنهم يؤخذ الحقّ والعدل والمعروف، «فالحقّ ما رضيتموه، والباطل ما أسخطتموه، والمعروف ما أمرتم به، والمنكر ما نهيتم عنه»[3].

وقد أورد على المختار بأنّ مقتضى الأخذ بالأشق تطليق زوجته ونكاحها. ولكنّه يردّ بأنّه خروج عن متفاهم أدلّة الضمان المالي، وعن القواعد الفقهيّة كهذه القاعدة المخصّصة عرفاً بما يأتي من قبل عنوان الغصب.

* * *

---

(١) الكافي ٥: ٢٩٠ ـ ٢٩١ ح ٦، الوسائل ١٧: ٣١٣ ـ ٣١٤، الباب ٧ من أبواب الغصب ح ١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٤٠ ح ٦٩، الوسائل ١٨: ٦٥، الباب ٨ من أبواب صفات القاضي ح ٥٢.

(٣) الاحتجاج ٢: ٣١٧، البحار ١٠٢: ٨٢.

٢٥٦
غداً تروح إلى أهلك؟

من قصّة إسماعيل بن الحسن الهرقلي، ولعلّها من أقرب القصص إلى الحقّ وأصدقها، وصورتها برواية الإربلي في كشف الغمة في ردّ منكري وجود الإمام المهدي عليه السلام أو أنّه في السرداب وأنّه كيف يمكن بقاؤه من غير أحد يقوم بطعامه وشرابه، قال رحمه الله: فهذا قول عجيب وتصور غريب؛ فإنّ الذين أنكروا وجوده عليه السلام، لا يردّون هذا، والذين يقولون بوجوده لا يقولون: إنّه في سرداب، بل يقولون: إنّه حي موجود يحلّ ويرتحل، ويطوف في الأرض... وينقلون قصصاً في ذلك وأحاديث يطول شرحها.

وأنا أذكر من ذلك قصّتين قرب عهدهما من زماني وحدّثني بهما جماعة من ثقات إخواني.

أقول: ثمّ ذكر قصّة الهرقلي بما يلي وهي الأُولى، والثانية قصّة السيّد عطوة الآتية ـ .

كان في البلاد الحلّيّة[1] شخص يقال له إسماعيل بن الحسن الهرقلي من قرية يقال لها هرقل، مات في زماني وما رأيته، حكى لي ولده شمس الدين قال: حكى لي والدي أنّه خرج فيه ـ و هو شباب ـ على فخذه الأيسر توثة مقدار قبضة الإنسان، وكانت في كلّ ربيع تشقق ويخرج منها دم وقيح ويقطعه ألمها عن كثير من

---

(١) كذا في نسختي.

أشغاله، وكان مقيماً بهرقل[١] فحضر الحلة يوماً ودخل إلى مجلس السعيد رضي الدين عليّ بن طاووس رحمه الله وشكا إليه ما يجده منها، وقال: أُريد أن أُداويها، فأحضر له أطباء الحلّة وأراهم الموضع، فقالوا: هذه التوثة فوق العرق الأكحل، وعلاجها خطر ومتى قطعت خيف أن ينقطع العرق فيموت، فقال له السعيد رضي الدين قدّس روحه: أنا متوجّه إلى بغداد وربّما كان أطباؤها أعرف وأحذق من هؤلاء فأصحبني، فصعدت معه، وأحضر الأطباء، فقالوا كما قال أُولئك فضاق صدره، فقال له السعيد: إنّ الشرع قد فسح لك في الصلاة في هذه الثياب، وعليك الاجتهاد في الاحتراس، ولا تغرر بنفسك فالله تعالى قد نهى عن ذلك ورسوله، فقال له والدي: إذا كان الأمر على ذلك وقد وصلت إلى بغداد فأتوجّه إلى زيارة المشهد الشريف بسرّ من راى على مشرّفه السلام، ثمّ أنحدر إلى أهلي، فحسن له ذلك، فترك ثيابه ونفقته عند السعيد رضي الدين وتوجّه، قال: فلمّا دخلت المشهد وزرت الأئمّة عليهم السلام ونزلت السرداب واستغثت بالله تعالى وبالإمام عليه السلام وقضيت بعض الليل في السرداب وبتُّ في المشهد إلى الخميس، ثمّ مضيت إلى دجلة واغتسلت ولبست ثوباً نظيفاً وملأت إبريقاً كانَ معي وصعدت أُريد المشهد، فرأيت أربعة فرسان خارجين من باب السور، وكان حول المشهد قوم من الشرفاء يرعون أغنامهم فحسبتهم منهم، فالتقينا فرأيت شابّين أحدهما عبد مخطوط، وكلّ واحد منهم متقلد بسيف، وشيخاً منقباً بيده رمح والآخر متقلد بسيف وعليه فَرَجيّة[٢] ملونة فوق

---

(١) لم أجدها سوى قول الحموي في هِرَقلة: بالكسر ثمّ الفتح: مدينة ببلاد الروم، سمّيت بهرقلة بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام وكان الرشيد غزاها بنفسه، ثمّ افتتحها عنوة بعد حصار وحرب شديد ورمي بالنار والنفط حتّى غلب أهلها، فلذلك قال المكي الشاعر:

هوت هِرقلة لما أن رأت عجباً ... جوّ السماء ترتمي بالنفط والنار
كأنّ نيراننا في جنب قلعتهم ... مصبّغات على أرسان قصّار

معجم البلدان ٥: ٣٩٨.

(٢) لعلّ الفرجيّة الملونة لباس واسع من الفرجة السعة وردانه المغطّي قبضة سيفه عليه السلام أو ردان منفصل يلبسه بعض الأشراف، أو ملبس خاصّ من ملابس أهل سرّ من رأى.

السيف وهو متحنك بعذبته، فوقف الشيخ صاحب الرمح يمين الطريق ووضع كعب الرمح في الأرض، ووقف الشابّان عن يسار الطريق، وبقي صاحب الفَرجَيّة على الطريق مقابل والدي، ثمّ سلّموا عليه فردّ عليه السلام، فقال له صاحب الفَرجَيّة: أنت غداً تروح إلى أهلك؟ فقال: نعم، فقال له: تقدّم حتّى أبصر ما يوجعك، قال: فكرهت ملامستهم، وقلت في نفسي: أهل البادية ما يكادون يحترزون من النجاسة وأنا قد خرجت من الماء وقميصي مبلول، ثمّ إنّي بعد ذلك تقدّمت إليه فلزمني بيده ومدّني إليه، وجعل يلمس جانبي من كتفي إلى أن أصابت يده التوثة فعصرها بيده فأوجعني، ثمّ استوى في سرجه كما كان، فقال لي الشيخ: أفلحت يا إسماعيل فعجبت من معرفته باسمي، فقلت: أفلحنا وأفلحتم إن شاء الله، قال: فقال لي الشيخ: هذا هو الإمام، قال: فتقدمت إليه فاحتضنته وقبّلت فخذه.

ثمّ إنّه ساق وأنا أمشي معه محتضنه، فقال: ارجع، فقلت: لا أفارقك أبداً، فقال: المصلحة رجوعك، فأعدت عليه مثل القول الأوّل، فقال الشيخ: يا إسماعيل ما تستحي يقول لك الإمام مرّتين: ارجع وتخالفه؟! فجبهني بهذا القول، فوقفت فتقدّم خطوات والتفت إليّ، وقال: إذا وصلت بغداد فلابدّ أن يطلبك أبو جعفر ـ يعني الخليفة المستنصر ـ ، فإذا حضرت عنده وأعطاك شيئاً فلا تأخذه، وقل لولدنا الرضي[1]: ليكتب لك إلى عليّ بن عوض، فإنّني أُوصيه يعطيك الذي تريد، ثمّ سار وأصحابه معه، فلم أزل قائماً أبصرهم إلى أن غابوا عني، وحصل عندي أسف لمفارقته، فقعدت إلى الأرض ساعة، ثمّ مشيت إلى المشهد، فاجتمع القوّام حولي، وقالوا: نرى وجهك متغيّراً أأوجعك شيءٌ؟ قلت: لا، قالوا: أخاصمك أحد؟ قلت: لا، ليس عندي ممّا تقولون خبرٌ، لكن أسألكم هل عرفتم الفرسان الذين كانوا عندكم؟ فقالوا: هم من الشرفاء أرباب الغنم، فقلت: لا، بل هو الإمام عليه السلام، فقالوا: الإمام هو

---

(١) رقمه ٢٩٠.

الشيخ، أو صاحب الفَرَجيّة؟[١] فقلت: هو صاحب الفَرَجيّة، فقالوا: أريته المرض الذي فيك؟ فقلت: هو قبضه بيده وأوجعني، ثمّ كشفت رجلي فلم أر لذلك المرض أثراً فتداخلني الشكّ من الدهش، فأخرجت رجلي الأُخرى فلم أر شيئاً، فانطبق الناس عليّ ومزّقوا قميصي، فأدخلني القوّام خِزانة ومنعوا الناس عنّي، وكان ناظرٌ[٢] بين النهرين بالمشهد، فسمع الضجّة وسأل عن الخبر فعرّفوه، فجاء إلى الخزانة وسألني عن اسمي وسألني منذ كم خرجت من بغداد، فعرّفته أنّي خرجت في أوّل الأُسبوع، فمشى عنّي وبتّ في المشهد، وصلّيت الصبح وخرجت وخرج الناس معي إلى أن بعدت عن المشهد، ورجعوا عنّي ووصلت إلى أوانا[٣] فبتّ بها وبكّرت منها أُريد بغداد، فرأيت الناس مزدحمين على القنطرة العتيقة يسألون من ورد عليهم عن اسمه ونسبه وأين كان، فسألوني عن اسمي ومن أين جئت، فعرّفتهم، فاجتمعوا عليّ ومزّقوا ثيابي، ولم يبق لي في روحي حكم، وكان ناظرٌ بين النهرين كتب إلى بغداد وعرّفهم الحال، ثمّ حملوني إلى بغداد، وازدحم الناس عليّ وكادوا يقتلونني من كثرة الزحام، وكان الوزير القميّ رحمه الله تعالى قد طلب السعيد رضي الدين رضي الله عنه، وتقدّم أن يعرّفه صحّة هذا الخبر.

قال: فخرج رضي الدين ومعه جماعة فوافينا باب النوبي، فردّ أصحابه الناس عنّي، فلمّا رآني قال: أعنك يقولون؟ قلت: نعم، فنزل عن دابّته وكشف عن فخذي فلم ير شيئاً، فغشي عليه ساعة وأخذ بيدي وأدخلني على الوزير وهو يبكي ويقول: يا مولانا! هذا أخي وأقرب الناس إلى قلبي، فسألني الوزير عن القصّة فحكيت له، فأحضر الأطباء الذين أشرفوا عليها، وأمرهم بمداواتها، فقالوا: ما دواؤها إلّا القطع بالحديد ومتى قطعها مات، فقال لهم الوزير: فبتقدير أن تقطع ولا يموت في كم تبرأ؟ فقالوا: في شهرين، وتبقى في مكانها حفيرة بيضاء لا ينبت فيها شعر، فسألهم الوزير

---

(١) تقدّم معناها المحتمل والأقرب أنّها اللباس الواسع والسيف في حمائله عليه السلام تحته.

(٢) وفي النسخة: «ناظراً» والصحيح ما ذكرناه.

(٣) قرية قريبة من بغداد.

متى رأيتموه؟ قالوا: منذ عشرة أيّام، فكشف الوزير عن الفخذ الّذي كان فيه الألم وهي مثل أُختها ليس فيها أثر أصلاً، فصاح أحد الحكماء: هذا عمل المسيح، فقال الوزير حيث لم يكن عملكم فنحن نعرف من عملها.

ثمّ إنّه أُحضر عند الخليفة المستنصر، فسأله عن القصة فعرّفه بها كما جرى، فتقدم له بألف دينار، فلمّا حضرت قال: خذ هذه فأنفقها، فقال: ما أجسر آخذ منه حبّة واحدة، فقال الخليفة ممّن تخاف؟ فقال: من الذي فعل معي هذا، قال: لا تأخذ من أبي جعفر شيئاً، فبكى الخليفة وتكدّر، وخرج من عنده ولم يأخذ شيئاً.

قال أفقر عباد الله تعالى إلى رحمته عليّ بن عيسى عفا الله عنه: كنت في بعض الأيّام أحكي هذه القصّة لجماعة عندي، وكان شمس الدين محمّد ولده عندي، وأنا لا أعرفه؟ فلمّا انقضت الحكاية قال: أنا ولده لصلبه، فعجبت من هذا الاتّفاق، وقلت: هل رأيت فخذه وهي مريضة؟ فقال: لا؛ لأنّي أصبو عن ذلك، ولكني رأيتها بعد ما صلحت ولا أثر فيها، وقد نبت في موضعها شعر.

وسألت السيّد صفي الدين... ونجم الدين حيدر بن الأيسر رحمهما الله تعالى... فأخبراني بصحة هذه القصّة، وأنّهما رأياها في حال مرضها وحال صحتها.

وحكى لي ولده هذا أنّه كان بعد ذلك شديد الحزن لفراقه عليه السلام...[1].

وقد أتى الإربلي على صدق القصة بما لا يبقى الشكّ معه، ولأجل قلّة الإيمان وفقد المعرفة الكافية لبعضنا يأتي منه ما لا يحمد عقباه، ولولاه لكنّا كما كان إسماعيل الهرقلي، وإنّما بلغ ما بلغ بإخلاص وإيمان يفقدهما الكثير، ربّنا زدنا إيماناً وإخلاصاً حتّى تأهّلنا للاتصال بوليّك المقرّب لديك الإمام المهدي عليه السلام.

* * *

---

(١) كشف الغمّة ٣: ٢٨٣ ـ ٢٨٧، البحار ٥٢: ٦١ ـ ٦٥.

ولا يخفى أنّ مرضه المعبّر عنه بالتوثة قيل هي لحمة متدليّة كالتوت أُعني الفرصاد، قد تكون حمراء وقد تصير سوداء، وأغلب ما تخرج في الخد والوجنة، صعب العلاج حتّى الآن هامش البحار ٥٢: ٦١.

٢٥٧
غفر الله لك ولوالديك

من الكلمات الجارية على اللسان السائرة بها الركبان ما جاء في بعض التوقيعات عن الإمام المهديّ عليه السلام، رواه الشيخ الصدوق بإسناده إلى أبي القاسم بن أبي حليس قال: قال: وكتب محمّد بن يزداذ يسأل الدعاء لوالديه. فورد: «غفر الله لك ولوالديك، ولأُختك المتوفاة الملقبة كلكى».

وكانت[١] هذه امرأة صالحة متزوجة بجوّار[٢].

سبقت ترجمة محمّد بن يزداذ، وأنّ القائل لـ «قال: وكتب...» المتكرّر في الحديث هو أبو القاسم بن أبي حليس على ما ذهب إليه الأُستاذ السيّد أبو القاسم الخوئي عند «تقبّل الله منهم وأحسن إليهم»[٣].

وهل كلمة «غفر الله لك ولوالديك» مجرّد طلب المغفرة، أو إخبار عن تحققها؟.

الجواب: أنّ الغالب عليها الطلب المرجو من الله تعالى، نعم، إذا صدرت عن المعصوم عليه السلام احتملت الإخبار بالتحقق بل دعاؤه يقيناً مستجاب وإن كان بصورة الطلب، ويمكن القول بذلك في كلّ دعاء: لقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٤] إمّا

---

(١) لعلّ هذا التفسير من الراوي.

(٢) إكمال الدين ٢: ٤٩٤، الباب ٤٥ ح ١٨، البحار ٥١: ٣٣٢. (جوّار) أكّار.

(٣) رقمه ١٤٩.

(٤) غافر: ٦٠.

مشروطاً بشروط تقدم بيانها[١]، أو مطلقاً، عاجلاً أو آجلاً. ولربّ دعاء يبدّله الله بالأصلح لدين الداعي أو دنياه؛ لعلمه تعالى بعواقب الأمور وجهل الداعي بها؛ ذلك بأنّ الله رؤوف بالعباد، وطبقاً لمقتضى رحمته الواسعة؛ ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[٢].

المغفرة:

قد جاء من هذه الكلمة مشتقّات في القرآن والحديث والأدعية وغيرها أكثر من أن تعدّ، وأصلها الستر والتغطية على الذنوب. وذلك الغالب عليها قد جاء في اللغة به. قال ابن الأثير: في أسماء الله(الغفّار والغفور) وهما من أبنية المبالغة ومعناهما الساتر لذنوب عباده وعيوبهم، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم. وأصل الغفر: التغطية. يقال: غفر الله لك غفراً وغفراناً ومغفرة. والمغفرة: إلباس الله تعالى العفو للمذنبين[٣].

وابن فارس قال: قال في الغفر:

في ظلّ من عنت الوجوه له ... ملك الملوك ومالكَ الغفر

ويقال: غفر الثوب إذا ثار زِئبِرهُ، وهو من الباب؛ لأنّ الزِئبر يغطّي وجه الثوب. ويقال الغفير: الشعر السائل في القفا. وذُكرَ عن امرأة من العرب أنّها قالت لابنتها: (اغفري غفيرك) تريد غطّيه[٤].

موجبات الغفران:

منها: العفو والصفح عمّن لك عليه حقّ مضيّع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ

---

(١) عند «أكثروا الدعاء بتعجيل الفرج» رقمه ٦٨، فيه من روايات الدعاء، وآدابه وشروطه.

(٢) إبراهيم: ٢٧، فله تعالى المشيئة المطلقة في كلّ شيء خلقه الله تعالى.

(٣) النهاية ٣: ٣٧٣ ـ غفر ـ.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٤: ٣٨٥ ـ ٣٨٦ ـ غفر ـ.

مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

ووجه تقديم ذكر الأزواج والأولاد، ثمّ الترغيب على العفو والصفح والغفر هو أنّ التقصير وتضييع الحقّ متحقّق. وآية ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢).

وآية ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣) تدلّ على أنّ العفو والصفح إحسان، فإذا أحسنت أحسن الله إليك ومن إحسانه تعالى غفرانه و ﴿هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾ (٤).

ومنها: الصلاة ممحاة للذنوب وأنّها من أسباب المغفرة يشهد لها قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أهمّني ذنبٌ أمهلت بعده حتّى أُصلّي ركعتين» (٥).

وفيه تحذير عن ركوب الذنب؛ إذ لعلّه انتهت المهلة حين الركوب، وترغيب إلى التوبة العاجلة، إذ لعلّه لم يوفق لها بعد ذلك.

ومنها: الصلاة على محمّد وآل محمّد صلّى الله عليهم أجمعين. ففي علوي: «الصلاة على النبيّ وآله أمحق للخطايا من الماء للنار...» (٦).

ومنها: الاستغفار وأجمعه ما جاء بعد زيارة الإمام الرضا عليه السلام رواه المجلسي عن المفيد وفيه: «ربّ إنّي أستغفرك استغفار حياء، وأستغفرك استغفار رجاء...» (٧).

* * *

---

(١) التغابن: ١٤.
(٢) النور: ٢٢.
(٣) المائدة: ١٣.
(٤) الرحمن: ٦٠.
(٥) نهج البلاغة للسيّد الخطيب ٤: ٢٣٥، رقم الحكمة ٢٩٩.
(٦) الوسائل ٤: ١٢١٢، الباب ٣٤ من أبواب الذكر ح ١٠.
(٧) البحار ١٠٢ : ٥٦.

٢٥٨

غمّنا ذلك لكم لا لنا

من كلمات التوقيع الصادر عن الإمام المهديّ عليه السلام رواه الشيخ الطوسي طاب ثراه بإسناده عن عثمان بن سعيد العَمري النائب الأوّل، جواباً عن كتاب فيه تشاجر ابن أبي غانم القزويني مع جماعة من الشيعة في (الخلف)، ولربط المختار ما يلي من التوقيع:

«إنّه أُنهي إليّ ارتياب جماعة منكم في الدين، وما دخلهم من الشكّ والحَيرة في ولاة أُمورهم، فغمّنا ذلك لكم لا لنا، وساءنا فيكم لا فينا؛ لأنّ الله معنا ولا فاقة بنا إلى غيره، والحق معنا، فلن يوحشنا من قعد عنا...»[١].

يريد عليه السلام صدورنا أهل البيت تضيق ممّا يصلنا منكم من اعوجاج وانحراف في الدين؛ لأنّ الريب في الحجّة ريب في دين الله، وذلك يوجب لكم هلاك الأبد؛ ومن أجله يدخل علينا الغمّ والسوء، لا يضرّنا وإنّما غمّنا وسوؤنا لكم؛ لأنّكم بذلك تدخلون النار، وتخسرون الدارين، وأمّا نحن فبحمد الله في أمنٍ وغنىً عن ذلك كلّه.

الغمّ:

قد جاءت هذه الكلمة في القرآن في آي منه: منها قوله تعالى: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ﴾[٢] الغمّ والغُمّة في اللغة التغطية والضيق المسبّب عمّا يكرهه الإنسان

---

(١) الغيبة: ١٧٣، الاحتجاج ٢: ٢٧٨.
(٢) آل عمران: ١٥٣.

ولا يؤثره، فكأنّما جعل عليه غطاء ساتر عن الرؤية، وضيق بعد ما كان موسعاً.

ففي الآية قد دخل المسلمين ما يكرهون جرّاء صنيعهم الشنيع؛ وهو أنّهم في غزوة أُحُد أُمر جمع منهم بلزوم الثغور الجبليّة؛ لئلّا يدهمهم العدوّ من وراء الجبل فيحيطهم فتكاً وتشريداً، وكان الأمر كذلك حين ما لاحت أعلام الظفر والفتح تركوا الثغور طمعاً بالغنائم، فطلع عليهم العدوّ، وانتهزوا الفرصة، فكرّوا على المسلمين ووقعت الهزيمة النكراء فيهم، وأحاطهم الغمّ من كلّ مكان.

قال الفيض: فجزاكم الله عن قتلكم وعصيانكم غمّاً متّصلاً بغمّ.

القمي عن الباقر عليه السلام: فأمّا الغمّ الأوّل فالهزيمة والقتل، والغمّ الآخر فإشراف خالد بن الوليد[1].

فعبّر تعالى عنهما بالغمّ؛ لأنّ الهزيمة والقتل من أشدّ ما يكرهه الإنسان، فضاقت الدنيا على المسلمين برحبها، وغُطّوا بما غشيهم من أغطية ما لا يبصرون سبيل الظفر، ولكن الله تعالى رحمهم وكشف عنهم الغمّ وهو قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً...﴾[2].

قال ابن الأثير: غُمّ علينا الهلال إذا حال دون رؤيته غيم ونحوه، من غممت الشيء إذا غطيته... وفي حديث المعراج في رواية ابن مسعود: «كنّا نسير في أرض غُمّةٍ»، الغمّة: الضيقة[3].

* * *

---

(١) تفسير الصافي ١: ٣٩٣ ذيل الآية ١٥٣ من سورة آل عمران.

(٢) آل عمران: ١٥٤.

(٣) النهاية ٣: ٣٨٨ ـ غمم ـ.

باب الفاء

٢٥٩

فارقوا دينهم أم ارتابوا أم عاندوا الحقّ أم جهلوا؟؟؟

من التوقيع الخارج عن الناحية المحفوفه بالجلال على يد أبي عمرو العَمري وابنه رضي الله عنهما، تقدّم شطر منه عند «أعوذ بالله من العمى بعد الجلاء»(١) برواية الصدوق منه ما يلي:

«فارقوا دينهم أم ارتابوا أم عاندوا الحقّ أم جهلوا ما جاءت به الروايات الصادقة والأخبار الصحيحة، أو علموا ذلك فتناسوا ما يعلمون إنّ الأرض لا تخلو من حجة، إمّا ظاهراً وإمّا مغموراً...»(٢).

يريد عليه السلام بهذا التقسيم بيان ما عليه الناس من اختلافهم في الإيمان بالحجّة الّذي لم تخل الأرض منه ساعة وإلّا لساخت بأهلها، وقد مرّ غير مرّة في غضون الأبحاث بيان ذلك، ولا بأس بالإشارة إلى بعض النصوص في هذا الصدد، قال الشيخ الكليني في باب الاضطرار إلى الحجّة:

حدّثنا عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن العباس بن عمر الفقيمي، عن هِشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال للزنديق الذي سأله من أين أثبتَّ الأنبياء والرسل؟ قال: إنّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك

---

(١) رقمه ٦٠.

(٢) إكمال الدين ٢: ٥١٠ ـ ٥١١، الباب ٤٥ ح ٤٢.

الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا يلامسوه فيباشرهم ويباشروه ويحاجّهم ويحاجّوه ثبت أنّ له سفراء في خلقه، يعبّرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبّرون عنه جلّ وعزّ، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه حكماء مؤدّبين بالحكمة[١] مبعوثين بها غير مشاركين للناس على مشاركتهم في الخلق والتركيب في شيء من أحوالهم مؤيّدين[٢] من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثمّ ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان ممّا أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجّة يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته[٣].

أقول:

اشتمل الحديث على لزوم الحجة في كلّ زمان وعلى الشروط المؤهّلة له لهذا المنصب منها علم ما يحتاج الخلق إليه في أديانهم ودنياهم، وما يصدّق به دعواه من معجز وعلم وحكمة وسائر الميّزات.

وفي الباقري: «لو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعة لساخت بأهلها، كما يموج البحر بأهله»[٤]. والرضوي: «...لو خلت الأرض طرفة عين من حجّة لساخت بأهلها»[٥].

* * *

(١) في بعض النسخ «مؤدّبين في الحكمة».

(٢) وفي أُخرى: «مؤيّدين عند الحكيم العليم».

(٣) أُصول الكافي ١: ١٦٨ ح ١.

(٤) بصائر الدرجات الجزء العاشر: ٥٠٨ الحديث ٣.

(٥) بصائر الدرجات: ٥٠٩ الحديث ٨.

٢٦٠
فتّش عن دينار رازيّ السكّة

من إخبارات الإمام المهديّ عليه السلام بما في صُرَر كانت في جراب أحمد بن إسحاق الأشعري، وصورته الّتي رواها الشيخ الصدوق من حديثه ما يلي:

«فقال مولاي[١]: يا ابن إسحاق! استخرج ما في الجراب ليميّز ما بين الحلال والحرام منها، فأوّل صرّة بدأ أحمد بإخراجها قال الغلام[٢]: هذه لفلان بن فلان من محلّة كذا بقم، تشتمل[٣] على اثنين وستّين ديناراً، فيها من ثمن حجيرة باعها صاحبها، وكانت إرثاً له عن أبيه خمسة وأربعون ديناراً، ومن أثمان تسعة أثواب أربعة عشر ديناراً، وفيها من أُجرة الحوانيت ثلاثة دنانير. فقال مولانا: صدقت يا بنيّ دلّ الرجل على الحرام منها.

فقال عليه السلام: فتّش عن دينار رازيّ السكّة تاريخه سنة كذا، قد انطمس من نصف إحدى صفحتيه نقشه، وقراضةٍ[٤] آمليّة وزنها ربع دينار.

والعلّة في تحريمها أنّ صاحب هذه الصرة وَزَنَ في شهر كذا من سنة كذا على حائك من جيرانه من الغزل منّاً وربع منّ، فأتت على ذلك مدّة، وفي انتهائها قيّض

---

(١) أبو محمّد العسكري عليه السلام.

(٢) هو المهدي عجّل الله فرجه.

(٣) في الأصل «يشتمل» و الصحيح ما أثبتناه.

(٤) عطف على «دينار».

لذلك الغزل سارقٌ، فأخبر به الحائك صاحبه فكذّبه، واستردّ منه بدل ذلك منّاً ونصف منٍّ غزلاً أدقّ ممّا كان دفعه إليه واتّخذ من ذلك ثوباً كان هذا الدينار مع القراضة ثمنه.

فلمّا فتح رأس الصرّة صادف رقعة في وسط الدنانير باسم من أخبر عنه وبمقدارها على حسب ما قال، واستخرج الدينار والقراضة بتلك العلامة[1].

أقول:

«حجيرة» تصغير حجرة وهي الموضع المنفرد[2] و يحتمل أنّها من التحجير: قطعة من الأرض[3] ملكت بالتحجير والله العالم.

«رازي السكّة» نسبة إلى مدينة الري القريبة من طهران. والرازي ـ أي أهل الريّ[4] ـ ويقال للطهراني الرازي لقرب المكان. والمراد النقد الرائج الإيراني[5] في عصر الإمام عليه السلام.

«وقراضة آمليّة» أصلها في اللغة من القرض وما يسقط من المقراض ـ أي المقصّ ـ ومنها قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: «...فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة القرظ، وقراضة الجَلَم...»[6].

قال المعلّق والقرظ: ورق السلم، يدبغ به، وحثالته ما يسقط منه والجَلَم: المقصّ

---

(١) إكمال الدين ٢: ٤٥٨، الباب ٤٣ ح ٢١.

(٢) لسان لعرب ٤: ١٦٨ ـ حجر ـ.

(٣) أي أرض حجيرة قطعة منها ملكت بالتحجير.

(٤) المعجم الذهبي ـ فرهنك طلائي ـ ٢٩٠ رازي.

(٥) الحاكم على إيران يومذاك ملوك الطوائف منهم الطاهريّة بعد العلويّة وقبل الصفاريّة، والمعتمد العبّاسي نهاية الأرب للنويري ٢٢: ٣٠٥ ـ ٣٢٩، ومروج الذهب ٤: ١١١ ـ ١٤٢، تتمّة المنتهى: ٢٥٩ ـ ٢٦٨، مقتطفات.

(٦) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢: ١٧٥، الخطبة ٣٢.

تجزّ به أوبار الإبل. وقراضته: ما يقع من قرضه وقطعه[١].

بيان: يريد عليه السلام بضرب المثل للدنيا بحثالة القرظ قيل: أنّه ورق شجر الغضا وهو شجر شوكي برّي يؤخذ عوده للوقود، وهي الساقطة بعد رضّ الورق لا يكون إلّا أجزاء صغاراً، في القدر حيث لا يعبأ بها صِغراً وصَغاراً أن تنزّل الدنيا منزلة ذلك، أو هي أصغر قدراً ومقداراً من قراضة ساقطة عند قصّ الأوبار أو الصوف بالمقراض.

فلنعد إلى القراضة الآمليّة الّتي وزنها ربع دينار في كلام الإمام المهديّ عليه السلام، وهل المراد بالقراضة قطعة أجزاء ذهبيّة وزنها ربع دينار؟ أو من فضّة كانت كذلك؟ وهي من مسكوكات ضربت في بلدة (آمل) الكائنة حاليّاً في منطقة طبرستان الإيرانية، قال صاحب منتهى الأرب: (آمل كآنك) بلدة في طبرستان ينسب إليها محمّد بن جرير الطبري وفضل بن أحمد الزهري[٢].

و عليه فالقراضة واضحة المراد، وأنّها سكّة أو قطعة ذهبيّة أو غيرها منسوبة إلى تلك البلدة، تسوى ربع دينار ذهب، هي والدينار رازي السكّة حرام؛ لأخذها من صاحبها غصباً؛ ومن ثمّ أمر أبو محمّد عليه السلام بردّها إلى أهلها، وكذلك كلّ مال قد أُخذ من غير حلّه لا يليق أن تناله يد طاهرة، وقد سمعت قوله عجّل الله فرجه فيما سبق: «أيجوز أن أمدّ يداً طاهرةً إلى هدايا نجسة»[٣].

* * *

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢: ١٧٧.

(٢) منتهى الأرب ١: ٣٨، للصفي بور، بعد التعريب.

(٣) رقم الكلمة المختارة ١٢٧. وفيها بحوث سامية.

٢٦١
الفِراء متاع الغَنَم

جاء المختار في بعض الجوابات عن مسائل أحمد بن أبي روح، تقدّم منها عند «عافاك وصحّ لك جسمك»[(١)] ولربطه بما عن الإمام المهديّ عليه السلام ما يلي:

«فأمّا السمّور[(٢)] والثعالب فحرام عليك وعلى غيرك الصلاة فيه، ويحلّ لك جلود المأكول من اللحم إذا لم يكن [لك] غيره، فإن لم يكن لك بدٌّ فصلّ فيه، والحواصل[(٣)] جائز لك أن تصلي فيه، والفِراء متاع الغَنَم ما لم تذبح بأرمينية، تذبحه النصارى على الصليب فجائز لك أن تلبسه إذا ذبحه أخٌ لك، أو مخالف تثق به»[(٤)].

الضابط الشرعي:

إنّ كلّ ما لا يؤكل لحمه لا تجوز فيه الصلاة كما في صحيح زرارة عن الصادق عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «...لا تقبل تلك الصلاة حتّى تصلي في غيره ممّا أحلّ الله أكله...»[(٥)].

---

(١) رقمه ٢٤٢ فيه صدر الحديث.

(٢) قوله عليه السلام: «السمّور» بالميم دابّة معروفة تسوّى من جلودها فراء غالية الأثمان، اللسان ٤: ٣٨٠ ـ سمر ـ تشبه النمر.

(٣) واحدها الحوصل: طائر كبير له حوصلة عظيمة يتخذ منها الفرو يكون بمصر كثيراً ويعرف بالبجع، حياة الحيوان للدميري ١: ٣٨٨.

(٤) الخرائج والجرائح ٢: ٧٠٣، البحار ٥٣: ١٩٧.

(٥) الكافي ٣: ٣٩٧ ح ١.

والكاظمي عن لباس الفِراء والصلاة فيها؟ فقال: لا تصلّ فيها إلّا فيما كان منه ذكيّاً قال: قلت: أو ليس الذكي ممّا ذُكّي بالحديد؟ فقال: بلى إذا كان ممّا يؤكل لحمه، قلت: وما يؤكل لحمه من غير الغنم؟ قال: لا بأس بالسنجاب[١]؛ فإنّه دابّة لا تأكل اللحم وليس هو ممّا يؤكل لحمه ممّا نهى عنه رسول الله ﷺ، إذ نهى عن كلّ ذي ناب ومخلب[٢].

وكلّ دابّة لا تأكل اللحم، وما لا يرد فيه النهي عن أكله جائز فيه الصلاة، وإلّا فلا تجوز الصلاة فيه فمن الأوّل السنجاب والغنم إذا ذكّي، ومن الثاني جميع ما حرّم لحمه، كالثعلب والسنور والسباع وكلّ ذي ناب ومخلب على تفصيل مذكور في علم الفقه، كما أنّ روايات شروط لباس المصلّي وما لا يجوز لبسه في غير الصلاة في الكافي وغيره فراجع.

قوله عليه السلام: «الفِراء متاع الغنم» ـ أي يتّخذ من صوفه الفراء كما يؤخذ من غيره كالسمور والسنجاب وأشباههما ـ والمتاع ما يتمتّع به، ولا ريب أنّ من أظهر ما يتمتّع من الغنم والإبل وغيرهما هي الألبسة ومنها الفراء، وكذا جلودها وما شابه ذلك من فوائد جاء ذكرها في قوله تعالى:

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ﴾[٣].

الفِراء:

قال ابن منظور: الفرو والفروة: معروفٌ الّذي يلبس والجمع فِراء فإذا كان الفرو ذا الجُبّة فاسمها الفروة... قال أبو منصور: إذا لم يكن عليها وبرٌ أو صوفٌ لم تسمّ

---

(١) حيوان أكبر من الجزذ له ذنب طويل.

(٢) الكافي ٣: ٣٩٧ ـ ٣٩٨ ح ٣ وفي هامشه: في بعض نسخ التهذيب: «و ما لا يؤكل لحمه» وهو أظهر.

(٣) النحل: ٨٠.

فروة، وافتريت فرواً لبسته، قال العجاج:

يقلب أولاهنّ لطم الأعسر   قلب الخراساني فرو المفتري

وفروة الرأس: أعلاه، وقيل: هو جلدته بما عليه من الشعر يكون للإنسان وغيره، قال الراعي:

دنس الثياب كأنّ فروة رأسه   غرست فأنبت جانباها فلفلا[١]

والفري: القطع، ومنه قول زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام في مجلس يزيد لعنه الله مخاطبة له: «وما فريت إلّا جلدك وما حززت إلّا لحمك»[٢].

والفَرا اسم للحمار الوحشي ومنه المثل السائر، قال الميداني: (كلّ الصيد في جوف الفرا).

قال ابن السكّيت: الفَرا الحمار الوحشي وجمعه فِراء[٣] قالوا: وأصل المثل أنّ ثلاثة نفر خرجوا متصيّدين فاصطاد أحدهم أرنباً، والآخر ظبياً، والثالث حماراً، فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا، وتطاولا عليه فقال الثالث: كلّ الصيد في جوف الفرا ـ أي هذا الذي رزقت وظفرت به يشتمل على ما عندكما ـ وذلك أنّه ليس ممّا يصيده الناس أعظم من الحمار الوحشي.

وتألّف النبيّ صلى الله عليه وآله أبا سفيان بهذا القول حين استأذن على النبيّ صلى الله عليه وآله فحجب قليلاً ثمّ أذن له، فلمّا دخل قال: ما كِدت تأذن لي حتّى تأذن لحجارة الجلهمتين، قال أبو عبيد: الصواب الجلهتين وهما جانبا الوادي، فقال صلى الله عليه وآله: يا أبا سفيان أنت كما قيل: كلّ الصيد في جوف الفرا، يتألّفه على الإسلام[٤].

أقول: ذكرنا المثل في كتابنا الأمثال النبويّة نقلاً عن ابن الأثير مع تفصيل هناك فراجع[٥].

---

(١) لسان العرب ١٥: ١٥١ ـ ١٥٢ ـ فرا ـ.
(٢) البحار ٤٥: ١٥٩.
(٣) إنّ فراء جمع فرا الحمار الوحشي كما سمعت، وأيضاً جمع فرو أو فروة أي اللباس كالجُبّة المتّخذ من الوبر أو الشعر أو الصوف من السنجاب والسمور وأمثالهما.
(٤) مجمع الأمثال ٢: ٨٢ حرف الكاف.
(٥) الجزء الثاني ٤٨، الرقم ٣٧١.

أبو سفيان: هو صخر بن أُميّة بن عبد شمس عداوته لرسول الله ﷺ أبين من الشمس، لم يزل يثير الأقوام ويشكّل الأحزاب على حرب رسول الله كما في بدر الكبرى، ولم يهدأ عن المعاداة ساعة وهو القائل يا بني أُميّة تلقّفوها تلقّف الكرة فوالّذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرنّ إلى صبيانكم، فو الله ما من جنّة ولا نار، وابنه معاوية محارب أمير المؤمنين عليه السلام والمؤسّس لسبّه على المنابر، ونغله يزيد المذيع للمعازف و الغناء ومروّجها بمكّة والمدينة والمرتكب للملاهي و شرب الخمور، وقتل الإمام الحسين عليه السلام والأبرياء في كربلاء، ومن سبر التأريخ ودرسه ظفر بأكثر من ذلك، وكيف كان فقد بان الحقّ ووضح الصبح لذي عينين، وإنّما جئنا على هذه النبذة لعلقة ما بكلمة «الفراء متاع الغنم».

قوله عليه السلام: «ما لم تذبح بأرمينية[1]، تذبحه النصارى على الصليب فجائز لك أن تلبسه إذا ذبحه أخ لك...» من شروط التذكية أن يكون الذابح مسلماً يسمّي الله تعالى عند الذبح تجاه القبلة مع فري الأوداج الأربعة، فإذا توفرت الشروط ذكيّت.

أرمينية:

قال الحموي: سمّيت أرمينية بأرمينا بن لنطا بن أومر بن يافث بن نوح عليه السلام، وكان أوّل من نزلها وسكنها، وقيل: هما أرمينيتان الكبرى والصغرى وحدّهما من برذعة إلى باب الأبواب، ومن الجهة الأُخرى إلى بلاد الروم وجبل القبق... وأرمينية الصغرى تفليس ونواحيها...»[2]. ولعلّ البلدة عند صدور التوقيع كانت معهودة لابن أبي روح السائل؛ ولأجلها لم يسأل عن المكان المذكور ومسكن النصارى الجزّارين.

* * *

---

(١) التخفيف كما في ظاهر التوقيع ومصدره المتقدّم.

(٢) معجم البلدان ١: ١٦٠، وفيه ضبط الكلمة.

٢٦٢
فعل الله بك وفعل

المختار دعاء، وإخبار بما فعل الله تعالى برجل من أهل بلخ قد صدر عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال، وإليك من حديث الشيخ الصدوق صورته، قال: حدّثنا أبي رضي الله عنه، عن سعد بن عبد الله، عن أبي حامد المراغي، عن محمّد بن شاذان ابن نعيم، قال: بعث رجل من أهل بلخ، بمال ورقعة ليس فيها كتابة قد خطّ فيها بأصبعه كما يدور من غير كتابة، وقال للرسول: احمل هذا المال، فمن أخبرك بقصّته وأجاب عن الرقعة فأوصل إليه المال.

فصار إلى العسكر[1] وقد قصد جعفراً وأخبره، فقال له جعفر: تقرّ بالبداء؟ فقال الرجل: نعم، قال له: فإنّ صاحبك قد بدا له وأمرك أن تعطيني المال، فقال له الرسول: لا يقنعني هذا الجواب، فخرج من عنده، وجعل يدور على أصحابنا، فخرجت إليه رقعة، قال: هذا مال قد كان غرّر به[2]، وكان فوق صندوق، فدخل اللصوص البيت وأخذوا ما في الصندوق وسلم المال، ورُدّت عليه، وقد كتب فيها كما تدور، وسألت الدعاء، فعل الله بك وفعل[3].

أقول: ذكرناه كما وجدناه، ولم يتبيَّن لنا المراد من فعل الله تعالى به،

---

(١) المراد به (سرّ من رأى).

(٢) التغرير المخاطرة بالنفس وفي بعض نسخ المصادر: «عثر به» ، و «غدر به» و غير ذلك، كما في بعضها: «هذا مال...» بلا كلمة قال.

(٣) الإكمال ٢: ٤٨٨ ـ ٤٨٩، الباب ٤٥، ح ١١.

ولا المقصود من دور الكتابة، وهل كان ذلك طلباً له أو إخباراً بالمطلوب؟ ولا شكّ أنّ السائل أراد بتخطيط الرقعة بأصبعه كتابة شيء بدون ظهورها أو تبين الخطوط، وقد قصد بإخفاء ذلك الحصول على علامة الإمامة ومعرفة الإمام من بعد أبي محمّد العسكري عليه السلام، وقد ظفر بكلّ ما أراد من الإجابة على مسائله التي سأل عنها في الرقعة بإدارة الأصبع الّذي اعتبره قلماً له، وأن المال كان فوق الصندوق المسروق كلّ ما فيه دونه، ولماذا لم يسرق اللصوص المال وهو بمسمع منهم ومرأى لا أدري؟ ولعلّه المراد من الإجابة على قصّة الرجل البلخي، وأمّا فعل الله تعالى به فلم نتحققه؛ لأنّه عليه السلام أجاب عنه بالكناية دون التصريح بما كان معهوداً عندهما وقد فهمه البلخي والله العالم.

* * *

٢٦٣
فلوات الأرض أمامك جمّة

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام، قالها لأبي إسحاق إبراهيم بن مهزيار عند افتراقه وارتحاله من جبل الطائف، وإرجاع ما يزيد على خمسين ألف درهم إليه بعد التماس التفضّل لقبولها، قال عليه السلام مع ابتسام على شفتيه المباركتين روحي لابتسامه الفداء:

«يا أبا إسحاق استعن به على منصرفك؛ فإنّ الشقّة قذفة وفلوات الأرض أمامك جمّة...»[١].

ولأجل تقدّم قصّته عند نبذة من الكلمات المختارة لا نعيدها فراجع[٢].

الفلوات:

واحدة الفلوات الفلاة وهي كما قال ابن منظور: المفازة، والقفر من الأرض؛ لأنّها فليت عن كلّ خير ـ أي فطمت وعزلت ـ وقيل: هي الّتي لا ماء فيها... وقيل: هي الصحراء الواسعة والجمع فَلاً وفلوات... قال حميد بن ثور:

وتأوي إلى زُغب مراضيعَ دونها فلاً لا تخطّاه الرقابُ مهوب[٣]

---

(١) إكمال الدين ٢: ٤٥١، الباب ٤٣ ح ١٩. (٢) الأرقام ٣٨، ٦٠، ٨٦، ٩٣، ١١١، ١٤٤.

(٣) لسان العرب ١٥: ١٦٤ ـ فلا ـ، والزُّغب جمع الأزْغَب، الزَغب: صغار الريش أوّل ما يطلع، النهاية ٢: ٣٠٤ ـ زغب ـ.

ومنها ما في قصيدة دعبل الخزاعي:

أفاطم قـومي يـا ابـنة الخـير فـاندبي　　نـجوم سـماوات بـأرض فـلاة[١]

يقول: اندبي يا فاطمة الزهراء على أبنائك المجزّرين كالأضاحي بأرض كربلاء كأنّهم النجوم المنتشرة في الفلاة:

ويريد المهدي عجّل الله فرجه أنّك يا إبراهيم تحتاج في سفرتك هذه إلى هذه الدراهم وليس ردّها إليك لإعراضي عنك، بل لهذه الغاية كما صرّح بذلك في نفس الكلمات المشار إليها. ولا يقصد المهزياري بالعطاء حاجة الإمام عليه السلام؛ فإنّه يعلم أن لا حاجة له بالدراهم وإنّما أراد بتقديمها الخضوع وأنّ العبد وما في يده كان لمولاه[٢] الذي به عطاء الخلق كلّهم، ورزق الورى بيمنه وثبوت الأرض والسماء ببركته.

وقد حظي إبراهيم المهزياري وكذا أخوه عليّ قصّة أُخرى بخير الدنيا والآخرة بيُمن لقاء الإمام المنتظر عليه السلام، ولم يساعدهما الحظّ بذلك إلّا لمكان خلوص الولاء والطاعة لله تعالى التي لا ينال لقاء المعصوم ورضاه إلّا بهما.

* * *

---

(١) دعبل بن عليّ الشاعر المتوفّى ٢٤٥ هـ معجم رجال الحديث ٧: ١٤٦، كشكول البحراني ٣: ٣٨١ فيه القصيدة بأسرها، وفي عيون اخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٦٧ ـ ٢٦٩ الباب ٦٦ ح ٣٤، بعض القصيدة.

(٢) أمثال وحكم ١: ٢٥٨.

٢٦٤

في ابنة رسول الله ﷺ لي أُسوة حسنة

ما أسماها من كلمة لم أجدها في كلام المعصومين سوى الإمام المهدي عليه السلام، وهي من توقيع صدر عن ناحيته المحفوفة بالقدس والجلال، تقدّمت نبذة منه[1] وإليك من التوقيع:

«ولولا ما عندنا من محبّة صلاحكم ورحمتكم، والإشفاق عليكم لكنّا عن مخاطبتكم في شغل فيما قد امتحنّا من منازعة الظالم العتلّ الضالّ المتتابع في غيّه، المضادّ لربّه، الداعي ما ليس له، الجاحد حقّ من افترض الله طاعته، الظالم الغاصب، وفي ابنة رسول الله ﷺ لي أُسوة حسنة...»[2].

المشابهة بين فاطمة والمهدي عليهما السلام وجوه:

الوجه الأوّل:

أنّ فاطمة روحي فداها عافت الدنيا وما فيها ومن فيها وكذلك المهدي عجّل الله فرجه هو في جانب والعالم في جانب؛ ودليل ذلك:

قولها لنسوة المهاجرين والأنصار:

قال الصدوق: حدّثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدّثنا عبد الرحمن بن محمّد الحسيني قال: حدّثنا أبو الطيب محمّد بن الحسين بن حميد اللخمي قال:

---

(١) منها ما رقمه ١٧، ٢٥٣، ٣٠٩.

(٢) غيبة الطوسي: ١٧٣.

حدّثنا أبو عبد الله محمّد بن زكريّا قال: حدّثنا محمّد بن عبد الرحمن المهلّبي قال: حدّثنا عبد الله بن محمّد بن سليمان عن أبيه عن عبد الله بن الحسن عن أُمّه فاطمة بنت الحسين عليها السلام قالت[1]: لمّا اشتدت علّة فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليها[2] اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار، فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت من علتك؟ فقالت: أصبحت والله عائفة لدنياكنّ، قالية لرجالكنّ...»[3].

ثمّ استرسلت عليها السلام في خطبتها الّتي رواها الفريقان، تأتي الإشارة إلى ذلك في كلماتها المختارة، ورواها الشيخ الطبرسي قال: وقال سويد بن غفلة: لمّا مرضت فاطمة سلام الله عليها المرضة الّتي توفيت فيها دخلت عليها نساء المهاجرين والأنصار يعدنها، فقلن لها كيف أصبحت يا بنت رسول الله؟ فحمدت الله، وصلّت على أبيها، ثمّ قالت:

أصبحت والله عائفةً لدنياكنّ، قاليةً لرجالكنّ...»[4].

الوجه الثاني:

إنّ فاطمة عليها السلام كانت مجهولة القدر، قد عاشت في الخفاء، مستورة محتجبة عن الأُمّة مظلومة مهضومة وكذلك ولدها المهدي مستوراً محتجباً عن الأنظار وأمّا المظلوميّة والمهضوميّة فالكلّ مشترك، وإنّما المشابهة في الاستتار والاحتجاب خاصّة بهما دون سائر المعصومين عليهم السلام.

الوجه الثالث:

عدم التقيّة والبيعة في رقبتيهما من طواغيت زمانهما، وأمّا باقي المعصومين عليهم السلام فكانوا كلّهم يتقون الطواغيت يعملون بالتقيّة حسب الظروف، حتّى أنّ الرسول صلى الله عليه وآله

---

(١) في الأصل «قال».

(٢) كذا.

(٣) معاني الأخبار: ٣٥٤.

(٤) الاحتجاج ١: ١٤٦ ـ ١٤٧.

كان لا يعمل في الحكم والقضاء بين الناس بعلمه بل قال صلى الله عليه وآله: «إنّما أقضي بينكم بالبيّنات والأيمان»[١] والمهدي مأمور بالواقع ويحكم على وفقه كحكم داود النبيّ عليه السلام، فعن الباقر في حديث له عليه السلام قال: «إذا قام قائم آل محمّد صلى الله عليه وآله حكم بحكم داود عليه السلام، لا يسأل بيّنة»[٢]، وفي صحيح أبان قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا تذهب الدنيا حتّى يخرج رجل منّي يحكم بحكومة آل داود، ولا يسأل بيّنة، يعطي كلّ نفس حقّها»[٣].

والأحاديث كثيرة دالّة على أنّ المهدي عليه السلام يخرج حين يخرج ولا بيعة في عنقه من طواغيت دهره، وإنّما سبب الاستتار هو أن لا تكون عليه بيعة من أحد ولا تقيّة، كآبائه عليهم السلام حيث كانوا يتقون؛ ولأجل ذلك شابه الزهراء جدّته عليها السلام في نفي التقية والبيعة ومشابهات أُخر معنوية زيادة على هذه الوجوه نحن لا نعرفها.

* * *

---

(١) الكافي ٧: ٤١٤ ح ١، الوسائل ١٨: ١٦٩، الباب ٢ من أبواب كيفيّة الحكم، ح ١.

(٢) أُصول الكافي ١: ٣٩٧ ح ١، الوسائل ١٨: ١٦٨، الباب ١ من أبواب كيفية الحكم، ح ٤.

(٣) بصائر الدرجات: ٢٧٨ ولفيه بدل (حقها) (حكمها)، الوسائل ١٨: ١٦٨، الباب ٢ من أبواب الحكم، الحديث ٥.

٢٦٥
في شمراخ من بهماء صرنا إليه

كلمة مختارة مستخرجة عن الكتاب الثاني الصادر عن الناحية المقدّسة إلى الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان البغدادي ﵀، ولربطها به نذكر من الكتاب بقدر الحاجة.

قال الإمام المهدي ﵇:

«وبعدُ فقد كنّا نظرنا مناجاتك عصمك الله بالسبب الذي وهبه الله لك من أوليائه، وحرسك به من كيد أعدائه، وشفعنا ذلك الآن من مستقرّ لنا ينصب في شمراخ من بهماء صرنا إليه آنفاً من غماليل ألجأنا إليه السباريت من الإيمان. ويُوشك أن يكون هبوطنا إلى صحصح من غير بُعد من الدهر، ولا تطاول من الزمان ويأتيك نبأ منّا بما يتجدّد لنا من حال، فتعرف بذلك ما نعتمده من الزلفة إلينا بالأعمال...»[1].

أقول:

اشتمل هذا الكلام على بيان الناحية الّتي استقرّ عجّل الله فرجه آنذاك في جهتها، والسبب لهذا الاستقرار.

واشتمل أيضاً على بيان قرب الرحلة من تلك الناحية الجبليّة؛ لأنّ الشمراخ رأس الجبل من المفازة المجهولة.

---

(١) الاحتجاج ٢: ٣٢٤، البحار ٥٣: ١٧٦ ـ ١٧٧، باب التوقيعات.

والغماليل جمع الغملول بالضم وهو الوادي أو الشجر أو كلّ مجتمع أظلم، وتراكم من شجر أو غمام أو ظلمة.

والسباريت جمع السُبروت بالضم وهو القفر لا نبات فيه، والفقير. ولعلّ الأخير أنسب[١].

أقول:

ولعلّ السباريت مصحّفة السرابيت جمع السربوت بالفتح وهو المتواجد في الشوارع، وعند أهل العراق يعرف بابن الشوارع يعنون به من لا أب له ولا أُمّ. ومن المعلوم من كان هذا أصله ونسبه يتّقى منه ويبتعد عنه، وكان من الأجدر للإمام باتّخاذ رؤوس الجبال مقرّاً ومقاماً اتّقاءً من شرور السرابيت.

وأمّا أنسبيّة التفسير على نسخة السباريب بالفقراء فكما ترى؛ فإنّه لا يوجب ولا يناسب ذلك لاتّخاذ رؤوس الجبال مقرّاً. وإنّما الأنسب به ما ذكرناه من احتمال التصحيف والله العالم.

وكيف كانت النسخة فكلام الإمام عليه السلام إخبار عن الانتقال عن رؤوس الجبال في برهة أُخرى إلى مكان مستوٍ، وعلى حد لفظ بعض السادة:

ويمكث الإمام في تلك المنطقة الجديدة فترة قصيرة، ثمّ يهبط من قمة الجبل إلى «صحصح» ـ أي أرض مستوية ـ وفي نسخة «ضحضح» ـ أي: ما يسير ـ ولعلّ الأوّل أقرب[٢].

وقد تقدّم نفس اللفظ عند «إنّه من اتقى ربّه من إخوانك...»[٣].

والتكرار لأجل مجرّد التذكار، أو لبعض الغايات المحمودة الأُخرى.

* * *

---

(١) البحار ٥٣: ١٧٨، مع تغيير مّا.
(٢) الإمام المهديّ عليه السلام ٢٩٤.
(٣) رقمه ١١٨.

٢٦٦
في عزّنا وملكنا وسلطاننا ودولتنا

قال السيّد رضي الدين عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس المتوفّى طاب ثراه سنة ٦٦٤ هـ، في كتابه: مهج الدعوات في قصّة السحر وسماع دعاء الإمام المهديّ عليه السلام ما لفظه:

فصل: وكنت أنا بسرّ من رأى، فسمعت سحراً دعاءه عليه السلام فحفظت من الدعاء لمن ذكره من الأحياء والأموات:

«وأبقهم ـ أو قال: ـ و أحيهم في عزّنا وملكنا وسلطاننا ودولتنا».

وكان ذلك في ليلة الأربعاء ثالث عشر ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وستمائة[1].

يظهر من نفس الدعاء للأحياء، أو للأموات أنّه كان عليه السلام يدعو بذلك في قنوت الوتر من صلاة الليل، ويحتمل منه كان ابتداءً في الحضرة المحفوفة بالجلال الّتي هي داره ودار جدّه وأبيه، وقد ولد هو فيها سنة ٢٥٥، أو ٢٥٦ هـ، سلام الله عليهم، والّتي ادّعاها جعفر الكذّاب أو التوّاب، وردّه عليه السلام بقوله: «أدارك هي؟»[2].

قوله روحي فداه: «وأبقهم ـ أو ـ وأحيهم في عزّنا وملكنا وسلطاننا ودولتنا». دعاؤه لإحياء شيعته بالبقاء إلى زمان الخروج، أو لأمواتهم بالإحياء ونشرهم من

---

(١) المهج: ٢٩٦ وفي الأصل: «في عزنا ملكنا...» بلا واو.

(٢) رقمه ٢٧.

قبورهم، شاهرين[١] سيوفهم مأتزرين أكفانهم لما كانوا يتمنون الظهور والنصرة له، وقد قرب إن شاء الله ذلك اليوم وجاءت البشارة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

منها: ما رواه النجاشي في ترجمة أبان بن تغلب بن رباح بإسناده إلى عبد الله ابن خفقة، قال: قال لي أبان بن تغلب: مررت بقوم يعيبون عليَّ روايتي عن جعفر عليه السلام[٢]، قال: فقلت: كيف تلومونني في روايتي عن رجل ما سألته عن شيء إلّا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فمرّ صبيان ينشدون: العجب كلّ العجب بين جمادى ورجب، فسألته عنه فقال: لقاء الأحياء بالأموات[٣].

ومنها العلوي: ... فقال رجل من شرطة الخميس[٤]: ما هذا العجب يا أميرالمؤمنين؟ قال: ومالي لا أعجب وسبق القضاء فيكم وما تفقهون الحديث، إلّا صوتات بينهن موتات، حصد نباتٍ ونشر أمواتٍ، واعجبا كلّ العجب بين جمادى ورجب...، وأيّ عجب يكون أعجب منه، أموات يضربون هام الأحياء... والّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة كأنّي أنظر قد تخلّلوا سكك الكوفة وقد شهروا سيوفهم على مناكبهم، يضربون كلّ عدوّ لله ولرسوله وللمؤمنين؛ وذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ

---

(١) في دعاء للإمام عليه السلام: «... فأخرجني من قبري مؤتزراً كفني شاهراً سيفي مجرّداً قَناتي ملبّياً دعوة الداعي في الحاضر والبادي...» البلد الأمين: ٨٣، البحار ٥٣: ٩٦.

(٢) في مجمع الرجال للقهبائي ١: ٢٣: «عن أبي جعفر»، ومعجم رجال الحديث ١: ١٤٦ عن النجاشي مثله.

(٣) رجال النجاشي ١: ١٢ ـ ١٣، مجمع الرجال ١: ٢٣.

(٤) الجيش المقدم، لأنّ الخميس كما في لسان العرب ٦: ٧٠ ـ خمس الجيش الجرّار... سمّي بذلك لأنّه خمس فرق: المقدّمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة. وفي حديث الأصبغ بن نباتة: «قد سئل: كيف تسميتكم شرطة الخميس يا أصبغ؟ قال: لأنّا ضمنا له الذبح وضمن لنا الفتح» يعني أمير المؤمنين عليه السلام. رجال الكشي: ١٢٨ الرقم ١٦٥، مجمع البحرين ٤: ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ـ شرط ـ.

﴿أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾[١]. [٢]

أقول: إن صدق الحديث جاز ذلك في عصر الخروج، وجاز أن يكون في الرجعة كما أشار إليه السيّد المرتضى فيما يأتي بيانه بعد ذكر حديثين:

حديث المفضّل بن عمر قال: ذكرنا القائم عليه السلام ومن مات من أصحابنا ينتظره، فقال لنا أبو عبد الله عليه السلام: إذا قام أُتي المؤمن في قبره، فيقال له: يا هذا إنّه قد ظهر صاحبك! فإن تشأ أن تلحق به فالحق، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربّك فأقم[٣].

والصادقي: «كأنّي بحُمران بن أعين وميسر بن عبد العزيز يخبطان الناس بأسيافهما بين الصفا والمروة»[٤].

وفي جواب السائل من أهل الريّ عن الظهور والرجعة وحقيقتها، وما يتبعها قال الشريف السيّد المرتضى رحمه الله تعالى:

اعلم أنّ الّذي تذهب الشيعة الإمامية إليه أنّ الله تعالى يُعيد عند ظهور إمام الزمان المهدي عليه السلام قوماً ممّن كان قد تقدّم موته من شيعته، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم فليلتذّوا بما يشاهدون من ظهور الحقّ وعلوّ كلمة أهله. والدلالة على صحّة هذا المذهب أنّ الذي ذهبوا إليه ممّا لا شبهة على عاقل في أنّه مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه، فإنّا نرى كثيراً من مخالفينا ينكرون الرجعة إنكار من يراها مستحيلة غير مقدورة. وإذا ثبت جواز الرجعة ودخولها تحت المقدور فالطريق إلى إثباتها إجماع الإماميّة على وقوعها؛ فإنّهم لا يختلفون في ذلك، وإجماعهم قد بيّنا في مواضع من

---

(١) الممتحنة: ١٣. (٢) مختصر بصائر الدرجات: ٤٦٨ ح ٥٢١.

(٣) البحار ٥٣: ٩١ ـ ٩٢.

(٤) معجم رجال الحديث ١٩: ١٠٧. وحمران بن أعين من الخلّص الّذين يقسم المعصوم عليه السلام أنّه لا يرتد أبدا، معجم رجال الحديث ٦: ٢٥٦.

كتبنا أنّه حجة لدخول قول الإمام المعصوم عليه السلام فيه، وما يشتمل على قول المعصوم من الأقوال لابدّ فيه من كونه صواباً...»[١].

وقد جاءت أحاديثهم عليهم السلام في الرجعة بتفسيريها في تفسير طائفة من آيات القرآن الكريم، يجدها المراجع في مظانها إن شاء الله تعالى.

قوله عليه السلام في «عزّنا» إشارة إلى عزّة أهل البيت عليهم السلام الّتي هي عزّة الله حقّاً مجموعة فيهم ولهم ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٢] وآل الرسول هم أئمّة المؤمنين صلّى الله تعالى عليهم، ولا ينافيها الحصر في الآية ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾[٣] ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً﴾[٤].

فلا توجد العزّة إلّا عند المؤمنين وأئمّتهم خلفاء رسول الله المعصومين عليهم السلام، والّتي عند غيرهم هي عزّة الإثم المعنيّ بها قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[٥]. والسرّ فيه أنّ العزّة ـ أي الإجلال الذاتي الذي لا تزيله العواصف ـ ملزومة للعبوديّة والطاعة لله تعالى المتواجدة في الرسول والأئمّة وخلّص المؤمنين، و يريدها الحديث المروي عن الإمام الحسن عليه السلام بقوله لجنادة بن أبي أُميّة: «... وإذا أردت عزّاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله عزّ وجلّ...»[٦].

و«ملكنا» عطف بيان لما قبله. و«سلطاننا» قد جاء ذكر الملك والسلطنة في خطبة عقيلة السادات زينب الكبرى عليها السلام مخاطبة ابن معاوية عليهما لعائن الله

---

(١) رسائل الشريف المرتضىٰ ١: ١٢٥، المسألة ٨. (٢) المنافقون: ٨.

(٣) فاطر: ١٠. (٤) النساء: ١٣٩. (٥) البقرة: ٢٠٦.

(٦) البحار ٤٤: ١٣٩. وفي أعلام الدين: ٢٩٧: وقيل له عليه السلام: فيك عظمة، قال: لا، بل فيّ عزّة، قال الله تعالى: ﴿ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين﴾ وتقدّم في المختار رقمه ٥٥.

والخلق أجمعين:

«... إلى أن قالت: أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تُساق الأسارى أنّ بنا على الله هوانا وبك عليه كرامة؟ وأنّ ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور متّسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، مهلاً مهلاً...»[١].

أقول:

نعم قد صفا له ولغيره الجوّ فليصفر حتّى يصفر له و تزفر نار جهنّم لأمثاله، وإنّ الملك ملكها والسلطان سلطانها اللذان يريدهما الإمام المهديّ عليه السلام بقوله: «ملكنا وسلطاننا ودولتنا».

الدولة:

هذه الكلمة تخصّ الدولة الحقّة، وأمّا الباطلة فلها الجولة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «للحقّ دولة[٢] و للباطل جولة»[٣] نعم لا يفرق بينهما في المحاورات، لأجل جذر الكلمة التي معناها كلّ ما يتداول بين الناس من الأموال أو الحروب وقد خصّها بعض بالأولى إذا ضمّت قال تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾[٤]، قال ابن منظور الجوهري: الدولة بالفتح في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأُخرى، يقال: كانت لنا عليهم الدوَلة والجمع الدول، والدُولة بالضمّ في المال؛ يقال: صار الفيء دُولة بينهم يتداولونه مرّة لهذا ومرّة لهذا، والجمع دُولات ودُول...»[٥].

ولعلّ الشمول هو الصحيح في الحوار العام، ووجه إطلاقها على الّتي حازت

---

(١) البحار ٤٥: ١٣٣.
(٢) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٦٨.
(٣) نفس المصدر: ٧١.
(٤) الحشر: ٧.
(٥) لسان العرب ١١: ٢٥٢ ـ دول ـ.

السلطة؛ لأنّها تداولتها من أيدي الآخرين وهي كذلك إلى انتهائها وإلى من لأجله خلقت وكلّ شيء كان في الوجود منه وإليه وبه ولولاهم لما كان كائن.

ولولاهم لم يخلق الله آدماً ... ولا كان زيد في الوجود ولا عمرو
ولا سطحت أرض ولا رُفعت سما ... ولا طلعت شمس ولا أشرق البدر[١]

«اللّهمّ إنّا نرغب إليك في دولة كريمة تعزّ بها الإسلام وأهله، وتذلّ بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة...»[٢] ربّنا أرنا وليّك آمين.

ولو لم يكن على إمكان وقوع الرجعة بقسميها دليل إلّا قصّة عزير لكفى: قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣]

وفي الآية إشارات ونكات منها أنّها مثل حيٌّ لمن ينكر البعث وإحياء الموتى للحساب ومنها قول عزير: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ـ أي لا أرتاب بعد ذلك أبداً ولم يكن تعجّبي إلّا الجهل وقد زال ـ ومنها جعل قصّته آية لكلّ من لا يؤمن بالرجوع بعد الموت.

من الأحاديث ما يلي:

«أبو طاهر العلوي عن عليّ بن محمّد العلوي، عن عليّ بن مرزوق، عن إبراهيم ابن محمّد، قال: ذكر جماعة من أهل العلم أنّ ابن الكوّا قال لعليّ عليه السلام: يا

---

(١) تقدّم في المختار: «أيقتل ضمآناً حسينٌ بكربلاء» رقمه ١٢٨.
(٢) الإقبال: ٥١، البلد الأمين: ١٩٥. (٣) البقرة: ٢٥٩.

أمير المؤمنين ما ولدٌ أكبر من أبيه في الدنيا؟! قال: نعم أُولئك وُلد عزير حيث مرّ على قرية خربة وقد جاء من ضيعة له تحته حمار ومعه شَنّة[١] فيها تين، وكوز فيه عصير، فمرّ على قرية خربة فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ فتوالد ولده وتناسلوا ثمّ بعث الله إليه فأحياه في المولد الّذي أماته فيه. فأُولئك ولده أكبر من أبيهم[٢].

أقول: جئنا بقصته؛ لأنّها من أجلّ القصص التي تنصّ على الرجوع بعد الموت؛ ولكونها التي زعمت اليهود أنّ عزيراً ابن الله حيث رأوه جاء بعد موته وهو أمر خارق للعادة من حياة ميّت مات مائة عام، ويعيش فيهم حياة ثانية، وبعد ذلك كلّه فهل يبقى مجال للتعجّب والجحود برجوع الأموات في زمن ظهور الإمام المهدي عليه السلام، أو الرجعة التي تقولها الشيعة. اللّهمّ أحينا وأرنا أيّامه.

* * *

(١) الشَنّة: القربة الخَلِق.

(٢) تفسير العيّاشي ١: ١٤١ ذيل الآية ٢٥٩ من سورة البقرة، تفسير البرهان ١: ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ذيل الآية ٢٥٩ من سورة البقرة، فيه إشارة إلى قصّة عزير، ولولا خوف الخروج عن الموضوع لذكرنا نبذة كبيرة من آيات وروايات تدلّ عليها.

٢٦٧
فيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين

كلمة الإمام المهديّ عليه السلام الصادرة جواباً عن إحدى مسائل محمّد بن عبد الله الحميري الّتي كتبها في سنة ثمان وثلاثمائة ووجّهها إلى الناحية المحفوفة بالقدس والجلال، وجاءت الإجابة عنها، ومنها ما يلي:

وسأل عن أهل الجنّة هل يتوالدون إذا دخلوها أم لا؟.

فأجاب عليه السلام: إنّ الجنّة لا حمل فيها للنساء، ولا ولادة، ولا طمث، ولا نفاس، ولا شَقاء بالطفوليّة، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين، كما قال سبحانه. فإذا اشتهى المؤمن ولداً خلقه الله عزّ وجلّ بغير حمل ولا ولادة على الصورة الّتي يريد كما خلق آدم عليه السلام عبرة[1].

أقول:

المختار اقتباس من قوله تعالى: ﴿*وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ*﴾[2]، والفارق وجود الضمير في الآية دون الكلمة ولولاه لكانت هي بنفسها؛ ولأجل ذلك احتسبناها من الكلمات المختارة. نعم، على احتمال تلاوتها محذوفة الصلة[3] عند أهل البيت عليهم السلام المؤيّدة بقوله روحي فداه: «كما قال سبحانه» لا وجه للاحتساب، ولكنّه غير ثابت، ولا طريق لنا إلى العلم بالتلاوة المذكورة.

---

(١) الاحتجاج ٢: ٣١٠، البحار ٥٣: ١٦٣.

(٢) الزخرف: ٧١.

(٣) أي الضمير الرابط.

الجنّة:

قد جاء ذكر الجنّة والجنّتين والجنّاتُ في القرآن الكريم قرابة مائة وخمسين موضعاً غير ما جاء من أسماء أُخرى كالفردوس والنعيم وما إليها من سمات سامية، وكفى فيها من وصف أنّ خالقها واصفها، ولو لم يكن لها إلّا قوله تعالى: ﴿*وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ*﴾ لأغنى، ولم يكتف دون أن أنزل سبحانه وتعالى في وصفها آيات كثيرة تتلى بالغدوّ والآصال وفي آناء الليل وأطراف النهار، تلتذّ منها الأسماع وتسرّ القلوب وتشوق النفوس، ولله بين الناس عباد غامضون لا يُعرَفون، إذا اشتاق الناس إلى الجنّة اشتاق أُولئك إلى لقاء الله وهو دينهم ودنياهم، ونعيمهم وآخرتهم، يقول عنهم القائل:

تركت للناس دُنـياهم وديـنَهُم ... شُغلاً بذكركَ يا ديني ودنياي[1]

وفي مناجاة المريدين: «يا نعيمي وجنّتي، ويا دنياي وآخرتي»[2].

* * *

(١) التحفة السنية (مخطوط) للسيّد عبدالله الجزائري: ٨٦.

(٢) البحار ٩٤: ١٤٧ ـ ١٤٨، الثامنة من المناجاة المنسوبة إلى الإمام السجّاد عليه السلام.

باب القاف

٢٦٨

قد أُجيبت دعوتك يا محمّد وقتل عدوّك

قد تكرّر ذكر المختار مرّتين: المرّة الأُولى: عند «الحمد لله كما يحبّ أن يحمد»[١]، والثانية: عند «ربّ من ذا الذي دعاك فلم تجبه»[٢]، وهذه الثالثة، وهو من الدعاء المعروف بدعاء العلوي المصري، علّمه الإمام المهديّ عليه السلام محمّد العلوي على تفصيل مذكور عند العنوان المتقدّم الذكر ومن أجله لا نعيد، إلّا بقدر الحاجة من القصة، وأمّا الدعاء فلم نذكره بكامله حتّى عند العنوانين لطوله الّذي لم يوضع الكتاب له.

قال عليه السلام:

«قد أُجيبت دعوتك يا محمّد! وقتل عدوّك، وأهلكه الله عزّ وجلّ عند فراغك من الدعاء»[٣].

لأنّ السيّد العلوي كان مهدّداً بالقتل من قبل عدوٍّ له، حتّى فرّ بنفسه داعياً إلى الله عزّ وجلّ مبتغياً متوسّلاً بأهل البيت عليهم السلام إليه تعالى في الخلاص، حتّى رأى الحجّة عجّل الله فرجه وعلّمه الدعاء الذي كان به خلاصه، وليس بين محمّد العلوي المستجابة دعوته وبين الله تعالى قرابة، فمن دهمه الخوف من العدوّ، أو حلّ به

---

(١) رقمه ١٧٤.   (٢) رقمه ١٨٦.

(٣) مهج الدعوات: ٢٨٠ ـ ٢٨١، البحار ٩٥: ٢٦٧.

ما حلّ بالعلوي، ودعا الله بهذا الدعاء كشف عنه ما حلّ به، وأهلك عدوّه سريعاً.

قال بعض زملائنا: إنّ الدعاء المذكور قتّال كما قتل عدو محمّد العلوي أشدّ قتلة حيث وجد مذبوحاً في فراشه بعد الفراغ عن الدعاء فراجع القصّة بدقّة كافية تجده، وفيها إشارة وبشارة بإجابة دعوة العلوي وكلّ من دعا بدعائه كائناً من كان.

إشارة ظريفة:

قال تعالى لموسى وأخيه هارون: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1] عن النبيّ ﷺ: «دعا موسى وأمّن هارون وأمّنت الملائكة قال الله تعالى: قد أُجيبت دعوتكما، ومن غزا في سبيل الله استجيب له كما استجيب لكما»[2].

فمن الواجب لمن أُجيب دعاؤه الاستقامة على الحقّ والتجنّب عن متابعة الجاهلين.

* * *

---

(١) يونس: ٨٩.

(٢) تفسير الصافي ٢: ٤١٥ ذيل الآية ٨٩ من سورة يونس. وفي الآية والرواية إشارات، وبشارات أُخر، فتدبّرها.

٢٦٩
قد أخذ بالفضل كلّه

جاء المختار في بعض الجوابات الخارجة عن الناحية المحفوفة بالنور والجلال عن مسائل محمّد بن عبد الله الحميري الشرعيّة، تقدّم كثير منها قريباً، وصورته:

وسأل عن الرجل ينوي إخراج شيء من ماله، وأن يدفعه إلى رجل من إخوانه، ثمّ يجد في أقربائه محتاجاً أيصرف ذلك عمّن نواه له إلى قرابته؟.

فأجاب عليه السلام: يصرفه إلى أدناهما وأقربهما من مذهبه، فإن ذهب إلى قول العالم عليه السلام: «لا يقبل الله الصدقة وذو رحم محتاج»، فليقسم بين القرابة وبين الّذي نوى حتّى يكون قد أخذ بالفضل كلّه[1].

أقول: قوله عليه السلام: «فإن ذهب إلى قول العالم عليه السلام...».

لبعض المعلّقين عليه ما نصّه: رواه في الاختصاص ص ٢١٩ بإسناده عن الحسين بن عليّ عليهما السلام ولفظه: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ابدأ بمن تعول: أمّك وأباك وأُختك وأخاك، ثمّ أدناك فأدناك، وقال: لا صدقة وذو رحم محتاج» أخرجه المصنف في البحار ج ٢٠ ص ٣٩، وأخرجه النوري في المستدرك ج ١ ص ٥٣٦، وأخرجه بمضمونه السيوطي في الجامع الصغير عن النسائي، والطبراني في معجمه

---

(١) الاحتجاج ٢: ٣١٤، البحار ٥٣: ١٦٨ ـ ١٦٩.

الكبير، على ما في السراج المنير ج ١ ص ٢٢[1].

بيان:

كلمة «العالم عليه السلام» ترمز عن الإمام الكاظم والهادي والعسكري وربّما يكنّى بها عن الصادق عليه السلام، وأمّا النبيّ صلى الله عليه وآله فلم أسمعه والله العالم، وكيف كان فالحديث صحيح عن أيّهم كان؛ لأنّ حديث واحد منهم حديث جميعهم عليهم سلام الله تعالى.

قوله عليه السلام: «قد أخذ الفضل كلّه» ؛ إذ قام بحقّ الجميع فجمع له الفضل كلّه، ومن المعلوم الجمع مهما أمكن أولى من غيره، وقد ذكرنا في كتابنا: (الأمثال النبويّة) عند «ابدأ بمن تعول» المثل المضروب به لتقديم الأهمّ والقيام بالألزم بعض ما له علقة شديدة بصلب الموضوع بالذات فراجع[2].

وقد سبق غير مرّة ذكر مسائل الحميري وكتبه الّتي أرسلها على يد بعض النوّاب رضي الله عنهم إلى الإمام المهدي عليه السلام، والحصول على جواباتها والحمد لله.

* * *

(١) المعلّق على البحار ٥٣: ١٦٩ في المقام، ورعاية للأمانة على النقل قدّمناه في المتن.

(٢) ج ١: ٤٠، رقم المثل ١٨، حرف الهمزة مع الباء.

٢٧٠
قد أُذن لنا في تشريفك بالمكاتبة

الآذن هو الله تعالى، والمأذون الإمام المهديّ عليه السلام، والمأذون له الشيخ المفيد طاب ثراه، والمأذون فيه المكاتبة بينهما. وما أشرفها من كلمة وأوقعها في النفوس، المذكورة في الكتاب الأوّل الصادر عن الناحية المحفوفة بالنور والجلال، في أيّام بقيت من صفر سنة عشر وأربعمائة إليه.

قد تقدّم بكامله[١]، والكتاب الثاني[٢]، وما يمتّ إليهما بصلة، ولربط المختار بالأوّل ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد: سلام عليك أيّها الوليّ المخلص في الدين، المخصوص فينا باليقين، فإنّا نحمد إليك الله الّذي لا إله إلّا هو، ونسأله الصلاة على سيّدنا ومولانا ونبيّنا محمّد وآله الطاهرين، ونعلمك ـ أدام الله توفيقك لنصرة الحقّ، وأجزل مثوبتك على نطقك عنا بالصدق ـ أنّه قد أُذن لنا في تشريفك بالمكاتبة، وتكليفك ما تؤدّيه عنّا إلى موالينا قِبلَكَ...»[٣].

أقول:

نذكر منه أمرين: الإذن في المكاتبة. والنطق بالصدق، أمّا النواحي الأُخر فقد سبقت.

---

(١) عند «اعتصموا...» رقمه ٥٤. (٢) عند «إنّه من اتقى ربّه...» رقمه ١١٨.

(٣) الاحتجاج ٢: ٣٢٢.

الإذن في المكاتبة:

قد تقدّم شرحه عن بعض السادة الأجلّة عند «اعتصموا بالتقيّة...»[1] يعطيك صورة من الإذن المشرّف، وإنّ تشريفه بالمكاتبة مع الإمام المهديّ عليه السلام لموهبة خصّ بها دون أهل زمانه، ولعلّه رحمه الله قد رزق اليُمن بلقائه وشرف المكالمة زيادة على المكاتبة لا نعلمها؛ لأنّ الرؤية ممّا حُظر انتشاره وذيوعه، ولم ترو الرواة لنا سوى التشرّف بالكتابة دونها، وإنّما بلغ ما بلغ إليه من هذه المنزلة والفوز العظيم بإخلاصه في الدين وصدقه، وقد وصفه عليه السلام بما لم يبق لواصفيه مجالاً، وهل بعد وصفه وصف، وثنائه ثناء؟.

النطق بالصدق:

قال عليه السلام: «وأجزل مثوبتك على نطقك عنا بالصدق»، وظاهرة صدق المنطق إمّا في الذبّ والدفاع عن أهل البيت عليهم السلام والجهاد في سبيل الله لتثبيت كلمة الله، وإمّا في الأخذ عنهم عليهم السلام العلوم وبثها فيما بين الناس، وتعلّم الحلال والحرام، وأحكام الإسلام منهم وتعليمها وتحبيبهم إلى الناس بنشر فضائلهم ومحاسن كلامهم وجمال سيرتهم؛ لأنّ الناس لو علموا ذلك لاتّبعوهم، كما جاء ذلك في حديث الإمام الرضا عليه السلام:

«رحم الله عبداً أحيى أمرنا، قلت: وكيف يحيي أمركم قال: يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس؛ فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا»[2].

وقد صحّ عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «الراوية لحديثنا يشد به [يسدّد في] قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد»[3].

---

(١) رقمه ٥٤.

(٢) عيون اخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٤٠ ح ٦٩.

(٣) الوسائل ١٨: ٩٩، الباب ١١ من أبواب صفات القاضي، ح ٢.

ولا يكون الرجل ناطقاً عن أهل البيت عليهم السلام بالصدق المستأكل بعلومهم وأحاديثهم فقيهاً كان أو محدّثاً أو خطيباً. نعم من لم يجعل ذلك ذريعة للرئاسة ولا لشيء من حطام الدنيا ولكنّه لا يعدم برّ الناس أو إكبارهم له لا يشمله دليل المنع والذم ما لم ينو ذلك، وقد قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾[1].

وعن الباقر عليه السلام قال: «يا أبا النعمان! لا تكذب علينا كذبة فتسلب الحنيفيّة، ولا تطلبنّ أن تكون رأساً فتكون ذَنَباً، ولا تستأكل بنا فتفتقر؛ فإنّك موقوف لا محالة ومسؤول، فإن صدقت صدقناك، وإن كذبت كذبناك»[2].

والنبوي: «أتدرون متى يتوفّر على المستمع والقارئ هذه المثوبات العظيمة؟ إذا لم يقل في القرآن برأيه، ولم يجفُ عنه، ولم يستأكل به، ولم يراء به. قال: عليكم بالقرآن؛ فإنّه الشفاء النافع والدواء المبارك عصمة لمن تمسّك به، ونجاة لمن اتّبعه... وهو الذي يأخذ القرآن وتأويله عنا أهل البيت...»[3] ولولا الإطالة لجئنا بما يزيد السامع إيماناً.

* * *

---

(١) الأحزاب: ٥٤.

(٢) الوسائل ٨: ٥٧٥، الباب ١٣٩ من أبواب أحكام العشرة، ح ١.

(٣) الوسائل ١٨: ١٩، الباب ٥ من أبواب صفات القاضي، ح ٨.

٢٧١
قد أُعطيت ما سألت وكفّ عن ذكر المرأة والحمل

صدر الجواب عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال عن كتاب عليّ بن محمّد الأشعري، وصورته:

قال الصدوق: حدثني أبي رحمه الله قال: حدّثني سعد بن عبد الله قال: حدّثني عليّ ابن محمّد بن إسحاق الأشعري قال: كانت لي زوجة من الموالي قد كنت هجرتها دهراً فجاءتني فقالت: إن كنت قد طلقتني فأعلمني، فقلت لها: لم أُطلقك، ونلت منها في هذا اليوم، فكتبت إليّ بعد أشهر تدّعي أنّها حامل، فكتبت في أمرها وفي دار كان صهري أوصى بها للغريم[1] عليه السلام أسأل أن يباع منّي وأن ينجّم عليّ ثمنها[2] فورد الجواب في الدار:

«قد أُعطيت ما سألت، وكفّ عن ذكر المرأة والحمل». فكتبت إليّ المرأة بعد ذلك تعلمني أنّها كتبت بباطل، وأنّ الحمل لا أصل له، والحمد لله ربّ العالمين[3].

هكذا كان جمعٌ من الشيعة إذا عرضتهم المشاكل فتحوا باب الكتابة والسؤال عنها، فيرد الجواب إمّا على أيدي السفراء المنصوبين، أو على أيدي غيرهم ممّن

---

(١) يعني صاحب الزمان عليه السلام قال الإربلي: قال الشيخ: وهذا رمزٌ كانت الشيعة تعرفه قديماً بينها ويكون خطابها عليه للتقيّة كشف الغمّة ٣: ٢٤٤، وهو من أُلقابه عليه السلام في زمن الغيبة.

(٢) قيل معناه أن يقرر أداءه في أوقات معلومة متتابعة نجوماً لا دفعة واحدة، هامش إكمال الدين ٢: ٤٩٨ الباب ٤٥.

(٣) إكمال الدين ٢: ٤٩٧ ـ ٤٩٨، الباب ٤٥ ح ١٩.

رضي الإمام عليه السلام سيرته وعمله. أشار إليهم الشيخ الطوسي طاب ثراه قال: وقد كان في زمان السفراء المحمودين أقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة من الأصل...»[١]

ويريد بالأصل الإمام نفسه فدته النفوس، وأخذ يعدّ أسماءهم الّذين ذكرناهم في مقدّمة الكتاب فراجع[٢].

واشتمل الجواب عمّا طلب من بيع الدار الموصى بها له عليه السلام وتقسيط ثمنها، فلبّى عليه السلام طلبه وأعطاه ما سأله، ثمّ أمره بترك ذكر المرأة زوجة السائل ودعواها الحمل، فانكشف له الحقّ باعترافها ببطلان ما ادّعته إمّا خوفاً من الفضيحة أو أنّها تابت ورجعت إلى الحقّ، وذلك ببركة توجيهاته عليه السلام.

* * *

(١) الغيبة: ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

(٢) عند ذكر منابع محتواه.

٢٧٢
قد أقمناك مكان أبيك

قد صدرت إقامة محمّد بن إبراهيم المهزياري بعد مضي أبيه مقامه عن الإمام المهديّ عليه السلام، وتقدّم الكلام حول التوقيع عند «اتّق الله و تب من كلّ ما أنت عليه»(١)، برواية الصدوق(٢)، وعند «احمد الله»(٣) برواية الشيخ الكليني المذكورة فيها الكلمة المختارة؛ ومن ثمّ لا نعيدها، ولا ترجمة محمّد المهزياري لذكرها بتفصيل عند «إنّ الزمان أصعب ممّا كان»(٤) وهكذا الرواية التي فيها كلمة «فقد قُلّدت أمراً عظيماً» ـ أي الوكالة ـ . ولربط المختار ما يلي ممّا رواه الكليني طاب ثراه:

«قال: شككت عند مضي أبي محمّد عليه السلام، واجتمع عند أبي مال جليل ـ إلى أن قال: ـ فقدمت العراق واكتريت دارا على الشط، وبقيت أيّاماً فإذا أنا برقعة مع رسول فيها: يا محمّد معك كذا وكذا في جوف كذا وكذا، حتّى قصّ عليّ جميع ما معي ممّا لم أحط به علما، فسلّمت إلى الرسول، وبقيت أيّاما لا يرفع لي رأس واغتممت، فخرج إليّ قد أقمناك مكان أبيك، فاحمد الله»(٥).

أقول:

ونفس الربط ثابتٌ في بعض العناوين المشار إليها، وهل هذه الإقامة أُخذت من

---

(١) رقمه ١٦.
(٢) إكمال الدين ٢: ٤٨٧ الباب ٤٥ ح ٨.
(٣) رقمه ٢٢.
(٤) رقمه ١١٠.
(٥) أُصول الكافي ١: ٥١٨ ح ٥، غيبة الطوسي: ١٧١.

محمّد المهزياري المرتاب مأخذها فأزالته منه ارتيابه؟.

الجواب لعلّ السرّ في إقامة محمّد المرتاب مكان أبيه إبراهيم المهزياري الثبت الأمين هو لغاية إزالة وصمة الشك عنه، ولعلمه عليه السلام بالاستقامة الحاصلة له بنفس الإقامة أو لمصلحة الآخرين، أو غيرها من أسباب، وإليك صورة السؤال والجواب:

سؤال:

أليس كان عليّ بن أبي حمزة البطائني مستقيماً ووكيلاً من قبل الإمام الكاظم عليه السلام فانحرف بعد مضيّه ولم يقل بإمامة الإمام الرضا عليه السلام[1] فالوكالة: لا توجب الاستقامة.

والجواب: أنّ اعتوار حالتين متضادّتين على شخص، أو أشخاص إنّما هو لأسباب وظروف توجب ذلك وأنّ رعاية مصلحة الأهم لا تفوت الحكيم، ودفع الأفسد بالفاسد قانون لا يعدل عنه عند العقلاء، وليكن ذلك مصلحة للآخرين فتجد الله تعالى: يخرج الحي من الميت، والميّت من الحي، والصالح من الطالح وبالعكس، وليس ذلك كلّه إلّا لمصالح ملزمة لها، ولو تدبّرت الأُمور بأسرها لوجدتها لا تشذّ عنها بالذات.

* * *

---

(١) عيون اخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٤ و٩١، رجال الكشي: ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

٢٧٣

قد جئت لأُبرئك ممّا بك

جاء المختار من قصّة السيّد عطوة العلوي رواها عليّ بن عيسى الإربلي طاب ثراه قال: وحكى لي السيّد باقي بن عطوة العلوي الحسيني أنّ أباه عطوة كان به أدرة وكان زيدي المذهب، وكان ينكر على بنيه الميل إلى مذهب الإمامية؛ ويقول: لا أُصدّقكم ولا أقول بمذهبكم حتّى يجيء صاحبكم ـ يعني المهدي ـ فيبرؤني من هذا المرض، وتكرّر هذا القول منه، فبينا نحن مجتمعون عند وقت عشاء الآخرة إذا أبونا يصيح ويستغيث بنا، فأتيناه سراعاً، فقال: الحقوا صاحبكم فالساعة خرج من عندي، فخرجنا فلم نر أحدا، فعدنا إليه وسألناه فقال: إنّه دخل إليّ شخص، وقال: يا عطوة! فقلت: من أنت؟ فقال: أنا صاحب بنيك قد جئت لأُبرئك ممّا بك، ثمّ مدّ يده فَعَصَرَ قروتي ومشى، ومددت يدي فلم أر لها أثراً، قال لي ولده: وبقي مثل الغزال ليس به قُلبَة. واشتهرت هذه القصّة وسألت عنها غير ابنه فأخبر عنها فأقرّ بها[1].

أقول:

من أقوى وسائل الشفاء التوسّل بأهل البيت عليهم السلام؛ لأنّهم الوسيلة المبتغاة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾[2].

---

(١) كشف الغمّة ٣: ٢٨٧. البحار ٥٢: ٦٥، قوله: (قُلبة) بالضم أي الحمرة، أقرب الموارد ٢: ١٠٢٨ ـ قلب ـ.

(٢) المائدة: ٣٥.

وحذف متعلّقها لئلّا يتوهّم القصر على جهة دون أُخرى بل لتذهب نفس السامع إلى كلّ مذهب ممكن، وقد فسّرت ﴿الْوَسِيلَةَ﴾ بهم، قال الفيض: قال القميّ: تقربوا إليه بالإمام عليه السلام.

وفي العيون عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «الأئمّة من ولد الحسين عليهم السلام من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله هم العروة والوسيلة إلى الله».

وفي الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الوسيلة: إنّها أعلى درجة في الجنّة...»[١].

قال الزمخشري: الوسيلة: كلّ ما يتوسّل به ـ أي يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك ـ فاستعيرت لما يتوسّل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي وأنشد لبيد:

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ... ألا كلّ ذي لبّ إلى الله واسل[٢]

والجمع الوسائل قال:

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا ... وعاد التصافي بيننا والوسائل[٣]

ومن أقرب الوسائل إلى الله تعالى وأحبّها إليه، وأعزّها عليه هم أهل البيت عليهم السلام.

* * *

(١) تفسير الصافي ٢: ٣٣ ذيل الآية ٣٥ من سورة المائدة.

(٢) تفسير الكشّاف ١: ٦٢٨ ذيل الآية ٣٥ من سورة المائدة.

(٣) تفسير القرطبي ٦: ١٥٩ ذل الآية ٣٥ من سورة المائدة.. والإسراء: ٥٧ ﴿ويبتغون إلى ربّهم الوسيلة﴾.

٢٧٤
قد جعلنا أباك إماماً لك وفعاله لك مثالاً

من كتاب ورد عن الناحية المحفوفة بالنور والجلال لتعزية حسن بن القاسم بن العلاء بموت أبيه، وقد عمّر مائة وسبع عشرة سنة، منها ثمانين سنة صحيح العينين، لقي مولانا أبا الحسن وأبا محمّد العسكريّين عليهما السلام وحجب بعد الثمانين، وردّت عليه عيناه قبل وفاته بسبعة أيّام.

عن العلّامة المجلسي عن الشيخ الطوسي والمفيد والغضائري عن محمّد بن أحمد الصفواني قال:

إنّي كنت مقيماً عنده بمدينة الران من أرض آذربيجان، وكان لا ينقطع توقيعات مولانا صاحب الزمان عليه السلام على يد أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري، وبعده على يد أبي القاسم الحسين بن روح قدّس الله أرواحهما، فانقطعت عنه المكاتبة نحواً من شهرين فقلق رحمه الله لذلك.

فبينما نحن عنده نأكل إذ دخل البوّاب مستبشراً فقال له: فيج العراق ـ لا يسمّى بغيره ـ فاستبشر القاسم وحوّل وجهه إلى القبلة فسجد، ودخل كهل قصير يرى أثر الفيوج عليه، وعليه جبّة مضرّبة، وفي رجله نعل محاملي، وعلى كتفه مخلاة.

فقام القاسم فعانقه ووضع المخلاة عن عنقه ودعا بطست وماء فغسّل يده

وأجلسه إلى جانبه، فأكلنا وغسّلنا أيدينا، فقام الرجل فأخرج كتاباً أفضل من النصف المدرج، فناوله القاسم فأخذه وقبّله ودفعه إلى كاتب له يقال له: ابن أبي سلمة فأخذه أبو عبد الله ففضّه وقرأه حتّى أحسّ القاسم بنكاية، فقال: يا أبا عبد الله! خير؟ فقال: خير، فقال: ويحك خرج فيّ شيء؟ فقال أبو عبد الله: ما تكره فلا، قال القاسم: فما هو؟ قال: نعي الشيخ إلى نفسه بعد ورود هذا الكتاب بأربعين يوماً، وقد حمل إليه سبعة أثواب، فقال القاسم: في سلامة من ديني؟ فقال: في سلامة من دينك، فضحك رحمه الله، فقال: ما أُؤمّل بعد هذا العمر؟.

«...» إلى أن قال:

وحمّ القاسم يوم السابع من ورود الكتاب واشتدّت به في ذلك اليوم العلّة واستند في فراشه إلى الحائط وكان ابنه الحسن بن القاسم مدمناً على شرب الخمر، وكان متزوّجاً إلى أبي جعفر بن حمدون الهمداني، وكان جالساً ورداؤه مستور على وجهه في ناحية من الدار، وأبو حامد في ناحية، و أبو عليّ بن جحدر وأنا وجماعة من أهل البلد نبكي إذا إتكأ القاسم على يديه إلى خلف وجعل يقول: يا محمّد يا عليّ يا حسن يا حسين! يا مواليّ! كونوا شفعائي إلى الله عزّ وجلّ، وقالها الثانية وقالها الثالثة، فلمّا بلغ في الثالثة يا موسى! يا عليّ! تفرقعت أجفان عينيه كما يفرقع الصبيان شقائق النعمان، وانتفخت حدقته، وجعل يمسح بكمّه عينيه وخرج من عينيه شبيه بماء اللحم، ثمّ مدّ طرفه إلى ابنه فقال: يا حسن! إليّ، يا ابا حامد! إليّ، يا ابا عليّ! فاجتمعنا حوله ونظرنا إلى الحدقتين صحيحتين، فقال له أبو حامد: تراني، وجعل يده على كلّ واحد منّا وشاع الخبر في الناس...

فلمّا كان يوم الأربعين وقد طلع الفجر مات القاسم رحمه الله...

وتولّى أبو عليّ ابن جحدر غسل القاسم، وأبو حامد يصبّ عليه الماء، وكفّن في ثمانية أثواب على بدنه قميص مولاه أبي الحسن وما يليه السبعة الأثواب الّتي

جاءته من العراق، فلمّا كان بعد مدّة يسيرة ورد كتاب تعزية على الحسن من مولانا عليه السلام في آخره دعاء: «ألهمك الله طاعته وجنبك معصيته» وهو الدعاء الّذي كان دعا به أبوه، وكان آخره:

«قد جعلنا أباك إماماً لك و فعاله لك مثالاً»[1].

وإنّما جئنا على أكثر القصّة لبيان خصال القاسم وليتجلّى وجه جعله عليه السلام قدوة لابنه الحسن وفعاله مثالاً له.

* * *

(١) البحار ٥١: ٣١٣ ـ ٣١٦، معجم رجال الحديث ١٤: ٣٣ ملخصاً. ولولا خوف الإطالة: لعلّقنا عليها أكثر من ذلك.

٢٧٥

قد حُمل من قرميسين من عند أحمد... كيس فيه ألف دينار

روى العلّامة المجلسي من كتاب النجوم بإسناد له هذه صورته:

روّينا بإسنادنا إلى الشيخ أبي جعفر محمّد بن جرير الطبري، بإسناده[١] يرفعه إلى أحمد الدينوري السراج المكنّى بأبي العبّاس الملقب بآستاره قال: انصرفت من أردبيل[٢] إلى دينور أُريد أن أحجّ وذلك بعد مضيّ أبي محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام بسنة أو سنتين، وكان الناس في حَيرة، فاستبشر أهل دينور بموافاتي، واجتمع الشيعة عندي فقالوا: اجتمع عندنا ستّة عشر ألف دينار من مال الموالي ونحتاج أن تحملها معك وتسلّمها بحيث يجب تسليمها.

قال: فقلت: يا قوم! هذه حَيرة ولا نعرف الباب في هذا الوقت، قال: فقالوا: إنّما اخترناك لحمل هذا المال لما نعرف من ثقتك وكرمك فاعمل على أن لا تخرجه من يديك إلّا بحجّة.

قال: فحمل إليّ ذلك المال في صُرر باسم رجل رجل، فحملت ذلك المال

---

(١) علّق عليه: والإسناد هكذا: عن أبي المفضل محمّد بن عبد الله، عن محمّد بن جعفر المقري عن محمّد بن سابور، عن الحسن بن محمّد بن حمران عن أحمد الدينوري هامش البحار ٥١: ٣٠٠، وفي دلائل الإمامة للطبري: ٢٨٢، أورد الإسناد مع اختلاف، وزيادة بعض الرواة.

(٢) وفي دلائل الإمامة (إربيل) بدل (أردبيل) أُنظر: ٢٨٢.

وخرجت، فلمّا وافيت قَرميسين كان أحمد بن الحسن بن الحسن مقيماً بها فصرت إليه مسلّماً، فلمّا لقيني استبشر بي، ثمّ أعطاني ألف دينار في كيس، وتخوت ثياب ألوان معكمة[١] لم أعرف ما فيها، ثمّ قال لي: احمل هذا معك ولا تخرجه عن يدك إلّا بحجّة.

قال: فقبضت المال والتخوت بما فيها من الثياب ـ إلى أن قال: ـ قال: فصرت إلى أبي جعفر العمري فوجدته شيخاً متواضعاً عليه مبطنة بيضاء قاعد على لبد في بيت صغير ليس له غلمان، ولا من المروءة[٢] والفرش ما وجدت لغيره، قال: فسلّمت فردّ الجواب وأدناني وبسط منّي، ثمّ سألني عن حالي فعرّفته أنّي وافيت من الجبل[٣] و حملت مالاً، قال: فقال إن أحببت أن يصل هذا الشيء إلى من يجب أن يصل إليه تخرج إلى سرّ من رأى وتسأل دار ابن الرضا، وعن فلان بن فلان الوكيل ـ وكانت دار ابن الرضا عامرة بأهلها فإنّك تجد هناك ما تريد ـ.

قال: فخرجت من عنده ومضيت نحو سرّ من رأى، وصرت إلى دار ابن الرضا وسألت عن الوكيل، فذكر البوّاب أنّه مشتغل في الدار، وأنّه يخرج آنفاً، فقعدت على الباب انتظر خروجه فخرج بعد ساعة فقمت وسلّمت عليه، وأخذ بيدي إلى بيت كان له، وسألني عن حالي وما وردت له فعرّفته أنّي حملت شيئاً من المال من ناحية الجبل، وأحتاج أن أُسلّمه بحجّة.

قال: نعم، ثمّ قدّم إليّ طعاماً وقال لي: تغدّ بهذا واسترح، فإنّك تعبت، فإنّ بيننا وبين الصلاة[٤] الأُولى ساعة، فإنّي أحمل إليك ما تريد، قال: فأكلت ونمت، فلمّا كان وقت الصلاة نهضت وصلّيت وذهبت إلى المشرعة فاغتسلت ونضّرت انصرفت إلى

---

(١) في الدلائل (معتمة). ولعلّ الأصل المعلّمة أي ذات علامة. والمعكمة من العكم: الشدّ. والمعتمة من العتم: الاحتباس.

(٢) لا يقصد من نفي المروءة الفتوة بل يراد بها هنا السعة كما كانت عند غيره ممّن لم نذكر أسماءهم. (٣) يريد به إيران، لاشتمالها على الجبال. (٤) في الأصل «صلاة الأُولى».

بيت الرجل وسكنت إلى أن مضى من الليل ربعه، فجاءني بعد أن مضى من الليل ربعه ومعه درج فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم وافى أحمد بن محمّد الدينوري وحمل ستّة عشر ألف دينار في كذا وكذا صرّة فيها صرّة فلان ابن فلان كذا وكذا دينار، ـ إلى أن عدّد الصُرر كلّها ـ صرّة فلان ابن فلان الذراع ستة عشر ديناراً».

قال: فوسوس إليّ الشيطان فقلت: إنّ سيدي أعلم بهذا منّي؟ فما زلت أقرأ ذكره صرّة صرّة وذكر صاحبها حتّى أتيت عليها عند آخرها، ثمّ ذكر:

«قد حُمل من قَرميسين من عند أحمد بن الحسن المادرائي أخي الصوّاف كيسٌ فيه ألف دينار وكذا وكذا تختاً من الثياب منها ثوب فلان وثوب لونه كذا» ـ حتّى نسب الثياب إلى آخرها بأنسابها وألوانها ـ[1].

أقول:

لطول القصّة اقتصرنا على ما يربط المختار منها وتجد قوله عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم، وافى أحمد بن محمّد الدينوري...» عند «وافى...»[2]، وكذا ترجمة الدينوري.

قرميسين:

بالفتح ثمّ السكون وكسر الميم: تعريب كرمان شاهان بلد معروف بينه وبين همدان ثلاثون فرسخاً قرب الدينور وهي بين همدان وحُلوان على جادة الحاج، وللبلد قصّة الدكّان واجتماع الملوك، ذكرها الحموي فراجع[3].

إخبار الإمام المهديّ عليه السلام بما في الصُرر والسرائر زيادة في الإيمان[4].

---

(١) البحار ٥١: ٣٠٠ ـ ٣٠٢، دلائل الإمامة للطبري: ٢٨٢ ـ ٢٨٤.

(٢) رقمه ٤٥٤.

(٣) معجم البلدان ٤: ٣٣٠ ـ ٣٣١.

(٤) لأرباب الصُرر.

٢٧٦
قد شيب أحلّها بأحرمها

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام في قصّة الهدايا التي حملها أحمد بن إسحاق من قبل الشيعة في حياة أبي محمّد العسكري عليه السلام، وصورتها المرتبطة بالكلمة:

«وقال[١] له: يا بني فضّ الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك: فقال[٢] يا مولاي أيجوز أن أمدّ يداً طاهرة إلى هدايا نجسة وأموال رجسة قد شيب أحلّها بأحرمها؟»[٣].

سبق التكلّم عن كلمة «أيجوز أن أمد يداً طاهرة...»[٤]، بتفصيل.

قوله عليه السلام: «قد شيب أحلّها بأحرمها» من الشوب الخلط.

قال ابن الأثير: فيه[٥]: «لا شوب ولا روب» أي لا غشّ ولا تخليط في شراء أو بيع. وأصل الشوب: الخلط، والروب من اللبن: الرائب لخلطه بالماء. ويقال للمخلّط في كلامه: هو يشوب ويروب. وقيل معنى لا شوب ولا روب: أنّك بريء من هذه السلعة[٦].

ذكرنا كلمة «لا شوب ولا روب» و عدّدناها في الأمثال النبويّة[٧]، ومنها ﴿إِنَّ

---

(١) أبو محمّد عليه السلام. (٢) المهدي عليه السلام.
(٣) إكمال الدين ٢: ٤٥٧ ـ ٤٥٨، الباب ٤٣، ح ٢١.
(٤) رقمها ١٢٧. (٥) أي الحديث النبويّ.
(٦) النهاية ٢: ٥٠٧ ـ شوب ـ. (٧) ج ٢: ١٠٦، الرقم ٤٣٣.

لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِّنْ حَمِيمٍ﴾[1] إذا غلبهم العطش وطال استقاؤهم سقوا شراباً من غسلين أو صديد مشوب بماء حميم يقطع الأمعاء. بالله تعالى نستجير من شراب جهنم وطعامها.

وإذا دريت معنى الشوب فإنّه عليه السلام لا يأخذ من الهدايا الّتي تهدى إليه، ولا من الأموال إلّا الخالص النظيف عن الأنجاس والأرجاس، وهل ذلك يختصّ بالهدايا والأموال، أم يعمّ الأفعال والأقوال بل النيّات والطوايا وكلّ شيء شيب بغير الله عزّ وجلّ؟ و من أسمائه تعالى: «باسمك المكنون المخزون الطاهر الطُهر»[2]، والمعصوم عليه السلام طاهر طُهر مُطهّر من طُهر طاهر مطهّر لا يقبل الحرام ولا الحلال الّذي شيب به ويقبل الخالص الطاهر، والسرّ واضح لمن خلص وأخلص لله تعالى العمل.

* * *

---

(١) الصافات: ٦٧.

(٢) معاني الأخبار: ١٤٠.

٢٧٧

قد فعله قوم صالحون

جاء المختار في الجوابات الصادرة عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال عن مسائل محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري وقد تقدّم أكثرها، وصورته:

وهل يجوز أن يحرم في كساء خزّ أم لا؟.

«الجواب: لا بأس بذلك، قد فعله قوم صالحون»[١].

أقول:

من المثل السائر على ألسن الفقهاء والأُصوليّين: (تعليق الحكم على الوصف مشعر بالعليّة)؛ لأنّ قوله عليه السلام: «قد فعله قوم صالحون» بمنزلة الوصف المشعر بعلّة الحكم وهو جواز الإحرام في الخزّ، وكلّ ما جاز لُبسه في الصلاة جاز الإحرام فيه؛ ويشهد له قول الصادق عليه السلام في الصحيح: «قال: كلّ ثوب يُصلّىٰ فيه فلا بأس أن يحرم فيه»[٢].

وقال الشيخ الكليني طاب ثراه.

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمّد، عن حمّاد بن عثمان، عن عبد الرحمن بن الحجّاج، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن المحرم يلبس الخزّ؟

---

(١) الوسائل ٩: ٤١، الباب ٣٢ من أبواب الإحرام، ح ٤، غيبة الطوسي: ٢٣٤.

(٢) الكافي ٤: ٣٣٩ ح ٣.

قال: لا بأس[١].

قال العلّامة المجلسي معلّقاً عليه: الظاهر أنّ المراد به غير ثوبي الإحرام، ولو أُريد به التعميم فلعله محمول على وبر الخزّ لا جلده[٢]، وقد منعه جمع منهم المفيد[٣] قال في الجواهر: (والمفيد على الديباج والحرير والخزّ والمغشوش بوبر الأرانب والثعالب)[٤] وأمّا في غير الصلاة والإحرام فلا كلام في الجواز كما أنّه للمرأة جائز إطلاقاً وإليك ذكر نبذة من أحاديث الخزّ ذكرها الشيخ الحرّ عقيب (باب جواز لبس جلد الخزّ ووبره وإن كان مغشوشاً بالإبريسم)[٥] ففي صحيح ابن الحجّاج قال: سأل أبا عبد الله عليه السلام رجل وأنا عنده عن جلود الخزّ، فقال: ليس بها بأس، فقال الرجل: جعلت فداك إنّها علاجي [في بلادي] وإنّما هي كلاب تخرج من الماء، فقال أبوعبدالله عليه السلام: «إذا خرجت من الماء تعيش خارجة من الماء؟ فقال الرجل: لا، قال: ليس به بأس»[٦].

في المرسل الباقري: «إنّا معاشر آل محمّد نلبس الخزّ واليُمنة»[٧] [٨].

في الرضوي: «لبس الخزّ الحسين بن عليّ ومن بعده جدّي صلوات الله عليهم»[٩].

وفي الآخر: «كان عليّ بن الحسين عليه السلام يلبس الجبّة الخزّ بخمسين ديناراً»[١٠].

في الباقري: «قتل الحسين بن عليّ عليه السلام وعليه جبّة خزّ دكناء، فوجدوا فيها

---

(١) الكافي ٤: ٣٤١ ح ١٢، الوسائل ٩: ٤٠، الباب ٣٢ من أبواب الإحرام، ح ١.
(٢) مرآة العقول ١٧: ٢٨٢. (٣) المقنعة: ٣٩٦. (٤) الجواهر ١٨: ٢٤٢.
(٥) الوسائل ٣: ٢٦٣، الباب ١٠ من أبواب لباس المصلّي.
(٦) الوسائل ٣: ٢٦٣، الباب ١٠ من أبواب لباس المصلّي، ح ١.
(٧) الوسائل ٣: ٢٦٣، الباب ١٠ من أبواب لباس المصلّي، ح ٣.
(٨) ثوب يُمنة بضمّ الياء: البُردة من برود اليمين مجمع البحرين ٦: ٣٣٥ ـ يمن ـ.
(٩ و١٠) الوسائل ٣: ٢٦٤، الباب ١٠ من أبواب لباس المصلّي، ح ٤ و٥.

ثلاثة وستّين من بين ضربة بسيف، أو طعنة برمح أو رمية بسهم»[١].

وهذا قليل من كثير من طريقنا، وقال ابن منظور: الخزّ ولد الأرنب، وقيل: هو الذكر من الأرانب والجمع أخزّة، والخزّ معروف من الثياب مشتق منه...» إلى أن قال: وفي حديث عليّ كرّم الله وجهه: «نهى عن ركوب الخزّ والجلوس عليه»[٢].

قال ابن الأثير: فإن أُريد بالخزّ المعروف أوّلاً ثياب تنسج من صوف وإبريسم وهي مباحة، قال: وقد لبسها الصحابة والتابعون فيكون النهي عنها التشبّه بالعجم وزيّ المترفين، قال: وإن أُريد بالخزّ النوع الآخر وهو المعروف الآن فهو حرام؛ لأنّه كلّه معمول من الإبريسم، قال: وعليه يحمل الحديث الآخر: «قوم يستحلّون الخزّ والحرير»[٣].

لا إشكال في جواز لُبسهما للضرورة وفي الحرب، وللنساء، كما لا ريب في منع المتّخذ من غير المذكّى في الصلاة وفي الإحرام وسائر ما يعتبر فيه الطهارة؛ لأنّ الجلود غير المذكاة أو غير المأكولة اللحم لا يجوز لُبسها في ذلك، والمسألة فقهيّة لابدّ من الرجوع إلى أهلها ويجب الكفّ عن الحكم قبل ذلك.

* * *

---

(١) الوسائل ٣: ٢٦٤، الباب ١٠ من أبواب لباس المصلّي، ح ٨.

(٢) لسان العرب ٥: ٣٤٥ ـ خزز ـ.   (٣) النهاية ٢: ٢٨ ـ خزر ـ.

٢٧٨
قد قبض على أحمد باشا البابانى

من الإخبار بالمغيّب المأثور عن الإمام المهديّ عليه السلام في قصّة السيّد مهدي القزويني وصورتها بلفظ الشيخ النوري السامع من ابن السيّد ما يلي من الحكاية الرابعة والأربعين من جنّته قال: قال: بسم الله الرحمن الرحيم حدّثني بعض الصلحاء الأبرار من أهل الحلّة قال: خرجت غدوة من داري قاصداً داركم لأجل زيارة السيّد أعلى الله مقامه، فصار ممرّي في الطريق على المقام المعروف بقبر السيّد محمّد ذي الدمعة فرأيت على شبّاكه الخارج إلى الطريق شخصاً بهيّ المنظر يقرأ فاتحة الكتاب، فتأمّلته فإذا هو غريب الشكل وليس من أهل الحلّة.

فقلت في نفسي: هذا رجل غريب قد اعتنى بصاحب هذا المرقد، ووقف وقرأ له فاتحة الكتاب، ونحن أهل البلد نمرّ ولا نفعل ذلك، فوقفت وقرأت الفاتحة والتوحيد، فلمّا فرغت سلّمت عليه فردّ السلام، وقال لي: يا عليّ أنت ذاهب لزيارة السيّد مهدي قلت: نعم، قال: فإنّي معك.

فلمّا صرنا ببعض الطريق قال لي: يا عليّ لا تحزن على ما أصابك من الخسران وذهاب المال في هذه السنة؛ فإنّك رجل امتحنك الله بالمال فوجدك مؤدّياً للحقّ وقد قضيت ما فرض الله عليك، وأمّا المال فإنّه عرض زائل يجيء ويذهب.

وكان قد أصابني خسران في تلك السنة لم يطّلع عليه أحد مخافة الكسر، فاغتممت في نفسي وقلت: سبحان الله كسري قد شاع وبلغ حتّى إلى الأجانب، إلّا أنّي قلت له في الجواب: الحمد لله على كلّ حال، فقال: إنّ ما ذهب من مالك سيعود

إليك بعد مدّة وترجع كحالك الأوّل، وتقضي ما عليك من الديون.

قال: فسكتّ وأنا مفكّر في كلامه حتّى انتهينا إلى باب داركم، فوقفت ووقف، فقلت: ادخل يا مولاي فأنا من أهل الدار فقال لي: ادخل أنت أنا صاحب الدار، فامتنعت فأخذ بيدي وأدخلني أمامه، فلمّا صرنا إلى المجلس وجدنا جماعة من الطلبة جلوساً ينتظرون خروج السيّد ﷺ من داخل الدار لأجل البحث ومكانه من المجلس خال لم يجلس فيه أحد احتراماً له وفيه كتاب مطروح.

فذهب الرجل وجلس في الموضع الذي كان السيّد ﷺ يعتاد الجلوس فيه، ثمّ أخذ الكتاب وفتحه، وكان الكتاب شرائع المحقّق ﷺ، ثمّ استخرج من الكتاب كراريس مسوّدة بخطّ السيّد ﷺ، وكان خطّه في غاية الضعف لا يقدر كلّ أحد على قراءته، فأخذ يقرأ في تلك الكراريس، ويقول للطلبة: ألا تعجبون من هذه الفروع وهذه الكراريس هي بعض من جملة كتاب مواهب الأفهام في شرح شرائع الإسلام وهو كتاب عجيب في فنّه لم يبرز منه إلّا ستّ مجلّدات من أوّل الطهارة إلى أحكام الأموات.

قال الوالد أعلى الله درجته: لمّا خرجت من داخل الدار رأيت الرجل جالساً في موضعي، فلمّا رآني قام وتنحّى عن الموضع فألزمته بالجلوس فيه، ورأيته رجلاً بهي المنظر وسيم الشكل في زيّ غريب، فلمّا جلسنا أقبلت عليه بطلاقة وجه وبشاشة وسؤال عن حاله، واستحييت أن أسأله من هو وأين وطنه؟ ثمّ شرعت في البحث فجعل الرجل يتكلم في المسألة الّتي نبحث عنها بكلام كأنّه اللؤلؤ المتساقط فبهرني كلامه، فقال له بعض الطلبة: اسكت ما أنت وهذا، فتبسّم وسكت.

قال ﷺ: فلمّا انقضى البحث قلت له: من أين كان مجيئك إلى الحلّة؟ فقال: من بلد السليمانيّة، فقلت: متى دخلت؟ فقال بالأمس خرجت منها وما خرجت منها حتّى دخلها نجيب باشا فاتحاً لها عنوة بالسيف وقد قبض على أحمد باشا البابانى المتغلّب عليها، وأقام مقامه أخاه عبد الله باشا، وقد كان أحمد باشا المتقدّم قد خلع

طاعة الدولة العثمانيّة، وادّعى السلطة لنفسه في السليمانيّة.

قال الوالد ﷺ: فبقيت متفكّراً في حديثه وأنّ هذا الفتح وخبره لم يبلغ إلى حكّام الحلّة، ولم يخطر لي أن أسأله كيف وصلت إلى الحلّة وبالأمس خرجت من السليمانيّة وبين الحلّة والسليمانيّة ما تزيد على عشرة أيّام للراكب المجدّ.

ثمّ إنّ الرجل أمر بعض خدمة الدار أن يأتيه بماء، فأخذ الخادم الإناء ليغترف به ماءً من الحبّ فناداه لا تفعل؛ فإنّ في الإناء حيواناً ميّتاً فنظر فيه فإذا فيه سام أبرص ميّت فأخذ غيره وجاء بالماء إليه فلمّا شرب قام للخروج.

قال الوالد ﷺ فقمت لقيامه فودّعني وخرج، فلمّا صار خارج الدار قلت للجماعة: هلّا أنكرتم على الرجل خبره في فتح السليمانيّة فقالوا: هلّا أنكرت عليه.

قال: فحدّثني الحاج عليّ المتقدم بما وقع له في الطريق وحدّثني الجماعة بما وقع قبل خروجي من قراءته في المسوّدة وإظهار العجب من الفروع الّتي فيها.

قال الوالد أعلى الله مقامه: فقلت: اطلبوا الرجل وما أظنّكم تجدوه هو والله صاحب الأمر روحي فداه، فتفرق الجماعة في طلبه فما وجدوا له عيناً ولا أثراً فكأنّما صعد في السماء أو نزل في الأرض.

قال: فضبطنا اليوم الذي أخبر فيه عن فتح السليمانيّة فورد الخبر ببشارة الفتح إلى الحلّة بعد عشرة أيّام من ذلك اليوم، وأعلن ذلك عند حكّامها بضرب المدافع المعتاد ضربها عند البشائر عند ذوي الدولة العثمانيّة[1].

أقول:

إنّما ذكرنا القصّة عن آخرها لتكون هي الأصل لما يأتي منها من كلمات، وعليها آثار الصدق لائحة لمن عرف نظائرها والله العالم.

* * *

---

(١) جنّة المأوى المطبوع مع البحار ٥٣: ٢٨٣ ـ ٢٨٥، إلزام الناصب ٢: ٥٥ ـ ٥٧ الحكاية ٣٠.

٢٧٩
قد قصدنا فصبرنا عليه

من الكلمات الصادرة عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال في قصّة الهلالي وصورتها:

في رواية الشيخ الصدوق بإسناده، عن محمّد بن الصالح أنّه قال: ولمّا ورد نعي ابن هلال لعنه الله جاءني الشيخ[١]، فقال لي: أخرج الكيس الّذي عندك فأخرجته إليه، فأخرج إليّ رقعة فيها: «وأمّا ما ذكرت من أمر الصوفي المتصنّع - يعني الهلالي - فبتر الله عمره».

ثمّ خرج من بعد موته: «فقد قَصَدَنا فصبرنا عليه، فبتر الله تعالى عمره بدعوتنا»[٢].

قوله عليه السلام: «قد قَصَدَنا وصبرنا عليه» يريد أنّه أرادنا الهلالي بالسوء ولكن صبرنا حتّى أهلكه الله، وكان ذلك بدعائنا، وفي دور كلّ معصوم عليه السلام كان كذّابون قاصدون، وفي دور أبي محمّد وابنه المهدي عليهما السلام كان من الكذّابين القاصدين السوء جمع منهم الهلالي ونظائره المذكورون آنفاً، ولقد صدق المثل: (لكلّ موسى فرعون)[٣]، وقبل القبل هابيل المظلوم وقابيل الظالم، والحقّ والباطل متقابلان في كلّ زمان.

---

(١) وهو الحسين بن روح رضي الله عنه.

(٢) إكمال الدين ٢: ٤٨٩، باب ٤٥ الحديث ١٢، البحار ٥١: ٣٢٨.

(٣) الايضاح للفضل بن شاذان: ١٩٣، خزانة الأدب ٧: ٢٤٠ - ٢٤١ وفيه(لكلّ فرعون موسى) أي لكلّ ظالم مبطلٍ عادلٌ محقٌ.

٢٨٠

قد قضيت ما فرض الله عليك

كلمة مأثورة عن الإمام المهديّ عليه السلام من قصّة الحاج عليّ الّذي حكى الحكاية المتقدّم ذكرها والمصاحبة الّتي كان من جملتها الوقوف على شباك قبر ذي الدمعة في الحلّة والدخول إلى دار السيّد مهدي القزويني بتفصيل مسبق؛ ومن أجله لا نعيد القصّة دون ما يربط المختار قال روحي فداه:

«يا عليّ لا تحزن على ما أصابك من الخسران وذهاب المال في هذه السنة؛ فإنّك رجل امتحنك الله بالمال فوجدك مؤدّياً للحقّ وقد قضيت ما فرض الله عليك...»[١].

وإليك في ردّ المشتهر باسم السيّد محمّد كما في الحكاية السابقة الذكر قول الشيخ النوري: قلت: الموجود فيما عندنا من كتب الأنساب أنّ اسم ذي الدمعة حسين، ويلقّب أيضاً بذي العَبرة وهو ابن زيد الشهيد ابن عليّ بن الحسين عليهم السلام ويكنّى بأبي عاتقة، وإنّما لقّب بذي الدمعة لبكائه في تهجّده في صلاة الليل، وربّاه الصادق عليه السلام فأورثه علماً جمّاً، وكان زاهداً عابداً وتوفّي سنة خمس وثلاثين ومائة، وزوّج ابنته بالمهدي الخليفة العبّاسي، وله أعقاب كثيرة...[٢].

ثمّ المختار يماثله المثل السائر (قد قضيت ما عليك وبقي ما علينا)[٣].

* * *

---

(١) جنّة المأوى المطبوع مع البحار ٥٣: ٢٨٣، إلزام الناصب ٢: ٥٥.

(٢) جنّة المأوى المطبوع مع البحار ٥٣: ٢٨٥ ـ ٢٨٦، إلزام الناصب ٢: ٥٧ ـ ٥٨ .

(٣) وآية ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً﴾ الأحزاب: ٢٣.

٢٨١
قد كنّا نتوقّعك ليلاً ونهاراً

من كلام الإمام المهديّ عليه السلام لعليّ بن إبراهيم بن مهزيار وإليك قصّته برواية الطبري قال: وروى أبو عبد الله محمّد بن سهل الجلودي، قال: حدّثنا أبو الخير أحمد ابن محمّد بن جعفر الطائي الكوفي في مسجد أبي إبراهيم موسى بن جعفر، قال: حدّثنا محمّد بن الحسن بن يحيى الحارثي، قال: حدّثنا عليّ بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي قال: خرجت في بعض السنين حاجّاً إذ دخلت المدينة وأقمت بها أيّاماً أسأل واستبحث عن صاحب الزمان، فما عرفت له خبراً ولا وقعت لي عليه عين فاغتممت غماً شديداً، وخشيت أن يفوتني ما أمّلته من طلب صاحب الزمان، فخرجت حتّى أتيت مكّة فقضيت حجّتي ـ إلى أن قال صاحبه الذي دلّه عليه: ـ

ابشر فقد أُذن لك بالدخول، فدخلت فإذا البيت يسطع من جانبه النور. فسلّمت عليه بالإمامة، فقال لي: يا أبا الحسن قد كنّا نتوقعك ليلاً ونهاراً فما الّذي أبطأ بك علينا؟ قلت: يا سيّدي! لم أجد من يدلّني إلى الآن، قال لي: ألم تجد أحداً يدلّك؟ ثمّ نكت بأصبعه في الأرض، ثمّ قال: لا ولكنّكم كثّرتم الأموال وتجبّرتم على ضعفاء المؤمنين، وقطعتم الرحم الّذي بينكم، فأيّ عذر لكم؟ فقلت: التوبة التوبة الإقالة الإقالة...[1].

---

(١) دلائل الإمامة: ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

أقول: لم نأت على القصّة عن آخرها وتأتي عند «الكرّة الكرّة...»[١].

من هو عليّ بن إبراهيم بن مهزيار؟.

قد أسلفنا عنه وقلنا: إنّ عليّاً المكنّى بأبي الحسن هو أخ لإبراهيم بن مهزيار المكنّى بأبي إسحاق كما صرّح بذلك النجاشي عند ترجمة عليّ بن مهزيار وكتبه، قال: وروى كتب عليّ بن مهزيار أخوه إبراهيم[٢].

ولا يبعد وقوع التصحيف، كما ويحتمل أن تكون الرواية في غيبة الطوسي لقصّة عليّ نفسه بطرق أُخر[٣]. وعلق بعض عليها عند حكاية البحار عنه مشيراً إلى التصحيف ونسبة الغفلة عن الكنيتين بأبي الحسن لعليّ بن مهزيار، وأبي إسحاق لإبراهيم بن مهزيار فراجع[٤]، وتكلمنا بعض التكلّم عند «إذا حيل بينكم وبين الكعبة بأقوام لا خلاق لهم»[٥].

بقي الكلام في معنى «قد كنّا نتوقعك ليلاً ونهاراً»، من الانتظار التوقّع في الليل والنهار للّقاء ثمّ العتاب الذي هو من آيات المودّة، وأنّ من أوجب العتاب عتاب المولى لعبده والإمام المعصوم لآحاد الناس، فلو درى المسكين من يعاتبه ويخاطبه لذاب خجلاً وإجلالاً، وقد جاء لداود النبي فيما أوحى الله على نبيّنا وآله وعليه السلام:

«يا داود! لو يعلم المدبرون عنّي كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقاً إليّ، وتقطّعت أوصالهم من محبّتي، يا داود! هذه إرادتي في المدبرين عنّي فكيف إرادتي في المقبلين عليّ، يا داود أحوج ما يكون العبد إليّ إذا استغنى عنّي، وأرحم ما أكون بعبدي إذا أدبر عنّي، وأجلّ ما يكون عبدي إذا رجع

---

(١) رقمه ٣٠٣.

(٢) رجال النجاشي: ٢٥٣ / ٦٦٤.

(٣) لم نعثر عليه في غيبة الطوسي.

(٤) هامش البحار ٥٢: ٤٢ ـ ٤٣.

(٥) رقمه ٣٨.

إليّ...»[١].

قوله عليه السلام بعد اعتذار ابن مهزيار «لم أجد من يدلّني»:

«ألم تجد أحدا يدلّك؟» استفهام توبيخ وردّ ادّعاء عدم الدليل، والدليل عليه أنّه عليه السلام قال: «لا، ولكنّكم كثّرتم الأموال، وتجبّرتم على ضعفاء المؤمنين، وقطعتم الرحم الذي بينكم فأيّ عذر لكم».

بيان لعوامل الحرمان من تكثير الأموال، والتجبّر على الضعفاء، وقطع الأرحام. وأنّ الذنوب هي عوائق الوصول. والخطاب عام لعامة الشيعة بل وللناس جميعاً، فعلى من ينتظر اللقاء الطاعة والورع عن محارم الله؛ لأنّ وليّ الله وليّ وأخ لمن أطاع الله؛ كما قال الإمام الرضا عليه السلام لزيد النار ردّاً لقوله: أنا أخوك: «أنت أخي ما أطعت الله عزّ وجلّ»[٢].

«اللّهمّ ارزقنا توفيق الطاعة وبُعد المعصية وعرفان الحرمة...»[٣].

* * *

---

(١) المحجة البيضاء ٨: ٦٢، كتاب المحبّة والشوق.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٣٤، الباب ٥٨ ح ٤.

(٣) من دعاء الإمام المهديّ عليه السلام البلد الأمين: ٣٤٩، ويأتي الكلام عنه عند «اللّهمّ ارزقنا توفيق...»، رقمه ٣٣٨.

٢٨٢

قد ناجاك بعزم الإرادة قلبي

من أقرب الطرق للوصول إلى الله تعالى عزم الإرادة على اختياره، وعقد القلب في المناجاة إيّاه بهذا الصدد.

والمختار من آواخر الدعاء العلوي المصري المطول السابق الذكر، وهو الدعاء الذي علّمه الإمام المهديّ عليه السلام السيّد محمّد بن عليّ العلوي الحسيني المصري في قصّة له مصرّحة عند «الحمد لله كما يحبّ الله أن يحمد»[1]، و«قد أُجيبت دعوتك يا محمّد...»[2]، وغيرهما؛ لأنّا اخترنا من هذا الدعاء كلمات ذكرناها للمناسبات، بناء على أنّها من الإمام عليه السلام بالصميم، رواها السيّد ابن طاووس، والعلّامة المجلسي عنه، ولربط المختار من الدعاء ما يلي:

«يكفيك عزم إرادة وأن يقول العبد بنيّة صادقة ولسان صادق: يا ربّ فتكون عند ظنّ عبدك بك، وقد ناجاك بعزم الإرادة قلبيَ، فأسألك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وأن تقرن دعائي بالإجابة منك...»[3].

---

(١) رقمه ١٧٤.

(٢) رقمه ٢٦٨.

(٣) مهج الدعوات: ٢٩٣، البحار ٩٥: ٢٧٨.

بيان:

ممّا يقرّر المختار ما جاء في دعاء اليوم السابع والعشرين من رجب برواية السيّد ابن طاووس طاب ثراه قال:

ويستحبّ أن يدعو في هذا اليوم وهو يوم مبعث النبيّ ﷺ بهذا الدعاء، ورواه محمّد بن عليّ الطرازي بإسناده إلى أبي عليّ بن إسماعيل بن يسار، قال: لمّا حمل موسى عليه السلام إلى بغداد، وكان ذلك في رجب سنة تسع وسبعين ومائة دعا بهذا الدعاء وهو من مذخور أدعية رجب، وكان ذلك يوم السابع والعشرين منه يوم المبعث صلّى الله على المبعوث فيه وآله وسلّم وهو هذا الدعاء:

«يا من أمَرَ بالعفو والتجاوز، وضمّن نفسه العفو والتجاوز»... إلى أن قال: ـ «وقد علمتُ أنّ أفضل زاد الراحل إليك عزم إرادة يختار بها، وقد ناجاك بعزم الإرادة قلبي...»[1].

في عُرف العلماء كلمتان جاريتان على ألسنتهم وفي كتبهم الاستدلاليّة في الأُصول والفقه: الكبرى والصغرى، ويريدون بالأُولى كليّ الدليل للمدّعى وهو عمدة القياس في علم المنطق، وبالثانية التطبيق له بأن يكون مورد الدعوى من مظاهر ومصاديق ذلك الدليل الكليّ. وإذا دريت الكلمتين فقل:

«عزم إرادة يختارك بها» هي الكبرى. وإنّ كلمة «قد ناجاك بعزم الإرادة قلبي» الصغرى، والقياس مركّب منهما وكما عرفت دعاء المبعث أمكنك أن تقيس عليه دعاء العلوي أيضاً إلّا أنّ دعاء المبعث أكثر وضوحاً وأقرب لتطبيق الكلمتين.

ومن مصاديق القياس المركّب القول النبويّ في قصّة تزويج جويبر الذلفاء بنت زياد بن لبيد الأنصاري، رواها الكليني وفيها قال ﷺ لزياد: «يا زياد جويبر مؤمن والمؤمن كفؤ للمؤمنة والمسلم كفؤ للمسلمة فزوّجه يا زياد...»[2] و عليك التطبيق.

---

(١) الإقبال: ٦٧٧ ـ ٦٧٨، ولولا لزوم الخروج عن الموضوع لأوردناه عن آخره.

(٢) الكافي ٥: ٣٤١.

الغاية والمرمى:

قد دلّ الدعاءان على أنّ أفضل الزاد للرحلة إلى الله أن يقع عزم إرادة العبد على اختيار الله، وفي نفس الوقت أن يكون قلبه معقوداً عليه ويناجيه في سرّ سويداه أنّي أُريدك لا أُريد سواك، ومن أراد الله أراده، ومن أحبّه أحبّه، وهي الغاية.

والمرمى الّذي من أجله خلق الإنسان بالذات، وعامل العزم على اختيار الله حبّه؛ لشهادة آية ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [1] وبتوفيقه عرفه من عرفه.

* * *

---

(١) المائدة: ٥٤.

٢٨٣
قد نسخت قراءة أُمّ الكتاب التسبيح

صدرت في سنة ثمان وثلاثمائة عن الناحية المحفوفة بالتقديس والإجلال جوابات عن مسائل محمّد بن عبد الله الحميري منها: وسأل عن الركعتين الأخيرتين قد كثرت فيهما الروايات: فبعض يروي أنّ قراءة الحمد وحدها أفضل، وبعض يروي أنّ التسبيح فيهما أفضل، فالفضل لأيّهما نستعمله؟.

فأجاب: قد نسخت قراءة أُمّ الكتاب في هاتين الركعتين التسبيح، والّذي نسخ التسبيح قول العالم عليه السلام: «كلّ صلاة لا قراءة فيها فهي خداج» إلّا للعليل، أو من يكثر عليه السهو، فيتخوّف بطلان الصلاة عليه[1].

أقول:

لا شكّ في وجوب قراءة الحمد في الأُوليين من الصلوات سواء أكانت ثنائيّة أم ثلاثيّة أم رباعيّة، وإنّما الكلام في الركعة الثالثة من الثلاثيّة، والأُخريين من الرباعيّة. والّذي عليه جلّ الفقهاء الإماميّة لولا كلّهم هو التخيير بين التسبيح وبين قراءة الحمد، نعم، من صاحب الجواهر رحمه الله يظهر الخلاف قال: (فتحصّل من مجموع

---

(١) الاحتجاج ٢: ٣١٣، توقيعات الناحية المقدّسة (عج)، البحار ٥٣: ١٦٧، الوسائل ٤: ٧٩٤ـ ٧٩٥، الباب ٥١ من أبواب القراءة في الصلاة، ح ١٤.

ما ذكرنا أقوال متعدّدة تنتهي إلى سبعة أو أزيد، وقد يقوى في النظر منها استحباب التسبيح مطلقاً؛ للنصوص الكثيرة، بل في مصابيح الطباطبائي دعوى تواترها بأفضليّة التسبيح...)[١].

قال السيّد الأُستاذ الخوئي: يتخيّر المصلّي في ثالثة المغرب وأخيرتي الرباعيّات بين الفاتحة والتسبيح وصورته: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر» هذا في غير المأموم في الصلوات الجهريّة، وأما فيه فالأحوط لزوماً اختيار التسبيح...[٢].

فعلى المجتهد أو العامي الرجوع إلى ما يجب عليه، وعليه قد حمل التوقيع على محامل.

قال الشيخ الحرّ بعد روايته: أقول: هذا يمكن حمله على وقت التقيّة، وظاهر أنّ النسخ مجازي؛ لأنّه لا نسخ بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، ويحتمل إرادة ترجيح القراءة في الأخيرتين لمن نسيها في الأوّلتين، وقرينته ظاهرة، أو المبالغة في جواز القراءة لئلّا يظنّ وجوب التسبيح عيناً[٣].

ولبعض المعلّقين على التوقيع ما يلي: الخداج ـ أي النقصان ـ يريد أنّ ترك القراءة في أيّ ركعة من الصلاة نقصان فيها؛ وذلك لأنّ كلّ صلاة هي مركّب من ركعة أو ركعات فكما تقرأ في الركعة الأُولى وهكذا للثانية، لئلّا تكون خداجاً فهكذا في الثالثة والرابعة، وإلى هذا ذهب من قال بوجوب القراءة في الأخيرتين حال الاختيار، وأنّ التسبيح إنّما هو للمأموم حيث لا يسمع قراءة الإمام.

وأمّا الحديث ولفظه: «كلّ صلاة لم يقرأ فيها فاتحة الكتاب فهي خداج» فقد

---

(١) الجواهر ٩: ٣٢٤، في حكم الأخيرتين.

(٢) منهاج الصالحين ١: ١٧٧، كتاب الصلاة رقم المسألة ١٢٨.

(٣) الوسائل ٤: ٧٩٥، الباب ٥١ من أبواب القراءة في الصلاة.

روي عن النبيّ ﷺ كما نقله السيّد الرضي في المجازات النبويّة[١]. ورواه أبو داود في سننه[٢]. وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير[٣] عن مسند أحمد. والسنن الكبرى للبيهقي.

فمع أنّ المصطلح عند الأصحاب أنّه يطلقون «العالم» على الإمام الكاظم عليه السلام لكن يظهر من التوقيع أنّه يطلق العالم ويضيف إليه الأحاديث المرويّة على[٤] الرسول الأكرم ﷺ رعاية للتقيّة. وسيجيء مثل ذلك عند قوله «لا يقبل الله الصدقة وذو رحم محتاج»[٥].

ولعلّ الشيخ الحرّ لم يفهم من لفظة «العالم» الرسول ﷺ. ومن ثمّ قال: لا نسخ بعد النبيّ ﷺ[٦]. فلو عرف ذلك كما ادّعاه المعلّق وأنّ العالم يطلق على مطلق المعصوم عليه السلام لما كان لحمله المتقدم وجه وجيه. فتدبره جيّداً. ويريد بقوله «لا يقبل الله الصدقة وذو رحم محتاج» ما قدّمناه فراجع[٧].

* * *

---

(١) المجازات النبويّة: ٧٠.

(٢) السنن لابن داود ١: ١٨٨

(٣) الجامع الصغير ٢: ٢٨٣ ح ٦٣٢٦، طبع دارالفكر بيروت.

(٤) في المصدر: «عن» و صححناه بما في المتن.

(٥) هامش البحار ٥٣: ١٦٧.

(٦) الوسائل ٤: ٧٩٥، الباب ٥١ من أبواب القراءة في الصلاة ذيل الحديث ١٤.

(٧) انظر «قد أخذ بالفضل كلّه» رقمه ٢٦٩، وللمعلّق كلام هنا، وقلنا ما يوافق فهم الشيخ الحرّ هنا، وأشرنا إلى رمز «العالم» بتفصيل، فلا نعيده.

٢٨٤
قد ورّثك الله أهله وماله

المختار هو من التوقيع الخارج عن الناحية المحفوفة بالتقديس والإجلال المشتمل على الإخبار بالغائبات عن قصّة أحمد بن أبي روح الّتي سبق ذكرها عند «خذ منه ما يعطيك...»[1]، و عليه لا نذكر إلّا ما يبيّن ربط الكلمة بها قال ﷺ في أواخر التوقيع:

«ولا تعودنّ يا ابن أبي روح! إلى القول بجعفر والمحبّة له، وارجع إلى منزلك؛ فإنّ عدوّك [عمّك] قد مات، وقد ورّثك الله أهله وماله...»[2].

وعلى النسختين: «عدوّك، أو عمّك» الكلام صحيح وهو فرض انحصار الورثة بأحمد ابن أخي المتوفّى ـ المحايد له في العقيدة والمذهب الّذي يورَث ولا يرِث ـ أخبر بذلك الإمام ﷺ وابن أبي روح لا يعلم بموته وهو من إحدى الدلالات على إمامته روحي فداه، وفي بقيّتها الموجودة في التوقيع زيادة لإيمان أحمد، ومن بلغه ذلك ممّن ماثله في قلة المعرفة، وقد أشرنا إلى بعضها عند «صر إلى بغداد، وادفع المال إلى حاجز»[3]، كما وقلنا: إنّها من القصص العجيبة لاشتمالها على الإخبارات عمّا يعجز الناطق وصفه، وعن عاتكة الّتي أودعته الأمانة، والإخبار عن

---

(١) رقمه ١٧٨.
(٢) الخرائج والجرائح ٢: ٧٠١.
(٣) رقمه ٢٢٥.

الاستقراض من كلثوم بنت أحمد الناصبيّة، وأعطينا بعض الوصف في المختار الّذي اعتبرناه كالأصل نرجع إليه؛ لأجل ذكر التوقيع مع قصّة ابن أبي روح فيه[١].

وهل يبقى مجال بعد طول القصة للتعليق عليها، وأنّ العامل الوحيد الذي أهّل أحمد للحيازة على شهادة الإمام المعصوم عليه السلام بأمانته أنّه لم يكن من الخائنين للأمانة، وأنّه كان يهتمّ بالوصول إلى الحقّ وقد ورّثه الله الأهل والمال ثمرة الحفظ والصون في موضع يجب أن يحفظ ويصان، وعائدة الإحسان تعود إلى المحسن؟ قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[٢].

* * *

(١) رقمه ١٧٨: «خذ منه ما يعطيك لنفقتك إلى منزلك».

(٢) الإسراء: ٧، والأمران فطريّان يشهد لهما العيان.

٢٨٥

قد وفينا بما وعدنا

كلمة من صاحب الشهباء والنهر من قصّة رواها القطب الراوندي، وعدّها من معجزات صاحب الزمان عليه السلام، أذكرها من كتابه الخرائج قال رحمه الله:

ومنها: ما روي عن أبي الحسن المسترقّ الضرير، كنت يوماً في مجلس الحسن ابن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة، فتذاكرنا أمر الناحية، قال: كنت أزري[1] عليها إلى أن حضرت مجلس عمّي الحسين يوما فأخذت أتكلّم في ذلك، فقال: يا بني قد كنت أقول بمقالتك هذه إلى أن نُدبت لولاية قم حين استصعبت على السلطان، وكان كلّ من ورد إليها من جهة السلطان يحاربه أهلها، فسلّم إليّ جيشٌ وخرجت نحوها.

فلمّا بلغت إلى ناحية طزر[2] خرجت إلى الصيد ففاتني طريدة فاتبعتها، وأوغلت في أثرها، حتّى بلغت إلى نهر فسرت فيه، وكلّما أسير يتسع النهر، فبينما أنا كذلك إذ طلع عليّ فارس تحته شهباء وهو متعمم بعمامة خزّ خضراء، لا أرى منه إلّا عينيه، وفي رجليه خفّان أحمران، فقال لي: يا حسين ـ فلا هو أمّرني[3] ولا كنّاني ـ

---

(١) من الازراء، أو من زريت عليه إذا عبته، والإزراء إذا قصّرت به وتهاونت، النهاية ٢: ٣٠٢ ـ زرا ـ.

(٢) قال الحموي: طَزَر بالتحريك... معرب وأصله تَزَر... وهي مدينة في مرج القلعة بينها وبين سابلة خراسان مرحلة، وهي في صحراء واسعة وفيها إيوان عالٍ بناه خسروجرد بن شاهان، ولا أثر بها سواه... معجم البلدان ٤: ٣٤، وفي ٥: ١٠١: مرج القلعة بينه وبين حُلوان منزل، وهو من حُلوان إلى جهة همذان.

(٣) أي ما قال لي: يا أمير، ولا يا أبا عبد الله، وسمّاني باسمي يا حسين.

فقلت: ماذا تريد؟ فقال: لِمَ تزري على الناحية؟ ولِمَ تمنع أصحابي خمس مالك؟ وكنت الرجل الوقور لا أخاف شيئاً فأرعدت [منه] وتهيّبته، وقلت له: أفعل يا سيّدي ما تأمر به. فقال: إذا مضيت إلى الموضع الذي أنت متوجّه إليه فدخلته عفواً وكسبت ما كسبته تحمل خُمسه إلى مستحقه. فقلت: السمع والطاعة. فقال: امض راشداً[١].

ولوّى عنان دابته وانصرف، فلم أدر أيّ طريق سلك وطلبته يميناً وشمالاً فخفي عليّ أمره. وازددت رعباً وانكفأت[٢] راجعاً إلى عسكري، وتناسيت الحديث. فلمّا بلغت قم وأنّي أُريد محاربة القوم، خرج إليّ أهلها، وقالوا: كنّا نحارب من يجيئنا بخلافهم لنا. فأمّا إذا وافيت أنت فلا خلاف بيننا وبينك، ادخل البلدة فدبّرها كما ترى.

فأقمت فيها زماناً، وكسبت أموالاً زائدة على ما كنت أُقدّر، ثمّ وشى القوّاد بي إلى السلطان، وحُسدت على طول مُقامي، وكثرة ما اكتسبت، فعُزلت ورجعت إلى بغداد، فابتدأت بدار السلطان، وسلّمت عليه وأتيت إلى منزلي، وجاءني فيمن جاءني محمّد بن عثمان العَمري، فتخطّى الناس حتّى اتّكأ على تكأتي، فاغتظت من ذلك، ولم يزل قاعداً ما يبرح والناس داخلون وخارجون، وأنا ازداد غيظاً.

فلمّا تصرّم [الناس وخلا] المجلس دنا إليّ، وقال: بيني وبينك سرّ فاسمعه، فقلت: قل، فقال: صاحب الشهباء والنهر يقول: «قد وفينا بما وعدنا».

فذكرت الحديث وارتعت ـ أي فزعت ـ من ذلك، وقلت: السمع والطاعة، فقمت

---

(١) مضى مثله عند المختار: «امض بنجحك راشداً» رقمه ٧٦، من قصّة أبي محمّد عيسى بن مهدي الجوهري الحادثة في سنة ثمان وستين ومائتين الّتي رواها العلّامة المجلسي في البحار ٥٢: ٦٨ ـ ٧٠، باب ذكر من رآه عليه السلام.

(٢) قال ابن الأثير: وفي حديث الضحية «ثمّ انكفأ إلى كبشين أملحين فذبحهما» أي مال ورجع، النهاية ٤: ١٨٣ ـ كفأ ـ و في البحار «انكففت».

فأخذت بيده، ففتحت الخزائن، فلم يزل يخمّسها إلى أن خمّس شيئاً كنت قد أنسيته ممّا كنت قد جمعته، وانصرف، ولم أشك بعد ذلك وتحقّقت الأمر، فأنا منذ سمعت هذا من عمّي أبي عبد الله زال ما كان اعترضني من شكّ[1].

أقول:

فعلم أنّ كنية الحسين أبو عبد الله وهو عمّ الحسن[2] بن عبد الله و كان أميراً

---

(١) الخرائج والجرائح ١: ٤٧٢ ـ ٤٧٥، البحار ٥٢: ٥٦.

(٢) الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان التغلبي العدوي الحمداني الملقّب بناصر الدولة كان في خدمة الشيخ الأجل محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد يستفيد أُصول الدين وفروعه، ويزيد في إعزاز الشيخ وإكرامه، توفّي سنة ٣٥٨، ودفن بتل توبة شرقي الموصل، تجد ترجمته في أعيان الشيعة ٥: ١٣٦، سير أعلام النبلاء ١٢: ٣٨٩ / ٣٤١٣، وفيات الأعيان ٢: ١١٤، وغيرها، انظر تعليق الخرائج والجرائح ١: ٤٧٣.

وعن آخر: أنّ التغلبي من ملوك الدولة الحمدانية كان صاحب الموصل وما يليها ولقّبه المتقي العباسي بناصر الدولة، وخلع عليه وجعله أمير الأُمراء وهو أخو سيف الدولة، وأكبر منه، كان شجاعاً مظفّراً، عارفاً بالسياسة والحروب عاقلاً، ولمّا توفّي أخوه سنة ٣٥٦ هـ أُصيب بالسويداء فحجر عليه بنوه وسيّره ابنه فضل الله الغضنفر من الموصل إلى قلعة أُردمشت مرفّهاً، فتوفّي فيها، ونقل إلى الموصل، وكانت إمارته اثنتين وثلاثين سنة، وكان يداري بني بويه. الأعلام للزركلي ٢: ١٩٥.

الحسين بن حمدان بن حمدون التغلبي العدوي عمّ سيف الدولة وناصر الدولة كان أميراً شجاعاً مهيباً فارساً فاتكاً وكان خلفاء بني العبّاس يعدّونه لكلّ مهم، ولاّه المقتدر الحرب بقم وكاشان في سنة ست وتسعين ومائتين، ثمّ إنّه ذبح صبراً في حبس المقتدر في سنة ستّ وثلاثمائة. أعيان الشيعة ٥: ٤٩١.

وعن آخر:

الحسين بن أحمد بن حمدون التغلبي أمير من القادة... أرسله المكتفي العبّاسي على رأس جيش إلى دمشق لقتال الطولونيّة وانتدبه لقتال القرامطة، وولاّه المقتدر ديار ربيعة سنة ٢٩٩ هـ، وغزا الروم ففتح حصوناً كثيرة، ثمّ تغيّر المقتدر عليه، وقيل: إنّه عصاه، فبعث إليه عسكراً اعتقله، وحمل إلى بغداد فحبس، ثمّ قتل، الأعلام للزركلي ٢: ٢٣٠.

وإنّما حكينا الترجمة عمّن تقدّم لعدم وجود تلك المصادر لديّ، وإن شئت نظرتها.

على جيش أرسله السلطان وهو المقتدر العبّاسي به إلى محاربة أهل قم.

قوله عليه السلام: «قد وفينا بما وعدنا» لعلّه كناية عن الوفاء بما وعده ودعا له قائلاً: «امض راشداً»، وقد وفّق لرشده وهدايته، حيث قام بما أمره من تخميس أمواله، ويشهد له أنّه أخذ بيد العمري رضي الله عنه إلى الخزائن لغاية التخميس فكأنّه كان شرطاً للرشد والهداية، وحيث عمل بالشرط وَفى له ذلك.

ويحتمل المراد بوفاء الوعد دخول الحسين الأمير بلدة قم سالماً وتسليم أهلها له حيث تلقّوه بلا وقوع حرب بينهم على خلاف من كان دخلها من الأُمراء قبله، وليس ذلك إلّا لأجل الإمام المهديّ عليه السلام وإرادته من بعد إذن الله تعالى.

* * *

٢٨٦

قد وقعت الغيبة التامّة فلا ظهور إلّا بعد إذن الله

من التوقيع الصادر عن الناحية المحفوفة بالتقديس والإجلال إلى الباب الرابع عليّ بن محمّد السمري رحمه الله تعالى، وكان بينه وبين وفاته ستّة أيّام على ما أخبر به الإمام المهدي عجّل الله فرجه والمنع عن إيصاء النيابة إلى أحد؛ فإنّه انقطعت بموته، ووقعت الغيبة الكبرى عند انتهاء الصغرى، وكانت مدتها إذا أخذنا باعتبار المائتين والستين سنة وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام تسعاً وستّين سنة؛ لأنّ السمري توفّي ٣٢٩، سنة وفاة الشيخ الكليني طاب ثراهما على قول، وإن اعتبر الميلاد المبارك سنة مائتين وخمس وخمسين، أو ستّ وخمسين كانت المدّة ثلاثاً أو أربعاً وسبعين.

وتجد التوقيع بكامله عند «أعظم الله أجر إخوانك فيك»[(١)]، وفي مقدّمة الكتاب عند بيان منابع الكلمات المختارة خامسها؛ ولأجله لا نعيد إلّا بقدر ما يربط المختار قال عليه السلام فيه:

«ولا تُوص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامّة، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله ـ تعالى ذكره ـ وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً...»[(٢)].

---

(١) رقمه ٥٧.

(٢) غيبة الطوسي: ٢٤٣، الاحتجاج ٢: ٢٩٧.

الغيبة:

يقابلها الشهود كما في آية ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[١]، ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[٢] بخلاف من كان غائباً عن محلّ إقامته بسفر ولا يكون حاضراً؛ فإنّ عليه عدة من أيّام أُخر. ويطلق على الشهود الحضور ويقابله المتستّر.

قال ابن فارس: (غيب) أصل صحيح[٣] يدلّ على تستّر الشيء عن العيون...» إلى أن قال: ويقال: غابت الشمس تغيب غيبة وغيوباً وغيباً... ووقعنا في غيبة وغيابة ـ أي هبطة من الأرض يغاب فيها ـ قال الله تعالى في قصّة يوسف عليه السلام: ﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾[٤].

وقد كثرت الروايات فيها، ومنها النبوي: «يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان»[٥] والعلوي: «أمّا ليغيبنّ حتّى يقول الجاهل: ما لله في آل محمّد حاجة»[٦] اللّهمّ قرّب لنا زمانه.

* * *

---

(١) الرعد: ٩. (٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) في مقابل الدخيل لا المعتل.

(٤) يوسف: ١٠ معجم مقاييس اللغة ٤: ٤٠٣ ـ غيب ـ.

(٥) إكمال الدين ١: ٢٥٣، الباب ٢٣ ح ٣.

(٦) إكمال الدين ١: ٣٠٣، الباب ٢٦، ح ١٥، وعن جميع الأئمّة عليهم السلام لهم فيها كلام.

٢٨٧
قريب إن شاء الله

المختار الإخبار عمّا في ضمير الشيخ الحرّ العاملي حين ما رآه روحي فداه فيما يراه النائم وأراد السؤال عن وقت الخروج و أشياء أُخر قبل التكلّم عنها، وله طاب ثراه عدّة رؤىً حظى فيها بيمن لقاء الإمام المهدي عليه السلام قال:

ومنها إنّي رأيته عليه السلام في المنام، فأسرعت إليه وسلّمت عليه، وأردت أن أسأله متى يكون الفرج والخروج؟ فقال لي مبتدئاً قبل أن أساله: قريب إن شاء الله؛ ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[١].

ثمّ خطر بخاطري أشياء متعدّدة فاخبرني بها قبل أن أساله عنها[٢].

أقول:

تقدّم بعض مناماته رحمه الله منها عند «اكتبها لأكتب لك الجواب؛ فإنّه أبعد من النسيان»[٣]، ومنها عند «سيظهر لك من السرج إعجاز وبركة»[٤].

قوله عليه السلام: «قريب إن شاء الله» علّق الخروج على المشيئة؛ لأنّه كما في النبويّ: «مثله مثل الساعة لا يجلّيها لوقتها إلّا هو»[٥]. والقيامة قائمة لا محالة في أيّ وقت

---

(١) النمل: ٦٥.
(٢) إثبات الهداة ٧: ٣٨٠، في المعجزات رقمها ١٦٨.
(٣) رقمه ٦٧.
(٤) رقمه ٢١٧.
(٥) الأمثال النبويّة ٢: ٢٤١ الرقم ٥٤١.

شاء الله تعالى قيامها، وكذلك الخروج عند إرادة الله يخرج فهو والقيامة طوع الإرادة الربّانيّة، وفي نفس الوقت قريب و إن يروه الناس بعيداً؛ قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ [(١)].

ورداً على من يجحد القيامة، وقيام المهدي مثلها قريب عند الله وعند أوليائه، وبعيد على جاحديه، وسيقوم وليّ الله من بيت الله بإذن الله إن شاء الله.

* * *

---

(١) المعارج: ٦ ـ ٧.
ولا ريب أنّه لو كان بعيداً لقرّبه الله تعالى بالدعاء، ولأجله أُمرنا به.

٢٨٨

قل لأهل مصر: آمنتم برسول الله ﷺ حيث رأيتموه؟

ليس البرهان على الشيء مقصوراً برؤيته وإن كانت هي من أصدق البراهين، ولكنّ علم اليقين المطابق لا يقلّ من العيان في الإصابة المعبّر عنه بالإيمان، والكلمة الصادرة عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال صدرت عن مثل هذا المقياس، والإشعاع العقلي، عن الشيخ الصدوق طاب ثراه في التوقيعات في قصة نصر **قال: حدّثنا أبي** رضي الله عنه عن سعد بن عبد الله، عن علّان الكليني، عن الأعلم المصري[1]، عن أبي رجاء المصري[2]، قال: خرجت في الطلب بعد مضيّ أبي محمّد عليه السلام بسنتين لم أقف فيهما على شيء، فلمّا كان في الثالثة كنت بالمدينة في طلب ولد لأبي محمّد عليه السلام بصرياء[3]، وقد سألني أبو غانم[4] أن أتعشّى عنده، وأنا قاعد مفكّر في نفسي، وأقول: لو كان شيء لظهر بعد ثلاث سنين، فإذا هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه وهو يقول: يا نصر بن عبد ربّه![5] قل لأهل مصر: آمنتم

---

(١) في هامش إكمال الدين ٢: ٤٩١ «الأعلم البصري».

(٢) نفس المصدر «البصري».

(٣) تقدّم عند «اجعل هذه في نفقتك» رقمه ١٩ بعض البيان، وصرياء قال ابن شهر آشوب في المناقب ٤: ٣٨٢: هي قرية أسّسها موسى بن جعفر عليهما السلام على ثلاثة أميال من المدينة. وناقة صرياء محفّلة، والصراة نهر معروف في العراق، اللسان ١٤: ٤٥٨ ـ ٤٥٩ ـ صرى ـ.

(٤) قيل: هو خادم العسكري عليه السلام.

(٥) أو عبدالله، البحار ٥١: ٣٣٠.

برسول الله ﷺ حيث رأيتموه؟.

قال نصر: ولم أكن أعرف اسم أبي؛ وذلك أنّي ولدت بالمدائن فحملني النوفلي وقد مات أبي، فنشأت بها، فلمّا سمعت الصوت قمت مبادراً ولم انصرف إلى أبي غانم، وأخذت طريق مصر[١].

أقول:

لفظ الخرائج يختلف؛ فإنّ فيه «هل رأيتم رسول الله ﷺ فآمنتم به»[٢]... والأسبق الإكمال الموافق معه البحار إلّا في اسم أبيه (عبدالله بدل عبد ربّه)[٣]، كما وافق الخرائج في موضع منه أيضاً[٤]، وكيف كان فهل الصوت صوت الإمام المهديّ عليه السلام! ومن أجله أورده الصدوق في التوقيعات، وأوردناه تبعاً له في هذا الكتاب، أو أنّه صوت ملك أو ولي من اولياء الله تعالى فلا يناسبه الكتاب إلّا لموضع الاحتمال الّذي دعاني لذكره؟.

* * *

(١) إكمال الدين ٢: ٤٩١ ـ ٤٩٢، الباب ٤٥ ح ١٥.

(٢) الخرائج والجرائح ٢: ٦٩٩ ح ١٦.

(٣) البحار ٥١: ٣٣٠.

(٤) البحار ٥١: ٢٩٣، باب ما ظهر من معجزاته عليه السلام.

٢٨٩
قل له: لا خوف عليك في هذه العلّة

من قصّة الشيخ جعفر بن محمّد بن قولويه الداعية لكلّ من يسمعها على شوق لقاء إمامه المهديّ عجّل الله فرجه، وصورتها برواية الإربلي في كتابه كشف الغمّة كما قال:

ومنها[١] ما روي عن أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه، قال: لمّا وصلت بغداد في سنة سبع وثلاثين للحج وهي السنة الّتي ردّ القرامطة فيها الحجر إلى مكانه من البيت، كان أكبر همّي بمن ينصب الحجر؛ لأنّه مضى في أثناء الكتب قصّة أخذه[٢]، وأنّه ينصبه في مكانه الحجّة في الزمان، كما في زمن الحجّاج وضعه زين‌العابدين عليه السلام في مكانه فاستقرّ، فاعتللت علّة صعبة خفت فيها على نفسي، ولم يتهيّأ لي ما قصدت له، فاستنبت المعروف بابن هشام، وأعطيته رقعة مختومة أسأل فيها عن مدّة عمري، وهل تكون المنيّة في هذه العلّة أم لا؟ وقلت همّي إيصال هذه الرقعة إلى واضع الحجر في مكانه، وأخذ جوابه، وإنّما أندبك لهذا.

فقال المعروف بابن هشام: لمّا حصلت بمكّة، وعزم على إعادة الحجر بذلت لسدنة البيت جملة تمكّنت معها من الكون بحيث أرى واضع الحجر في مكانه، وأقمت معي منهم من يمنع عنّي ازدحام الناس، فكلّما عمد إنسان لوضعه اضطرب، ولم يستقم. فأقبل غلام أسمر اللون حسن الوجه، فتناوله ووضعه في مكانه، فاستقام

---

(١) أي من معجزات صاحب الزمان عليه السلام؛ لأنّها المنعقد لها الباب.

(٢) من كلام ابن قولويه، ولعلّ المراد بالكتب المؤلّفة في الوقائع والحوادث إطلاقاً.

كأنّه لم يزل عنه، وعلت بذلك الأصوات، فانصرف خارجاً من الباب، فنهضت من مكاني أتبعه، وأدفع النّاس عنّي يميناً وشمالاً حتّى ظُنّ بي الاختلاط في العقل، والناس يفرجون لي، وعيني لا تفارقه حتّى انقطع عنّي النّاس، وكنت أسرع الشدّ خلفه وهو يمشي على تؤدةٍ ولا أدركه، فلمّا حصل بحيث لا يراه أحد غيري وقف والتفت إليّ، فقال: هات ما معك، فناولته الرقعة، فقال من غير أن ينظر فيها: قل له: لا خوف عليك في هذه العلّة، ويكون ما لا بدّ منه بعد ثلاثين سنة، قال: فوقع عليّ الزمع[1] حتّى لم أطق حراكاً، وتركني وانصرف.

قال أبو القاسم فأعلمني بهذه الجملة، فلمّا كانت سنة سبع وستّين اعتل أبوالقاسم، فأخذ ينظر في أمره وتحصيل جهازه إلى قبره، وكتب وصيّته واستعمل الجدّ في ذلك، فقيل له: ما هذا الخوف ونرجو[2] أن يتفضّل الله بالسلامة فيما[3] عليك مخوفة. فقال: هذه السنة التي وعُدت وخوّفت منها. فمات في علّته[4].

ابن قولويه:

هو الشيخ أبو القاسم جعفر بن محمّد بن موسى بن قولويه القميّ طاب ثراه، وكلّ من ترجمه أثنى عليه ووثقه، ولسنا نوسّع حولها من أقوال وفي مقدّمة كامل الزيارة للشيخ محمّد عليّ الأُردبادي ما يلي منها في ثناء مؤلّفه.

قال: ألا وهو كتاب (كامل الزيارة) لشيخنا الفقيه الأقدم أبي القاسم جعفر بن محمّد بن[5] موسى بن قولويه القمّي.

---

(١) الزمع: الدهش مجمع البحرين ٤: ٣٤٢ ـ زمع ـ.

(٢) في الأصل (ترجو).

(٣) في الأصل (فما عليك مخوفة).

(٤) كشف الغمّة ٣: ٢٩٢، عدّه من معجزات صاحب الزمان عليه السلام، الخرائج والجرائح ١: ٤٧٥ ـ ٤٧٨، البحار ٥٢: ٥٨ ـ ٥٩، قطعة منها البحار ٩٩: ٢٢٦.

(٥) في كامل الزيارات (د): (جعفر بن محمّد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمّي) ولعلّه سهو.

أمّا ثقته فلم يختلف فيه اثنان، قال شيخ الطائفة أبوجعفر الطوسي في الفهرست: ثقة.

وقال النجاشي: من ثقات أصحابنا وأجلّائهم في الحديث والفقه، روى عن أبيه وأخيه عن سعد إلّا أربعة أحاديث، وعليه قرأ شيخنا أبو عبد الله الفقه ومنه حمل، وكلّ ما يوصف به الناس من جميل وفقه فهو فوقه، وفي الخلاصة... مثل ذلك، وفي تنقيح المقال: عن الشيخ المفيد قوله فيه: شيخنا الثقة أبو القاسم...» إلخ.

وإنّك لا تجد شيئاً من كتب الرجال إلّا وفيه هتاف بذلك بكلّ صراحة، وكتب الحديث بما ينمّ عن شدة إخبات مؤلّفيها بالكتاب ومؤلّفه وطمأنينتهم بصدق لهجته وضبطه وحفظه وإتقانه... وناهيك من ذلك أن يكون لمدرسته خرّيج كمثل الشيخ المفيد الذي هو من أقطاب الفقه وأعضاد الشريعة... وأنّه شيخه الفذّ فيه وأنّه اكتفى بالأخذ عنه حيث رأى فيه نجعة الرائد، وبلغة القاصد، وفي الفهرست[1] أنّ له تصانيف كثيرة على عدد كتب الفقه...» إلخ.

توفّي المترجم على ما يظهر من حديث[2] القطب الراوندي في الخرائج والجرائح سنة ٣٦٧، فما في الخلاصة[3] من أنّه ٣٦٩ فهو تصحيف سبع بتسع[4]، وما في رجال الشيخ[5] من أنّه سنة ٣٦٨ فلعلّه اشتباه[6].

---

(١) فهرست الشيخ الطوسي: ٧٧ / ١٤٨.

(٢) الموجود في الخرائج والجرائح ١: ٤٧٥ ـ ٤٧٦، قصّة إيصال رقعته إلى واضع الحجر الأسود بلا تاريخ، ولعلّه مذكور فيه وأنا لم أجده.

(٣) الخلاصة: ٨٨ / ١٨٩.

(٤) وله نظائر ذكرناها عند «الباب مفتوح» رقمه ١٣٣.

(٥) رجال الشيخ الطوسي: ٤٥٨ / ٥.

(٦) في البحار ٥٢: ٥٩، بعد حكاية التاريخ قال: وكان وفاته في أوائل الثمان، فلم يعتبر في هذا الخبر الكسر لقلّته مع أنّه إسقاط ما هو أقل من النصف شائع في الحساب.

القرامطة:

قال الشيخ الطريحي: القرمطة: دقّة الكتابة، وفي المشي مقاربة الخطو، والقرمطي واحد القرامطة وهم: فرقة من الخوارج، ومنه «تحوّل الرجل قرمطياً»[١]، وعن الشيخ البهائي أنّه في سنة عشر وثلاثمائة دخلت القرامطة إلى مكّة في أيّام الموسم، وأخذوا الحجر الأسود، وبقي عشرين سنة، وقتلوا خلقاً كثيراً، وممّن قتلوا عليّ بن بابويه وكان يطوف فما قطع طوافه فضربوه بالسيف فوقع إلى الأرض، وأنشد:

ترى المحبّين صرعى في ديارهم ... كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا[٢]

أقول:

وقد تقدّم عن كتاب سعد بن عبد الله الأشعري: (المقالات والفرق) قول المعلّق عليه: أنّ القرامطة من فرق الإسماعيلية أتباع رجل من ناحية خوزستان يقال له: حمدان قرمط، لقّب بذلك لقرمطة في خطّه، أو في خطوه.

وقول المقريزي: لقد نشأ القرامطة في العراق سنة ٢٧٧ هـ في المنطقة المحيطة بواسط، كانوا يعتقدون بشركة في الأموال بينهم[٣] كلّ ذلك تجده عند تعليقنا على كلمة «ربّما سألونا ذلك يتبرّكون به»[٤].

وقيل: من الطوائف القرامطة كما سبق وهم فرقة من الشيعة الإسماعيلية

---

(١) أُصول الكافي ١: ٥٢٠ ح ١٣.

(٢) مجمع البحرين ٤: ٢٦٧ ـ ٢٦٨ ـ قرمط ـ و انظر تعليقنا على «ربّما سألونا ذلك...» رقمه ١٨٤، وفيه حكاية البهائي وردّها أو توجيهها، ولبُعدها أعدناها في فهرست آل بابويه وعلماء البحرين للشيخ سليمان الماحوزي، صفحة ٦٢ قال: عليّ بن بابويه المحدّث الصوفي وهو غير والد الصدوق. يريد الّذي قتلته القرامطة هو هذا الصوفي، لا والد الصدوق.

(٣) المقالات: ٨٣، والمعلّق في ٢١٨ ـ ٢١٩.

(٤) رقمه ١٨٤. ولولا خوف الإطالة لذكرنا كلّ شيء أوردناه عنده، وما في المتن هنا الكفاية.

المباركيّة، وقالوا بإمامة محمّد بن إسماعيل بن جعفر بعد الصادق عليه السلام وأنّه المهدي الحيّ، ومن أُولي العزم في بلاد الروم وانتشر أمرهم بعد تأسيس دولتهم في البحرين إلى الشام سنة ٢٨٨، وسائر البلدان(١).

الحجر الأسود:

روى الشيخ الكليني بإسناده في الصحيح عن الصادق عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى وضع الحجر الأسود وهي جوهرة أُخرجت من الجنّة إلى آدم عليه السلام فوضعت في ذلك الركن لعلّة الميثاق، وذلك أنّه لمّا أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم في ذلك المكان، وفي ذلك المكان تراءى لهم، ومن ذلك المكان يهبط الطير على القائم عليه السلام، فأوّل من يبايعه ذلك الطائر وهو والله جبرئيل عليه السلام، وإلى ذلك المقام يسند القائم ظهره وهو الحجّة والدليل على القائم وهو الشاهد لمن وافا[ه] في ذلك المكان، والشاهد على من أدّى إليه الميثاق والعهد الّذي أخذ الله عزّ وجلّ على العباد...»(٢).

وقد أُزيل عن مقرّه، ثمّ وضع فيه مرّات.

منها: كما في الصادقي الصحيح قال: إنّ قريشاً في الجاهلية هدموا البيت، فلمّا أرادوا بناءه حيل بينهم وبينه، وأُلقي في روعهم الرُعب حتّى قال قائل منهم: ليأتي كلّ رجل منكم بأطيب ماله ولا تأتوا بما اكتسبتموه من قطيعة رحم أو حرام ففعلوا، فخلّي بينهم وبين بنائه، فبنوه حتّى انتهوا إلى موضع الحجر الأسود، فتشاجروا فيه أيّهم يضع الحجر الأسود في موضعه، حتّى كاد أن يكون بينهم شر، فحكّموا أوّل من يدخل من باب المسجد، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا أتاهم أمرَ بثوب فبسط، ثمّ وضع الحجر في وسطه ثمّ أخذت القبائل بجوانب الثوب فرفعوه، ثمّ تناوله صلى الله عليه وآله

(١) انظر معجم الفرق الإسلامية: ١٩٢.
(٢) الكافي ٤: ١٨٥ ح ٣.

فوضعه في موضعه فخصّه الله به[١].

ومنها: كما في الخرائج أنّ الحجّاج بن يوسف لمّا خرّب الكعبة بسبب مقاتلة عبد الله بن الزبير، ثمّ عمروها، فلمّا أُعيد البيت، وأرادوا أن ينصبوا الحجر الأسود فكلّما نصبه عالم من علمائهم، أو قاض من قضاتهم، أو زاهد من زهّادهم يتزلزل ويقع، ويضطرب ولا يستقر الحجر في مكانه، فجاءه عليّ بن الحسين عليهما السلام وأخذه من أيديهم، وسمّى الله ثمّ نصبه، فاستقرّ في مكانه، وكبّر الناس، ولقد أُلهم الفرزدق في قوله:

يكـاد يـمسكه عـرفان راحـته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم[٢]

ومنها: ما حدث من القرامطة من هدم وأخذ الحجر الأسود، ثمّ وضعه في مكانه، وفي وقت الأخذ والمكث ووضعه خلاف، وبيان شيء منه ما يلي:

قال النويري: ذكر إعادة القرامطة الحجر الأسود، وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة أعاد القرامطة الحجر الأسود إلى مكّة شرّفها الله تعالى، وقالوا: أخذناه بأمر، وأعدناه بأمر! وكان (يحكم) قد بذل لهم في ردّه خمسين ألف دينار فلم يجيبوه إلى ردّه، وردّوه الآن بغير شيء، في ذي القعدة، وكانوا أخذوه في سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وكان مكثه عندهم اثنتين وعشرين سنة، ولمّا ارادوا ردّه حملوه إلى الكوفة وعلّقوه بجامعها حتّى رآه الناس، ثمّ حلّوه إلى مكّة[٣].

تجد التصريح في أخذه سنة ٣١٧، والمكث ٢٢، والردّ ٣٣٩، بينما البهائي يقول: إنّ دخول القرامطة كان في سنة ٣١٠، وأخذوا الحجر وقتلوا من الناس خلقاً كثيراً، وكان المكث عندهم عشرين سنة. ولو أخذ من الإربلي الاعتبار بما حكاه

---

(١) الكافي ٤: ٢١٧ ح ٣.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ٢٦٨، والبيت من قصيدته الميميّة المذكورة في الكتب منها ديوانه ٢: ١٧٨، طبع دار صادر، بيروت، سنة ١٣٨٠، والكُنى والألقاب للقمّي ٣: ١٧ ـ ٢٢، وكشكول البحراني ٢: ٣٤٧ ـ ٣٤٩.

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب ٢٣: ١٨٩.

من قصّة جعفر بن قولويه وأنّها اتّفقت سنة ردّ القرامطة الحجر الأسود، ٣٣٧، وبقي حيّاً ببركة الإمام المهديّ عليه السلام إلى بعد ثلاثين سنة فكان وفاته ٣٦٧ هـ خالف التاريخين يقيناً.

وما ذكره الأُردبادي المتوفى ١٣٨٠ في مقدمة كامل الزيارة من أنّ ابن قولويه مات ٣٦٧ يوافق الإربلي، وكذا العلّامة المجلسي[١] بعد قصّة ابن قولويه، وقوله في توجيه كلام الشيخ الطوسي: أنّه توفّي ٣٦٨ بما قدّمناه موافق له، والقرائن تشهد لما ذهب إليه الإربلي؛ لأنّ القول بموته في ٣٦٨ قابل للتوجيه كما عن المجلسي، وكذا قول العلّامة الحلّي وغيره[٢] رحمهم الله جميعاً بأنّه كان في سنة ٣٦٩ بما ذكرناه من إمكان اشتباه رقم السبعة بالتسعة عند كلمة «الباب مفتوح»[٣] ولا أظنّ بك بعد هذا كلّه أن تشكّ فيه.

وكيف كان.

إنّ في قصص أمثال ابن قولويه الذين غمرهم اللطف الرباني بالمكاتبة أو الالتقاء بالإمام عليه السلام شرفاً وفوزاً عظيماً، وزيادة في الإيمان بالله تعالى واليقين. ويزداد ذلك في موسم الحجّ الّذي يشهده عجّل الله فرجه في كلّ[٤] سنة ويرى الخلق ويرونه ولا يعرفونه إلّا لمن أذن له الرحمن سبحانه بذلك، فعلى من استطاع إلى الحج سبيلاً في كلّ عام الإهتمام، فلعلّ الله تعالى يمنّ عليه بيُمن لقائه؛ فإنّه بقية الله الّتي لا تخلو من العترة الهادية، وبه رزق الأنام، اللّهمّ قرّب لنا أيّامه واذن له في الظهور آمين.

* * *

---

(١) البحار ٥٢: ٥٩ بعد ذكر القصّة من ٤١.

(٢) كالقطب في الخرائج والجرائح ١: ٤٧٥ ـ ٤٧٦ ح ١٨، فتدبّره.

(٣) رقم الكلمة ١٣٣.

(٤) البحار ٥٢: ١٥٢، عن العَمري، نقلاً من إكمال الدين، والأحاديث فيه مأثورة.

٢٩٠

قل لولدنا الرضي: ليكتب لك إلى عليّ بن عوض

المختار من كلام الإمام المهديّ عليه السلام من قصّة إسماعيل الهرقلي المتقدّم ذكرها عند «غداً تروح إلى أهلك»[١] فلا حاجة إلى الذكر إلّا بقدر ربطه بها وعند الافتراق قال عجّل الله فرجه:

«إذا وصلت بغداد فلابدّ أن يطلبك أبو جعفر ـ يعني الخليفة المستنصر ـ فإذا حضرت عنده وأعطاك شيئاً فلا تأخذه، وقل لولدنا الرضي ليكتب لك إلى عليّ بن عوض، فإنّي أُوصيه يعطيك الّذي تريد»[٢].

السيّد ابن طاووس:

هو السيّد الشهير بهذه الكنية وبأبي القاسم الملقب برضي الدين المسمّى عليّ ابن موسى بن جعفر بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن محمّد الطاووس العلوي الحسيني من أجلّاء هذه الفرقة المحقّة، عظيم القدر، جليل المنزلة، تجد ترجمته في الكتب منها: كتاب الأمان وفتح الأبواب وهما[٣] من تصانيفه طاب ثراه، قدّم لهما ترجمته بتفصيل مغن عن كثير من التراجم إذ هي خلاصتها، قال العلّامة في بعض إجازاته عند ذكره: وكان رضيّ الدين عليّ صاحب كرامات حكى

---

(١) رقمه ٢٥٦.

(٢) كشف الغمّة ٣: ٢٨٦، البحار ٥٢: ٦٢ ـ ٦٣، إلزام الناصب ٢: ٣ ـ ٧، الحكاية الثانية.

(٣) الأوّل طبع قم، والثاني كذلك يأتي ذكرهما في المصادر في آخر الكتاب.

لي بعضها وروى لي والدي البعض الآخر، وقال في موضع آخر: إنّ السيّد رضيّ الدين كان أزهد زمانه، انتهى كلام الشيخ الحرّ رحمه الله. قاله السيّد الأُستاذ[1].

قال غيره:

ابن طاووس يطلق غالباً على رضي الدين أبي القاسم عليّ بن موسى بن جعفر ابن طاووس الحسني الحسيني السيّد الأجلّ الأورع الأزهد قدوة العارفين الّذي ما اتّفقت كلمة الأصحاب على اختلاف مشاربهم وطريقتهم على صدور الكرامات عن أحد ممّن تقدّمه أو تأخّر عنه غيره... إلخ. وذكر شيخنا في المستدرك بعض كراماته، ثمّ قال شيخنا رحمه الله: ويظهر من مواضع من كتبه خصوصاً كشف المحجّة أنّ باب لقائه الإمام الحجّة عليه السلام كان مفتوحاً... إلى أن قال: وكان رحمه الله من عظماء المعظّمين لشعائر الله تعالى لا يذكر في أحد تصانيفه الاسم المبارك الله إلّا ويعقبه بقوله جلّ جلاله.

قال: ورأيت في كتاب من كتب الأنساب أنّه لمّا تولّى السيّد رضيّ الدين عليّ ابن موسى بن جعفر بن طاووس النقابة وقد جلس في مرتبة خضراء، وكان الناس عقيب واقعة بغداد قد رفعوا السواد، ولبسوا لباس الخضرة قال عليّ بن حمزة الشاعر:

فهذا عليّ نجل موسى بن جعفر ... شبيه عليّ نجل موسى بن جعفر

فذاك بدستٍ للإمامة أخضر ... وهذا بدستٍ للنقابة أخضر

لأنّ المأمون لمّا عهد إلى الرضا عليه السلام ألبسه الخضرة وأجلسه على وسادتين عظيمتين في الخضرة، وأمر الناس بلبس الخضرة والخبر بذلك معروف، وكان رحمه الله مجمع الكمالات السامية حتّى الشعر والأدب والإنشاء؛ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، مؤلّفاته مشهورة لا تحتاج إلى الإشارة ومن شعره:

---

(١) معجم رجال الحديث ١٢: ١٨٨ ـ ١٩٠.

خبت نار العلى بعد اشتعال ونادى الخير حيّ على الزوال
عدمنا الجود إلّا في الأماني وإلّا في الدفاتر والأمالي
فياليت الدفاتر كنّ قوماً فأثرى الناس من كرم الخصال
ولو أنّي جعلت أمير جيش لما حاربت إلّا بالسؤال
لأنّ الناس ينهزمون منه وقد ثبتوا لأطراف العوالي

توفّي ﷺ يوم الإثنين خامس ذي القعدة سنة ٦٦٤[١].

أقول: يعجبني ذكر ما جاء عنه في مقدّمة كتابة سعد السعود، قال وهو بصدد فهرس كتب الخزانة الخاصّة ووقف مصاحفها الثمينة على أولاده وغيرهم وبيان ذلك:

الباب الأوّل:

فيما وقفناه من المصاحف المعظّمة والربعات المكرّمة فيما نذكره من مصحف خاتم، قطع الثلث، واضح الخطّ وقفته على كتب وقفيّة الخزانة.

فصل فيما نذكره من مصحف آخر، وقفناه على ولدي (محمّد)...

فصل فيما نذكره من مصحف شريف وقفناه على ولدي (عليّ)...

فصل فيما نذكره من مصحف معظم يكمل أربعة أجزاء، وقفناه على ابنتي الحافظة لكتاب الله المجيد (شرف الأشراف) حفظته وعمرها اثنا عشر سنة.

فصل فيما نذكره من مصحف معظم تام أربعة أجزاء، وقفته على ابنتي الحافظة للقرآن الكريم (فاطمة) وعمرها دون تسع سنين...[٢].

* * *

---

(١) الكُنى والألقاب للمحدّث القمّي ١: ٣٢٧ ـ ٣٣١.

(٢) سعد السعود: ٥، وهذا الكتاب حريّ بدراسته لمن أراد انتباهاً في الحياة، والعمل لله.

٢٩١
قلوبنا أوعية لمشيئة الله

من كلام الإمام المهديّ عليه السلام الّذي أسلفنا خبره عند «إذن والله يقلّ داخلها»[١]، و«إذا شاء شئنا»[٢] بكامله في قصّة كامل بن إبراهيم وردّ المقصّرة والمفوّضة، ولربطه بها ما يلي:

«فإذا أنا بفتىً كأنّه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها، فقال لي يا كامل بن إبراهيم: فاقشعررت من ذلك، وأُلهمتُ أن قلت: لبّيك يا سيّدي ـ إلى أن قال: ـ ثمّ قال: وجئت تسأله عن مقالة المفوّضة، كذبوا بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله فإذا شاء شئنا، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللهُ...﴾[٣] ثمّ رجع الستر إلى حالته...»[٤].

انظر شرحه عند العنوانين الآنف ذكرهما.قوله عليه السلام: «قلوبنا أوعية لمشيئة الله» أيضاً تقدّم بيانه وكذا حديث الإمام الكاظم عليه السلام قال: إنّ الله جعل قلوب الأئمّة مورداً لإرادته، فإذا شاء الله شيئاً شاؤوه، وهو قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العالَمين﴾.

* * *

---

(١) رقمه ٤٤.
(٢) رقمه ٤١.
(٣) التكوير: ٢٩.
(٤) غيبة الطوسي: ١٤٩.

٢٩٢
قم بإذن الله تعالى

لا عجب ممّن قامت السموات والأرض ببركته أن يقول لذي فالج: قم بإذن الله تعالى فيقوم، من قصّة نجم الدين جعفر بن الزشدري الحلّي، رواها العلّامة المجلسي طاب ثراه وصورتها بشكل موجز:

أنّ القصّة اتّفقت بتاريخ صفر سنة تسع وخمسين وسبعمائة، حكـاها المـولى عبدالرحمن العماني بخطّه الموجود عنده... إلى أن قال: إنّي كنت أسمع في الحـلّة السيفيّة حماها الله تعالى أنّ المولى الكبير المعظم جمالالدين ابن الشـيخ الأجـل الأوحد الفقيه القارئ نجم الدين جعفر بن الزهدري، كان به فالج فـعالجته جـدّته لأبيه بعد موت أبيه بكلّ علاج للفالج فلم يبرأ.

فأشار عليها بعض الأطبّاء ببغداد فأحضرتهم، فعالجوه زماناً طويلاً فلم يـبرأ، وقيل لها: ألا تبيّتينه تحت القبة الشريفة بالحلّة المعروفة بمقام صاحب الزمان عليه السلام لعلّ الله تعالى يعافيه ويبرئه، ففعلت وبيّـتته تحتها، وأنّ صاحب الزمان عليه السلام أقامه، وأزال عنه الفالج.

ثمّ بعد ذلك حصل بيني وبينه صحبة حتّى كنّا لم نكـد نـفترق، وكـان له دار المعشَرة يجتمع فيها وجوه أهل الحلّة وشبابهم وأولاد الأماثل منهم، فاستحكيته عن هذه الحكاية، فقال لي: إنّي كنت مفلوجاً وعجز الأطبّاء عنّي، وحكىٰ لي ما كنت أسمعه مستفاضاً في الحلّة من قضيته، وأنّ الحجّة صاحب الزمان عليه السلام قال لي: وقد أباتتني جدّتي تحت القبّة: قم، فقلت: يا سيّدي! لا أقدر على القيام منذ سنتي، فقال:

قم بإذن الله تعالى، وأعانني على القيام، فقمت وزال عنّي الفالج، وانطبق عليّ الناس، حتّى كادوا يقتلوني، وأخذوا ما كان عليّ من الثياب تقطيعاً يتبرّكون فيها، وكساني الناس من ثيابهم، ورحت إلى البيت وليس بي أثر الفالج، وبعثت إلى الناس ثيابهم، وكنت أسمعه يحكي ذلك للناس ولمن يستحكيه مراراً، حتّى مات رحمه الله(١).

* * *

(١) البحار ٥٢: ٧٣.

٢٩٣

قولوا كما قال الله: سلام على آل ياسين

صدر عن الناحية المحفوفة بالتقديس والإجلال توقيع بشأن الزيارة المتقدّم ذكرها عند «إذا أردتم التوجّه بنا إلى الله...»[١]، وعند «حكمة بالغة فما تغني النذر»[٢]؛ ولأجله لا نعيد إلّا بقدر الحاجة قال فيه عليه السلام: «إذا أردتم التوجّه بنا إلى الله تعالى، وإلينا فقولوا كما قال الله: سلام على آل يٓس...»[٣].

ما هو التوجّه؟

وأصله الوجه أصل واحد يدلّ على مقابلة لشيء كما قال ابن فارس: والوجه مستقبل لكلّ شيء، يقال وجه الرجل وغيره، وربّما عبّر عن الذات بالوجه وتقول: وجهي إليك، قال:

أستغفر الله ذنباً لستُ محصيه ... ربّ العباد إليه الوجه والعمل[٤]

ويراد بالتوجّه الاتّجاه بالقلب والقالب إلى الربّ تعالى بالذات، وإلى أهل البيت عليهم السلام بجعلهم شفعاء ووسائل النجح، والابتغاء بهم إليه. قال عزّ من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾[٥]، وإنّ الصفوة المحمّدية من أحبّ

---

(١) رقمه ٣٣.　　(٢) رقمه ١٧٢.

(٣) الاحتجاج ٢: ٣١٦، البحار ٥٣: ١٧١.　　(٤) معجم مقاييس اللغة ٦: ٨٨ ـ ٨٩ ـ وجه ـ.

(٥) المائدة: ٣٥، سبق ذكرها عند «قد جئت لأبرئك...» و للوسيلة من ذكر.

الوسائل إليه وأعزّهم عليه، وقد نصّ على ذلك، وفي العيون: عن النبيّ صلى الله عليه وآله «الأئمّة من ولد الحسين عليهم السلام من أطاعهم فقد أطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله عزّ وجلّ هم العروة الوثقى والوسيلة إلى الله عزّ وجلّ»[١].

ومن ثمّ جاء الأمر بتقديم الصلاة عليهم الشرط في استجابة الدعاء، قد سبق الذكر فيه[٢].

قوله عليه السلام: «قولوا كما قال الله: سلام على آل ياسين» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾[٣].

قال القمي[٤]: يسٓ محمّد، وآل محمّد الأئمّة عليهم السلام. وفي المعاني: عن الصادق عن أبيه عن آبائه عن عليّ عليهم السلام في هذه الآية، قال: يسٓ محمّد ونحن آل يسٓ[٥].

ويكفيك تفسيراً لها استدلال الإمام الرضا عليه السلام: «ولم يقل سلام على آل نوح، ولم يقل سلام على آل إبراهيم، ولا قال سلام على آل موسى وهارون، وقال عزّ وجلّ: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ ـ يعني محمّد وآله صلوات الله عليهم ـ فقال المأمون: لقد علمت أنّ في معدن النبوّة شرح هذا وبيانه[٦].

أقول: تعرّضنا له عند كلماته عليه السلام.

* * *

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٥٨، الباب ٣٠ ح ٢١٧.

(٢) عند «أكثروا الدعاء بتعجيل الفرج» رقمه ٦٨ في غضونه.

(٣) الصافّات: ١٣٠.

(٤) تفسير القميّ ٢: ٢٢٦، ذيل الآية ١٣٠ من سورة الصافّات.

(٥) معاني الأخبار: ١٢٢ ح ٢.

(٦) أمثال وحكم الإمام الرضا عليه السلام أو كلماته المختارة ١: ٣٩٠.

باب الكاف

٢٩٤

الكافي ـ كافٍ لشيعتنا

من المحتمل صدور المختار عن الإمام المهديّ عليه السلام أو أحد النوّاب الأربعة أو إمضائهم الّذي هو عين إمضائه عجّل الله تعالى فرجه؛ حيث عاش الشيخ الكليني في زمانهم، وألّف الكافي فيه، وإليك الأقوال في هذا الصدد:

في مقدّمة كتاب الكافي التي كتبها الدكتور حسين عليّ محفوظ، وفي ضمنها بعد عنوان «الكافي» ما لفظه:

كان هذا الكتاب معروفاً بالكليني[١]، و يسمّى أيضاً الكافي[٢]، قال الكليني: وقلت إنّك تحبّ أن يكون عندك كتاب كافٍ يجمع من جميع فنون علم الدين ما يكتفي به المتعلّم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين، والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام[٣]، وقد يسّر الله له تأليف هذا الكتاب الكبير في عشرين سنة[٤]، وقد سأله بعض الشيعة من البلدان النائية تأليف كتاب الكافي

---

(١) في هامش مقدمة الكافي ١: ٢٤، المصادر الآتية: الرجال للنجاشي: ٣٧٧ / ١٠٢٦.

(٢) الرجال للنجاشي: ٣٧٧ / ١٠٢٦، والفهرست للطوسي: ٣٢٦ / ٧٠٩، ومعالم العلماء: ٩٩ / ٦٦٦.

(٣) أُصول الكافي ١: ٢٤ ـ ٢٥.

(٤) الرجال للنجاشي: ٣٧٧ / ١٠٢٦.

لكونه بحضرة من يفاوضه ويذاكره ممّن يثق بعلمه[١].

ويعتقد بعض العلماء أنّه «عرض على القائم (صلوات الله عليه) فاستحسنه[٢]، وقال: «كافٍ لشيعتنا»[٣].

وفي خاتمة كتاب مستدرك الوسائل للشيخ النوري كلام حول الكافي قال:

الفائدة الرابعة من فوائد خاتمة كتابنا الموسوم بمستدرك الوسائل في نبذة ممّا يتعلّق بكتاب الكافي أحد الكتب الأربعة الّتي عليها تدور رحىٰ مذهب الفرقة الناجية الإماميّة؛ فإنّ أدلّة الأحكام وإن كانت أربعة: الكتاب والسنّة والعقل والإجماع على ما هو المشهور بين الفقهاء إلّا أنّ الناظر في فروع الدين يعلم أنّ ما استنبط منها من غير السنة أقلّ قليل، وأنّها العمدة في استعلام الفرائض والسنن والحلال والحرام، وأنّ الحاوي لجلّها والمتكفّل لعمدتها الكتب الأربعة وكتاب الكافي بينها كالشمس بين نجوم السماء، وامتاز عنها بأُمور إذا تأمّل فيها المنصف يستغني عن ملاحظة آحاد رجال سند الأحاديث المودوعة فيه، وتورثه الوثوق وتحصّل له الاطمئنان بصدورها وثبوتها وصحّتها بالمعنى المعروف عند الأقدمين:

الأوّل: ما ذكروه في مقام مدحه تصريحاً أو تلويحاً قال الشيخ المفيد في شرح عقائد الصدوق: وقد ذكر الكليني في كتاب الكافي وهو أجل كتب الشيعة وأكثرها فائدة حديث يونس بن يعقوب....

---

(١) روضات الجنّات ٦: ١٠٨ ـ ١١٩، نقلاً من منية المرتاد في ذكر نفاة الاجتهاد للمحدّث النيسابوري.

(٢) راجع منتهى المقال ٦: ٢٣٥ ـ ٢٣٨ / ٢٩٤٧، والصافي ١: ٤.

أقول: الصافي في شرح الكافي للشيخ المولى خليل بن الغازي القزويني المتوفّى ١٠٨٩ هـ الذريعة للعلّامة الرازي ١٥: ٤، اقتطافاً، ومستدرك الوسائل ٣: ٥٣٢، ونهاية الدراية: ٢١٩ لنقد هذا المأثور.

(٣) روضات الجنّات ٦: ١٠٨ ـ ١١٩، نقلاً من منية المرتاد، وكأنّها قصّة روائية.

وراح النوري: يسرد أقوال العلماء في مدح الكافي، والأهميّة الّتي حازها دون سائر الكتب، ومدح مؤلّفه الشيخ الكليني طاب ثراه في الأمر الأوّل في نفس العنوان من اُمور تثبت ذلك إلى أن قال:

الثاني: ما أشار إليه السيّد عليّ بن طاووس في كشف المحجّة في مقام في بيان اعتبار الوصيّة المعروفة التي كتبها أمير المؤمنين لولده الحسن عليهما السلام، وقد أخرجها من كتاب رسائل الأئمّة عليهم السلام لأبي جعفر الكليني ما لفظه:

وهذا الشيخ محمّد بن يعقوب كان حياته في زمن وكلاء مولانا المهدي صلوات الله عليه: عثمان بن سعيد العَمري وولده أبي جعفر محمّد وأبي القاسم الحسين بن روح وعليّ بن محمّد السمري رحمهم الله، وتوفّي محمّد بن يعقوب قبل وفاة عليّ بن محمّد السمري رضي الله عنه؛ لأنّ عليّ بن محمّد السمري توفّي في شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وهذا محمّد بن يعقوب الكليني توفّي ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، فتصانيف هذا الشيخ محمّد بن يعقوب ورواياته في زمن الوكلاء المذكورين في وقت يجد طريقاً إلى تحقيق منقولاته وتصديق مصنّفاته انتهى.

ونتيجة ما ذكره من المقدّمات عرض الكتاب على أحدهم[1] وإمضائه وحكمه بصحّته وهو عين إمضاء الإمام عليه السلام وحكمه أو تأليفه كما هو بإذنه وأمره، وهذا وإن كان حدساً غير قطعي يصيب ويخطئ لا يجوز التشبّث به في المقام، إلّا أنّ التأمّل في مقدماته يورث الظنّ القوي والاطمئنان التامّ والوثوق بما ذكره؛ فإنّه رحمه الله كان وجه الطائفة، وعينهم، ومرجعهم كما صرّحوا به، في بلد إقامة النوّاب، وكان غرضه من التأليف العمل به في جميع ما يتعلّق باُمور الدين، لاستدعائهم وسؤالهم عنه ذلك،

---

(١) أي النوّاب.

كما صرّح به في أوّل الكتاب خصوصاً قوله:

«وقلتَ: إنّك تحبّ أن يكون عندك كتابٌ كافٍ يجمع من جميع فنون الدين ما يكتفي به المتعلّم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام[١]، والسنن القائمة الّتي عليها العمل، وبها يؤدّى فرض الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، وقلت: لو كان ذلك رجوت أن يكون ذلك سبباً يتدارك الله بمعرفته [بمعونته] وتوفيقه إخواننا وأهل ملّتنا، ويقبل بهم إلى مراشدهم» انتهى.

فظهر أنّ غرضه رحمه الله فيه لم يكن كالغرض من جملة المؤلّفات كجمع ما ورد في ثواب الأعمال أو خصال الخير أو علل الشرائع وغيرها، بل للأخذ والتمسّك به والتدين والعمل بما فيه، وكان بمحضره في بغداد يسألون عن الحجّة عليه السلام بتوسّط أحد النوّاب عن صحّة بعض الأخبار وجواز العمل به وفي مكاتيب محمّد بن عبدالله ابن جعفر الحميري إليه عليه السلام من ذلك جملة وافرة وغيرها، فمن البعيد غاية البُعد أنّه رحمه الله في طول مدّة تأليفه وهي عشرون سنة لم يعلمهم بذلك ولم يعرضه عليهم...»[٢].

* * *

---

(١) نفس اللفظ المتقدّم ذكره في كلام الدكتور.

(٢) مستدرك الوسائل ٣: ٥٣٢ ـ ٥٣٣.

٢٩٥

كان مع بعثتهم سيف فلم يصل

من معجزات المعصوم عليه السلام الإخبار بالمغيّبات لمن لم تتمّ دلالة الإمامة لديه، وكان الغالب على ذلك بعد مضي أبي محمّد العسكري لشدّة التستر، وعدم الوصول إلى لقاء الإمام المهديّ عليه وعلى أبيه الصلاة والسلام، ومنها قصّة السيف والدابّة والمال الموصاة بوصولها إلى الناحية المحفوفة بالتقديس والإجلال رواها المرحوم الكليني قال: عليّ بن محمّد عن [أحمد بن] أبي عليّ بن غياث عن أحمد بن الحسن قال: أوصى يزيد بن عبد الله بدابّة وسيف ومال، وأنفذ ثمن الدابّة وغير ذلك، ولم يبعث السيف، فورد: كان مع ما بعثتهم سيف فلم يصل[1].

من هو يزيد بن عبد الله؟

لا ندري إلّا أنّه الموصي بهذه الأُمور، ووصولها إلى الناحية المقدّسة، واحتمل العلّامة المجلسي أنّ هذا هو الحديث المتقدّم ذكره في الكافي[2]، عن عليّ عن عدّة من أصحابنا عن أحمد بن الحسن، والعلاء بن رزق الله عن بدر غلام أحمد بن الحسن قال: وردت الجبل[3] وأنا لا أقول بالإمامة، أحبّهم جملة إلى أن مات يزيد ابن عبد الله، فأوصى في علّته أن يدفع الشهري السمند[4] وسيفه ومنطقته إلى مولاه، فخفت إن أنا لم أدفع الشهري إلى إذكوتكين[5] نالني منه استخفاف، فقوّمت الدابّة

(١) أُصول الكافي ١: ٥٢٣ ح ٢٢. (٢) نفس المصدر: ٥٢٢، ح ١٦.

(٣) كورة بين بغداد وآذربيجان أو كناية عن إيران لاشتمالها على الجبال.

(٤) ضرب من البراذين والسمند فرس له لون معروف.

(٥) إذكوتكين كان من أُمراء الترك من أتباع بني العبّاس... وفي غيره بالزاي. أخذناه جميعاً من مرآة العقول ٦: ١٩١.

والسيف والمنطقة بسبعمائة دينار في نفسي، ولم أُطلع عليه أحداً، فإذا الكتاب قد ورد عليّ من العراق: وجّه السبعمائة دينار التي لنا قِبلَك من ثمن الشهري والسيف والمنطقة[1].

وعليه فيكون في الحديث الجاري إشارة إليه، وأنّ الذي تصدّى للإنفاذ هو غلام أحمد بن الحسن، والمُوصي يزيد بن عبد الله رجل من موالي أهل البيت عليهم السلام.

ويقول الشيخ المجلسي: إمّا الغلام من هنا ساقط، أو أنّه في الحديث السادس عشر زائد صرّح به فراجع[2].

ربّما كانوا يوصون بما يريدون وإيصاله إلى الناحية المحفوفة بالقدس والجلال من الأمتعة والأشياء النفيسة، وقد يقوّمونها بأثمان يومها في الأسواق فيبعثون الأثمان، وربّما تساهلوا في ذلك، إمّا لعدم معرفتهم بعلم الإمامة فتردهم الكتب الصادرة عن الناحية المباركة لحصولها، وقد يتعمّد البعض لغاية زيادة اليقين لنفسه أو للآخرين، ومن سبر التوقيعات والجوابات عن المسائل المذكورة يجد صدق ذلك، والإمام المهدي يعلم ما في النفوس خصّه الله تعالى وآباءه عليهم السلام بذلك؛ وكلّ ذلك لغاية هدايتها واندفاعها إلى باب الطاعة والفوز بالسعادة والسيادة، وإنّ بطاعة الله تعالى البلوغ إلى درجة كمال الإيمان و عالم النور، والعروج إلى ما خلق لأجله، واليمن بلقاء الحجّة والمجاورة في جواره.

وسيأتي في الحديث الآمر بتوجيه السبعمائة ما يكشف عن بعض الأسرار من الحديث الجاري، وتعلم أنّ الاهتمام لم يكن بشأن السيف والمال المبعوث، بل لأجل وصول الحبيب لدى الحبيب والالتذاذ المعنوي الّذي لا يعادله شيءٌ إطلاقاً، أو كما تقدّم أنّ ذلك لزيادة الإيمان ومعرفة دلائل الإمامة من طرق توفّر شروطها بالإخبار عن المغيّبات الّتي تخضع لها نفوسهم وأنّها من شواهد صدقها.

* * *

(١) رقمه ٤٥٥، أُصول الكافي ١: ٥٢٢، ح ١٦.

(٢) مرآة العقول ٦: ١٩٤.

٢٩٦
كان من ارتدادهم عن الإسلام مثل ما كان من هذا

تحذير الإمام المهديّ عليه السلام الشيعة بشكل خاصّ، وللعامّة بصورة عامّة عن اتباع المتمرّدين المعروفين في الغيبة الصغرى أمثال العزاقري، والبلالي، وإليك التوقيع برواية الشيخ الطوسي قال: أخبرنا جماعة، عن أبي الحسن محمّد بن أحمد بن داود القميّ، قال: وجدت بخطّ أحمد بن إبراهيم النوبختي وإملاء أبي القاسم الحسين بن نوح [روح] رضي الله عنه على ظهر كتاب فيه جوابات ومسائل أُنفذت من قم يسأل عنها هل هي جوابات الفقيه عليه السلام؟ أو جوابات محمّد بن عليّ الشلمغاني؛ لأنّه حُكي عنه أنّه قال: هذه المسائل أنا أجبت عنها؟ فكتب إليهم على ظهر كتابهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم قد وقفنا على هذه الرقعة وما تضمّنته، فجميعه جوابنا، ولا مدخل للمخذول الضالّ المضلّ المعروف بالعزاقري - لعنه الله - في حرف منه، وقد كانت أشياء خرجت إليكم على يد أحمد بن بلال وغيره من نظرائه، وكان من ارتدادهم عن الإسلام مثل ما كان من هذا، عليهم لعنة الله وغضبه، فاستثبت قديماً[1] في ذلك، فخرج الجواب على من استثبت؛ فإنّه لا ضرر في خروج ما خرج على أيديهم وإنّ ذلك صحيح[2].

أقول:

أتينا عن آخره ليظهر لك وجه السؤال والجواب والحقّ والباطل، وقد سبق

---

(١) من تتمّة ما كتب السائل. (٢) غيبة الطوسي: ٢٢٨.

ما صدر عن الناحية المباركة في شأن العزاقري والشريعي والهلالي والبلالي والحلّاج وغيرهم، إن شئت نظرت[١]، و كذا ترجمتهم هناك، وإنّ في كلّ عصر وجيل آحاداً يمتازون عن الآخرين، معروفين إمّا بالصلاح، أو الإلحاد والتمرّد، ومنافقين ضررهم للإسلام أشدّ من الذئب الضاري في قطيعة الغنم، فترى الشيعة في عصور الأئمّة إلى عصر أبي محمّد العسكري عليه السلام الغالب عليهم التهديد والتعذيب من طواغيت تلك العصور، والانحراف العقائدي من قبل المبدعين، فلا يكون بتلك الكثرة الّتي كانت في الغيبة الصغرى والكبرى، وقد خلا الجو للبدع وإضلال العباد في جميع البلاد، والمثل المعروف:

يا لك من قنبرة بمعمر ... خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقّري ما شئت أن تنقّري ... قد رحل الصياد عنك فابشري

ورفع الفخ فماذا تحذري ... لابدّ من صيدك يوماً فاصبري[٢]

* * *

---

(١) انظر «الشريعي والنميري والهلالي والبلالي» رقمه ٢٢٢.

(٢) المستقصى ٢: ٧٥.

٢٩٧
كانوا نوراً ساطعاً وشهاباً لامعاً

خرج عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال توقيع على يد عثمان بن سعيد وابنه محمّد العَمريين رضي الله عنهما، سبق كَمَلاً عند «أعوذ بالله من العمى بعد الجلاء...»[١]، وبعضه عند «إرادته لا تردّ»[٢]، و«أقدار الله لا تغالب»[٣]، فلا نعيد إلّا بعض ما قال عجّل الله فرجه فيه:

«أولم يعلموا انتظام ائمّتهم بعد نبيّهم ﷺ واحداً بعد واحد إلى أن أُفضي الأمر بأمر الله عزّ وجلّ إلى الماضي ـ يعني الحسن بن عليّ عليه السلام ـ، فقام مقام آبائه عليهم السلام يهدي إلى الحقّ وإلى صراط مستقيم، كانوا نوراً ساطعاً وشهاباً لامعاً...»[٤].

النور:

الله جلّ جلال الأصل قال تعالى: ﴿*اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ...*﴾[٥].

ومنه اشتقّ نور محمّد وعليّ وفاطمة وعترتهم المعصومين عليهم السلام.

روى الشيخ الكليني، عن أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبد الله، عن محمّد

---

(١) رقمه ٦٠. (٢) رقمه ٤٥. (٣) رقمه ٦٥.

(٤) إكمال الدين ٢: ٥١١، الباب ٤٥ ح ٤٢. (٥) النور: ٣٥.

ابن عيسى ومحمّد بن عبد الله، عن عليّ بن حديد، عن مرازم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: يا محمّد! إنّي خلقتك و عليّاً نوراً ـ يعني روحاً بلا بدن ـ قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تزل تهلّلني وتمجّدني، ثمّ جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة، فكانت تمجّدني وتقدّسني وتهلّلني، ثمّ قسمتها ثنتين، وقسمت الثنتين ثنتين، فصارت أربعة: محمّد واحد وعليّ واحد والحسن والحسين ثنتان، ثمّ خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحاً بلا بدن، ثمّ مَسَحَنا بيمينه فأفضى [فأضاء] نوره فينا[1].

أنا أترك إلى العلّامة المجلسي شرحه قال: قوله: «بلا بدن» ـ أي أصلاً ـ أو بلا بدن عنصري، بل بدن مثالي، وظاهره كون الروح جسماً لطيفاً وهو غير البدن كما هو المشهور، وربّما يأوّل الخلق هنا بالتقدير. «قبل أن أخلق» ـ أي بحسب الزمان الموهوم ـ وقيل: القبليّة بحسب الرتبة؛ فإنّهما أشرف من كلّ مخلوق. «تهلّلني» قيل: ـ أي بلسان الحال ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[2] والظاهر لسان المقال. «ثمّ جمعت روحيكما» كأنّ المراد جعل مادة بدنهما في صلب آدم عليه السلام. «فكانت تمجّدني» أيّ بنفسها أو بتوسّط الأبدان المشتملة على الطينات المقدّسات. «ثمّ قسمتها ثنتين» ـ أي في صلب عبد الله وأبي طالب ـ وقسمت الثنتين ـ أي بعضها في صلب عليّ عليه السلام إلى الحسنين ـ «ثمّ خلق الله» ـ أي بعد خلق النور الأوّل ـ لا بعد الجمع والقسمة كما يدل عليه سائر الأخبار، أو ثمّ للتراخي المعنوي...

ويؤيّد هذا الوجه: ما رواه الصدوق في العلل بإسناده عن معاذ بن جبل أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله خلقني وعليّا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قبل أن

---

(١) أُصول الكافي ١: ٤٤٠ ح ٣.　(٢) الاسراء: ٤٤.

يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام، قلت: فأين كنتم يا رسول الله؟ قال: قدّام العرش نسبّح الله ونحمده ونقدّسه ونمجّده، قلت: على أيّ مثال؟ قال: أشباح نور، حتّى إذا أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق صُوَرَنا صَيّرنا عمود نورٍ، ثمّ قَذَفَنا في صلب آدم، ثمّ أخرَجَنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الأُمّهات، ولا يصيبنا نجس الشرك ولا سفاح الكفر، يسعد بنا قوم، ويشقى بنا آخرون. فلمّا صَيّرنا إلى صلب عبد المطّلب أخرَجَ ذلك النور فَشَقّه نصفين، فجعل نصفه في عبد الله ونصفه في أبي طالب، ثمّ أخرج الّذي لي إلى آمنة والنصف إلى فاطمة بنت أسد، فأخرجتني آمنة، وأخرجت فاطمة عليّاً، ثمّ أعاد عزّ وجلّ العمود إليّ فخرجت منّي فاطمة، ثمّ أعاد عزّ وجلّ العمود إلى عليّ فخرج منه الحسن والحسين ـ يعني من النصفين جميعاً ـ فما كان من نور عليّ فصار في ولد الحسن وما كان من نوري صار في ولد الحسين، فهو ينتقل في ولده إلى يوم القيامة... .

وإطلاق المسح واليمين هنا على الاستعارة؛ إذ من يريد اللطف بأحد يمسحه بيمينه، ويحتمل أن يكون اليمين كناية عن الرحمة[١]... إلخ.

وخبر جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أوّل ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته»[٢]، ورضوي في المهدي عليه السلام قال: «بأبي وأُمّي سميّ جدّي وشبيهي وشبيه موسى بن عمران عليه السلام عليه جيوب النور تتوقّد بشعاع ضياء القدس...»[٣] وللحديث شرح ذكرناه[٤] وعن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: إنّ الله سبحانه تفرّد في وحدانيّته، ثمّ تكلّم بكلمة فصارت نوراً، ثمّ خلق من ذلك النور

---

(١) مرآة العقول ٥: ١٨٦ ـ ١٨٩.
(٢) البحار ١٥: ٢٤ ح ٤٤.
(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٦، الباب ٣٠ ح ١٤، البحار ٥١: ١٥٢ ح ٢.
(٤) أمثال وحكم الإمام الرضا وكلماته المختارة ١: ٤٣٠ ـ ٤٣٣، رقم الكلمة ١٠٦ «صماء صيلم».

محمّداً وعليّاً وعترته عليهم السلام، ثمّ تكلّم بكلمة: فصارت روحاً وأسكنها في ذلك النور، وأسكنه في أبداننا فنحن روح الله وكلمته، احتجب بنا عن خلقه، فما زلنا في ظلّ عرشه خضراء مسبّحين نسبّحه ونقدّسه، حيث لا شمس ولا قمر ولا عين تطرف، ثمّ خلق شيعتنا، وإنّما سمّوا شيعة؛ لأنّهم خلقوا من شعاع نورنا[١].

أقول:

إنّ المؤمنين خلقوا من نور الله تعالى فما ظنّك بأئمّتهم عليهم السلام، وقد جاء الأمر بالاتقاء من فراستهم.

قال الصفّار حدّثنا محمّد بن عيسى عن سليمان الجعفري قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام قال: يا سليمان! اتّق فراسة المؤمن؛ فإنّه ينظر بنور الله، فسكت حتّى أصبت خلوة فقلت: جعلت فداك سمعتك تقول: اتّق فراسة المؤمن، فإنّه ينظر بنور الله، قال: نعم، يا سليمان! إنّ الله خلق المؤمن من نوره وصبغهم في رحمته، وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية، والمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمّه: أبوه النور وأمّه الرحمة، وإنّما ينظر بذلك النور الّذي خلق منه[٢].

بيان:

حديث فراسة المؤمن مروي بطرق كثيرة، منها: النبويّ المعدود من الأمثال النبويّة، ذكرناه في كتابنا في هذا الصدد، وفيه الباقري في تفسير «﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[٣] أنّهم هم الأئمّة عليهم السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اتّقوا فراسة المؤمن؛ فإنّه ينظر بنور الله»[٤].

---

(١) البحار ٢٥: ٢٣-٢٤ ح ٣٩. (٢) بصائر الدرجات: ٩٩-١٠٠ ح ١. (٣) الحجر: ٧٥.

(٤) الوسائل ٨: ٤٢٣، الباب ٢٠ من أبواب أحكام العشرة ح ١، الأمثال النبويّة ١: ٤٩، رقم المثل ٢٥، الهمزة مع التاء.

للمؤمنين من الكرامات والواردات القلبيّة من إلهامات ومشاهدات ومنامات تستكشف بها أُمور غائبة وهذا النوع قليل لقلة النفوس الصافية عن كدر المادة والعادة. ومن استنار قلبه بنور الطاعة وترك الذنوب كساه الله من نوره، فيتقلّب صاحبها في خمسة أنوار: «مدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، وكلامه نور، ومنظره يوم القيامة إلى النور»[1].

لا يستطيع فاقد النور إبصار الأنوار الإلهيّة، وكيف يرى نور الإمام عليه السلام من عاش في الظلم والظلام! وإذا توانى السائلون فما ذنب الكرماء؟[2] فاسأل تعط.

* * *

---

(١) الخصال ١: ٢٧٧، باب الخمسة، ح ٢٠.

(٢) وفي أمثال الفرس: (گر گدا كاهل بود تقصير صاحبخانه چيست) أمثال وحكم ٣: ١٣٠٠: ما ذنب صاحب الدار إذا توانى السائل في السؤال؟.

وإنّما بسطنا الكلام حول النور بعض البسط وفاءً لبيان النور في كلامه عليه السلام.

٢٩٨
كتب لك أحسن ثواب المحسنين

من الدعاء المجاب للفائز به أبو إسحاق إبراهيم بن مهزيار الأهوازي دعاء الإمام المهديّ عليه السلام في جبل الطائف عند الوداع بعد الملاقاة، ولا ينال ذلك إلّا ذو حظّ عظيم، وقد سبقت برواية الشيخ الصدوق طاب ثراه قصّته[١] ولربط الكلمة المختارة ما يلي:

«فبارك الله فيما خوّلك، وأدام ما نوّلك[٢]، وكتب لك أحسن ثواب المحسنين...»[٣].

وكان ثواب المحسنين ما يشاؤون من الله تعالى مذخوراً عنده، وكفى من القرآن الكريم دليلاً عليه قوله تعالى: ﴿*لَهُم مَّا يَشَاءونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ*﴾[٤]. وزادهم فضلاً من عنده تعالى تكفير ذنوبهم. والإحسان من كرام خصال المتّقين وهم المحسنون حقّاً.

ما هو الإحسان؟ وما هي أقسامه؟.

والجواب: أنّ للإحسان نطاقاً واسعاً غير مقصور على بذل الأموال، وإنّما هو

---

(١) رقم المختار ١٣٤، ١١١، ٩٣، ٨٦. (٢) رقمه ١٣٤.
(٣) إكمال الدين ٢: ٤٥٢، الباب ٤٣. (٤) الزمر: ٣٤ ـ ٣٥.

قسم منه، ومنه: آية ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [١] من قصّة قارون. ومن الإحسان: التقوى؛ لأنّه تعالى بعد قوله: ﴿وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ قال: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٢] مباشرة، أيّ المتّقون محسنون، وجزاء المحسنين هو ما يشاؤون عند ربّهم، أخذاً بالاعتبار العقلي من تطبيق الكلّي على مصاديقه، وتطبيق المحسنين على المتّقين بقرينة نظم الآيتين لا يخفى على من تدبّرهما حقّ التدبر، ولنوع التطبيق في القرآن الكريم شواهد منها: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [٣] ـ أي التمسّك بالكتاب المقيم للصلاة مصلح والمصلحون لا نضيع أجرهم ـ.

والإحسان تقابله الإساءة، كما أنّ ضدّ الحُسن السوء والقبح، والفرق بينهما اللزوم والتعدي إلى الآخر، تقول: أحسنت إليه إذا تجاوز الحسن فعلاً أو قولاً منك إليه، وتقول: حسن خلقه أي صار ذا حُسن.

ومن أسماء الله تعالى (المحسن) لعموم جوده وإحسانه في كلّ شيء؛ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [٤]، و ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [٥].

ومن موارد استعمال الإحسان في غير بذل المال: ما ذكره ابن الأثير في حديث الإيمان «قال: فما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنّك تراه»: أراد بالإحسان الإخلاص، وهو شرط في صحة الإيمان والإسلام معاً؛ وذلك أنّ من تلفّظ بالكلمة وجاء بالعمل من غير نيّة إخلاص لم يكن محسناً، ولا كان إيمانه صحيحاً. وقيل: أراد بالإحسان: الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة، فإنّ من راقب الله أحسن عمله، وقد أشار إليه في الحديث بقوله: «فإن لم تكن تراه فإنّه يراك» [٦].

---

(١) القصص: ٧٧. (٢) الزمر: ٣٣ ـ ٣٤. (٣) الأعراف: ١٧٠.
(٤) السجدة: ٧. (٥) غافر: ٦٤. (٦) النهاية ١: ٣٨٧ ـ حسن ـ.

أقول:

الحديث النبويّ: «اعبد ربّك كأنّك تراه، فإن كنت لا تراه فإنّه عزّ وجلّ يراك»[١] أوردناه في الأمثال النبويّة[٢].

ولنعد إلى المختار: «كتب لك أحسن ثواب المحسنين»، حيث قدّم أموالاً كانت معه، فردّه الإمام عليه السلام، وقال: «إنّ الشقة قذفة»[٣] ـ أي سفراً طويلاً، وأنّ أمامك صعوبات تحتاج إليها ـ يا أبا إسحاق، وإنّك محسن، وكتب الله لك أجر المحسنين، وتثاب على نيّتك الحسنة الّتي من أجلها دخلت في زمرتهم. وقد فاز المهزياري فوزاً مغبوطاً؛ حيث وقع موضع دعوة الإمام المهديّ عليه السلام، وعجّلت له السعادة بيمن لقائه على معرفة وبصيرة بإمام زمانه، كما نال أخوه عليّ بن مهزيار أيضاً، قد أسلفنا صورة رؤيته. وعددٌ من المؤمنين قد أفلحوا وفازوا بموهبة المشاهدة لكرامتهم عند الله تعالى كأحمد بن إسحاق[٤]، وسعد بن عبد الله، وأمثالهم ممّن سبق لهم في هذا الكتاب ذكر لا يخفى على المراجع الكريم.

* * *

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ٢: ١٣٨.

(٢) الأمثال النبويّة ١: ١١٩، الرقم ٧٥، الهمزة مع العين.

(٣) رقمه ١١١.

(٤) انظر «إن طلبت وجدت» رقمه ٩٨، ويأتي في «لا تطلب أثراً بعد عين» ٣٢٤.

٢٩٩
كثّرتم الأموال وتجبّرتم على ضعفاء المؤمنين

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام لعليّ بن مهزيار الأهوازي في قصّة لقائه المتقدّم ذكرها عند «قد كنّا نتوقّعك ليلاً ونهاراً»[١]؛ ومن أجله لا نعيد عدا ما يربطها قال عجّل الله فرجه:

«فما الّذي أبطأ بك علينا؟ فقال: يا سيّدي! لم أجد من يدلّني إلى الآن، قال لي: ألم تجد أحداً يدلّك، ثمّ نكت بأصبعه في الأرض، ثمّ قال: لا، ولكنّكم كثّرتم الأموال، وتجبّرتم على ضعفاء المؤمنين، وقطعتم الرحم الّذي بينكم فأيّ عذر لكم؟...»[٢].

أقول:

أشرنا إلى عوامل البطء للوصول إلى حجّة الله المذكورة في كلامه عليه السلام وهي: تكثير الأموال والتجبّر على ضعفاء المؤمنين وهم الشيعة، وقطع الرحم، وغيرها ممّا لم يذكر في الكلام، والمذكور هو من باب المثال.

التكثير أو التكاثر في الأموال:

وذلك ليس بممدوح إذا كان لم يهدف من ورائه إلاّ الجمع؛ لأنّه لم يخلق لذلك،

---

(١) رقمه ٢٨١.

(٢) دلائل الإمامة: ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

وقد جاء في الحديث النبوي: «أنّ صحف إبراهيم عليه السلام كانت كلّها أمثالاً ـ قال تعالى لملك في زمانه: ـ

أيّها الملك المبتلى المغرور إنّي لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكن بعثتك لتردّ عنّي دعوة المظلوم، فإنّي لا أردّها وإن كانت من كافر...»[١].

ومن أظهر مظاهر الدنيا هو المال، والمراد بالبعث هنا الخلق، وفي القرآن الكريم: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[٢]، وأجلى مصداق التكاثر المال كما في آية أخرى وهي ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[٣].

وأمّا التجبّر على الضعفاء فهو خصلة السباع فلا يقارب الحقّ مختصلها[٤].

* * *

---

(١) الوسائل ١١: ٣٧٨، الباب ٩٦ من أبواب جهاد النفس، ح ٤.

(٢) التكاثر: ١ ـ ٢.

(٣) الحديد: ٢٠.

(٤) للتجبّر بيان مرهون.

٣٠٠

كُدّ على عيالك فقد عافاك الله تعالى

حكي صدور المختار عن الإمام المهدي عجّل الله فرجه لقصة أبي راجح الحمامي ولجهة ما أخذه حاكم الحلّة وكان يدعى مرجان الصغير، والحاكي هو العلّامة المجلسي طاب ثراه، وإليك صورتها موجزاً:

أنّه بعد ما رفع إلى الحاكم أمره، فأحضره وأمر بضربه، فضرب ضرباً شديداً مهلكاً على جميع بدنه، حتّى أنّه ضرب على وجهه فسقطت ثناياه، وأُخرج لسانه فجعل فيه مسلّة من حديد[1]، و خرق أنفه ووضع فيه شركة من الشعر، وشدّ فيها حبلاً، وسلّمه إلى جماعة من أصحابه، وأمرهم أن يدوروا به أزقّة الحلّة، والضرب يأخذ من جميع جوانبه، حتّى سقط إلى الأرض وعاين الهلاك.

فأُخبر بذلك فأمر بقتله، فقال الحاضرون: إنّه شيخ كبير، وقد حصل له ما يكفيه وهو ميت لما به فاتركه و هو يموت حتف أنفه، و لا تتقلد بدمه وبالغوا في ذلك حتّى أمر بتخليته، وقد انتفخ وجهه ولسانه، فنقله أهله في الموت ولم يشكّ أحد أنّه يموت من ليلته.

فلمّا كان من الغد غدا عليه الناس فإذا هو قائم يصلّي على أتمّ حالة، وقد عادت ثناياه التي سقطت كما كانت، واندملت جراحاته، ولم يبق لها أثر والشجّة قد زالت من وجهه.

---

(١) المسلّة: ما يخاط به العدول.

فعجب الناس من حاله، وسألوه عن أمره فقال: إنّي لمّا عاينت الموت، ولم يبق لي لسان أسأل الله تعالى به فكنت أسأله بقلبي، واستغثت إلى سيّدي ومولاي صاحب الزمان عليه السلام، فلمّا جنّ عليّ الليل فإذا بالدار قد امتلأت نوراً، وإذا بمولاي صاحب الزمان قد أمرّ يده الشريفة على وجهي، وقال لي: «اخرج وكُدّ على عيالك فقد عافاك الله تعالى» فأصبحت كما ترون[1].

و«كُدَّ» أمرٌ من الكدّ، ومنه المثل (بكدّ اليمين وعرق الجبين)[2]، ولاحتمال الصدور أوردناها موجزاً، ولا غرو وهي قضية لها أهل البيت عليهم السلام.

* * *

(١) البحار ٥٢: ٧٠ ـ ٧١.

(٢) مثل مشهور ومنه (ليس من كدّك ولا من كدّ أبيك) أقرب الموارد ٢: ١٠٧٠ ـ كدد ـ والكدّ: الشدّة في العمل والإلحاح في الطلب. مجمع البحرين ٣: ١٣٦ ـ كدد ـ.

٣٠١

كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالاً بعيداً

من التوقيع الخارج عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال على يد الحسين بن روح النائب الثالث ﵁، سبق قسم منه[١] وكذا المختار عند «الشريعي والنميري...»[٢]، وعليه فلانعيد إلّا قوله﵇ الشامل للمذكورة أسماؤهم فيه ولغيرهم:

«كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراناً مبيناً»[٣].

أقول: قد تكرّرت هذه الكلمة في الكلمات منها: دعاء أبي حمزة الثمالي المروي عن الإمام السجّاد ﵇، رواه جمع منهم السيّد ابن طاووس عنه، قال: كان عليّ بن الحسين سيّد العابدين صلوات الله عليه يصلّي عامة ليله في شهر رمضان، فإذا كان في السحر دعا بهذا الدعاء:

«إلهي لا تؤدّبني بعقوبتك ـ إلى قوله: ـ كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالاً بعيداً وخسروا خسراناً مبيناً...»[٤].

بيان:

العدول بالله: الإشراك به بجعل الأصنام عدلاً وعديلاً له ومثلاً ومثيلاً، والجاعل كاذب في جعله؛ إذ لا يكون لله تعالى عديل ولا مثيل، فالعادلون بالله كاذبون، وكذا

---

(١) «أطال الله بقاك» رقمه ٥٣، «عجّل الله له النقمة» رقمه ٢٤٥.
(٢) رقمه ٢٢٢.
(٣) غيبة الطوسي: ٢٥٣، الاحتجاج ٢: ٢٩٠.
(٤) إقبال الأعمال: ٦٧ ـ ٧٠.

من عدل بكتاب الله، وسنة الرسول، وأحاديث أهل البيت عليهم السلام إلى غيرها؛ فإنّه كاذب في عدوله بها إليه؛ لعدم صدق المقارنة والمقايسة، وهل يقاس الحقّ ويصار إلى غيره؟.

قال الشيخ الطريحي:

وعدلوا بالله: أشركوا به وجعلوا له مثلاً. ومنه حديث عليّ عليه السلام: «كذب العادلون بك، إذ أشبهوك بأصنامهم». وفي الحديث: «إنّا لا نعدل بكتاب الله، ولا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله» لعلّ المراد لا نعدل عنهما[1].

وعليه لعلّ معنى «كذب العادلون بالله...» ـ أي عنه تعالى إلى غيره ـ ويلحق بهذا العدول الضلال البعيد، والخسران المبين لا محالة.

* * *

(١) مجمع البحرين ٥: ٤٢١ ـ عدل ـ، ومواضع أُخر اقتصرنا على أحدها.

٣٠٢
كذب الوقّاتون

قال الصدوق: حدّثنا محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ﵀ قال: سمعت أبا عليّ بن همّام يقول: سمعت محمّد بن عثمان العَمري قدّس الله روحه يقول: خرج توقيع بخط أعرفه:

«من سمّاني في مجمع من الناس باسمي فعليه لعنة الله»، قال أبو عليّ محمّد بن همّام: وكتبت أسأله عن الفرج متى يكون؟ فخرج إليّ: «كذب الوقّاتون»(١).

أقول:

في التوقيع المبارك كلمتان تأتي الأُولى منهما في محلّها(٢)، وأمّا كلمة «كذب الوقّاتون» فقد سارت سير المثل السائر يضرب لمن يخبر بلا علم ودراية مسبقة عن وقت المغيّب، وربّما تتقدّمها أو تلحقها كلمة «صدق الله»(٣)، وقد سبق قول الإمام الرضا ﵇ لدعبل الخزاعي بعد شعره:

* خروج إمام لا محالة خارج *

البيتين وبكائه روحي فداه: «يا خزاعي نطق الروح الأمين على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام؟ ومتى يقوم؟ فقلت: لا يا مولاي إلّا أنّي سمعت

---

(١) إكمال الدين ٢: ٤٨٣، الباب ٤٥ ح ٣. (٢) رقمها ٤٠٧.

(٣) فيقال: (صدق الله، وكذب الوقّاتون).

بخروج إمام منكم يطهّر الأرض من الفساد، ويملأها عدلاً [كما ملئت جوراً]. فقال: يا دعبل الإمام بعدي محمّد ابني، وبعد محمّد ابنه عليّ، وبعد عليّ ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله عزّ وجلّ ذلك اليوم حتّى يخرج، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وأمّا متى فإخبار عن الوقت؛ فقد حدثني أبي عن آبائه عليهم السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذرّيتك؟ فقال صلى الله عليه وآله: مثله مثل الساعة الّتي ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ[1] إِلَّا بَغْتَةً﴾[2].

وكما وصف الساعة تعالى قال: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ كذلك الصيحة السماوية أمام خروج الإمام عليه السلام تُسمع من بُعد كما تسمع من قرب[3] والناس في غمرة الخصام إذ فاجأهم الخروج.

«وأمّا متى فإخبار عن الوقت»، والوقت غيب ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾[4]

وإنّ الله تعالى يسدّد الثابتين على القول بإمامته المكثرين له الدعاء بالفرج المنتظرين ليومه الأسعد، يرون فيه الجمال المحمّدي وهو بمرأى من أهل العالم، وضياء إمامته يملأ الآفاق، من بيت الله يقوم ولي الله بإذن الله إن شاء الله للدعوة إلى الله ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[5].

---

(١) وفي الأصل (لا يأتيكم). الأعراف: ١٨٧.

(٢) سبق بعضه عند «الساعة الساعة...» رقمه ١٩٧، إكمال الدين ٢: ٣٧٢ ـ ٣٧٣، الباب ٣٥ ح ٦، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٦٩ ـ ٢٧٠، الباب ٦٦، ح ٣٥.

(٣) إكمال الدين ٢: ٣٧١، الباب ٣٥ ح ٣.

(٤) يونس: ٢٠.

(٥) الأنفال: ٣٩.

لو أسمعوا يعقوب ذكر ملاحة   في وجهه نسي الجمال اليوسفي[١]

روايات التوقيت:

نذكر نبذة منها باختصار ينتفع بها اللبيب، في كتاب الكافي، قال الكليني:

١ ـ عليّ بن محمّد ومحمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى جميعاً، عن الحسن بن محبوب عن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعنا أبا جعفر عليه السلام يقول: يا ثابت إنّ الله تبارك وتعالى قد كان وقّت هذا الأمر في السبعين، فلمّا أن قتل الحسين صلوات الله عليه اشتدّ غضب الله تعالى على أهل الأرض، فأخّره إلى أربعين ومائة، فحدّثناكم فأذعتم الحديث فكشفتم قناع الستر [السرّ]، ولم يجعل الله بعد ذلك وقتاً عندنا و﴿*يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ*﴾[٢].

بيان: ومنه يعلم أنّ سبب التأخير كان منّا معاشر العصاة وكذا غيبته وعدمه منّا[٣].

٢ ـ محمّد بن يحيى، عن سلمة بن الخطّاب، عن عليّ بن حسّان، عن عبدالرحمن بن كثير، قال: كنت عند أبي عبد الله إذ دخل عليه مهزم، فقال: جعلت فداك أخبرني عن هذا الأمر الّذي ننتظره، متى هو؟ فقال: يا مهزم كذب الوقّاتون وهلك المستعجلون ونجا المسلّمون[٤].

٣ ـ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه، عن القاسم بن محمّد، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن القائم عليه السلام؟ فقال: كذب الوقّاتون، إنّا أهل بيت لا نوقّت[٥].

٤ ـ وعن الفضل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قلت لهذا الأمر وقت؟ فقال: كذب الوقّاتون كذب الوقّاتون...»[٦].

---

(١) ديوان ابن الفارض: ٨١، وسبق في «عليّ بالصندل الأحمر» رقمه ٢٥٢.

(٢) أُصول الكافي ١: ٣٦٨ ح ١، الرعد: ٣٩.

(٣) سبق ما رقمه ٩٨.

(٤ و٥) اصول الكافي ١: ٣٦٨ ح ٢ و٣

(٦) أُصول الكافي ١: ٣٦٨ ح ٥.

٥ ـ والصادقي: «أبى الله إلّا أن يخالف وقت الموقّتين»[١].

وعن الشيخ الطوسي قال: «وأمّا وقت خروجه عليه السلام فليس بمعلوم لنا على وجه التفصيل، بل هو مغيّب عنّا إلى أن يأذن الله بالفرج...».

٦ ـ وأخبرني الحسين بن عبيد الله، عن أبي جعفر محمّد بن سفيان البزوفري، عن عليّ بن محمّد، عن الفضل بن شاذان، عن أحمد بن محمّد وعيسى بن هشام، عن كرام، عن الفضيل، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام هل لهذا الأمر وقت؟ فقال: كذب الوقّاتون كذب الوقّاتون كذب الوقّاتون[٢].

تجد التصريح بالمنع عن التوقيت، وليس معناه نفي إمكان التقديم والتأخير في الخروج بل لله الإشاءة المطلقة في كلّ شيء؛ ومن ثمّ أُمرنا بالدعاء له عليه السلام بالفرج، وقصّة قوم يونس عليه السلام أصدق شاهد لذلك عندما تابوا وتضرّعوا إلى الله تعالى كشف عنهم العذاب المقرّر، وهو القائل عزّ من قائل: ﴿*وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ*﴾[٣].

وأيّ كسب أفضع من تحريف الكتاب، وقتل العترة الطاهرة؟ وهل بعد هذا الكسب كسب؟

قال أبو جعفر عليه السلام: «أمّا كتاب الله فحرّفوا، وأمّا الكعبة فهدموا، وأمّا العترة فقتلوا»[٤]. فلا الكتاب عظّموا ولا العترة احترموا:

أمّا الكتاب فمزّقته أُميّة   والعترة الهادون أضحوا صُرّعا[٥]

* * *

(١) أُصول الكافي ١: ٣٦٨ ح ٤. (٢) غيبة الطوسي: ٢٦١ ـ ٢٦٢.
(٣) الأعراف: ٩٦.
(٤) جامع الأحاديث للبروجردي ١: ١٩٩ المقدّمة الرابعة، الرقم ٣٠٠.
(٥) من قصيدة للسيّد صالح الحلي محفوظة لدى جمع من الخطباء.

٣٠٣

الكرّة الكرّة الرجعة الرجعة

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام مع عليّ بن مهزيار الأهوازي من قصّة ملاقاته المتقدم بعضها عند «قد كنّا نتوقعك ليلاً ونهاراً»[1] وإليك برواية الطبري بعضها الآخر المرتبطة به الكلمة المختارة:

«ثمّ قال: يا ابن المهزيار، ومدّ يده ألا أُنبّئك الخبر؟ إذا قعد الصبيّ، وتحرّك المغربي، وسار العماني، وبويع السفياني، يؤذن لولي الله، فأخرج بين الصفا والمروة في ثلاثمائة وثلاث عشر رجلاً فأجيء إلى الكوفة، وأهدم مسجدها وأبنيه على بنائه الأوّل، وأهدم ما حوله من بناء الجبابرة، وأحجّ بالناس حجّة الإسلام، وأجيء إلى يثرب فأهدم الحجرة... إلى أن قال: فينادي مناد من السماء: يا سماء أبيدي، ويا أرض خذي فيومئذ لا يبقى على وجه الأرض إلّا مؤمن قد أخلص قلبه للإيمان.

قلت: يا سيّدي ما يكون بعد ذلك؟ قال: الكرّة الكرّة الرجعة الرجعة، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾»[2].

أقول:

اشتمل على علائم حتميّة وغيرها؛ فإنّ خروج السفياني حتم لا بدّ من ذلك،

---

(١) رقمه ٢٨١.

(٢) دلائل الإمامة: ٢٩٧، الإسراء: ٦.

وقد تكرّر في أحاديث أهل البيت عليهم السلام منها:

صحيح الثمالي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنّ أبا جعفر عليه السلام كان يقول: إنّ خروج السفياني من الأمر المحتوم؟ قال [لي]: نعم.... والصادقي الآخر: إنّ أمر السفياني من المحتوم، وخروجه في رجب[١].

قوله عليه السلام: «الكرّة الكرّة الرجعة الرجعة» يريد به الرجعة الّتي اتّفقت كلمة الإماميّة على أنّها حقّ كمسألة الشفاعة والمعراج وغيرها من معتقدات الشيعة، وإنّ الكلام حول الرجعة تعرّضنا له بشكل موجز عند كلمة «في عزّنا وملكنا وسلطاننا ودولتنا»[٢].

وروايات المثل السائر: «العجب كلّ العجب بين جمادى ورجب»، وجواب السيّد المرتضى عن سؤال الرجعة الّذي أتاه من أهل الريّ، وقصّة عزير العجيبة الّتي هي من شواهد الرجعة فراجع[٣].

* * *

(١) إكمال الدين ٢: ٦٥٢، الباب ٥٧، ح ١٤ ـ ١٥.

(٢) رقمه ٢٦٦.

(٣) نفس المصدر.

٣٠٤
كفاهم المهمّ برعايته لهم

من دعاء الإمام المهديّ عليه السلام لمواليه المأثور في كتابه الأوّل إلى الشيخ المفيد، تقدّم بكامله وأبعاضه[١] ونذكر ما يربط المختار به قال عجّل الله فرجه:

«إنّه قد أُذن لنا في تشريفك بالمكاتبة، وتكليفك ما تؤدّيه عنّا إلى موالينا قِبَلك، أعزّهم الله بطاعته، وكفاهم المهمّ برعايته لهم وحراسته»[٢].

الكفاية والرعاية:

ما هي حقيقة الكفاية؟ وهل تسدّ فراغ الإنسان كفاية المعاش وتأمين المأكل والملبس والمسكن وما إليه من متطلبات يفتقر إليها؟ وهل قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[٣] يريد هذا اللون من الكفاية؟ وأنّها الّتي تسدّ الفراغ فيه سدّاً كاملاً يقضي معها كلّ أوطاره؟ أو أنّ قضاء أوطاره الماديّة بأسرها إنّما هي تمهيد للحصول على ما خلق من أجله المشير إليه الحديث القدسي المشهور: «خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي»[٤]؟.

نبذة تساؤلات تجيب عنها الكفاية في الآية بتفسيرها الشامل لكفاية الله عبده لأوطاره الماديّة والمعنويّة، ولعلّ فيه الإشارة إلى أنّه تعالى هو الذي يكفيه ويسدّ

---

(١) رقم المختار: ٥٤ و٥٥.

(٢) الاحتجاج ٢: ٣٢٢، البحار ٥٣: ١٧٥ ح ٧.

(٣) الزمر: ٣٦.

(٤) الجواهر السنيّة في الأحاديث القدسيّة: ٣٦١.

فراغه فحسب، وأمّا سواه فلا يسدّه سدّاً حقيقياً وبالذات بحيث يستغني به عن كلّ شيء، استغناءً تسكن معه نفسه ويطمئنّ قلبه بذكره كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[١] و في حديث الإمام الصادق عليه السلام: «من قرأ القرآن فهو غنيّ ولا فقر بعده إلّا ما به غنى»[٢] إشارة ودلالة على أنّ بكلامه تعالى الغنى.

والنبويّ: «من أعطاه الله القرآن فرأى أنّ رجلاً أعطى أفضل ممّا أُعطي فقد صغّر عظيماً وعظّم صغيراً»[٣].

العبد يقرع بالعصا والحرّ تكفيه الإشارة[٤]

* * *

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) أُصول الكافي ٢: ٦٠٥، ح ٨.

(٣) أُصول الكافي ٢: ٦٠٥، ح ٧.

(٤) مجمع الأمثال ٢: ١٩، الرقم ٢٤٤٧، حرف الحاء. يعرفه قبل غيره.

٣٠٥
كلّا ما كان ذلك ولا يكون حتّى تقوم الساعة

من توقيع خرج عن الناحية المحفوفة بالتقديس والإجلال على يد أحد السفراء إلى محمّد بن إبراهيم المهزياري الشاك في الخلف عليه السلام وقد سبق عند «اتقّ الله وتب من كلّ ما أنت عليه»(١) المخاطب به محمّد نفسه برواية الصدوق، وكذا ذكر رواتها؛ ومن ثمّ لا نعيد منه سوى ما يربط المختار به، قال عجّل الله فرجه:

«فلمّا قبضه الله إليه(٢) ظننتم أنّ الله عزّ وجلّ قد قطع السبب بينه وبين خلقه! كلّا ما كان ذلك ولا يكون حتّى تقوم الساعة، ويظهر أمر الله عزّ وجلّ وهم كارهون.

يا محمّد بن إبراهيم لا يدخلك الشكّ فيما قدمت له؛ فإنّ الله عزّ وجلّ لا يخلي الأرض من حجّة...»(٣).

أقول: سيأتي الكلام حول «يا محمّد بن إبراهيم...»(٤)، والمهم هنا بيان المختار: «كلّا ما كان ذلك ولا يكون حتّى تقوم الساعة».

«كلّا» كلمة ردع عمّا يضمره المخاطب من خلاف المراد، وجاء في ثلاثة وثلاثين موضعاً في القرآن الكريم، أمّا الحديث على اشتماله على أدعية وزيارات وغيرها فحدّث عن مَعْن ولا حرج(٥).

---

(١) رقمه ١٦.
(٢) أي أباه الإمام العسكري عليه السلام.
(٣) إكمال الدين ٢: ٤٨٧، الباب ٤٥ ح ٨.
(٤) رقمه ٤٨١.
(٥) المثل السائر مجمع الأمثال ١: ٢٠٧، الرقم ١١٠٣.

(كلّا) في علم الأدب واللغة:

قال ابن منظور عن ابن بري: وكلّا حرف ردع وزجر؛ وقد تأتي بمعنى لا كقول الجعدي:

فقلنا لهم خلّوا النساء لأهلها فقالوا لنا كلّا فقلنا لهم بلى

فكلّا هنا بمعنى لا؛ بدليل قولهم فقلنا لهم بلى، وبلى لا تأتي إلّا بعد نفي، ومثله قوله أيضاً:

قريش جهاز الناس حيّاً وميّتاً فمن قال كلّا فالمكذّب أكذب

وعلى هذا يحمل قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا﴾[1]، وفي الحديث: «تقع فتنٌ كأنّها الظُلَل، فقال أعرابي: كلّا يا رسول الله»، قال ابن الأثير: كلّا ردع في الكلام وتنبيه، ومعناها انته لا تفعل، إلّا أنّها آكد في النفي والردع من لا، لزيادة الكاف، قال: وقد ترد بمعنى حقّاً كقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ﴾[2]، والظُلل: السحاب[3].

نعود إلى المختار وعليه فكلّا ردع لمحمّد بن إبراهيم، وزجر عمّا عليه من الشكّ في الحجّة، ولا بدّ من وجود الحجّة في كلّ زمان، ولا تخلو الأرض منه ساعة إلى الساعة، وسرّ ذلك أنّه السبب بين الله تعالى وخلقه، ومن اللطف الواجب أن لا يقطعه؛ لأنّ قطع السبب الإضاعة والإهلاك المحال على الله عزّ وجلّ، فإذا مضى الإمام الحسن العسكري قام مقامه الحجّة المنتظر عليه السلام، وبه تمام العدد الاثني عشر إماماً معصوماً خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله القائمين مقامه، مستحفظاً بعد مستحفظ من مدّة إلى مدّة إقامة لدينه وحجّة على عباده، ولئلّا يزول الحقّ عن مقره ويغلب الباطل على أهله، ولا يقول أحد لولا أرسلت إلينا رسولاً منذراً وأقمت لنا عَلَماً هادياً فنتبع

---

(١) الفجر: ١٦ ـ ١٧. (٢) العلق: ١٥.

(٣) لسان العرب ١١: ٥٩٧ ـ ٥٩٨ ـ كلل ـ

آياتك من قبل أن نذلّ ونخزى[١].

فالكلمة تشديد ومبالغة في نفي خلوّ الأرض من الحجّة الواصل دورها إلى الإمام المنتظر روحي فداه، وقد شدّدت الروايات وتكثّرت في هذا المضمار من جهتين.

الأُولى وهي متواترة كثيرة مصرّحة على نفي خلوّ الأرض من إمام معصوم إمّا ظاهراً مشهوراً، أو مستوراً، وأنّه لولاه لساخت بأهلها ووجوب استمراره إلى انقراض الدنيا وأهلها؛ ومن أجله جاء المثل في التوقيع: «إذا أفل نجم طلع نجم»[٢]، و«كلّما غاب عَلَم بدا عَلَم»[٣].

الجهة الثانية هي القائلة: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة»[٤] أو «ميتة ضلال»، أو «نفاق»، أو «كفر» على اختلاف أو تنوّع ألفاظها، كما جاء عن الحارث بن المغيرة في حديث له عن الصادق عليه السلام : «...قلت: جاهليّة جهلاء، أو جاهلية لا يعرف إمامه؟ قال: جاهليّة كفر ونفاق وضلال»[٥].

ولعلّ وجه التنوّع أنّ الجاهلين من الناس بإمام زمانهم متفاوتون، فمنهم: المتساهل الجاحد له وهو على الكفر والإلحاد. ومنهم: المتهاون بدينه بلا تمرّد وجحود. ومنهم: من على مذهب عشيرته الجاهلين والتقليد لهم المعنيّة بهم الآية: ﴿*إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ*﴾[٦]، ضالّ يقتدي بضالّ، فموت هؤلاء موت ضلال ونفاق، وأكثر الناس لو حقّقت وأجلت النظر فيهم تجدهم المقلّدة تقليد الأعمى للأعمى مثله، والجاهل للجاهل على شاكلته. وهنا تعرف قول الإمام

---

(١) اقتباس من دعاء الندبة، البحار ١٠٢: ١٠٥.

(٢) رقمه ٣٥.

(٣) رقمه ٣٠٦.

(٤) كتاب الغدير ١٠: ٣٥٩ ـ ٣٦٠.

(٥) أُصول الكافي ١: ٣٧٧ ح ٣.

(٦) الزخرف: ٢٣.

أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «إلى الله أشكو من معشر يـعيشون جـهّالاً، ويموتون ضلّالاً...»[١]. ومرماه، وأنّ قلبه الطاهر متألّم متحسّر يبثّ شكواه إلى الله تعالى من هؤلاء الجهّال الضلّال وهـم فـي جـميع الأدوار يـعيشون فـي الجـهالة ويموتون ميتة ضلالة، لا يدينون دين الحقّ، ولولاهم لما غاب الإمام المهديّ عليه السلام، ومن علل ذلك أنّه إذا ظهر قتلوه كما قتلوا آباءه عليهم السلام ومنها أنّ في أصلابهم مؤمنين لابدّ من خروجهم منها.

* * *

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ٢٨٤، الخطبة ١٧.

٣٠٦
كلّما غاب عَلَمٌ بدا عَلَمٌ

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام في توقيع صدر عنه إلى محمّد بن إبراهيم المهزياري الشاكّ في إمامة الإمام روحي فداه، قال: «قل للمهزياري قد فهمنا ما حكيته عن موالينا بناحيتكم، فقل لهم: أما سمعتم الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1]، هل أمر إلّا بما هو كائن إلى يوم القيامة؟ أو لم تروا أنّ الله عزّ وجلّ جعل لكم معاقل تأوون إليها، وأعلاماً تهتدون بها من لدن آدم عليه السلام إلى أن ظهر الماضي [أبو محمّد] صلوات الله عليه كلّما غاب عَلَم بدا عَلَم...»[2].

تقدّم التوقيع برواية الشيخ الصدوق عند «جعل لكم معاقل تأوون إليها»[3]، وكذا معنى ذلك مع تفسير «وأعلاماً تهتدون بها» جمع عَلَم. شبّه الأئمّة الماضين عليهم السلام بالعلائم المنصوبة على رؤوس الطرقات، بها يهتدي التائهون، كالأنجم الّتي يُهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر، وأنّ لها طلوعاً وأُفولاً. فإذا أفل وغاب نجمٌ طلع وبدا نجم آخر، فيريد عليه السلام بكلمة «كلّما غاب عَلَمٌ بدا عَلَمٌ» أنّ أنوار الأئمّة عليهم سلام الله تشعّ دائماً، ولا تخمد بموت واحد منهم كالنجوم إذا خبا منها نجم طلع آخر، وإنّها ﴿سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[4]، وصبح القيامة ولقاء الله تعالى.

---

(١) النساء: ٥٩.
(٢) إكمال الدين ٢: ٤٨٧، الباب ٤٥.
(٣) رقمه ١٦١.
(٤) القدر: ٥.

وإنّما الغرض من ضرب الأمثال دفع الشكوك، أو رفعها عن قلوب الضعفاء الّتي يبتزّها أعداء الدين، ويجعلونها غرضاً لسهام تشكيكاتهم وإلقاء الشبهة، كما وقع التشاجر بين الشيعة وابن أبي غانم القزويني في (الخلف) عليه السلام، وهل أنّ الحسن العسكري عليه السلام خلّف خلفاً بعدما مضى، أو مات وانقطعت بموته الإمامة؟.

وادّعاها جعفر بن عليّ حيث انتهز الفرصة وخلا له الجوّ لاستملاك القلوب الضعيفة، وكانت التوقيعات تصدر على أيدي السفراء عن الناحية المباركة بهذا الصدد لإزالة الشكّ، ومن أُولئك الضعفاء محمّد بن إبراهيم المهزياري، ونظائره الّذين يجدهم الناظر في هذا الكتاب الّذي بين يديه.

* * *

٣٠٧
كلّ ما لم يسلّم فصاحبه فيه بالخيار

من جوابات خرجت عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال عن مسائل محمّد ابن جعفر الأسدي على يد محمّد بن عثمان العَمري طاب ثراه في الوقف يحتاج إليه واقفه، تقدّمت روايتها عن الصدوق وترجمة الأسدي عند «صلّها وأرغم أنف الشيطان»[١]، ومن ثمّ لا نذكر إلّا ما يربط المختار من كلام الإمام المهديّ عليه السلام: «وأمّا ما سألت عنه من أمر الوقف على ناحيتنا وما يجعل لنا، ثمّ يحتاج إليه صاحبه؟ فكلّ ما لم يسلّم فصاحبه فيه بالخيار، وكلّ ما سلّم فلا خيار فيه لصاحبه، احتاج إليه صاحبه أو لم يحتج، افتقر إليه أو استغنى عنه»[٢].

بيان:

بناءً على أنّ القبض شرط التمليك لا مجرّد العقد في الوقف، كما هو كذلك في الصرف ـ أي النقدين والسَلَم ـ فالواقف مختار في رجوعه عن الوقف قبل الإقباض المعبّر عنه بكلمة «سلّم» لا بعده، صرّح في الجواب بحكم القسمين قبل القبض وبعده، والمسألة معنونة في الفقه فليراجع.

من الأمثال النبويّة المضروبة للواقف العائد في وقفه، والمصدّق في صدقته

---

(١) رقمه ٢٣٠.

(٢) إكمال الدين ٢: ٥٢٠، الباب ٤٥.

ما يلي: «مثل الّذي يرجع في صدقته كالّذي يرجع في قيئه»[١]، وقد صار مثلاً سائراً عند أهل البيت عليهم السلام، ففي صحيح عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يتصدّق بالصدقة ثمّ يعود في صدقته؟ فقال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّما مثل الذي يتصدّق بالصدقة ثمّ يعود فيها مثل الّذي يقيء ثم يعود في قيئه»[٢].

ولا ريب أنّ الوقف كالصدقة يكون لله وما كان له تعالى لا يعاد فيه، والعتاق كذلك، وفيها النصوص[٣].

* * *

---

(١) الأمثال النبويّة ٢: ٢١١، الرقم ٥١٤.

(٢) الوسائل ١٣: ٣١٦، الباب ١١ من أبواب الوقوف والصدقات، ح ٢.

(٣) نفس المصدر.

٣٠٨
كنت للرسول ﷺ ولداً

من الزيارة التي رواها العلّامة المجلسي قال: قال مؤلّف المزار الكبير: زيارة أُخرى في يوم عاشوراء ممّا خرج من الناحية إلى أحد الأبواب، قال: تقف عليه وتقول:

«السلام على آدم صفوة الله من خلقه» ، وساق الزيارة إلى آخرها[1].

ونحن أوردنا بعض كلماتها عند «زاهداً في الدنيا زهد الراحل عنها...»[2]، وعند «السلام على الجيوب المضرّجات...»[3]، وكلمات أُخر اخترناها.

ومنها: المختار الذي تربطه الكلمات المذكورة في العنوانين.

ومنها: ما يلي من قوله عليه السلام: «كنت للرسول ﷺ ولداً، وللقرآن سنداً[4]، وللأُمّة عضداً، وفي الطاعة مجتهداً، حافظاً للعهد والميثاق، ناكباً عن سُبل الفسّاق...»[5].

والغاية من التنصيص على الصفات المصرّحة التنويه بما للمعصوم من كرائم الخصال وجلائل الفضائل، والشموخ والرفعة التي لا يطمع فيها طامع، وفي ضمنها الترغيب إلى الاتصاف والانتهاج على نهجه الوضاء.

---

(١) البحار ١٠١: ٣٢٨ ح ٩. (٢) رقمه ١٩٥.

(٣) رقمه ٢٠٦.

(٤) في البحار ١٠١: ٣٢١ «منقداً» ولعلّ الصحيح ما أثبتناه.

(٥) البحار ١٠١: ٣٢١.

ولعلّ التنصيص أيضاً على كونه ولداً للرسول صلى الله عليه وآله لإبطال من ذهب أنّ الحسن والحسين عليهما السلام ليسا من أبناء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما كثر القول من الجمهور، ودارت المناظرات بين الإمام الكاظم والرضا عليهما السلام وبين هارون والمأمون، تعرّضنا لنبذة منها عند ذكر كلماتهما فراجع لولا الخروج عن الموضوع لأنقدناها، ويكفيك ما اشتهر فيما بينهم من الشعر الجاهلي واستشهادهم به على ما ذهبوا إليه:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهنّ أبناء الرجال الأباعد

قال البغدادي: وهذا البيت لا يعرف قائله مع شهرته في كتب النحاة وغيرهم، قال العيني: وهذا البيت استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر، والفرضيّون على دخول أبناء الأبناء في الميراث، وأنّ الانتساب إلى الآباء والفقهاء كذلك في الوصيّة، وأهل المعاني والبيان في التشبيه، ولم أر أحداً منهم عزاه إلى قائله. ورأيت في شرح الكرماني في شواهد شرح الكافية للخبيصي أنّه قال: هذا البيت قائله أبو فراس همّام الفرزدق بن غالب...[١].

ولكن في جامع الشواهد للمولى محمّد باقر الشريف بعد ذكر البيت قال: هو من أبياتٍ لعمر بن الخطاب ـ أي بنو أبنائنا من جملة بنينا، وأبناء بناتنا من جملة أبناء الرجال الأباعد ـ الضمير في بنوهنّ إلى البنات، والأباعد جمع الأبعد وهو كأحمد هنا بمعنى البعيد[٢].

وأرادوا به إبطال قول الرسول صلى الله عليه وآله: بأنّ الحسن والحسين ابناي[٣]، وقد تواتر عنه ذلك، واتّفقت كلمة أهل البيت عليهم السلام عليه.

قال الفيض بعد ﴿وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ﴾[٤]:

---

(١) خزانة الأدب ١: ٤٤٤ ـ ٤٤٥.

(٢) جامع الشواهد ١: ٣١٧، باب الباء بعده النون.

(٣) الغدير ١١: ٥.

(٤) النساء: ٢٣.

في الكافي عن الباقر عليه السلام في حديث «هل كان يحلّ لرسول الله صلى الله عليه وآله نكاح حليلتي الحسن والحسين عليهما السلام، فإن قالوا: نعم كذبوا وفجروا، وإن قالوا: لا فهما ابناه لصلبه»[1].

قوله عليه السلام: «وللقرآن سنداً»؛ لأنّ القرآن ظاهره خط مسطور وحقيقته متجسّدة فيه عليه السلام، والمعصوم ترجمان القرآن بل هو القرآن الحقيقي بفعله وقوله وبسيرته يمثل آياته ويجسّدها وهو القرآن الناطق، كما جاء التصريح بذلك كلّه في قصّة الحكمين في وقعة صفّين، قال أمير المؤمنين عليه السلام وقد رفعوا المصاحف عندما بان الفتح لجيشه وكسر جيش معاوية وأمر عمرو بن العاص للمكيدة برفعها:

«هذا القرآن إنّما هو خطّ مسطور بين الدفّتين لا ينطق بلسان، ولابدّ له من ترجمان، وإنّما ينطق عنه الرجال...»[2].

ومحمّد وآل محمّد المعنيّون بالرجال الناطقون عنه، والسند له أعمالهم وأقوالهم ووجودهم.

ولفظة البحار: «منقدا» بقراءة الدال المهملة من الانقاد: الإحضار والعطاء المعجل؛ لأنّ النقد يقابلة النسيئة ـ أي التأخير ـ. وبقراءة الذال المعجمة من الإنقاذ التخليص ـ أي خَلَّصَه ونجّاه الإمام الحسين عليه السلام بنهضته وتضحيته من أيدي الأشرار يزيد وطغاته عليهم لعائن الله ـ.

«وللأُمّة عضداً» في خلاصهم من عذاب الله ونار جهنّم لو أطاعوه ولم ينكثوا البيعة، ولكنّهم كتبوا للحسين عليه السلام أن أقبل وليس لنا غيرك إمام فلمّا أقبل إليهم قتلوه.

«وفي الطاعة مجتهداً» بقيامه وجهاده في سبيل الله تعالى.

---

(١) تفسير الصافي ١: ٤٣٦ ذيل الآية ٢٣ من سورة النساء، روضة الكافي ٨: ٣١٨ برواية أبي الجارود.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٨: ١٠٣، الخطبة ١٢٥، وللمعتزلي شرح فراجعه.

«حافظاً للعهد والميثاق» بنصرته للدين وإراقة دمه دونه وبأهله وأصحابه حفظاً لأحكام الله تعالى وكلّ ما يملكه، وحتّى الرضيع المذبوح في حجره المرمي بالسهم في نحره.

«ناكباً عن سُبُل الفسّاق»؛ إذ لو كان غير المعصوم فلربّما مال إلى ما عرضوه عليه، ولكنّه الحسين المعصوم ابن المعصوم وأخو المعصوم وأبو الأئمّة التسعة المعصومين عليهم السلام، أنوار الله وحججه على الخلق، وأُمناؤه على عباده.

* * *

٣٠٩
كنت لله طائعاً ولجدّك محمّد ﷺ تابعاً

من كلمات الزيارة المعروفة بزيارة الناحية لصدورها عنها برواية المجلسي عن المزار الكبير تقدّم بيانها عند «كنت للرسول ﷺ ولداً»[١]. فلا حاجة لذكرها سوى ما يربط المختار به قال عجّل الله فرجه: «وكنت لله طائعاً ولجدّك محمّد ﷺ تابعاً، ولقول أبيك سامعاً، وإلى وصيّة أخيك مسارعاً، ولعماد الدين رافعاً، وللطغاة قامعاً، وللأمّة ناصحاً، وفي غمرات الموت سابحاً، وللفسّاق مكافحاً وبحجج الله قائماً، وللإسلام والمسلمين راحماً، وللحقّ ناصراً وعند البلاء صابراً...»[٢].

الزيارة: في اللغة اللقاء مع القصد، والزيارة إحدى مصادر زار يزور الخمسة وهي أصل واحد يدلّ على الميل والعدول.

قال ابن فارس: ومن الباب الزائر؛ لأنّه إذا زارك فقد عدل عن غيرك، ثمّ يحمل على هذا فيقال لرئيس القوم وصاحب أمرهم: الزُّوير؛ وذلك أنّهم يعدولون عن كلّ أحد إليه، قال:

بأيدي رجال لا هوادة بينهم ... يسوقون للموت الزُّوير اليلنددا[٣]

---

(١) رقمه ٣٠٨. (٢) البحار ١٠١: ٣٢٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٣: ٣٦ ـ زور ـ.

وقال ابن منظور:

ومفازة زوراء: مائلة عن السمت والقصد... ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾[1]... أنّها كانت تطلع على كهفهم ذات اليمين فلا تصيبهم، وتغرب على كهفهم ذات الشمال، فلا تصيبهم... ﴿تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾ أي تميل[2].

والزيارة حضور الزائر عند المزور، وكما سبق في غضون الأبحاث لا تختصّ بالأحياء، ولا بذوي الأرواح، قال تعالى: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[3]، وتعمّ القريب والبعيد.

وإنّما جئنا بذلك لأدنى مناسبة دعتنا عليه.

«وكنت لله طائعاً...» والطاعة لله شأن كلّ مؤمن فكيف بالمعصوم عليه السلام، وفيها من الترغيب بأنّ ما حوته من النعوت وكرائم الفضائل حري بالاتّصاف بها، وليس معنى القول إلّا قصدها للمزور بالأصالة وغيره بالتبع والاتباع والسير على ضوئه.

* * *

---

(١) الكهف: ١٧.

(٢) اللسان ٤: ٣٣٤ ـ زور ـ.

(٣) التكاثر: ٢.

٣١٠
كنتَ منه قريباً يا قريب

جاءت الكلمة في ثمانية عشر موضعاً من دعاء العلوي المصري وهو الدعاء الذي علّمه الإمام المهديّ عليه السلام محمّد بن عليّ العلوي الحسيني المصري، وله قصّة مصرّحة عند «الحمد لله كما يحبّ الله أن يحمد»[١] برواية السيّد ابن طاووس رحمه الله، وأنّه أتاه روحي فداه في خمس ليالي جُمع، وفي ليلة السبت من آخر الجُمع جاءته البشرى باستجابة دعائه، تجد الإشارة إلى البشارة عند «رَبِّ مـن ذا الذي دعـاك فلم تجبه»[٢] والعنوان المتقدم الذكر، ولا نرىٰ وجهاً للتكرار، والمهمّ بيان المختار، وما يناسبه من كلمات.

سؤال: ما هو معنى قرب الله تعالى، وما حقيقته ممّن لا مكان ولا زمان له، وما هو قرب العبد، وما للتراب من ربّ الأرباب[٣]؟؟؟.

الجواب: إنّه لابدّ من ذكر بعض آيات القرآن الكريم، ثمّ إتباع الدليل العقلي، ولا نريد بالآيات التعبّد بها، بل لأنّها الضياء في درب التعقل والإدراك للمعقولات؛ لكونها من مبدأ العقل وخالقه، فهي عقل وزيادة عطاء واستغناء، وهل يقاس الوحي

---

(١) رقمها ١٧٤.

(٢) رقمها ١٨٦.

(٣) أمثال وحكم ١: ٣٣٠.

بالعقل المقرون مع الميولات والهواجس النفسانيّة غير المفارقة له؟

قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[١].

وإليك موجز ما سبق من بيان الآية، والمثل بحبل الوريد المفسّر بعرق العنق، أو مطلق ما يجري فيه الدم من عرق. شبّه تعالى ذاته المتعالية به، بل ولم يكتف بذلك بل جعلها أقرب إلى الإنسان منه. والغرض بيان الإحاطة المطلقة بكلّه، حتّى ما توسوس به نفسه.

في الكشّاف: وحبل الوريد مَثَلٌ في فرط القرب، كقولهم: هو منّي مقعد القابلة ومقعد الإزار. وقال ذو الرمّة:

* والموت أدنى لي من الوريد *[٢]

والحبل: العرق، شبّه بواحد الحبال. ألا ترى إلى قوله:

* كأنّ وريديه رشاءَ خُلب *[٣]

والوريدان: عرقان مكتنفان لصفحتيّ العنق في مقدّمهما متّصلان بالوتين يردان من الرأس. وقيل سُمّي وريداً؛ لأنّ الروح ترده[٤].

وقال الفيض: وحبل الوريد مَثَلٌ في القرب[٥].

ومنها ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ...﴾[٦]، ولا شكّ أنّ القرب في جميع

---

(١) قٓ: ١٦.

والكلمة المختارة مذكورة في مهج الدعوات: ٢٨٢، وإنّما اعتمدنا على الرقمين.

(٢) وقبله:

* هل اغدون في عيشة رغيد *

(٣) وقبله:

* غضنفر تلقاه عند الغضب *

(٤) تفسير الكشّاف ٤: ٣٨٣ ـ ٣٨٤، ذيل الآية ١٦ من سورة قٓ متناً وتعليقاً.

(٥) تفسير الصافي ٥: ٦٠، ذيل الآية ١٦ من سورة قٓ.

(٦) البقرة: ١٨٦.

آياته لا يراد به القرب الزماني، ولا المكاني، ولا الرتبي، ولا معنى آخر سوى الإحاطة والقيمومة المطلقة؛ لعدم معقوليّة غيرها؛ ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾[١] وكذا المراد من آية ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[٢]، والمحاط لا ينفصل عن المحيط.

وقد أوردنا كلام أمير المؤمنين عليه السلام في أوّل أمثال وحكم الإمام الرضا عليه السلام: «أخبرني عن المرآة أنت كنت فيها أم هي فيك؟» جواباً عن قول عمران الصابي: يا سيّدي! أهو في الخلق أم الخلق فيه؟[٣]:

«لم يحلل في الأشياء.فيقال: هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال: هو منها بائن»[٤]، والآخر: «لم يقرب من الأشياء بالتصاق، ولم يبعد عنها بافتراق»[٥]، والآخر: «مع كلّ شيء لا بمقارنة، وغير كلّ شيء لا بمزايلة»[٦]، والآخر: «ليس في الأشياء بوالج، ولا عنها بخارج»[٧].

وحاصل معنى الكلمات كالآيات إثبات القيموميّة والإحاطة الحقيقيّة المطلقة بتمام ما لهذه الكلمة من معنى؛ لأنّ التجسّم والتحيز فيه تعالى محال.

* * *

---

(١) النساء: ١٢٦.

(٢) الحديد: ٤.

(٣) ج ١: ٢١، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٣٩.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ٥: ١٥٣، الخطبة ٦٤.

(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد ٩: ٢٥٢، الخطبة ١٦٤.

(٦) شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ٧٨، الخطبة ١ .

(٧) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٣: ٨٢، الخطبة ٢٣٢.

٣١١
كيف خلّفت فلاناً وفلاناً؟

المختار من كلام الإمام المهديّ عليه السلام لأبي سعيد غانم الهندي في قصّة له يأتي ذكرها برواية الشيخ الكليني عن آخرها عند «لا تحج معهم وانصرف سنتك هذه»[١]، كما وسبق ذكر لها برواية الشيخ الصدوق مع اختلاف أكثر ألفاظها للأولى عند «اجعل هذه في نفقتك»[٢]، قال غانم الهندي: برواية الكافي:

فقال: مرحباً يا فلان ـ بكلام الهند ـ كيف حالك؟ وكيف خلّفت فلاناً وفلاناً؟ حتّى عدّ الأربعين كلّهم...[٣].

بيان:

الأربعون هم حاشية ملك الهند على مذهب غانم الهندي المرتاد لهم الدين الخالص بضربه في الأرض اثني عشر شهراً، ومن شاء القصّة بكاملها نظر المختار[٤].

فلان:

جرت كلمة (فلان) مجرى المثل يكنّى بها من لم يصرّح باسمه أو لا يراد ذلك، وقد جاء ذكرها مرّة في آية من القرآن الكريم وهي قوله تعالى: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي

---

(١) رقمه ٣١٩. (٢) رقمه ١٩.

(٣) أُصول الكافي ١: ٥١٧، ح ٣. (٤) رقمه ٣١٩.

﴿لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾[١] فكنّى سبحانه به عن الظالم أو المشرك الّذي اتّخذه ظالم آخر خليلاً، والآية ظاهرها العموم وإن كان موردها المعبّر عنه شأن النزول خاصّاً؛ لأنّ خصوص المورد لا يخصّص عموم الحكم كما قرّر في علم الأُصول، وعليه الآيات: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾[٢] تعمّ كلّ من توفّرت فيه هذه الحالات.

قال الطبرسي:

قال ابن عبّاس: نزل قوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ﴾ في عقبة بن أبي مُعيط وأُبيّ بن خلف، وكانا متخالين؛ وذلك أنّ عقبة كان لا يقدم من سفر إلّا صنع طعاماً، فدعا إليه أشراف قومه، وكان يكثر مجالسة الرسول، فقدم من سفره ذات يوم، فصنع طعاماً ودعا الناس، فدعا رسول الله ﷺ إلى طعامه، فلمّا قرّبوا الطعام قال رسول الله ﷺ: ما أنا بآكل من طعامك حتّى تشهد أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله؛ فقال عقبة: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله، وبلغ ذلك أُبيّ بن خلف فقال: صبأت يا عقبة؟ قال: لا والله ما صبأت، ولكن دخل عليّ رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلّا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له، فقال أُبيّ: ما كنتُ براضٍ عنك أبداً حتّى تأتيه فتبزق في وجهه، ففعل ذلك عقبة وارتدّ وأخذ رحم دابّةٍ فألقاها بين كتفيه، فقال النبيّ ﷺ: لا ألقاك خارجاً من مكّة إلّا علوت رأسك بالسيف، فضرب عنقه يوم بدر صبراً[٣]. وأمّا أُبيّ بن خلف فقتله النبيّ ﷺ يوم أُحد بيده في المبارزة، وقال الضحّاك: لمّا بزق عُقبة في وجه رسول‌الله ﷺ عاد بزاقه في وجهه فأحرق خدّيه، وكان أثر ذلك فيه حتّى مات.

---

(١) الفرقان: ٢٨. (٢) الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩.

(٣) قيل: إذا شدّت يد الرجل ورجلاه أو أمسكه رجل آخر وضرب عنقه قتل صبراً.

وقيل: نزلت في كلّ كافر أو ظالم تبع غيره في الكفر أو الظلم وترك متابعة أمر الله تعالى، وقال أبو عبد الله عليه السلام ليس رجل من قريش إلّا وقد نزلت فيه آية أو آيتان تقوده إلى جنّة أو تسوقه إلى نار، تجري فيمن بعده إن خيراً فخيراً، وإن شرّاً فشرّاً[1].

قال ابن منظور:

فلان وفلانة: كناية عن أسماء الآدميّين. والفلان والفلانة: كناية عن غير الآدميّين. تقول العرب: ركبت الفلان وحلبت الفلانة. ابن السراج: فلان كناية عن اسم سمّي به المُحدَّثُ عنه خاص غالب. ويقال في النداء: يا فلُ فتحذف منه الألف والنون لغير ترخيم، ولو كان ترخيماً لقالوا يا فلا قال: وربّما جاء ذلك في غير النداء ضرورةً قال أبو النجم:

* في لجّة أمسك فُلاناً عن فُل *[2]

قال البغدادي: يقال في المثل: فلان في كنف فلانٍ، كما يقال فلان في ظلّ فلانٍ، وفي ذرا فلانٍ، وفي حيّز فلانٍ[3] والغالب يقال في الحكاية:

سَكنوا شُبيثاً والأحصّ وأصبحت ... نزلت منازلهم بنو ذبيانِ

وإذا فلانٌ مات عن أُكرومةٍ ... رَقعوا معاوز فقده بفلانِ

على أنّ فلاناً يجوز أن يأتي في غير الحكاية... والبيتان للمرّار الفقعسي[4].

وفي الأدب واللغة جوانب من الكلام حول البيتين خاصّة و(فلان) بشكل عام، وليس فيها أمر هام، ولوروده في قوله عليه السلام: جئنا على بعض هذه الجوانب. ولا يخفى

(١) تفسير مجمع البيان ٧ ـ ٨: ١٦٦، ذيل الآية ٢٨ من سورة الفرقان، وفي معناه تفسير الكشّاف ٣: ٢٧٦، ذيل الآية ٢٨ من سورة الفرقان، وتفسير الجامع للقرطبي ١٣: ٢٥ ـ ٢٦، ذيل الآية ٢٨ من سورة الفرقان، وتفاسير أُخر.

(٢) اللسان ١٣: ٣٢٤ ـ فلن ـ و في معناه النهاية ٣: ٤٧٣ ـ فلل ـ و مجمع البحرين ٦: ٢٩٤ ـ فلن ـ.

(٣) خزانة الأدب ٢: ٦٦.

(٤) خزانة الأدب ٧: ٢٤٨. وانظر: ص ٢٤٩ ـ ٢٥٣.

أنّ ورود كلمة «فلاناً وفلاناً» ظاهرها الحكاية منه عجّل الله فرجه عن أسماء أُولئك الأربعين الّذين هم على دين أبي سعيد غانم الهندي، ويحتمل أنّه عليه السلام سمّاهم بأسمائهم واحداً بعد واحد، وتكون كلمة الحكاية من الراوي، وعليه فلم يكن فيها المختار الّذي نحن في صدده فاختر أيّهما شئت.

وكيف كان فإن دلّ الكلام على شيء فإنّما يدلّ على علم الإمام عليه السلام إطلاقاً بما فيه الناس وما يضمرون في نفوسهم من خيرٍ أو شرٍ، وأنّه روحي فداه عالم بكلّ اللغات والألسن: لغة الهند أو غيرها، وأنّه من وراء قصد من قَصَدَ الدين الخالص في جميع الأدوار حتّى دورنا هذا، فمن كان منّا من يهمّه الحصول على الحقّ والوصول إليه، وهاجر وجال البلدان إذا كان في دار الكفر إلى دار الإيمان لكشف الحقّ لبانت له أعلامه، ولعجّل له الشهود واليُمن بلقاء إمامه إن كانت المصلحة الربانيّة في ذلك، كما اتّفق لجماعة أسلفنا لك من قصصهم في هذا الكتاب ذكراً، وساعدهم التوفيق باللقاء، والاستماع لكلامه عليه السلام مشافهة، والنظر إلى الجمال المحمّدي.

* * *

باب اللام

٣١٢

لأبكينّ عليك بدل الدموع دماً

من زيارة الناحية المأثورة عنها برواية العلّامة المجلسي طاب ثراه المتقدّم ذكرها عند «السلام على الجيوب المضرّجات»[١]، و«السلام على المرمّل بالدماء»[٢] وغيرهما من كلمات مختارة لا حاجة للإشارة إليها، وإليك ربط المختار قال عجّل الله فرجه:

«فلئن أخّرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة مناصباً، فلأندبنّك صباحاً ومساءً، ولأبكينّ عليك[٣] بدل الدموع دماً؛ حسرة عليك، وتأسّفاً على ما دهاك وتلهّفاً حتّى أموت بلوعة المصاب وغصّة الاكتياب»[٤].

البكاء:

روى الصدوق بإسناده عن الرضا عليه السلام في حديث أنّه قال: «إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون؛ فإنّ البكاء يحطّ الذنوب

---

(١) رقمه ٢٠٦. (٢) رقمه ٢٠٨.

(٣) في الأصل «لك» والأنسب ما ذكرناه. (٤) البحار ١٠١: ٣٢٠.

العظام...»[١].

لا لغايةٍ أو مثوبةٍ كان البكاء على الحسين عليه السلام، بل لجلل الخطب وعظم المصاب، ولأجله العين باكية:

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة	لكنّما عيني لأجلك باكية
تبتلّ منكم كربلا بدم ولا	تبتلّ منّي بالدموع الجارية[٢]

وقد بكت على الحسين كلّ عين، وبكى كلّ نبي ووصيّ وما خلق الله من شيء حتّى طير السماء، ووحش الفلا، وحيتان البحار، والحجر والمدر.

وقبل كلّ شيء رسول الله صلى الله عليه وآله بكى وبكت فاطمة وسائر أهل البيت عليهم السلام، ثمّ الكائنات.

روى ابن قولويه بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أهدت لنا أُمّ أيمن لبناً وزبداً وتمراً، فقدّمنا منه فأكل، ثمّ قام إلى زاوية البيت فصلّى ركعات، فلمّا كان في آخر سجوده بكى بكاءً شديداً، فلم يسأله أحدٌ منّا إجلالاً وإعظاماً له، فقام الحسين عليه السلام وقعد في حجره فقال: يا أبة لقد دخلت بيتنا فما سررنا بشيء كسرورنا بدخولك، ثمّ بكيت بكاء غمّنا، فما أبكاك؟ فقال: يا بني أتاني جبرئيل عليه السلام آنفاً فأخبرني أنّكم قتلى، وأنّ مصارعكم شتّى، فقال: يا أبة فما لمن زار قبورنا على تشتّتها؟ فقال: يا بني! أُولئك طوائف من أُمّتي يزورنكم فيلتمسون بذلك البركة، وحقيق عليّ أن آتيهم يوم القيامة حتّى أُخلّصهم من أهوال الساعة ومن ذنوبهم، ويسكنهم الله الجنّة[٣].

وابن قولويه أيضا في الصادقي قال: دخلت فاطمة عليها السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وعيناه تدمع، فسألته ما لك؟ فقال: إنّ جبرئيل عليه السلام أخبرني أنّ أُمّتي تقتل حسيناً

---

(١) الأمالي: ١١١، المجلس ٢٧، ح ٢، البحار ٤٤: ٢٨٤.

(٢) شجرة طوبى ٢: ٣٥٧.

(٣) كامل الزيارات: ٥٨، الباب ١٦.

فجزعت وشقّ عليها، فأخبرها بمن يملك من ولدها، فطابت نفسها وسكنت[١].

«نظر أمير المؤمنين إلى الحسين عليه السلام فقال: يا عبرة كلّ مؤمن، فقال: أنا يا أبتاه؟! قال: نعم يا بني!»[٢].

وأيضاً في الصادقي الآخر: «فذكرنا الحسين عليه السلام وعلى قاتله لعنة الله، فبكى أبوعبد الله وبكينا قال: ثمّ رفع رأسه فقال: قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلّا بكى...»[٣].

وقال الشيخ المجلسي بعد ذكر الحديث: ـ أي قتيل منسوب إلى العبرة والبكاء وسبب لها، أو أُقتل مع العبرة والحزن وشدّة الحال ـ والأوّل أظهر[٤].

وابن قولويه عن أبي هارون المكفوف قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: أنشدني فأنشدته، فقال: لا، كما تنشدون وكما ترثيه عند قبره قال: فأنشدته:

امرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكيّه

قال: فلمّا بكى أمسكت أنا فقال: مر، فمررت، قال: ثمّ قال: زدني، قال: فأنشدته:

يا مريم قومي فاندبي مولاك وعلى الحسين فاسعدي ببكاك[٥]

وكلّما كانت المعرفة به أبلغ كان البكاء أكثر وأعمق ومن أطول الأئمّة الأطهار بكاءً الإمام المهديّ عليه السلام، وأكثر من ألف سنة يندبه ويبكي عليه، بل وعلى تقدير صدور الزيارة يبكي دماً بدل الدموع، ولولا إرادة الله تعالى على بقائه وإعداده لإحياء الدين لمات بلوعة المصاب، وغصّة الإكتياب؛ إذ هو الّذي يعلم ماذا حدث، وأيّ دم أُريق بأرض كربلاء. وإنّ حوادث الدنيا تحدث وتنسى، وحادثة الطف

---

(١) نفس المصدر: ٥٧.
(٢ و٣) كامل الزيارات: ١٠٨ ـ ١٠٩، باب ٣٦.
(٤) البحار ٤٤: ٢٧٩.
(٥) كامل الزيارات: ١٠٥ ـ ١٠٦، الباب ٣٣، البحار ٤٤: ٢٨٧.

لا يطفى لهبها ولا تبرد حرارتها إلى الأبد، وفي كلّ عام تجدّد، بل وكلّ يوم عاشوراء، ولا ينسى ذكراه، وللحسين في القلوب حرارة ومحبّة لا يرفعها شيء.

وللشيخ إبراهيم الوائلي قصيدته الداليّة، وفيها عن ذكرى الطف أروع تصوير:

في كلّ عام من حديث محرّم ... ذكرى يقوم لها الزمان ويقعد

لم ننس فيك بني أميّة والّذي ... لاقاه منهم في بنيه محمّد

وعصابة نكصوا على أعقابهم ... فعدوا على آل النبيّ وبدّدوا

هم عصبة باؤوا بكلّ مذمّة ... واسودّ من تاريخهم ما سوّدوا

نور النبوّة في الوصي ورهطه ... هيهات يطفئه العدوّ الملحد

شتان بين السامرين على الطلا ... ليلاً وبين الساهرين ليعبدوا

ومن العجائب أن يسود مذمّم ... جمّ العيوب وأن ينحّى السيّد

يا يوم وقعة كربلا كفّي أسىً ... ألّا يطاق تصبّر وتجلّد

ودم الحسين الطهر كلّ عشيّة ... شفق بآفاق السماء مجسّد

حتّى أطال على الفرات بقفره ... دمُهُ الزكي وما أُبيح المورد

وبجنبه من آل هاشم فتية ... نزلوا على حكم القضا فاستشهدوا

وإذا نسيت فلست أنسى موقفاً ... بعد الحسين غداة لم يك منجد

تلك الفواطم في الإسار مروعة ... يحدي بها ركب ويقطع قدقد[1]

لا يوم كيوم الحسين، ولا مصاب كمصابه «قال جبرئيل: ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب»[2] والمعزّى الإمام المهديّ عليه السلام.

* * *

---

(١) الدرّ النضيد في مراثي السبط الشهيد: ١٢٣ ـ ١٢٤.

(٢) البحار ٤٤: ٢٤٥، ح ٤٤.

٣١٣
لا أشكر الله قدره

من الدعوات الخارجة عن الناحية المقدّسة على مدّعي السفارة الخاصّة مهما كان شخصه وسلوكه جاءت في توقيع سبقت روايته عند «بتر الله عمره»[١] في أحمد بن هلال الكرخي، وعند «الشريعي والنميري والهلالي والبلالي»[٢]، وكذا تقدّمت ترجمة الهلالي في أوّل العنوانين بتفصيل، وأشرنا إليها في الثاني، وتعرّضنا إلى اختلاف جواز الأخذ برواية الهلالي الصوفي المتصنّع وعدمه، وكذا كلام السيّد الخوئي، ولأجل ذلك كلّه لا نرى موضعاً لإعادة التوقيع سوى ما يوضح المختار، قال عليه‌السلام برواية الكشي طاب ثراه: «لا أشكر الله قدره، لم يدع المرء ربّه بأن لا يزيغ قلبه بعد أن هداه»[٣].

تأتي كلمة «لم يدعُ المرء ربّه...» في محلّها إن شاء الله تعالى.

في قوله عليه‌السلام: «لا أشكر الله قدره» سؤال: ما هو تفسير شكر الله تعالى للعبد، أو عدم شكره؟ وهل جاء به القرآن؟.

الجواب:

قد جاءت شاكريّة الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم تارة بصيغة «شاكر» وهي:

---

(١) رقمه ١٣٦. (٢) رقمه ٢٢٢.

(٣) معجم رجال الحديث ٢: ٣٥٦ / ١٠٠٥، عن الكشّي.

﴿فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[١]، و﴿وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا عَلِيماً﴾[٢].

وأُخرى بلفظة «شكور» الصفة المشبهة: أو صيغة المبالغة: ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٣] و﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٤]، ﴿وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[٥] ففيها الدلالة بكلّ وضوح على شاكريته تعالى.

ومعنى ﴿فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ على ما في تفسير الكاشاني: مثيب عليه، لا يخفى عليه[٦].

فإذا عمل العبد خيراً أثابه الله تعالى خير إثابة، وهو شكره له في قبال شكره وعمله وإقدامه على الخير، فيعطيه الجزاء الأوفى؛ لأنّه سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولو كان العمل قليلاً، أو لا يليق بمقام الربوبيّة، ولكنّه تعالى كريم جواد يجود على العبد بكرمه، ولا يخفى عليه شكر الشاكرين فيشكرهم عليه مع أنّ شكرهم من نعم الله عليهم، ولولا أن هيّأ لهم ووفقهم لما صدر منهم الخير، وكلّ ذلك فضل ورحمة منه تعالى؛ ومن هنا يعلم تفسير بقيّة آيات شكره كلّ بحسبه ففي آية ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٧] ﴿لَغَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿شَكُورٌ﴾ للمطيعين[٨]، وهكذا سائر الآيات حسب مواردها تختلف كيفيّة الشكر الربوبي المعبّر به عن جزاء الأعمال، والأمر واضح.

قال ابن الأثير:

في أسماء الله تعالى: «الشكور» هو الّذي يزكو عنده القليل من أعمال العباد

---

(١) البقرة: ١٥٨. (٢) النساء: ١٤٧. (٣) فاطر: ٣٠.

(٤) فاطر: ٣٤. (٥) التغابن: ١٧.

(٦) تفسير الصافي ١: ٢٠٦، ذيل الآية ١٥٨ من سورة البقرة. (٧) فاطر: ٣٣ ـ ٣٤.

(٨) تفسير الصافي ٤: ٢٤٠، ذيل الآية ٣٤ من سورة فاطر.

فيضاعف لهم الجزاء، فشكره لعباده مغفرته لهم[١]. والمغفرة من تلك الموارد.

الشكر في اللغة:

قال ابن منظور: الشكر عرفان الإحسان ونشره وهو الشُكور أيضاً. قال ثعلب: الشكر لا يكون إلّا عن يد، والحمد يكون عن يد وعن غير يد، فهذا الفرق بينهما[٢]، والشكر من الله المجازاة والثناء الجميل، شكره وشكر له يشكر شكراً وشكوراً وشكراناً؛ قال أبو نخلية:

شكرتك إنّ الشكر حبل من التقى   وما كلّ مَن أوليته نعمة يقضي

وقال ابن سيده: وهذا يدلّ على أنّ الشكر لا يكون إلّا عن يد[٣].

ثمّ الشكر قيل: مثل الحمد إلّا أنّ الحمد أعم منه، فإنّك تحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى معروفه، ولا تشكره إلّا على معروفه دون صفاته[٤]، وقيل[٥]: هما أخوان، وكيف كان فقد فسّر المثل النبويّ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» بتفاسير، منها:

أنّ الله لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس، ويكفر معروفهم؛ لاتّصال أحد الأمرين بالآخر.

وقيل: معناه أنّ من كان من طبعه وعادته كفران نعمة الناس وترك الشكر لهم كان من عادته كفران نعمة الله وترك الشكر له.

وقيل: معناه أنّ من لا يشكر الناس كان كمن لا يشكر الله وإنّ شكره، كما تقول:

---

(١) النهاية ٢: ٤٩٣ ـ شكر ـ.

(٢) وهذا يستلزم مجازية شاكرية الله، والقول بمجازية الشاكريّة في الله تعالى بلا دليل، والحقّ أنّه يكون عن غير يد أيضاً حقيقة.

(٣) لسان العرب ٤: ٤٢٣ ـ شكر ـ.

(٤) لسان العرب ٤: ٤٢٤ ـ شكر ـ.

(٥) لم نعثر عليه.

لا يحبّني من لا يحبّك ـ أي إنّ محبّـتك مقرونة بمحبّتي ـ فمن أحبّني يحبّك ومن لم يحبّك لم يحبّني. وهذه الأقوال مبنيّة على رفع اسم الله تعالى ونصبه[1].

قوله ﷺ: «لا أشكر الله قدره» من أشكر الضرع إذا امتلأ لبـناً؛ فـفي اللسـان: وأشكر الضرع واشتكر: امتلأ لبناً. وأشكر القوم: شكرت إبـلهم والاسـم الشكـرة. الأصمعي: الشكرة: الممتلئة الضرع من النوق، قال الحُطيئة يصف إبلاً غزاراً:

إذا لم يكن إلّا الأماليس أصبحت لهـا حُـلّقٌ صـرّاتـها شَكَـرات

الأماليس جمع الإمليس وهي: الأرض التي لا نبات لها ومعنى البيت أنّه يصف هذه الإبل بالكرم وجودة الأصل، وأنّه إذا لم يكن لها ما ترعاه وكانت الأرض جدبة فإنّك تجد فيها لبناً غزيراً[2].

ومعنى «لا أشكر الله قدره» دعاء على الهلالي: بأن لا يدرّ الله عليه من ضروع جوده ورحمته، ولا جعل جاهه بين الناس ضرعاً يحتلب و درّاً لهم.

* * *

(١) لسان العرب ٤: ٤٢٤ ـ شكر ـ.

(٢) المصدر: ٤٢٥.

٣١٤
لا أوعث الله لك سبيلاً ولا حيّر لك دليلاً

ما أفصحها من كلمة، وما أبلغها من دعوة مستجابة صادرة عن موضع الإجابة: الإمام المهديّ عليه السلام لأبي إسحاق إبراهيم بن مهزيار الأهوازي الّذي نال السعادة بيُمن لقائه، عند الوداع في جبل الطائف، وسبق دعاء آخر له بلفظ «كتب لك أحسن ثواب المحسنين»[١]، وما يتعاطى من كلمات بين الحبيب مع الحبيب: «تتخيّل لي صورتك حتّى كأنّا لم نخلّ طرفة عين»[٢].

كما وتقدّمت قصّة الملاقاة[٣] وإليك من أواخرها بقدر ما يربط المختار: «وأسأل الله أن يردّك إلى أصحابك بأوفر الحظّ من سلامة الأوبة، واكتناف الغبطة بلين المنصرف، ولا أوعث الله لك سبيلاً، ولا حيّر لك دليلاً...»[٤].

قوله عليه السلام: «ولا أوعث الله لك سبيلاً، ولا حيّر لك دليلاً» كلمتان جميلتان، والجملة الأُولى نقدّمها على الثانية تقدّم السبب على مسبّبه.

(أوعث) من الإيعاث وأصله الوعث من الرمل ما غابت فيه الأرجل والأخفاف. وقيل: هو المكان اللين... ويقال الوعث رقة التراب ورخاوة الأرض تغيب فيه قوائم الدواب، وفي الحديث: «مثل الرزق كمثل حائط له باب، فما حول الباب سهولة

---

(١) رقمه ٢٩٨.
(٢) رقمه ١٤٤.
(٣) رقم المختار: ١١١، ١٣٤.
(٤) إكمال الدين ٢: ٤٥٢، الباب ٤٣.

وما حول الحائط وعث ووعر». والوعوث الشدّة والشر. وأوعث في ماله أسرف فيه. ووعثاء السفر مشقّته وشدّته، وروي عن النبيّ ﷺ أنّه إذا كان سافر سفراً قـال: «اللّهمّ إنّا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب» ـ أي شدّته ومشقّته ـ [١].

«و لا حيّر لك دليلاً»:

المراد من الجملتين الدعاء بأن لا يواجه المهزياري صعوبة الأمر إطلاقاً، وأن تكون السُبل معبّدة له، ولا يعوقه عائق لا سبيلاً ولا دليلاً، لا في دين ولا في دنيا.

و«حيّر» من الحَيرة حار يحير حَيراً وحَيرة من باب (تعب) ـ أي تحيّر في أمره ولم يكن له مخرج[٢] ـ، لا من حار يحور ـ بمعنى الهلاك. والحائر الواقف ـ ومنه حائر الحسين عليه السلام وهو في الأصل مجمع الماء، وسمّي حائراً؛ لأنّ الماء حار حول القبر الشريف.

* * *

---

(١) لسان العرب ٢: ٢٠١ ـ ٢٠٣ ـ وعث ـ.

(٢) مجمع البحرين ٣: ٢٨٠ ـ حير ـ.

٣١٥
لا بأس بالشلماب

من جوابات مسائل إسحاق بن يعقوب الخارجة عن الناحية المحفوفة بالتقديس على يد محمّد بن عثمان العَمري، قال عليه السلام برواية الشيخ الصدوق والطوسي:

«أمّا الفقّاع فشربه حرام، ولا بأس بالشلماب»[1].

الفقّاع:

في الفقّاع عدة أحاديث تدلّ على التحريم، وأفتى الفقهاء بذلك، قال الشيخ الكليني:

١ ـ عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن إسماعيل، عن سليمان ابن جعفر الجعفري، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الفقّاع؟ فقال: «هو خمر مجهول فلا تشربه يا سليمان، لو كان الدار لي أو الحكم لقتلت بايعه ولجلدت شاربه»[2].

٢ ـ عنه عن عمرو بن سعيد المدائني عن مصدق بن صدقة عن عمّار بن موسى قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الفقّاع؟ فقال: «هو خمر»[3].

---

(١) إكمال الدين ٢: ٤٨٤، الباب ٤٥.
(٢) الكافي ٦: ٤٢٢ ح ١.
(٣) الكافي ٦: ٤٢٢ ح ٢.

٣ ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن الحسين القلانسي، قال: كتبت إلى أبي الحسن الماضي عليه السلام أسأله عن الفقّاع؟ فقال: «لا تقربه، فإنّه من الخمر»[١].

٤ ـ أبو عليّ الأشعري، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن ابن فضّال، قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الفقّاع؟ «فكتب ينهاني عنه»[٢].

٥ ـ محمّد بن يحيى، عن بعض أصحابنا عمّن ذكره، عن أبي جميلة البصري، قال: كنت مع يونس ببغداد فبينا أنا أمشي معه في السوق إذ فتح صاحب الفقّاع فقّاعه، فأصاب ثوب يونس، فرأيته قد اغتم لذلك حتّى زالت الشمس، فقلت له: ألا تصلّي يا أبا محمّد؟ فقال: ليس أريد أن أُصلّي حتّى أرجع إلى البيت فأغسل هذا الخمر من ثوبي، قال: فقلت له: هذا رأيك أو شيء ترويه؟ فقال: أخبرني هشام بن الحكم، أنّه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الفقّاع؟ فقال: «لا تشربه، فإنّه خمر مجهول، فإذا أصاب ثوبك فاغسله»[٣].

٦ ـ والصحيح الكاظمي: حدّه شارب الخمر، وقال عليه السلام: «هي خميرة استصغرها الناس»[٤].

٧ ـ والآخر: «لا تشربه، ولا تراجعني فيه»[٥].

٨ ـ الرضوي: «فمن كان من شِيعتنا فليتورع من شرب الفقّاع، والشطرنج، ومن نظر إلى الفقّاع وإلى الشطرنج فليذكر الحسين عليه السلام، وليلعن يزيد وآل زياد...»[٦]

٩ ـ والآخر: «أوّل من اتّخذ الفقّاع في الإسلام بالشام يزيد بن معاوية لعنهما الله...»[٧].

---

(١) الكافي ٦: ٤٢٢ ح ٣.
(٢) الكافي ٦: ٤٢٣ ح ٥.
(٣) الكافي ٦: ٤٢٣ ح ٧.
(٤) الكافي ٦: ٤٢٣ ح ٩.
(٥) الكافي ٦: ٤٢٤ ح ١٢.
(٦ و٧) الوسائل ١٧: ٢٩٠، الباب ٢٧ من أبواب الأشربة المحرّمة، ح ١٣ و١٤.

أقول:

قد ادّعي الإجماع على تحريم الفقّاع، وإن لم يكن بمسكر[١].

والتوقيع كبقيّة الروايات صريح فيه، وهو عاشر النجاسات.

وهو شراب متّخذ من الشعير على وجه مخصوص، ويقال: إنّ فيه سكراً قاله المرحوم السيّد اليزدي[٢].

ومن لم يقل بتحريم شربه فهو إمّا لم يطّلع ولم يراجع روايات الباب، وكلمات الأصحاب، أو ممّن لم يبال بالدين ولم يكن من الورعين.

الشلماب:

قد اختلف المعلّقون عليه في تفسيره، فالمعلّق على الوسائل على نفس التوقيع قال: في البحار عن الغيبة الشلماب ـ بالشين المعجمة، والباء في آخره ـ وقال: كأنّه ماء الشلجم، وفي الإكمال بالسلمان [كذا] ولم أعرف له معنى انتهى. ولا مناسبة بين ماء الشلجم والفقّاع، ولا وجه لتوهم حرمة ماء الشلجم، ولا لاحتمال السكر فيه. والصحيح أنّ الشلماب: كان شراباً يتّخذ من الشيلم وهو حبّ شبيه بالشعير وفيه تخدير نظير البنج وإن اتّفق وقوعه في الحنطة وعمل منه الخبز أورث السدر [كذا] والدوار والنوم، ويكثر نباته في مزرع الحنطة، ويتوهم حرمته لمكان التخدير واشتباه التخدير بالإسكار عند العوام، والمحرّم هو الكحول وما فيه الكحول، وفي المخدّرات كالأفيون و(الشاهدانج) ـ حبّ مخدّر ـ والبنج والشيلم شيءٌ من الكحول، ولا يحرم منه إلّا ما أزال العقل بالفعل، لا ما أوجب تخديراً في الجملة كالمسكرات[٣].

---

(١) مرآة العقول ٢٢: ٢٨٨.
(٢) العروة الوثقى: ١٩، باب النجاسات.
(٣) الوسائل ١٧: ٢٩١، الباب ٢٧ من أبواب الأشربة المحرّمة، ح ١٥، مع التعليقة في الهامش.

وللمعلق على الإكمال:

شراب يتّخذ من الشيلم وهو الزوان الذي يكون في البُرّ. قال أبو حنيفة: الشيلم حبّ صغار مستطيل أحمر قائم كأنّه في خلقة سوس الحنطة، ولا يسكر، ولكنّه يُمر الطعام إمراءاً شديداً. وقال: مرّة نبات الشيلم سطاح وهو يذهب على الأرض وورقته كورقة الخلاف البلخي شديدة الخضرة رطبة.قال: الناس يأكلون ورقه إذا كان رطباً وهو طيب لا مرارة له، وحبّه أعقى من الصبر ـ التاج ـ وقال أُستاذنا الشعراني في هامش الوسائل ج ١٧ ص ٢٩١[١].

وهل الشلماب الّذي نفى الإمام المهديّ عليه السلام عنه البأس هو ما ذكراه؟ أو أنّه كان شراباً معهوداً مكنّى عنه بالشلماب؟ وأين هو وكلمة الشيلم وليس إلّا مجرّد الاحتمال أو لبعض الشواهد، ولِمَ لا يؤخذ بما قاله العلّامة المجلسي: كأنّه ماء الشلجم[٢]، والاحتمالان متكافآن، ولا دافع لأحدهما بعينه دون الآخر والله تعالى هو العالم.

وكيف كان فقد أجاب عليه السلام عن الفقّاع بتحريم شربه الثابت بالأخبار والإجماع، ونفى البأس عن الشلماب المعهود عند السائل، ومن ثمّ لم يسأل عنه.

* * *

---

(١) هامش إكمال الدين ٢: ٤٨٤، الباب ٤٥، وتجد فيه الإحالة على المصدر المتقدّم.

(٢) البحار ٦٣: ٤٨٢، طبع بيروت.

٣١٦
لا تتكلّفوا علم ما قد كُفيتم

من حكم الإمام المهديّ عليه السلام قد جاءت في كلام له رواه جمع منهم الشيخ الصدوق والطوسي وغيرهما تقدّم ذكره عند «أغلقوا باب السؤال عمّا لا يعنيكم»(١) وغيره، فلا نعيد ذكره بعد وضوح الحال.

قوله عليه السلام: «لا تتكلفوا علم ما قد كُفيتم»(٢) من تكلّفت الشيء إذا تجشّمته على مشقة وهو على خلاف عادتك، والمتكلّف المتعرّض لما لا يعنيه. ومنه الحديث: «أنا وأُمّتي برآء من التكلّف»(٣). ويشهد لحزازته تنزيه رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾(٤)، وفي النبوي: «نحن معاشر الأنبياء والأولياء برآء من التكلّف»(٥)، وإليك نبذة أحاديث:

في العلوي: «أنّ تضييع المرء ما ولّي، وتكلّفه ما كفي لعجز حاضر، ورأي متبّر»(٦).

وآخر: «دع القول فيما لا تعرف، والخطاب فيما لم تكلّف»(٧).

---

(١) رقم المختار ٦٢.
(٢) إكمال الدين ٢: ٤٨٥، الباب ٤٥.
(٣) النهاية ٤: ١٩٦ ـ كلف ـ.
(٤) صٓ: ٨٦.
(٥) البحار ٧٣: ٣٩٤.
(٦) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٧: ١٤٩، الكتاب ٦١.
(٧) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٦: ٦٣، الكتاب ٣١.

وآخر: «إنّ الله افترض عليكم فرائض فلا تضيّعوها... وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكلّفوها»[١].

وآخر: «اعلم أنّ الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب، الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدحهم الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمّى تركهم التعمق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخاً...»[٢].

والباقري: «إنّ الله برأ محمّداً ﷺ من ثلاث: أن يتقوّل على الله، أو أن ينطق عن هواه، أو يتكلّف»[٣].

والصادقي: «المتكلّف مخطئ وإن أصاب، والمتطوّع مصيب وإن أخطأ...»[٤].

المتكلّف متصنّع والمتصنّع كلابس ثوبَي زور، قال الأصمعي: إنّه الرجل يلبس ثياب أهل الزهد يريد بذلك الناس، ويظهر من التخشع أكثر ممّا في قلبه؛ وفي الحديث: «المتشبّع بما لا يملك كلابس ثوبَي زور» كالرجل يُري أنّه شبعان وليس كذلك[٥]، وذكرناه في كتابنا الأمثال النبويّة[٦].

* * *

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨: ٢٦٧، الحكمة ١٠٢.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٦: ٤٠٣، الخطبة ٩٠.

(٣) البحار ٢: ١٧٨ ح ٢٦.

(٤) البحار ٧٣: ٣٩٤ ح ١.

(٥) مجمع الأمثال ٢: ١٥٠.

(٦) ٢: ١٧١، الرقم ٤٨٢.

٣١٧
لا تجوز الصلاة إلّا في ثوب سداه أو لحمته قطن أو كتان

من جوابات الإمام المهديّ عليه السلام عن مسائل محمّد بن عبد الله الحميري الّتي سأله عنها في سنة ثمان وثلاثمائة المتقدّم ذكرها في هذا الكتاب[1]؛ لأجل كلمات مختارة من التوقيع، وإليك ما يربط المختار بلفظ الشيخ الطبرسي، قال: وسأل فقال: يتّخذ بأصفهان ثياب عتابيّة[2] على عمل الوشا [الوشي][3] من قزّ أو إبريسم هل يجوز الصلاة فيها أم لا؟.

فأجاب: لا تجوز الصلاة إلّا في ثوب سداه أو لحمته قطن أو كتّان[4].

بيان:

سبق الكلام حول لباس المصلّي بتفصيل عند «الفِراء متاع الغَنَم»[5]، إذا كان من الجلود، والمتّخذ من الوبر والشعر والصوف من السنجاب والسمور. وأمّا القز والإبريسم ففي اللسان: القزّ من الثياب والإبريسم، أعجمي معرّب، وجمعه قُزُوز، قال الأزهري: هو الّذي يسوّى منه الإبريسم[6]. وقال الشيخ الطريحي: في الحديث

---

(١) رقم المختار ٥٣، ٢٨٣.
(٢) منسوبة إلى عتاب وفي البحار (عنّابية).
(٣) كما في البحار.
(٤) الاحتجاج ٢: ٣١٥، البحار ٥٣: ١٧٠، الوسائل ٣: ٢٧٢، الباب ١٣ من أبواب لباس المصلّي، ح ٨.
(٥) رقمه ٢٦١.
(٦) لسان العرب ٥: ٣٩٥ ـ قزز ـ.

ذكر القزّ هو بالفتح والتشديد: ما يعمل من الإبريسم. وعن بعضهم: القزّ والإبريسم مثل الحنطة والدقيق[١].

قال السيّد الأُستاذ في سادس شروط لباس المصلي: (أن لا يكون من الحرير الخالص للرجال، ولا يجوز لُبسه في غير الصلاة أيضاً كالذهب، نعم، لا بأس في الحرب، والضرورة، كالبرد والمرض حتّى في الصلاة... .

مسألة ٣٢: لا يجوز جعل البطانة من الحرير وإن كانت إلى النصف.

مسألة ٣٣: لا بأس بالحرير الممتزج بالقطن أو الصوف أو غيرهما ممّا يجوز لبسه في الصلاة، لكن بشرط أن يكون الخلط بحيث يخرج اللباس به عن صدق الحرير الخالص، فلا يكفي الخلط بالمقدار اليسير المستهلك عرفاً)[٢].

والحرير المتّخذ من القزّ والإبريسم منهي عنه وإلّا فلا وصحيح الأحوص الرضوي: «هل يصلّي الرجل في ثوب إبريسم؟ فقال: لا»[٣]، والعسكري: «لا تحلّ الصلاة في حرير محض»[٤]، والعبّاس بن موسى عن أبيه عليه السلام قال: «سألته عن الإبريسم والقزّ، قال: هم سواء»[٥] ـ أيّ في النهي ـ والنبوي: «... إلى أن قال: ولا تلبس الحرير فيحرق الله جلدك يوم تلقاه»[٦]، والباقري: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهاهم عن سبع: منها لباس الإستبرق والحرير والقزّ والأرجوان»[٧].

* * *

---

(١) مجمع البحرين ٤: ٣١ ـ قزز ـ.

(٢) منهاج الصالحين ١: ١٤٨.

(٣ ـ ٦) الوسائل ٣: ٢٦٧، الباب ١١ من أبواب لباس المصلّي، ح ١ و٢ و٤ و٥.

(٧) الوسائل ٣: ٢٦٩، الباب ١١ من أبواب لباس المصلّي ح ١١.

٣١٨
لا تحاولوا كشف ما غطّي عنكم

سبق عدد من كلمات التوقيع الخارج عن الناحية المحفوفة بـالنور والجـلال على يد العَمري رضوان الله تعالى عليه ردّاً على تشاجر ابن أبي غانم القزويني مع جماعة من الشيعة في الخلف عليه السلام[1]، كما ويأتي عدد آخر منها؛ ومن أجله لا نذكر منه إلّا بقدر الحاجة قال عجّل الله فرجه:

«ولا تحاولوا كشف ما غـطّي عـنكم، ولا تـميلوا عـن اليـمين وتـعدلوا إلى الشمال...»[2].

بيان: «لا تحاولوا» نهي عن المحاولة. قال ابن فارس: الحاء والواو واللام أصل واحد، وهو تحرك في دور، فالحول العام؛ وذلك أنّه يـحول ـ أي يـدور... إلى أن قال: ـ والحيلة والحويل و المحاولة من طريق واحد، وهو القياس الّذي ذكرناه؛ لأنّه يدور حوالي الشيء ليدركه. قال الكميت:

وذات اسمين والألوان شتّى تُحمّق وهـي بـيّنة الحـويل

ذات اسمين: رخمة؛ لأنّها رخمة وأنوق. تحمّق وهي ذات حيلة؛ لأنّها تكون بأعالي الجبال، وتقطع في أوّل القواطع، وترجع في أوّل الرواجع، وتـحبّ ولدهـا، وتحضن بيضها، ولا تمكّن إلّا زوجها[3].

---

(١) انظر: الرقم ١٧، وغيره. (٢) غيبة الطوسي: ١٧٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٢: ١٢١ ـ حول ـ.

وعليه فمعنى التوقيع النهي عن التحرّك والدور حول الأمر المغطّى، لغاية كشفه؛ لأنّك لا تدري ما الحكمة في تغطيته، وإنّما في الكشف عنه الفساد، فلو كانت في الكشف المصلحة لكشفناه لك؛ ومن هنا جاء التكذيب في التوقيع الآخر لكلّ من حاول التوقيت لوقت خروج الإمام المهدي بقوله ﷺ: «كذب الوقّاتون» الخارج لأبي عليّ محمّد بن همّام بعد ما قال: «وكتبت أسأله عن الفرج متى يكون؟»[1]. وكلمة الكشف والغطاء قرآنيّة، قال الله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[2] عن أعمالنا القباح الرديئة إن كنّا من المخذولين، وعن الصالحات إن كنّا من الموفّقين، ونحن بين خذلان وتوفيق على سبيل الدوام، والتوقيع وإن كان مورده خاصّاً هو عام ينهى عن كلّ مغطّى لا يكشف عنه، وفيه باب من الأدب يتسابق فيه الأُدباء والبلغاء بأشعارهم وأمثالهم وحكمهم ما لو رمنا ذكره لخلصنا إلى كتاب الفنون والأدب.

* * *

---

(١) إكمال الدين ٢: ٤٨٣، الباب ٤٥، ح ٣، وانظر المختار رقم ٣٠٢، وفيه أحاديث كثيرة.

(٢) ق: ٢٢.

٣١٩
لا تحجّ معهم وانصرف سنتك هذه

من قصّة أبي سعيد غانم الهندي ودخوله في الإسلام ورؤيته الإمام المهديّ عليه السلام، وأنا أذكرها برواية الشيخ الكليني بطولها وعن آخرها عوضاً عن التعليق عليها، لغنائها عنه، وانتفاع العموم بها، قال طاب ثراه في الكافي:

عليّ بن محمّد وعن غير واحد من أصحابنا القمّيّين، عن محمّد بن محمّد العامري، عن أبي سعيد غانم الهندي، قال: كنت بمدينة الهند المعروفة بقشمير الداخلة، وأصحابي لي يقعدون على كراسي عن يمين الملك أربعون رجلاً كلّهم يقرأ الكتب الأربعة: التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم، نقضي بين الناس ونفقّههم في دينهم ونفتيهم في حلالهم وحرامهم، يفزع الناس إلينا: الملك فمن دونه، فتجارينا ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله فقلنا: هذا النبيّ المذكور في الكتب قد خفي علينا أمره، ويجب علينا الفحص عنه وطلب أثره، واتّفق رأينا وتوافقنا على أن أخرج فأرتاد لهم، فخرجت ومعي مال جليل، فسرت اثني عشر شهراً حتّى قربت من كابل، فعرض لي قوم من الترك فقطعوا عليّ، وأخذوا مالي، وجرحت جراحات شديدة، ودفعت إلى مدينة كابل، فأنفذني ملكها لمّا وقف على خبري إلى مدينة بلخ، وعليها إذ ذاك داود ابن العبّاس بن أبي [أ] سود، فبلغه خبري وأنّي خرجت مرتاداً من الهند، وتعلّمت الفارسيّة وناظرت الفقهاء وأصحاب الكلام، فأرسل إليّ داود بن العبّاس فأحضرني مجلسه، وجمع عليّ الفقهاء فناظروني، فأعلمتهم أنّي خرجت من بلدي أطلب هذا

النبيّ الّذي وجدته في الكتب، فقال لي: من هو وما اسمه؟ فقلت: محمّد، فقال: هو نبيّنا الّذي تطلب، فسألتهم عن شرائعه فأعلموني، فقلت لهم: أنا أعلم أنّ محمّداً نبي ولا أعلمه هذا الّذي تصفون أم لا، فأعلموني موضعه لأقصده فأسأله عن علامات عندي ودلالات، فإن كان صاحبي الّذي طلبت آمنت به، فقالوا: قد مضى ﷺ، فقلت: فمن وصيّه وخليفته؟ فقالوا: أبو بكر، قلت: فسمّوه لي، فإنّ هذه كنيته؟ قالوا: عبد الله بن عثمان ونسبوه إلى قريش، قلت: فأنسبوا لي محمّداً نبيّكم فنسبوه لي، فقلت: ليس هذا صاحبي الّذي طلبت، صاحبي الّذي أطلبه خليفته أخوه في الدين وابن عمه في النسب وزوج ابنته وأبو ولده، ليس لهذا النبيّ ذرّية على الأرض غير ولد هذا الرجل الّذي هو خليفته، قال: فوثبوا بي وقالوا: أيّها الأمير إنّ هذا قد خرج من الشرك إلى الكفر، هذا حلال الدم، فقلت لهم: يا قوم أنا رجل معي دين متمسّك به لا أفارقه حتّى أرى ما هو أقوى منه، إنّي وجدت صفة هذا الرجل في الكتب الّتي أنزلها الله على أنبيائه، وإنّما خرجت من بلاد الهند ومن العزّ الّذي كنت فيه طلباً له فلمّا فحصت عن أمر صاحبكم الّذي ذكرتم لم يكن النبيّ الموصوف في الكتب، فكفّوا عنّي. وبعث العامل إلى رجل يقال له: الحسين بن إشكيب [إسكيب] فدعاه فقال له: ناظر هذا الرجل الهندي، فقال له الحسين: أصلحك الله عندك الفقهاء والعلماء وهم أعلم وأبصر بمناظرته، فقال له: ناظره كما أقول لك واخلُ به والطف له، فقال لي الحسين بن إشكيب بعد ما فاوضته: إنّ صاحبك الّذي تطلبه هو النبيّ الّذي وصفه هؤلاء، وليس الأمر في خليفته[1] كما قالوا، هذا النبيّ محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب، ووصيّه عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب وهو زوج فاطمة بنت محمّد وأبو الحسن والحسين سبطي محمّد ﷺ، قال غانم أبو سعيد: فقلت: الله أكبر

---

(١) في الأصل «خليفة»، الصحيح ما أثبتناه.

هذا الّذي طلبت، فانصرفت إلى داود بن العبّاس، فقلت له: أيّها الأمير وجدت ما طلبت، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول‌الله، قال: فبرّني ووصلني، وقال للحسين: تفقّده، قال: فمضيت إليه حتّى آنست به، وفقّهني فيما احتجت إليه من الصلاة والصيام والفرائض، قال: فقلت له: إنّا نقرأ في كتبنا أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله خاتم النبيّين لا نبي بعده، وأنّ الأمر من بعده إلى وصيّه ووارثه وخليفته من بعده، ثمّ إلى الوصي بعد الوصي لا يزال أمر الله جارياً في أعقابهم حتّى تنقضي الدنيا فمن وصيّ وصيّ محمّد؟ قال: الحسن ثمّ الحسين ابنا محمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ ساق الأمر في الوصيّة حتّى انتهى إلى صاحب الزمان عليه السلام، ثمّ أعلمني ما حدث، فلم يكن لي همّة إلّا طلب الناحية.

فوافى قم، وقعد مع أصحابنا في سنة أربع وستين ومائتين، وخرج معهم حتّى وافى بغداد، ومعه رفيق له من أهل السند كان صحبه على المذاهب، قال: فحدّثني غانم قال: وأنكرت من رفيقي بعض أخلاقه، فهجرته وخرجت حتّى سرت إلى العباسيّة أتهيّأ للصلاة وأُصلّي، وإنّي لواقف متفكّر فيما قصدت لطلبه، إذا أنا بآتٍ قد أتاني فقال: أنت فلان؟ ـ اسمه بالهند ـ فقلت: نعم، فقال: أجب مولاك، فمضيت معه فلم يزل يتخلّل بي الطرق حتّى أتى داراً وبستاناً، فإذا أنا به عليه السلام جالس، فقال: مرحباً يا فلان ـ بكلام الهند ـ كيف حالك؟ وكيف خلّفت فلاناً وفلاناً؟[1] حتّى عدّ الأربعين كلّهم، فساءلني عنهم واحداً واحداً، ثمّ أخبرني بما تجارينا[2]، كلّ ذلك بكلام الهند، ثمّ قال: أردت أن تحج مع أهل قم؟ قلت: نعم، يا سيّدي! فقال: لا تحج معهم وانصرف سنتك هذه[3]، وحجّ في قابل، ثمّ ألقى إليّ صرّة كانت بين يديه، فقال لي:

---

(١) رقم المختار ٣١١. (٢) أي ما جرى من الحديث بيننا.

(٣) نفس المختار المبحوث فيه.

اجعلها نفقتك[١] ولا تدخل إلى بغداد إلى فلان سمّاه، ولا تطلعه على شيء، وانصرف إلينا إلى البلد، ثمّ وافانا بعض الفيوج[٢] فأعلمونا أنّ أصحابنا انصرفوا من العقبة، ومضى نحو خراسان، فلمّا كان في قابل حجّ، وأرسل إلينا بهديّة من طرف خراسان فأقام بها مدّة، ثمّ مات ﷺ[٣].

أقول: سبق ذكرها مع اختلاف ألفاظها برواية الصدوق.

* * *

(١) انظر: المختار رقمه ١٩، برواية الصدوق: «...في نفقتك».
(٢) الّذي يحمل الأخبار من بلد إلى بلد النهاية ٣: ٤٨٣.
(٣) أُصول الكافي ١: ٥١٥ ـ ٥١٧، ح ٣.

٣٢٠

لا تخاشن أصحابك وشركاءك

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام المأثورة عن العجوز المأمورة في إيصالها إلى يعقوب بن يوسف الغسّاني، الّتي أسكنها الإمام العسكري عليه السلام في مكّة في دار خديجة المعروفة بدار الرضا وبشّرها بالرؤية على حدّ حديثها:

«فقالت: كنت خادمة للحسن بن عليّ عليهما السلام، فلمّا استيقنت ذلك قلت[1]: لأسألنّها عن الغائب، فقلت: بالله عليك رأيته بعينك؟ فقالت: يا أخي لم أره بعيني، فإنّي خرجت وأُختي حبلى وبشّرني الحسن بن عليّ عليهما السلام بأنّي سوف أراه في آخر عمري، وقال لي: تكونين له كما كنت لي[2]...»[3].

وإليك من رواية الشيخ الطوسي للحديث المتقدّم ذكره عند «صلّ عليهم كلّهم وسمّهم»[4] المطوّلة ما يربط المختار:

«فقلت[5] لها: يا فلانة إنّي أُحبّ أن أسألك وأُفاوضكِ من غير حضور من معي فلا أقدر عليه، فأنا أُحبّ إذا رأيتيني في الدار وحدي أن تنزلي إليّ لأسالك عن أمر، فقالت لي مسرعة: وأنا أُريد أن أسرّ إليك شيئاً فلم يتهيّأ لي ذلك من أجل من معك،

---

(١) القائل الغسّاني.

(٢) مثل: «كان لي كما كنت لرسول الله صلّى الله عليه واله...» في الأشتر. شرح النهج لابن أبي الحديد ١٥: ٩٨.

(٣) الغيبة: ١٦٧.

(٤) رقمه ٢٢٩.

(٥) القائل الغسّاني.

فقلت: ما أردت أن تقولي؟ فقالت: يقول لك ـ ولم تذكر أحداً ـ: لا تخاشن أصحابك وشركاءك، ولا تلاحقهم؛ فإنّهم أعداؤك ودارهم، فقلت لها: من يقول؟ فقالت: أنا أقول، فلم أجسر لما دخل قلبي من الهيبة أن أُراجعها فقلت: أيّ أصحابي تعنين؟ فظننت أنّها تعني رفقائي الّذين كانوا حجّاجاً معي، قالت: شركاءك الّذين في بلدك وفي الدار معك وكان جرى بيني وبين الّذين معي في الدار عنت في الدين، فسعوا بي حتّى هربت واستترت بذلك السبب، فوقفت على أنّها عنت أُولئك، فقلت: ما تكونين أنت من الرضا؟ فقالت: كنت...»[1].

أقول:

فاسترسلت في حديثها الّذي صدّرناه بقولنا: «فقالت: كنت...» فلا تغفل، وتجد التقيّة والتستر المشدّد في حديثها قائلة: «يقول لك» ، ولمّا لم يأخذ يعقوب بن يوسف الضرّاب الغسّاني الإشارة، وطفق يسأل عن القائل؟ «فقالت: أنا أقول»، وكذا تكون مقالة الأُمناء والأمينات، والواجب على المؤمن الكتمان، والفقه وحفظ الأمانة، والمداراة مع الأصحاب والشركاء، ومن لم يكن على مذهبه: (استر ذهبك وذهابك ومذهبك)[2].

* * *

(١) الغيبة: ١٦٧.

(٢) أمثال وحكم ١: ١٧١.

٣٢١
لا تخف فإنّ الله يشفيك من هذا المرض

من قصّة الشيخ محمّد حكاها الشيخ الحرّ محمّد بن الحسن صاحب كتاب الوسائل، وصورتها قال:

ومنها[١]: إنّا كنّا جالسين في بلادنا في قرية مشغرى[٢]، في يوم عيد ونحن جماعة من طلبة العلم والصلحاء، فقلت لهم: ليت شعري في العيد المقبل من يكون من هؤلاء الجماعة حيّا؟ ومن يكون قد مات؟ فقال لي رجل كان اسمه الشيخ محمّد، وكان شريكنا في الدرس: أنا أعلم أنّي أكون في عيد آخر حيّاً وفي عيد آخر وعيد آخر إلى ستّ وعشرين سنة، وظهر منه أنّه جازم بذلك من غير مزاح، فقلت له: أنت تعلم الغيب؟ فقال: لا، ولكنّي رأيت المهدي عليه السلام في النوم وأنا مريض شديد المرض، فقلت له: أنا مريض وأخاف أن أموت، وليس لي عمل صالح ألقى الله به، فقال: لا تخف فإنّ الله يشفيك من هذا المرض، ولا تموت فيه، بل تعيش ستّاً وعشرين سنة، ثمّ ناولني كأساً كان في يده فشربت منه، وزال عنّي المرض وحصل لي الشفاء وجلست، وأنا أعلم أنّ هذا ليس من الشيطان. فلمّا سمعت كلام الرجل

---

(١) أي من معجزاته عليه السلام.

(٢) قال الحموي: مشغرى، بالفتح ثمّ السكون، وغين معجمة، وراء: «قرية من قرى دمشق من ناحية البقاع، ينسب إليها أبو الجهم أحمد بن الحسين...» والقرشي المشغراني الدمشقي... «وعليّ بن الحسين بن عبدالرزّاق أبوالحسن المشغراني الدمشقي...» معجم البلدان ٥: ١٣٤.

كتبت التأريخ، وكان سنة ألف وتسعة وأربعين، ومضيت لذلك مدّة طويلة، وانتقلت إلى المشهد المقدّس سنة ألف واثنين وسبعين، فلمّا كانت السنة الأخيرة وقع في قلبي أنّ المدّة انقضت، فرجعت إلى ذلك التأريخ وسنته، فرأيت قد مضى منه ستّة وعشرون سنة، فقلت: ينبغي أن يكون الرجل مات. فما مضيت إلّا مدّة نحو شهر أو شهرين حتّى جاءتني كتابة من أخي وكان في البلاد يخبرني أنّ الرجل المذكور مات[1].

بيان:

لا استبعاد في حصولها من هذا الرجل الصالح زميل الشيخ الحرّ الرائي الإمام المهديّ عليه السلام في النوم ستّ مرّات، على حدّ تعبيره، والظنّ أنّه رآه في اليقظة عبّر عنها بالرؤيا كزميله.

* * *

(١) إثبات الهداة ٧: ٣٨٢، جنّة المأوى المطبوع مع البحار ٥٣: ٢٧٣، الحكاية السابعة والثلاثون.

٣٢٢
لا تراني اتّخذت لا وعلاها

قال الشيخ محمّد السماوي:[١] أخبرني السيّد العالم الفاضل الأديب السيّد باقر ابن السيّد السعيد العلّامة السيّد محمّد ابن السيّد هاشم ابن السيّد التقي الصالح مير شجاعت عليّ الرضوي الهندي النجفي المتوفّى سنة ١٣٢٩، ودفن مع أبيه في داره، قال: رأيت في منامي المهديّ عجّل الله فرجه وسهّل مخرجه، ليلة الغدير حزيناً باكياً، فجئت إليه وسلّمت عليه وقبّلت يديه، وكأنّه يفكّر، فقلت: يا سيّدي! إنّ هذه أيّام فرح وسرور بعيد الغدير، وأراك حزينا تبكي، فقال: ذكرت أُمّي الزهراء وحزنها، ثمّ أنشد يقول:

لا تراني اتّخذت لا وعلاها　　　بعد بيت الأحزان بيت سرور

قال: فانتبهت من نومي ونظمت قصيدة في أحوال الغدير، وذكرت الزهراء عليها السلام، وذكرت بيته عليه السلام في ضمنها وهي:

ليس إنكارك الولا بالجدير　　　بعد ما قد سمعت نصّ الغدير

فتبصّر تبصر هداك إلى الحقّ　　　فليس الأعمى به كالبصير

---

(١) هو الشيخ محمّد بن طاهر بن حبيب... المتولّد ١٢٩٢ هـ، والمتوفّى ١٣٧٠ هـ، وقد ترجمه جمع، منهم عليّ الخاقاني في موسوعته (شعراء الغري أو النجفيّات) ١٠: ٤٧٥ ـ ٥٠٣. وهذه الموسوعة طبعت مرّة أُخرى في إيران، قم المقدّسة، في ١٢ مجلّداً، ١٤٠٨ هـ، في مطبعة بهمن. فراجعه فقد تناول المترجم له من جلّ نواحيه.

ليس تعمى العيون لكنّما تعمى ... القلوب الّتي انطوت في الصدور

يوم أوحى الجليل يأمر طاها ... وهو سار أن مر بترك المسير

حطّ رحل السرى على غير ماء ... وكلا في الفلا بحرّ الهجير

ثمّ بلّغهم وإلّا فما بلّغت ... وحياً عن اللطيف الخبير

أقم المرتضى إماماً على الخلق ... ونوراً يجلو دجى الديجور

فرقى آخذاً بكفّ عليّ ... منبراً كان من حدوج وكور

قائلاً ذا أميركم ووليّ الأ ... مر بعدي ووارثي ووزيري

هو مولى لكلّ من كنت مولاه ... من الله في جميع الأُمور

أفصبراً يا صاحب الأمر والخطب ... جليل مستغرب في الدهور

كم مصاب يطول فيه بياني ... قد عرا الطهر في الزمان القصير

فكأنّي به يقول ويبكي ... بسلوّ نزر ودمع غزير

لا تراني اتّخذت لا وعلاها ... بعد بيت الأحزان بيت سرور

أقول: والقصيدة طويلة كتبت منها ما أمكن، وهي مشهورة محفوظة للقرّاء الذاكرين، وأبدلت منها المطلع؛ إيثاراً للمناسبة[١].

الرؤيا المذكورة في كتاب أدب الطّف تخالف المتقدّمة الذكر ولمزيد الوضوح ننقلها من الكتاب المذكور ولعلّها رؤيتان في كلّ منهما الشعر:

* «لا تراني اتّخذت لا وعلاها...» *[٢]

الرؤيا المذكورة كانت في أيّام عيد الغدير بينما المنقولة كما تأتي كانت في

---

(١) ظرافة الأحلام في النظم المتلوّ في المنام لأهل البيت الحرام ص ٨١ ـ ٨٢، المطبوع في المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف ١٣٦٠ هـ.

(٢) الضمير عائد إلى الزهراء عليها السلام واحتمل بعض عوده إلى السماء أي قسماً بعُلا السماء وهو بعيد جدّاً، بل العود إليها عليها السلام متعيّن يظهر وجهه لمن طالع القصيدة، وتدبّرها.

جمادى الثانية، وأين هذه من ليلة الغدير كما تقدّم ومن المحتمل [١] أنّ السماوي قد سمعها وهو شابٌ لا يكترث بها ولم يكن تأريخ المنام عنده بذات أهمّيّة أو حين كتابتها نسي ما كان قد سمعه أيّام شبابه [٢]، فكتب ذلك.

ومن البعيد جدّاً أنّ السيد الهندي رأىٰ رؤيتين إحداهما: ليلة الغدير والثانية: ليلة الثالث من جمادى الآخرة التي اعتبروها من شواهد صحّة وفاة الزهراء عليها السلام بشعر المهديّ عليه السلام:

لا تراني اتّـخذت لا وعـلاها   بعد بيت الأحزان بيت سرور

توضيح:

قال السيّد جواد شبّر في كتابه أدب الطف في ترجمة السيّد باقر الهندي:

أقول: وأعطاني المرحوم السيّد حسين ولد المترجم له ورقة فيها ترجمة شاعرنا، وقال لي: إنّي كتبتها بخطّي [٣] وحسب ما أعرف عن المترجم له وفيها: العلّامة الفقيه الحكيم المتكلّم السيّد باقر نجل آية الله السيّد محمّد الهندي وُلد في غرّة شعبان ١٢٨٤، ونشأ منشأً طيّباً في زمن صالح، وتعلّم القرآن والكتابة في مدّة يسيرة، وكان مولعاً بالأُمور الإصلاحيّة وله في ذلك مواقف مشهودة، وله مؤلّفات لم تزل مخطوطة نحتفظ بها منها: رسالة في (حوادث المشروطة) فيها ما يهمّ رجال الإصلاح والدعاة المصلحين، كما كتب في الأخلاق. وكان شديد الولاء لأهل البيت عليهم السلام عظيم التعلّق بمودّتهم، وفي الليلة الثالثة من جمادى الثانية في سنيّ

---

(١) المحتمل هو الشيخ محمّد السماوي والاحتمال بعيد لأنّ ولادة السماوي ١٢٩٢ هـ ومات ١٣٧٠، وتوفّي السيّد باقر الهندي ١٣٢٩ فكان السماوي على أقلّ تقدير حين سماع رؤيا الهندي من أبناء الثلاثين سنة.

(٢) بعيد غاية البعد وقد بيّن وجهه فتدبّر.

(٣) توفّي المترجم له وعمر السيّد حسين ابنه كان سنة واحدة، على ما قاله لي ابن ابنه السيّد عبد الصاحب والد السيّد علاء الدين حفظهما الله.

إقامتنا بسرّ من رأى، رأى في المنام كأنّـه جـالس بـحضرة ولي الأمـر وصـاحب العصر عليه السلام وهو في قصر مشيد فجعل يخاطبه قائلاً: سيّدي يغيب عـنك مـا حـلّ بأُسرتك الطاهرة، ولو لم يكن إلّا ما جرى على أُمّك الزهراء فحنّ الإمام عليه السلام والتفت إليه قائلاً:

لا تــرانــي اتّـخذت لا وعـلاها   بعد بـيت الأحـزان بـيت سـرور

ثمّ بكيا معاً حتّى انتبهنا من النوم بصوت بكائه ونبهناه فـقصّ عـلينا الرؤيـا، فاستشعر الوالد من ذلك صحّة هذه الرواية (يعني وفاة الصـديقة فـي الثـالث مـن جمادى الثانية).

لذا نظم على وزن هذا البيت قصيدته الشهيرة والّتي أوّلها:

«كـــلّ غـــدر وقـــول إفكٍ وزور   هو فرع عن جحد نصّ الغدير...»[١]

أقول: وضمّنها مصائب الزهراء عليها السلام، ولكنّ نظم السيّد باقر الهندي طاب ثـراه بعد انتباهه من النوم قصيدته الرائيّة الغديريّة الّتي في ضمنها شعر الإمام المهديّ عليه السلام شاهد صدق على أنّ الرؤيا كانت في أيّام عيد الغدير فيشبه أن يكون ما في أدب الطفّ الآنف الذكر سهواً، على أنّ نفس الشعر:

* بعد بيت الأحزان بيت سرور *

شاهد آخر على أنّها رؤيت الرؤيا في أيّام عيد الغدير الأغرّ، وأنّ السـماوي بنفسه يروي من السيّد باقر الهندي صاحب الرؤيا رؤياه المتقدّمة الذكر، وأين هذه من تلك الورقة المذكورة فيها ترجمته طاب ثـراه المـحتملة الاشـتباه والتـلاعب، وكما قيل: هذه دراية وتلك رواية لا تقاوم الدراية، فمن كلّ ذلك يمكننا التـرجـيح لقول السماوي.

---

(١) أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام ٨: ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

عود على البيت:

لا تــرانــي اتّــخذت لا وعــلاها بعد بــيت الأحــزان بــيت ســرور

الأصل لقصيدة السيّد الهندي الّتي نظمها بمناسبة البيت المذكور في عيد الغدير، ولعمري أنّ قصيدته العصماء ممّا يتبرّك به كالّتي نظمها ابن العرنّدس الشيخ صالح ابن عبد الوهّاب الحلّي طاب ثراهما، وهما يتركان في النفس مزيد الشوق والولاء، ومطلع الثانية:

طوايا نظامي في الزمان لها نشـر يعطّرها من طيب ذكراكـم نشـر

انظر المختار:

* أيُقتَلُ ظَمآناً حسين بكربلاء *[1]

(١) رقمه ١٢٨.

٣٢٣
لا تشكّنّ فودّ الشيطان أنّك شككت

من قصّة الحسن بن النضر المتقدّمة الذكر عند «خذهما فستحتاج إليـهما»[١] بكاملها؛ ولأجله لا نذكر من القـصّة إلّا بـقدر الحـاجة بـروايـة الشـيخ الكـليني طاب ثراه، قال الحسن بن النضر:

«وإذا بيتٌ عليه سترٌ، فنوديتُ منه يا حسن بن النضر أحمد الله على ما منّ الله به عليك، ولا تشكّنّ فودّ الشيطان أنّك شككت. وأخرج إليّ ثوبين، وقيل...»[٢].

أقول: إنّ الدلالة على إمامة الإمام المهديّ عليه السلام تمّت للحسن بن النـضر وزال شكّه في الخلف بعد مضي العسكري عليه السلام، وفـي الرقـعة الخـارجـة عـن النـاحية المحفوفة بالنور والجلال أمره بأن يحمد الله تعالى على ما منّ به عليه من الدلالة، كما أمر عليه السلام بذلك في التوقيع الصادر لمحمّد بن إبراهيم مهزياري الشاك، وزال شكّه بعد الصدور، فانظر كلمة «احمد الله»[٣].

والشكّ والشرك كلاهما في النار، ولا بدّ من اليقين في الدين، وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٤]. بيان الحـصول عليه، قال الطباطبائي في تفسيره:

---

(١) رقمه ١٧٩.
(٢) أُصول الكافي ١: ٥١٨، ح ٤.
(٣) رقمه ٢٢.
(٤) إبراهيم: ١٠.

إنّا نرى في أوّل ما نعقل أنّ لهذا العالم المشهود الذي هو مؤلّف من أشياء كثيرة كلّ واحد منها محدود في نفسه متميّز عن غيره وجوداً، وليس وجوده ولا وجود شيءٍ من أجزائه من نفسه وقائماً بذاته، وإلّا لم يتغيّر ولم ينعدم، فوجوده ووجـود أجزائه وكذا كلّ ما يرجع إلى الوجود من الصفات والآثار من غيرها ولغيرها، وهذا الغير هو الله الذي نسمّيه «الله» عزّ اسمه.

فهو تعالى الذي يوجد العالم وكلّ جزء من أجزائه ويحدّه ويميّزه من غيره فهو في نفسه موجود غير محدود وإلّا لاحتاج إلى آخر يحدّده، فهو تعالى واحد لا يقبل الكثرة؛ لأنّ ما لا يحدّ بحدّ لا يقبل الكثرة.

وهو بوحدته يدبّر كلّ أمر كما أنّه يوجده؛ لأنّه هو المالك لوجودها والكلّ أمر يرجع إلى وجودها، ولا يشاركه غيره في شيء؛ لأنّ شيئاً من المـوجودات غـيره لا يملك لنفسه ولا لغيره، فهو تعالى ربّ كلّ شيء لا ربّ غيره، كما أنّه موجد كلّ شيءٍ لا موجد غيره.

وهذا برهان تام سهل التناول حتّى الأفهام البسيطة يناله الإنسان الّذي يذعن بفطرته أنّ للعالم المشهود حقيقة وواقعيّة من أن يكون وهـماً مـجرّداً كـما يـبديه السفسطة والشك، ويثبت به توحّد الأُلوهيّة والربوبيّة، ولذلك تمسّك بـه فـي هـذا المقام الّذي هو مقام خصام الوثنيّة.

ومن هنا يظهر فساد زعم من زعم أنّ قـوله: ﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ حجّة مسوقة لإثبات خالق للعالم، وكذا قول من قال: إنّه دليل اتّـصال التدبير لتوحيد الربوبيّة، بل هو برهان عليه تعالى من جهة قيام وجود كـلّ شـيء وآثار وجوده به من كلّ جهة، فينتج توحّده في الربوبية ويزول به ما أيّدوه من الشكّ بقولهم: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [1]

---

(١) تفسير الميزان ١٢: ٢٦ ـ ٢٧، والآية ٩ من سورة إبراهيم، وانظر بقيّة الآيات.

لا شكّ أنّ الّذي يحمل الفكر الصحيح إذا شاهد الكون وانتظامه يمتلك اليقين ويؤمن بخالقه الحكيم تعالى، وأنّ الحسن بن النضر إنّما عرضه الشكّ وما أبداه لعلّه ليظفر بمزيد الدلالة والبرهان على الإمامة لنفسه، ولإسماع الأخرين قول الإمام المهديّ عليه السلام: «لا تشكنّ فودّ الشيطان أنّك شككت» وحتّى يفرح بإغوائه ووسوسته في الإمامة ثمّ النبوّة ثمّ الربوبيّة؛ للعلقة وعدم التفكيك بينها، كما ويحتمل أنّه كان شاكّاً والله تعالى أزال عنه ذلك.

القرآن والحديث والشكّ:

ندّد القرآن الكريم الشكّ في خمسة عشر موضعاً، ويدعو حامله على التفكّر الّذي ثمرته زوال الشكّ والحصول على اليقين، ولا يرضى له الضلالة والحيرة والجهل ونحو ذلك ممّا يبرأ منه الدين.

وأمّا الحديث فحدّث ولا حرج، ومنه الحديث الجاري الذاهب بشكّ ابن النضر، بل لو تدبّر متدبّر لوجد الكتاب والسنّة ذاهبان بكلّ شكّ وضلال، ومزيدان في الإيمان واليقين، ولا يقوم عنهما الإنسان إلّا بزيادة اليقين والهدى لا محالة.

من أحاديث الشك:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «عزب رأي امرئ تخلّف عني، ما شككت في الحقّ مذ أريته»(١).

والآخر: «إنّي لعلى يقين من ربّي وغير شبهة في ديني»(٢).

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ٢٠٧، الخطبة ٤.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ٣٠٣، الخطبة ٢٢ وكيف لا يكون كذلك وهو القائل: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»، البحار ٤٦: ١٣٥.

والآخر: «لا ترتابوا فتشكّوا، ولا تشكّوا فتكفروا، ولا ترخصوا لأنفسكم فتدهنوا»(١).

والآخر: «الشكّ على أربع شعب: على التماري. والهول. والتردّد. والاستسلام. فمن جعل المراء دِيدناً لم يصبح ليله، ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه، ومن تردّد في الريب وطئته سنابك الشياطين، ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما»(٢).

وفي الكافي بالإسناد عن الحسين بن الحكم قال: كتبت إلى العبد الصالح عليه السلام أخبره أنّي شاكّ وقد قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـى الْـمَوْتَى...﴾(٣) وإنّي أُحبّ أن تريني شيئاً، فكتب عليه السلام: أنّ إبراهيم كان مؤمناً وأحبّ أن يزداد إيماناً، وأنت شاكّ والشاكّ لا خير فيه... إلى أن قال: وكتب أنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾(٤)، قال: نزلت في الشاكّ(٥).

والصادقي عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾(٦) قال: بشكّ(٧).

والآخر: «إنّ الشكّ والمعصية في النار، ليسا منّا ولا إلينا»(٨).

والباقري: قال: «لا ينفع مع الشكّ والجحود عمل»(٩).

وفي صحيح محمّد بن مسلم عن أحدهما قال: قلت: إنّا لنرى الرجل له عبادة واجتهاد وخشوع ولا يقول بالحقّ، فهل ينفعه ذلك شيئاً؟ فقال: يا أبا محمّد إنّما مثل

---

(١) البحار ٢: ٥٤.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨: ١٤٣، الحكمة ٣١.

(٣) البقرة: ٢٦٠.

(٤) الأعراف: ١٠٢.

(٥) أُصول الكافي ٢: ٣٩٩ ح ١.

(٦) الأنعام: ٨٢.

(٧) أُصول الكافي ٢: ٣٩٩ ح ٤.

(٨) أُصول الكافي ٢: ٤٠٠ ح ٥.

(٩) أُصول الكافي ٢: ٤٠٠ ح ٧.

أهل البيت مثل أهل بيت كانوا في بني اسرائيل كان لا يجتهد أحد منهم أربعين ليلة إلّا دعا... فلم يستجب له فأتى عيسى بن مريم عليه السلام يشكو إليه ما هو فيه ويسأله الدعاء، قال: فتطهّر عيسى وصلّى ثمّ دعا الله عزّ وجلّ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه يا عيسى إنّ عبدي أتاني من غير الباب الذي أُوتي منه: إنّه دعاني وفي قلبه شكّ منك، فلو دعاني حتّى ينقطع عنقه وتنتشر أنامله ما استجبت له، قال: فالتفت إليه عيسى عليه السلام فقال: تدعو ربّك وأنت في شكّ من نبيّه؟ فقال: يا روح الله وكلمته قد كان والله ما قلت، فادع الله [لي] أن يذهب به عنّي، قال: فدعا له عيسى عليه السلام فتاب الله عليه وقبل منه، وصار في حدّ أهل بيته[١].

الوسوسة وحديث النفس:

في صحيح جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنّه يقع في قلبي أمر عظيم، فقال: قل: «لا إله إلّا الله، قال جميل: فكلّما وقع في قلبي شيء قلت: لا إله إلّا الله فيذهب عني»[٢].

وصحيح محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله هلكت، فقال له: أتاك الخبيث فقال لك: من خلقك؟ فقلت: الله، فقال لك: الله من خلقه؟ فقال: ـ أي والذي بعثك بالحقّ لكان كذا ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ذاك والله محض الإيمان»[٣].

والصادقي الآخر: المفسّر للحديث النبوي: «إنّما عنى بقوله هذا: والله محض الإيمان خوفه أن يكون قد هلك حيث عرض له ذلك في قلبه»[٤].

والباقري: إنّ رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله! إنّني نافقت، فقال:

---

(١) أُصول الكافي ٢: ٤٠٠ ح ٩.
(٢) أُصول الكافي ٢: ٤٢٤ ح ٢.
(٣) أُصول الكافي ٢: ٤٢٥ ح ٣.
(٤) أُصول الكافي ٢: ٤٢٥ ذيل الحديث ٣.

والله ما نافقت ولو نافقت ما أتيتني، تعلمني ما الّذي رابك؟! أظنّ العدوّ الحاضر أتاك، فقال لك: من خلقك؟ فقلت: الله خلقني، فقال لك: من خلق الله؟ قال: إي والّذي بعثك بالحقّ لكان كذا فقال: إنّ الشيطان أتاكم من قبل الأعمال فلم يقو عليكم فأتاكم من هذا الوجه لكي يستزلّكم، فإذا كان كذلك فليذكر أحدكم الله وحده[١].

أقول:

ليس الحديث الأخير تكراراً لما سبقه، نعم، لولا آخره لكان كذلك، والرجل يبدو أنّه من الصالحين؛ حيث شهد له النبيّ سلامة أعماله، ولكنّه صلى الله عليه وآله حذّره وعلّمه سبيل الخلاص من وسوسة الشيطان بأن يذكر الله وحده حتّى تسكن نفسه ويستريح إلى كهف الذكر والحصن الحصين، وحتّى يكون من الآمنين من تشكيكاته ووساوسه، وجاء الأمر بالاستعاذة به تعالى في سورة الناس ﴿بِسْمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيم * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[٢].

وإنّ الله تعالى يُعيذ من استعاذه يقينا ويدحر عنه شَيطانه، فيدخل في عباده الآمنين إن شاء الله.

* * *

(١) أُصول الكافي ٢: ٤٢٥ ح ٥. (٢) سورة الناس.

٣٢٤
لا تطلب أثراً بعد عين

من الأمثال السائرة الّتي ضربها الإمام المهديّ عليه السلام لأحمد بن إسحاق الأشعري القمّي عندما طلب الدلالة على إمامته من أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام، وأسلفنا قصته برواية الصدوق طاب ثراه بإسناده إليه بكاملها عند «أنا بقيّة الله»[1]، وفيها قال أحمد عند رؤية الغلام عليه السلام:

«فقلت له: يا مولاي فهل من علامة يطمئن إليها قلبي؟ فنطق الغلام عليه السلام بلسان عربي فصيح، فقال: أنا بقيّة الله في أرضه، والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عينٍ يا أحمد بن إسحاق...»[2].

قال البغدادي في خزانة الأدب عند قصّة سِماك بن عمرو الباهلي، والتخيير بين قتله وقتل أخيه مالك: وهو أوّل من قال: (لا أطلب أثراً بعد عين)؛ لوقوع وذكر مصرع في أبيات له كما جاء في أشعار جاهليّة ممّن تقدّمه ألا وهو:

* فللموت ما تلد الوالدة *

قال: ووقع في شعر سِماك عمرو الباهلي أيضاً، وهو أوّل من قال: «لا أطلب أثراً بعد عين»، وهو جاهلي أيضاً. قال: لمّا خيّر بين أن يقتل هو أو أخوه مالك، فقتلوه دون أخيه من أبيات:

فــأقسم لو قــتلوا مــالكاً	لكنتُ لهـم حـيّة راصـدة
برأس سبيل عـلى مَـرقبٍ	ويوماً عـلى طُـرقٍ واردة

---

(١) رقمه ٨٧.

(٢) إكمال الدين ٢: ٣٨٤، الباب ٣٨ ح ١.

فأُمّ سِماكٍ فلا تجزعي	فللموت ما تلد الوالدة[1]

(١) الخزانة ٩: ٥٣٤.

أقول: وإليك ما جاء المصرع في أبيات من تقدّمه، وما دعاهم على ذلك بشكل موجز، ومقتطف. قال البغدادي في الشاهد الثالث والتسعين بعد السبعمائة:

* لدوا للموت وابنوا للخراب *

على أنّ اللام في قوله (للموت) تسمّى بلام العاقبة وهي فرع لام الاختصاص... إلى أن قال: وبقول الشاعر:

فللموت تغدو الوالدات سخالها	كما لخراب الدور تُبنى المساكن

ويقول الآخر:

فإن يكن الموت أفناهم	فللموت ما تلد الوالدة

وهذا المصراع من أبيات (في الديوان المنسوب إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام) وهي:

عجبت لجازع باكٍ مصابٍ	بأهلٍ أو حبيبٍ ذي اكتئاب
شقيق الجيب داعي الويل جهلاً	كأنّ الموت كالشيء العُجاب
وسوّىٰ الله فيه الخلق حتّى	نبيّ الله عنه لا يُحاب
له مَلَكٌ ينادي كلّ يومٍ	لدوا للموت وابنوا للخراب

ـ و قال: ـ قد روي أنّ بعض الملائكة قال:

لدوا للموت وابنوا للخراب	فكلّكُم يصير إلى الذهاب

ـ و ـ لنهيكة بن الحارث المازني من مازن فزارة:

لا يبعد الله ربّ العبا	د والملح ما ولدت خالدة
هم المطعمو الضيف شحم السنا	م والقاتلو الليلة الباردة
هم يكسرون صدور الرما	ح في الخيل تطرد أو طاردة
يذكّروني حسن آلآئهم	تفجّع ثكلانة فاقدة
فإن يكن القتل أفناهم	فللموت ما تلد الوالدة

ـ و للآخر قال ـ:

لا غرو من عيشة نافدة	وهل غير ما ميتة واحدة
فأبلغ بنيّ وأعمامهم	بأنّ المنايا هي الراصدة
لها مدّة فنفوس العباد	إليها وإن كرهت قاصدة
فلا تجزعوا لِحمامٍ دنا	فللموت ما تلد الوالدة

خِزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب ٩: ٥٢٩ ـ ٥٣٤، مقتطفات منه.

ومن صيغ ومشتقّات المثل ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال ابن عبد ربّه في العقد الفريد، في الفُرص: قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «انتهزوا هذه الفُرص؛ فإنّها تمرّ مرّ السحاب، ولا تطلبوا أثراً بعد عين»[١].

أقول:

سواء أكان هذا المثل على صيغة «لا تطلب أثراً بعد عين» كما عن الإمام المهديّ عليه السلام في صلب الموضوع، أم «و لا تطلبوا أثراً بعد عين» كالعلوي المروي، أم على صورة أوّل من قال «لا أطلب أثراً بعد عين» سِماك بن عمرو الباهلي في قصّة قتل أخيه مالك، أم على ما قاله وهب بن قابوس المزني وابن أخيه الحارث بن عقبة في غزوة أُحد يأتي ذكرهما: «لا نبتغي أثراً بعد عين» أم صيغة أُخرى من صيغة التي سارت على اللسان، ومشت بها الركبان؛ فإنّ المرمى في الكلّ واحد، لا يصعب تطبيقه على موارده، وإن تنوّعت وتفرّعت عن أصلها؛ لأنّ التفريع بعد إلقاء الأُصول على الخبير غير عسير، وقد جاء الأمر به عن الصادق عليه السلام: «قال: إنّما علينا أن نلقي إليكم الأُصول وعليكم أن تفرّعوا»[٢]، ونقل من كتاب أحمد بن أبي نصر عن الرضا عليه السلام قال: علينا إلقاء الأُصول إليكم وعليكم التفريع[٣].

إنجاز ما وعدناك:

في البحار قال الواقدي: وأقبل وهب بن قابوس المزني ومعه ابن أخيه الحارث ابن عقبة بغنم لهما من جبل جهينة[٤] فوجدا المدينة خلواً، فسألا أين الناس؟ قالوا: بأُحُد، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يقاتل المشركين من قريش، فقالا: لا نبتغي أثراً بعد

---

(١) العقد الفريد ١: ٦٠، طبع دارالكتاب العربي ـ بيروت ـ.

(٢) السرائر ٣: ٥٧٥. (٣) السرائر ٣: ٥٧٥.

(٤) في هامش البحار ٢٠: ١٣٤، في المصدر، من جبل مزينة.

عين، فخرجا حتّى أتيا النبيّ صلى الله عليه وآله بأُحد، فوجد القوم يقتتلون، والدولة لرسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه، فأغارا مع المسلمين في النهب، وجاءت الخيل من ورائهم خالد وعِكرمة، فاختلط الناس، فقاتلا أشد القتال، فانفرقت فرقة من المشركين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لهذه الفرقة؟ فقال وهب: أنا، فقام فرماهم بالنبل حتّى انصرفوا، ثمّ رجع فانفرقت فرقة أُخرى، فقال صلى الله عليه وآله: من لهذه الكتيبة؟ فقال المزني: أنا يا رسول الله، فقام فذبّها بالسيف حتّى ولّت ثمّ رجع، فطلعت كتيبة أُخرى، فقال صلى الله عليه وآله: من يقوم لهؤلاء؟ فقال المزني: أنا يا رسول الله، فقال: قم وابشر بالجنّة، فقام مسروراً يقول: والله لا أقيل ولا أستقيل، فجعل يدخل فيهم ويضرب بالسيف ورسول الله صلى الله عليه وآله ينظر إليه والمسلمون حتّى خرج من أقصى الكتيبة، ورسول الله يقول: «اللّهمّ ارحمه» ثمّ يرجع فيهم، فما زال كذلك وهم محدقون به حتّى اشتملت عليه أسيافهم ورماحهم، فقتلوه، فوجد به يومئذٍ عشرون طعنة بالرماح كلّها قددخلت إلى مقتل[1]، ومثّل به أقبح المثل يومئذٍ، ثمّ قام ابن أخيه فقاتل كنحو قتاله حتّى قتل...[2].

ما كنّا نريد مقتلهما ولكن أردنا بذكره مضرب المثل الذي تمثّلا به، وأنّ المراد بالأثر مكان الرسول صلى الله عليه وآله المدينة حيث رأياها خلواً منه، وبالعين نفسه المقدّسة الكائنة في خارجها فسح جبل أُحُد. فالتحقا بالرفيق الأعلى، وفازا بالشهادة في سبيل الله بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

كما وأراد سماك الباهلي بالأثر أخاه مالك، وبالعين نفسه؛ حيث قتل دونه.

وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام بعد تخريج الحديث يهدف وراء المثل انتهاز الفرصة بالوقت الحاضر والخير المعجّل الّذي نحن فيه المكنّى عنه بالعين دون الوقت الّذي لم يأت من الزمان المستقبل أو الماضي المعبّر عنه بالأثر.

---

(١) في نسخة «قد خلصت إلى مقتل».

(٢) البحار ٢٠: ١٣٤ ـ ١٣٥.

ما فات مضى وما سيأتيك فأين ... قم فاغنتم الفرصة بين العدمين[١]

وأنّ الإمام المهديّ عليه السلام أراد بنهي أحمد بن إسحاق عن اتّباع والتماس البرهان بعد رؤية العين العيان نفسه المقدّسة، والمثل المشهور: جاء العيان فألوى بالأسانيد[٢].

أليس يكفي أحمد أن يعتقد بالخلف ويؤمن به بنطق الغلام وإخبار الإمام العسكري عليهما السلام بما جاء له، وأنّه يريد السؤال عن القائم مقامه من بعده، فأعطاه سؤله قبل السؤال، وأكرمه بأن أراه خاتم الأئمّة وغوث الأُمّة كشف الله تعالى عنها الغمّة بقيامه، وأرانا أيّامه عاجلاً، آمين، فطبّق ولا حرج أيّ مثل يرد عليك عنهم عليهم السلام، وقد أوجز في الكلام بضرب المثل حتّى يكون مقياساً مطّرداً لأحمد بن إسحاق وغيره في كلّ شيء يراه بعينه، ويدع الأثر والخبر عند رؤية الحقّ عياناً؛ إذ ليس الخبر كالمعاينة[٣]، ولا السماع مقيس بالمشاهدة، ولا ما غاب بما حضر.

* * *

(١) أمثال وحكم ٣: ١٣٨٩.

(٢) مجمع الأمثال ١: ١٩٠، المولّدون.

(٣) مجمع الأمثال ٢: ١٨٢، حرف اللام.

٣٢٥
لا تعودنّ يا ابن أبي روح إلى القول بجعفر

سبق حديث ابن أبي روح عند «خذ ما يعطيك لنفقتك إلى منزلك»[١] تجد قصته فيه بكاملها، كما وتجد بعضها عند المختار: «صر إلى بغداد وادفع المال إلى حاجز»[٢]؛ ولأجله خذ بعضاً منها يربط الكلمة التي نحن في صددها، قال الإمام المهديّ عليه السلام في الرقعة المرسلة إليه:

«ولا تعودنّ يا ابن أبي روح إلى القول بجعفر والمحبّة له، وارجع إلى منزلك...»[٣].

وإنّما أكّد عجّل الله فرجه النهي عن القول بجعفر والمحبّة له؛ لبطلان دعواه القيمومة، وكان صادّاً عن سبيل الحقّ، وقد أسلفنا ترجمته السوداء بالمناسبات الّتي لا تخفى على من نظر في الكتاب، والتوقيع الخارج عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال في شأنه، وليس ذلك مقصوراً عليه، بل هو عامّ لعامّة المنحرفين عن الحقّ كائناً من كان، ومهما كان نوعه.

وإنّك لتعرف عقليّة جعفر من خلال القصص المتقدّمة الذكر؛ إنّه طلب من الدولة أن يجعل الإمامة بعد مضي أبي محمّد العسكري عليه السلام إليه، وقد ردّ عليه السلطان

---

(١) رقمه ١٧٨، والمخاطب هو أحمد بن أبي روح.

(٢) رقمه ٢٢٥.

(٣) الخرائج والجرائح ٢: ٧٠١.

بأنّها ليس أمرها بيدي، وصورته كما يلي ثانية؛ لأنّها جاء ذكرها كَمَلاً عند «أعظم الله أجرك في نفسك»[١] في قصّة محمّدْ بن جعفر الحميري برواية الشيخ الصدوق قال:

وقال[٢]: يا أمير المؤمنين تجعل لي مرتبة أخي الحسن ومنزلته. فقال الخليفة: اعلم أنّ منزلة أخيك لم تكن بنا، إنّما كانت بالله عزّ وجلّ، ونحن كنّا نجتهد في حطّ منزلته والوضع منه، وكان الله عزّ وجلّ يأبى إلّا أن يزيده كلّ يوم رفعة؛ لما كان فيه من الصيانة وحسن السمت والعلم والعبادة، فإن كنت عند شيعة أخيك بمنزلته فلا حاجة بك إلينا، وإن لم تكن عندهم بمنزلته ولم يكن فيك ما كان في أخيك لم نُغن عنك في ذلك شيئاً[٣].

* * *

---

(١) رقمه ٥٨.

(٢) أي جعفر.

(٣) إكمال الدين ٢: ٤٧٩، الباب ٤٣.

٣٢٦
لا تفعل فإنّ في الإناء حيواناً ميتاً

من المحتمل أن يكون المختار من كلمات الإمام المهديّ ﷺ من قصّة السيّد مهدي القزويني السابقة الذكر عند «قد قبض على أحمد باشا الباباني»[١] المذكورة فيه بأسرها؛ ولأجله لا حاجة إلى التكرار، سوى ما يربط المختار:

«ثمّ إنّ الرجل أمر بعض خدمة الدار أن يأيته بماء، فأخذ الخادم الإناء ليغترف به ماءً من الحبّ فناداه! لا تفعل؛ فإنّ في الإناء حيواناً ميتاً، فنظر فيه فإذا فيه سام أبرص ميّت، فأخذ غيره، وجاء بالماء إليه، فلمّا شرب قام للخروج...»[٢].

ربّما يقال: هل الإمام ﷺ يحتاج لشرب الماء إلى الأمر به، وهو الماء المعين وبيمنه تتحرّك المتحرّكات؟

والجواب ظاهر بأنّ إخفاء الأمر من دواعي الأمر به، إن صحّت القصّة فباب التوجيه مفتوح بمصراعيه لأيّ تساؤل مهما كان السؤال بعد قرع السمع لما هو ممكن الوضع في بقعة الإمكان[٣].

فإن صحّ الخبر فإنّه إخبار بالمغيّب الذاهب بالشكّ عن القلوب، على أنّ القصّة قد اشتملت على عدد من المغيّبات:

---

(١) رقمه ٢٧٨.

(٢) جنّة المأوى المطبوع مع البحار ٥٣: ٢٨٣ ـ ٢٨٥.

(٣) في أمثال وحكم ٣: ١٢٢٨: (كلّ ما قرع سمعك من الغرائب فذره في بقعة الإمكان).

منها: ما وقع للحاج على المصاحب للصاحب عليه السلام في الطـريق إلى دار السـيّد مهدي من ذهاب المال والبشارة بالعود وتحسين الحال، وأداء الديون.

ومنها: الإخبار بالفروع المذكورة في الكراريس من كتاب مواهب الأفهام في شرح شرائع الإسلام.

ومنها: الإخبار بما حدث في الموصل ودخول نجيب باشا السليمانيّة فاتحاً لها، والقبض على أحمد باشا البابانى وخلع الدولة العثمانية.

وليس هذه الإخبارات أو ما هو أعظم منها من الأُمور العسيرة عند المعصوم عليه السلام لمن كان له أدنى إلمام بمعرفة الإمام ومقتضياته، وقد جاءت الروايات الصحيحة المصرّحة بالمعجزات الّتي تخضع لها النفوس؛ ومن ثمّ امتاز الأنبياء والأوصياء عليهم السلام بها عن سائر الناس. وإذا شئت مزيد العلم بما خصّهم الله تعالى، والمعرفة بخصائص الإمام عليه السلام فانظر رواية الشيخ الكليني طاب ثراه في هذا الصدد[١] وما كتبناه حول كلمات الامام الرضا عليه السلام[٢] فإنّ في ذلك بـلغة الطـالب، وريّ الصـادي، وتـلقيح الأذهان بالبرهان بعد القرآن.

* * *

---

(١) أُصول الكافي ١: ١٩٨ ـ ٢٠٣.

(٢) أمثال وحكم الإمام الرضا عليه السلام أو كلماته المختارة ١: ٥٠ ـ ٥٩، رقم الكلمة ٩. طبع بيروت، دار الزهراء عليها السلام ١٤١٠ هـ، جزءان.

٣٢٧

لا تقبل من أحمد بن أبي روح

من رقعة خارجة عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال إلى حاجز بن يزيد الوشّا الوكيل في بغداد في شأن أحمد بن أبي روح قد سبقت قصته عند «خذ ما يعطيك...»[1]، بتمامها، وبطرف منها عند «لا تعودنّ...»[2] قريباً، وبآخر منها ما يلي ـ قال أحمد برواية الخرائج: ـ.

وكنت أقول بجعفر بن عليّ: فقلّت هذه المحبّة بيني وبين جعفر، فحملت المال وخرجت حتّى دخلت بغداد، فأتيت حاجز بن يزيد الوشّا[3] فسلّمت عليه وجلست، فقال: ألك حاجة؟ قلت: هذا مال دفع إليّ لا أدفعه إليك [حتّى] تخبرني كم هو؟ ومن دفعه إليّ؟ فإن أخبرتني دفعته إليك.

قال: لم أؤمر بأخذه، وهذه رقعة جاءتني بأمرك، فإذا فيها: «لا تقبل من أحمد ابن أبي روح، توجّه به إلينا إلى سامرّاء...»[4].

أشرنا في «لا تعودنّ...» إلى عقليّة جعفر، وأرى من المناسب التكلّم حول الآمريّة والمأموريّة؛ لمكان «لم أؤمر بأخذه» و موقعها لدى الناس، والمأمور نفسه. وهل تسوغ الآمريّة أو إرادتها؟ و هل على المأمور التنفيذ؟ وللناس المتابعة؟ سؤال يدور على الأذهان، ونوجز البيان حول الأسئلة وجواباتها.

---

(١) رقمه ١٧٨.

(٢) رقمه ٣٢٥.

(٣) أسلفنا ترجمته عند «الأسدي نعم العديل» رقمه ٥٠.

(٤) الخرائج والجرائح ٢: ٧٠٠.

السؤال الأوّل عن الآمريّة؟

لا تحقّ الآمريّة إلّا لله تعالى؛ لأنّه المالك لها ولإرادتها ومملّكها لمن يشاء من عباده، وقد شاء عزّ وجلّ ذلك للأنبياء والأوصياء، وفي مقدّمتهم خاتمهم محمّد وخلفاؤه المعصومون صلّى الله عليهم وسلّم، ثمّ الأمثل فالأمثل من المؤمنين إلى يوم الدين، فالنبيّ بأمر الله وإذنه هو الآمر الأوّل على الجميع من نبيّ ووصي أو مؤمن ومؤمنة.

والوجه فيه أنّ الآمريّة لله وحده، وهي منصب سماوي أمره بيده، لا يمتلكه سواه إلّا لمن أذن له، لا لمن تخلّى من الملك والإذن. وعليه فأُمراء الدنيا وطواغيتها وجميع ذوي المناصب في العصور والأدوار غاصبون ظالمون، وكافّة تصرّفاتهم ظلم واغتصاب وحرام ظاهر، وهي اليوم دار الفاسقين حتّى يتسلّمها الإمام المهديّ عليه السلام إذا ظهر؛ قال تعالى: ﴿*وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ*﴾[1].

السؤال الثاني تنفيذ المأمور:

قد اشتهر على اللسان المثل السائر وسار به الركبان: (المأمور معذور)[2]، والحقّ الّذي لا يعدل عنه أنّ المأمور غير معذور أمام الله والوجدان والعقل السليم

---

(١) الأنبياء: ١٠٥.

(٢) أمثال وحكم ١: ٢٧٠. يقال: إنّ المثل لشمر بن ذي الجوشن عليه اللعنة، حيث أمّره ابن مرجانة على جيش يزيد لقتل الحسين بن عليّ عليهما السلام، وجاء بهم من الكوفة إلى كربلاء لهذه الغاية، ووبّخ على فعلته قال: المأمور معذور؛ تنفيذاً لآوامر يزيد الطاغية لعنهم الله لكن في لسان الميزان لابن حجر ٣: ١٥٢ ـ ١٥٣ ما ينتزع منه المثل: إنّ أُمراءنا هؤلاء أمرونا بأمر فلم نخالفهم ولو خالفناهم كنّا شرّاً من هذه الحمر الشقاء، قلت: إنّ هذا العذر قبيح، فإنّما الطاعة في المعروف. فيبدو منه أنّه يريد معنى المثل لا لفظه.

والناس أجمعين ما لم يقم على مأموريته البرهان من القرآن وسنّة الرسول وأهل بيته الأئمّة الطاهرين صلوات الله عليهم، فلو سار على ضوء المقاييس الشرعية والعقلية المؤيدة بها كان معذوراً، وإلّا فهو شريك في الجناية والعقاب، كما هو الغالب في مأموري الجناة والطواغيت الأشرار وسعاة النار عليهم غضب الجبّار.

السؤال الثالث موقف الناس:

تجب على الناس جميعاً طاعة الله وطاعة المنصوب من قبله تعالى من نبي أو وصي معصوم فحسب، نعم، المأذون من قبلهم يعود إليهم يقيناً على جهة الخصوص أو العموم، ومن عدا ذلك يحرم امتثال أمره؛ إذ ليس له من الأمر شيء وهم أحرار، لا آمر ولا مأمور، بل (الناس كأسنان المشط) أي متساوون في النسب...[1] إلّا بالعلم والتقوى.

* * *

---

(١) مجمع الأمثال ٢: ٣٠٢ حرف النون.

٣٢٨

لا تميلوا عن اليمين وتعدلوا إلى الشمال

من التوقيع الصادر عن الناحية المحفوفة بالنور والجلال على يد أبي عمرو العَمري طاب ثراه، ردّاً على تشاجر ابن أبي غانم القزويني مع جماعة من الشيعة في الخلف، وقد مرّ ذكره غير مرّة[١]، ومنه ما يلي:

«و لا تحاولوا كشف ما غُطّي عنكم[٢]، ولا تميلوا عن اليمين، وتعدلوا إلى الشمال...»[٣].

قوله عليه السلام: «و لا تميلوا عن اليمين» تحذير عن الابتعاد عن أصحاب الميمنة، والأمر بالالتحاق بهم، المفهوم من نهي الميل عنهم، كما أنّ كلمة «وتعدلوا إلى الشمال» المنع عن الاستبدال به عن اليمين، واليمين مشتقّة من اليمن ضدّ الشؤم، وتجد الله تعالى يقارن بين الأمرين، يمدح هذا ويذمّ ذاك، ويجعل مستبق الخير مقرّباً، ويقسّم الأنام إلى ثلاثة أقسام عبّر عنها بأزواج ثلاثة يمتازون يوم القيامة؛ لأنّهم في الدنيا كانوا كذلك، قال عزّ من قائل: ﴿*إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا * وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَـٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ...*﴾[٤].

---

(١) انظر رقم ١٧، ٣٥، وغيرهما.

(٢) رقمه ٣١٨.

(٣) غيبة الطوسي: ١٧٣.

(٤) الواقعة: ٤ ـ ١١.

ثمّ أخذ سبحانه يذكر للسابقين من جزاء جميل في آي منهاة إلى ستّ وعشرين آية، ثمّ يليها ما لأصحاب اليمين من وصفة، ثمّ يثلّثها بأصحاب الشمال من عذاب في سموم وحميم، وظلّ من يحموم، لا بارد ولا كريم، لأنّهم كانوا قبل ذلك مترفين، وكانوا يصرّون على الحنث العظيم، وجحود الحشر بادٍ على أقوالهم وأعمالهم ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ ءَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ...﴾[(١)].

فائدة:

هنا كلام لأمير المؤمنين عليه السلام له علقة بالموضوع ونجده جديراً بالذكر، قال روحي فداه:

«اليمين والشمال مضلّة، والطريق الوسطى هي الجادّة، عليها باقي الكتاب، وآثار النبوّة، ومنها منفذ السنّة، وإليها مصير العاقبة...»[(٢)].

والكاظمي: «خير الأُمور أوساطها»[(٣)]، وإنّه الصراط المستقيم الذي أُمر العباد باتّباعه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[(٤)] والنبوي: خطّ خطّاً، ثمّ قال: هذا سبيل الرُشد، ثمّ خطّ عن يمينه وعن شماله خطوطاً، ثمّ قال صلى الله عليه وآله وسلم: هذه سُبُلٌ على كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثمّ تلا ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾[(٥)].

وإن اختلف المعنى المركّز في اليمين في ظاهر الكلام ترغيباً إليه، أو تحذيراً عنه إلّا أنّ المرمى فيهما واحد؛ إذ الجادّة الوسطى المذكورة في العلوي المحذّر عن

---

(١) الواقعة: ٤٧. نستطيع التطبيق للطوائف الثلاث على هذه الآيات، والآخذ بالاعتبار في الآثار.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ٢٧٣، الخطبة ١٦.

(٣) الوسائل ٨: ٣٤٦، الباب ٦ من أبواب أحكام الدواب، ح ٢.

(٤) الأنعام: ١٥٣.

(٥) تفسير الكشّاف ٢: ٨٠، ذيل الآية ١٥٣ من سورة الأنعام.

اليمين والشمال ترمى وسط الخطّ الاعتدالي المصون عن الميل والانـحراف عـنه والفاقد لليُمن والبركة وهو بعينه في التوقيع مقصود حيث إنّه يحثّ على الاحتفاظ على اليمن وترك الإعراض عنه.

ويحتمل بعيداً أنّ المراد من النهي عن الميل المـطلق تـارة: عـن اليـمين إلى الشمال، وأُخرى: عن الشمال إلى اليمين، فذكر في التوقيع من جانب الشمال دون اليمين؛ لدلالته على الجانب الآخر من باب الاستغناء بذكر أحد المتلازمين عن ذكر ضدّه، فيكون المعنى: لا تميلوا تارة عن اليمين إلى الشمال، وتارة أُخرى عن الشمال إلى اليمين. ولكنّ الاحتمال في قبال الظهور المتقدّم بيانه لا يعبأ به.

ثمّ إنّ سبيل الحقّ كما عرفت واحد ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [1] وسُـبُل الباطل كثيرة سواء في العقائد والأعمال وغيرها، وفي النبوي: «ستفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقية في النار» [2]، وإنّ الأمر لأبين من الشمس الضاحية لذي عينين، والآية والرواية لمحض الإرشاد.

* * *

---

(١) يونس: ٣٢.

(٢) الوسائل ١٨: ٣١، الباب ٦ من أبواب صفات القاضي، ح ٣٠، ولولا خوف الإطالة لجـئنا لغاية التطبيق أكثر من ذلك.

٣٢٩
لا حاجة في صلة الشاكّين

من الجوابات لمسائل إسحاق بن يعقوب، تقدّم أكثرها منها: «أقلنا من استقال»[١]، وفيه الجواب عن سؤاله في التوقيع الخارج عن الناحية المقدّسة على يد محمّد بن عثمان العَمري، قال الإمام المهديّ عليه السلام: «وأمّا ندامة قوم قد شكّوا في دين الله عزّ وجلّ على ما وصلونا به فقد أقلنا من استقال، ولا حاجة في صلة الشاكّين»[٢].

أقول:

سرّ عدم القبول لصلة الشاكّ هو أنّ الإيمان لا يجتمع مع الشكّ، والشاكّ لا يكون مؤمناً، وقد جاء التصريح به في تفسير ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ ـ أي بشكّ كما عن الصادق عليه السلام ـ ومنه يعلم أنّ الشاكّ ظالم[٣] وقد تقدّم الحديث؛ ولأجله لم يقبل الإمام عليه السلام صلة الشاكّ، وكما جاء في قصّة قبول الإمام الكاظم عطاء شطيطة النيسابوريّة وردّ بقيّة أموال أهل نيسابور، وكان عليه السلام يعلم أنّ أصحابها يرتدّون عن الإسلام، فإذا شئت القصّة نظرت ما كتبناه حول كلمات الإمام الكاظم عليه السلام[٤]، كما وقد سمعت امتناع المهديّ عجّل الله فرجه عن قبول هدايا جمع

---

(١) رقمه ٦٦.
(٢) إكمال الدين ٢: ٤٨٥، الباب ٤٥.
(٣) تفسير الصافي ٢: ١٣٦، ذيل الآية ٨٢ من سورة الأنعام.
(٤) المناقب ٤: ٢٩١ ـ ٢٩٢، الخرائج والجرائح ١: ٣٣٠.

من الشيعة في حياة الإمام العسكري راجع كلمة «أيجوز أن أمدّ يداً طاهرة إلى هدايا نجسة»[١]، وفيها بيان سرّ عدم مدّ يده الطاهرة إلى الأموال القذرة، وأنّ الأئمّة طاهرون مطهّرون من طهر طاهر مطهّر، ولا مسانخة بين الطاهر والنجس، وبين الطيب والخبيث، ولو لم يكن دليلاً على ذلك إلّا قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾[٢] لكفى، وأرى أنّ الأمر من قبل أن يكون شرعيّاً فهو عقلي وجداني.

* * *

(١) رقمه ١٢٧، وفيه شرح نافع.

(٢) النور: ٢٦.

٣٣٠
لا حاجة لنا في مال المرجئي

من جملة الكلمات المأثورة عن الإمام المهديّ عليه السلام ما ذكره الشيخ الصدوق في باب التوقيعات بإسناد له قال: حدّثنا أحمد بن هارون القاضي رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن إسحاق بن حامد الكاتب، قال: كان بقم رجل بزّاز مؤمن وله شريك مرجئي، فوقع بينهما ثوب نفيس، فقال المؤمن: يصلح هذا الثوب لمولاي، فقال له شريكه: لست أعرف مولاك، ولكن افعل بالثوب ما تحبّ. فلمّا وصل الثوب إليه شقّه عليه السلام بنصفين طولاً فأخذ نصفه وردّ النصف، وقال: لا حاجة لنا في مال المرجئي[1].

نسبه إلى المرجئة: المجبّرة، أو من أخرّ عليّاً عليه السلام إلى الرابع.

سبق ما يماثل المختار من وجه: «لا حاجة في صلة الشاكّين»[2]، وكذا ما جاء في غضونه من ذكر قصّة شطيطة وردّ الإمام الكاظم عليه السلام أموال الّذين ارتدّوا من أهل نيسابور[3]، و المستفاد من آية ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ...﴾[4] ثبوت المسانخة بين الآخذ والمعطي؛ ويشهد لذلك قول الإمام المهديّ عليه السلام عند ما أمره أبوه العسكري بفضّ خاتم هدايا شيعته: «أيجوز أن أمدّ يداً طاهرة إلى أموال نجسة»[5]، وغيرها ممّا يدلّ على علقة التجانس.

---

(١) إكمال الدين ٢: ٥١٠، الباب ٤٥، ح ٤٠.

(٢) رقمه ٣٢٩.

(٣) المناقب ٤: ٢٩١ ـ ٢٩٢.

(٤) النور: ٢٦.

(٥) رقمه ١٢٧.

ولكن لسائل أن يسأل: بماذا تجيبون وتوجّهون قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [١]؟

الجواب بوجهين:

الوجه الأوّل: أنّ ما قبله قوله عزّ وجلّ: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٢]، وأين هذا من الجاحد المتمرّد على الله وأوليائه، ومن الجاحدين المرجئة وأهل الردة ونظائرهم، فأخذ مال التائب المعترف زكاة لذنبه وتطهير له، ولاسيّما الدعاء بعد الأخذ بإصلاحه وتنمية أمواله، كما هو المأثور [٣]، وكمثل الرسول ﷺ إذا دعا فدعاؤه مستجاب يقيناً، وصلاته ﷺ سكن واطمئنان لقلب المعطي لا محالة، وللناس فيه الأُسوة الحسنة والمتابعة الجميلة.

الوجه الثاني: إذا دلّت الدلائل أنّ صاحب المال لا يؤمن أبداً وإن استميل قلبه فلا ريب في أنّ الأخذ منه تقوية في باطله وإعانة على الإثم والعدوان، نعم، إذا كان بالأخذ والعطاء الرجاء في العود إلى الإيمان جاز ذلك، ولا يذهب عليك أنّ آية الصدقات الّتي من جملة أربابها المؤلّفة قلوبهم لا تعارض ما ذكرناه، أوّلاً لنفس السبب، وثانياً لدفع الإضرار بالمسلمين من مثل أبي سفيان المؤلّف قلبه من مال الصدقة وإن كان غير مؤمن، ولكن دفعاً لضرره قد أُعطي منها.

* * *

---

(١) التوبة: ١٠٣.　　(٢) التوبة: ١٠٢.

(٣) تفسير الكشّاف ٢: ٣٧١.

٣٣١
لا شيء عليكم مِن كُفر مَنْ كَفَرَ

روى الشيخ الطوسي طاب ثراه كلاماً له عليه السلام خرج على يد الحسين بن روح، وقد شُكّك أنّه خرج عن الناحية المقدّسة قال: وقال عليه السلام: «العلم علمنا، ولا شيء عليكم من كُفر من كَفَرَ، فما صحّ لكم ممّا خرج على يده برواية غيره له من الثقات رحمهم الله فاحمدوا الله، وما شككتم فيه، أو لم يخرج إليكم في ذلك إلّا على يده فردّوه إلينا لنصحّحه أو نبطله، والله تقدّست أسماؤه وجلّ ثناؤه ولي توفيقكم وحسبنا في أُمورنا كلّها ونعم الوكيل»[١].

حتّى لو شككنا صدور هذا التوقيع عن الناحية على يد أحد النوّاب فليس لنا إلّا ردّه إلى صاحب الأمر، وأمّا النفي أو الإثبات فلا سبيل للشاكّ، بل عليه الإيمان على ما هو الواقع، وقد سبق نظيره في عدّة جوابات مسائل هل هي من الناحية المقدّسة أو هي من جوابات العزاقري الملعون؟ انظر كلمة «كان من ارتدادهم عن الإسلام مثل ما كان من هذا»[٢]، و«لا مدخل للمخذول الضالّ المضل المعروف بالعزاقري»[٣].

ويشهد للمختار قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[٤]

---

(١) الغيبة: ٢٢٨ ـ ٢٢٩.   (٢) رقمه ٢٩٦.   (٣) رقمه ٢٩٦.

(٤) المائدة: ١٠٥.

إذا كان الإنسان مؤمناً، وخيّم الكفر على العالم كلّه لما كان يضرّه شيء؛ لأنّ الله حي لا يزال وخالص الإيمان له، فممّن يخاف المؤمن وهو بمحضر الله تعالى، منه بدؤه وإليه عوده وعليه حسابه، كما قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[١]، بل لمكان إيمانه يهاب منه ولتقواه يتّقى، ويعجبني حديث الرضا عليه السلام: «من اتّقى الله يُتّقى، ومن أطاع الله يُطاع»[٢].

* * *

(١) الغاشية: ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) توحيد الشيخ الصدوق: ٦١، ح ١٨، وللبحث تتمة مرهونة بموضعها.

٣٣٢

لا صوّت الناعي بفقدك إنّه
يوم على آل الرسول عظيم

من أبيات وجدت مكتوبة على قبر الشيخ المفيد طاب ثراه رثاه بها الإمام المهديّ عليه السلام، قال صاحب الحدائق: قال في كتاب مجالس المؤمنين[1]: وهذه الأبيات منسوبة لحضرة صاحب الأمر عليه السلام وجدت مكتوبة على قبره:

لا صوّت الناعي بفقدك إنّه	يوم على آل الرسول عظيم
إن كنت قد غُيّبت في جدث الثرى	فالعلم والتوحيد فيك مقيم
والقائم المهديّ يفرح كلّما	تُليت عليك من الدروس علوم

أقول[2]:

وليس هذا ببعيد بعد خروج ما خرج عنه عليه السلام من التوقيعات للشيخ المذكور المشتملة على مزيد التعظيم والإجلال، ولنذكرها لما فيها من مزيد الفوائد، نقلها الشيخ أبو منصور أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الاحتجاج، قال...[3].

وراح الشيخ البحراني رحمه الله يذكر الكتابين فراجع[4].

(١) مجالس المؤمنين ١: ٤٧٧، الطبعة الجديدة الإيرانيّة.
(٢) القائل هو البحراني.
(٣) لؤلؤة البحرين: ٣٦٣.
(٤) نفس المصدر: ٣٦٣ ـ ٣٦٧.

وذكر الأبيات جمع من العلماء في مؤلّفاتهم منها رياض العلماء وفيه قال الشيخ قطب الدين محمّد اللاّهيجي في كتاب المحبوب[١] عند ترجمته‏: والمروي أنّ مولانا الحجة صاحب الأمر سلام الله عليه أنشد [أنشأ] هذه الأبيات في مرثية الشيخ فوجدت مكتوبة على صخرة قبره ـ نوّر الله مرقده وروّح نفسه ـ[٢].

ومنها كنى المحدّث القمّي قال: وذكر جماعة من العلماء منهم الميرزا محمّدمهدي الشهرستاني في إجازته للسيد ميرزا محمّد مهدي بن ميرزا محمّدتقي الطباطبائي التبريزي المتوفّى سنة ١٢٤١ أنّ الشيخ المفيد‏ رثاه صاحب الأمر‏ حيث وجد مكتوباً على قبره:

* لا صوّت الناعي بفقدك إنّه *[٣]

الأبيات، وأورد عليها بأنّ وجدان كتابتها على قبره لا يدلّ على أنّها من الحجّة‏؛ لجواز صدورها عن غيره.

يمكن الجواب عن الإيراد بأنّ تلقّي العلماء ذلك بالقبول يُوجد الوثوق بصدور الكتابة عنه؛ ومن ثمّ نفى صاحب الحدائق البُعد عنه بقوله: (وليس هذا ببعيد)[٤].

وإنّ الاعتبار يساعده؛ لأجل اختفاء شخصه عجّل الله فرجه وما يلحق ذلك ممّا شاء الله. فلو كان بمسمع ومرأى من الناس يكتبها كان نقضاً للغرض. وهو واضح لمن تفكّر وتدبّر.

فلئن كان الأمر كما قيل فكلّ مدح أو ثناء هو دون محتوى الأبيات. ولن يبلغها القول مهما كان وممّن كان؛ لأنّ المدح يتعالى رفعةً وبهاءً برفعة المادح وبهائه. وأيّ

---

(١) في الذريعة ٢٠: ١٤١: محبوب القلوب للمولى الفاضل قطب الدين محمّد بن عليّ الشريف... إلى أن قال: الاشكوري تلميذ المحقّق الداماد... إلى أن قال: في شرح حالات الحكماء... إلى أن قال: أوّله «الحمد لله الّذي ليس بينه وبين خلقه غير خلقه حجاب».

(٢) رياض العلماء ٥: ١٧٧.

(٣) الكُنى والألقاب ٣: ١٦٥.

(٤) لؤلؤة البحرين: ٣٦٣، وسبق قريباً.

رفيع بعد الله تعالى أرفع من المعصوم عليه السلام إذا مدح شخصاً بنظم أو نثر لا يحتمل خلافاً أو جزافاً. وإنّما أوردنا الشعر المعزي في الكتاب؛ لجواز صدوره عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال؛ لما سبق في مقدّمته الأخذ وعدم الردّ لكلّ ما ساعد عليه العقل أو النقل ما لم يعارضه شيء منه وعلى صرح ذلك بُني الكتاب، والحساب على الله العالم بالحقائق.

ترجمة الشيخ المفيد طاب ثراه، والتكلّم عن سند الكتابين إليه فهنا مقامان.

المقام الأوّل الترجمة:

ترجمه تلميذه النجاشي منهيّاً نسبه إلى يعرب بن قحطان، قال رحمه الله في كتابه:

محمّد بن محمّد بن النعمان بن عبدالسلام بن جابر بن النعمان بن سعيد بن جبير بن وهيب بن هلال بن أوس بن سعيد بن سنان بن عبد الدار بن الريان بن قطر[١] بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن علّة[٢] بن خالد بن مالك بن أدد بن يشخب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

شيخنا وأُستاذنا رضي الله عنه، فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية والثقة والعلم، له كتب...[٣].

مات رحمه الله ليلة الجمعة لثلاث خلون من شهر رمضان، سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، وكان مولده يوم الحادي‌عشر من ذي‌القعدة سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة، وصلّى عليه الشريف المرتضى أبو القاسم عليّ بن الحسين بميدان الأشنان، وضاق

---

(١) في نسخة (فطر) بالفاء الموحّدة.

(٢) في تنقيح المقال ٣: ١٨٠ (ابن علّة بن جلد بن مالك).

(٣) تأتي أسماء كتبه.

على الناس مع كبره، ودفن في داره سنين، ونقل إلى مقابر قريش بالقرب من السيّد أبي جعفر عليه السلام، وقيل مولده سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة[١].

ورثاه مهيار الديلمي بقصيدة منها:

ما بعد يومك سلوة لمعلّل
منّي ولا ظفرت بسمع مُعذل
سوى المصاب بك القلوب على الجوى
قيد الجليد على حشا المتململ
وتشابه الباكون فيك ولم يُبن
دمع المحق لنا من المتعمّل[٢]

تأتي أسماء كتبه القيّمة في ثنايا بقيّة الترجمة عن بعض المترجمين له، وكلام سيّدنا الأُستاذ قدس سره.

قال البعض: قال الشيخ الطوسي:

(ابن المعلّم أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان في زماننا، إليه انتهت رئاسة أصحابه من الشيعة الإماميّة في الفقه والكلام والآثار...) إلخ[٣]. هذا غيض من فيض.

فظهر ممّا ذكر أنّ شيخنا المترجم له ـ رضوان الله تعالى عليه ـ كان متقدّماً في كلّ فضيلة يتحلّى بها الإنسان الكامل من مآثر العلم والعمل وهو كما قال مولاه عليّ عليه السلام:

«كونوا ينابيع العلم مصابيح الليل، خلق الثياب، جدد القلوب تعرفوا به في السماء، وتذكروا به في الأرض»[٤] بل هو مصداقه الأتم، ومرآته الأجلى.

---

(١) رجال النجاشي: ٣٩٩ / ١٠٦٧، معجم رجال الحديث ١٧: ٢٠٢، الطبع الحديث.
(٢) الكنى والألقاب للقمّي ٣: ١٦٤.
(٣) قاله السيّد الخوئي قدس سره في معجم رجال الحديث ١٧: ٢٠٦ / ١١٧١٧.
(٤) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ٢: ١٨٣، وفيه عن ابن مسعود.

أمّا العلم فقول ابن حجر: (له على كلّ إمام منّة) سوى قوله: (ببراعة في مقالة الإماميّة، وإكبابه على العلم)[١]، وقول ابن أبي طيّ: (كان رئيس الكلام والفقه والعلم)[٢].

وأمّا العمل ففي العبادة قول أبي يعلى الجعفري: (ما كان ينام الليل إلّا هجعة ثمّ يصلّي)[٣]. فظهر منه أنّه كان قائم الليل؛ فإنّ ناشئة الليل هي أشدّ وطأً وأقوم قيلاً. وهو صائم النهار؛ لقول ابن أبيّ طيّ: (هو كثير الصلاة والصوم)[٤].

وأمّا الزهد والتقشّف والتخشّع فقول ابن حجر: (كثير التقشّف)[٥] والتقشّف صفة المسيح عليه السلام، والتخشّع نعت زكريّا ويحيى وأُمّه. ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٦].

وأمّا الإنفاق فهو قول ابن أبي طيّ فيه إنّه (كان كثير الصدقات عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم)[٧].

وأمّا المجاهدة في سبيل الله فقولهم: (له أكثر من مائتي مصنّف)، سوىٰ تدريسه وتعليمه حتّى آناء الليل، كما قاله ابن أبي يعلى: كلّ ذلك ينبئ عن سداد إيمانه بالحقّ...

وتلاميذه ومتخرّجو مدرسته جماعة بهم يفتخرالفخر، ويتشرّف الدهر، فما منهم إلّا قمر فضل دار في فلك العلم، وهلال مجدٍ لاح في سماء الفهم والجدّ والعمل.

أمّا الفقاهة ففيهم مؤسّس أُصولها ومبيّن فروعها. وأمّا البلاغة ففيهم من هو فارس ميدانها، وناظم دررها بعيقانها. وأمّا الكلام ففيهم من هو ابن بجدته، بل تاريخه وعنوانه وحدقته وإنسانه، ولكلّ منهم آراء وأقوال تعرض في حلي البيان وتنقش في فصّ الزمان، تحفظ وتقرأ، وتذكر وتشكر على وجه الدهر، وهو في كلّ

(١ و٣ و٥) لسان الميزان ٥: ٣٦٨.　　(٢) شذرات الذهب ٣: ١٩٩.
(٤ و٧) شذارات الذهب ٣: ١٩٩ ـ ٢٠٠.　　(٦) الأنبياء: ٩٠.

ذلك رائش نبلهم، ونبعة فضلهم، وصار كلّ واحد منهم إماماً يشار إليه. فسبحان واهبه أفضل ما أعطاه، ركّب أوّلاً دوحته في قرار المجد، وغرس نبعته في محلّ الفضل، ثمّ منحه قريحة وقّادة مع دقّة الفطنة، وفضل النبوغ، وكمال العقل، وحدّة الذكاء، فصار في العلم والفضيلة بحراً لا تعكّره الدلاء، بشهادة الأعداء وإجماع الأولياء، تخاريجه كلّها جيّدة وإلزاماته كلّها لازمة، ونظريّاته صائبة. استنار على صفحات الكتب آثار أفكاره النقّادة، وتلألأ في دياجير الشبهات أنوار قريحته الوقّادة.

موضعه في أقرانه موضع الواسطة من العِقد العسجدي، ويزيد عليهم زيادة الشمس على البدر، والبحر على القطر؛ كأنّهم جسد هو قلبه، وفلك هو قطبه، إن طَلَبَ لم يُسبق، وإن طُلب لم يُلحق. كان أحسنهم وصفاً، وألينهم عطفاً، وأكثرهم نُبلاً، وأخشنهم لباساً، وأجشبهم طعاماً، وأوفرهم من العقل حظّاً، وأعلاهم في العلم كعباً... فسلام الله عليه كيف أصفه وهو كافل المجد، وواحد الدهر، وغرّة الدنيا وحسنة العالم.

كتبه القيّمة:

ـ ونحن نذكر منها أسماء ما أورده راقم الكلمات الآنف الذكر نقلاً عن النجاشي وغيره[1] ـ.

١ ـ أحكام أهل الجمل، ذكره النجاشي باسم الجمل، وهو غير (النصرة) الآتي ذكره.

٢ ـ أحكام النساء، مرتّب على أبواب استظهره الحجّة النوري أنّه كتبه للسيّدة

---

(١) رجال النجاشي: ٣٩٩ / ١٠٦٧، معجم رجال الحديث ١٧: ٢٠٢ / ١١٧١٧.

أُمّ الشريفين الرضي والمرتضى.

٣ ـ اختيار الشعراء، ذكره السروي.

٤ ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، طبع بإيران مكرّراً سنة ١٣٠٨، وقبلها وبعدها، وترجم إلى الفارسية باسم (التحفة السليمانية) نسبة إلى الشاه سليمان الصفوي، والمترجم هو المولى محمّد مسيح الكاشاني، طُبعت الترجمة بإيران سنة ١٣٠٣، وله شرح فارسي كبير مبسوط مفصّل للشيخ سليمان الكاشاني، طبع بطهران في مجلد كبير، وله منتخب اسمه (المستجاد من الإرشاد) ينسب إلى العلّامة الحلّي رحمه الله.

٥ ـ الأركان في دعائم الإيمان.

٦ ـ الاستبصار في ما جمعه الشافعي من الأخبار.

٧ ـ الإشراف في أهل البيت عليهم السلام.

٨ ـ أُصول الفقه، أدرجه بتمامه تلميذه الكراجكي في كتابه كنز الفوائد.

٩ ـ الإعلام فيما اتفقت عليه الإماميّة من الأحكام ممّا اتّفقت العامّة على خلافهم فيه، ألفهُ بالتماس السيّد الشريف المرتضى في تمام أبواب الفقه.

١٠ ـ الافتخار.

١١ ـ أقسام المولى في اللسان، وبيان معانيهِ العشرة، والمراد منه في قوله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه».

١٢ ـ الإفصاح في الإمامة، وقد طبع في النجف.

١٣ ـ الإقناع في وجوب الدعوة.

١٤ ـ الأمالي المتفرقات، كذا سمّاه تلميذه النجاشي، وهو مرتّب على المجالس، وقد طبع أوّل مرّة في النجف سنة ١٣٦٧، وفيه ٤٢ مجلساً.

١٥ ـ الانتصار.

١٦ ـ أوائل المقالات في المذاهب المختارات، ذكر فيه مختصّات الإماميّة في الأُصول الكلاميّة ألّفه قبل كتابه(الإعلام) الآنف الذكر، والناظر فيها يجتمع له العلم بمختصّات الإماميّة في الأُصول والفروع، طبع مكرّراً في إيران منها سنة ١٣٦٣.

١٧ ـ الإيضاح في الإمامة، بدأ فيه بردّ شبهات العامّة وأدلّتهم على إثبات الخلافة، ثمّ ذكر أدلّة إمامة المعصومين عليهم السلام، وأحال عليه في آخر كتابه المسائل العشرة، ونسخته كما في الذريعة في الهند، بمكتبة السيّد محمّد مهدي في ضلع فيض آباد.

١٨ ـ إيمان أبي طالب عليه السلام، طبع الكتاب ضمن نفائس المخطوطات.

١٩ ـ البيان عن غلط قطرب في القرآن.

٢٠ ـ البيان في تأليف القرآن.

٢١ ـ بيان وجوه الأحكام.

٢٢ ـ التواريخ الشرعيّة وهو: (مسارّ الشيعة) في مختصر تواريخ الشريعة، طبع بإيران مع تقويم المحسنين سنة ١٣١٥، وطبع أيضاً مع بائيّة الحميري سنة ١٣١٣.

٢٣ ـ تفضيل الأئمّة على الملائكة.

٢٤ ـ تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على سائر الأصحاب، وقد طبع في النجف.

٢٥ ـ التمهيد.

٢٦ ـ جمل الفرائض.

٢٧ ـ جواب ابن واقد السنّي.

٢٨ ـ جواب أبي الفتح محمّد بن عثمان وهو العلّامة الكراجكي.

٢٩ ـ جواب أبي الفرج بن إسحاق عمّا يُفسد الصلاة.

٣٠ ـ جواب أبي محمّد الحسن بن الحسين النوبندجاني المقيم بمشهد عثمان.

٣١ ـ جواب أهل جرجان في تحريم الفقّاع.

٣٢ ـ جواب أهل الرقّة في الأهلّة والعدد.

٣٣ ـ جواب الكرماني في فضل نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله على سائر الأنبياء عليهم السلام.

٣٤ ـ جواب المافروخي في المسائل.

٣٥ ـ جواب مسائل اختلاف الأخبار.

٣٦ ـ الجوابات في خروج المهدي عجّل الله فرجه.

٣٧ ـ جوابات ابن الحمامي.

٣٨ ـ جوابات الخطيب ابن نباتة.

٣٩ ـ جوابات أبي جعفر القمّي.

٤٠ ـ جوابات أبي جعفر محمّد بن الحسين الليثي.

٤١ ـ جوابات أبي الحسن الحضيني.

٤٢ ـ جوابات أبي الحسن سبط المعافي ابن زكريا في مسألة إعجاز القرآن.

٤٣ ـ جوابات أبي الحسن النيسابوري.

٤٤ ـ جوابات الأمير أبي عبد الله.

٤٥ ـ جوابات الحاجب أبي الليث الآواني، ويعرف بجوابات المسائل العكبريّة.

٤٦ ـ جوابات الإحدى والخمسين مسألة أيضاً سأل عنها الحاجب المذكور شيخنا المترجم وهي غير المتقدّمة.

٤٧ ـ جوابات البرقعي في فروع الفقه.

٤٨ ـ جوابات ابن عرقل.

٤٩ ـ جوابات الشرقيّين في فروع الدين.

٥٠ ـ جوابات عليّ بن نصر العبدجاني.

٥١ ـ جوابات الفارقين في الغيبة.

٥٢ ـ جوابات الفيلسوف في الاتّحاد.

٥٣ ـ جوابات مقاتل بن عبدالرحمن عمّا استخرجه من كتب الجاحظ.

٥٤ ـ جوابات المسائل الجرجانيّة.

٥٥ ـ جوابات المسائل الحرّانيّة.

٥٦ ـ جوابات المسائل الخوارزميّة.

٥٧ ـ جوابات المسائل الدينوريّة المازرانيّة.

٥٨ ـ جوابات المسائل السرويّة الواردة من الشريف الفاضل بسارية في مواضع شتّى، وقد طبع في النجف.

٥٩ ـ جوابات المسائل الشيرازيّة، أحال إليه في جوابات المسائل السرويّة.

٦٠ ـ جوابات المسائل الصاغانيّة، وهي عشر مسائل وردت من صاغان ـ قرية بمرو ـ شنّع فيها أبو حنيفة على الشيعة، أوّلها متعلّق بنكاح المتعة، والباقي في النكاح والطلاق والظهار والميراث والديات، وقد طبع في النجف.

٦١ ـ جوابات المسائل الطِبريّة، وهو الّذي عبّر عنه النجاشي بجوابات أهل طبرستان.

٦٢ ـ جوابات المسائل في اللطيف من الكلام، ويقال له: اللطيف من الكلام، فيه الكلام على الجوهر والعرض والفلك والخلاء وأمثال ذلك من مباحث علم الكلام، ونسخته موجودة.

٦٣ ـ جوابات المسائل المازندرانيّة أحال إليه في جوابات المسائل السرويّة.

٦٤ ـ جوابات المسائل الموصليّات في العدد والرؤية، أحال إليه في جوابات المسائل السرويّة، ونسخته شائعة.

٦٥ ـ جوابات المسائل النوبندجانيّة الواردة من أبي عبد الله محمّد بن عبدالرحمن الفارسي المقيم بمشهد عثمان بالنوبندجان[1].

---

(١) بلدة كانت بفارس وهي اليوم من توابع فسا.

٦٦ ـ جوابات المسائل النيسابوريّة، أحال إليها في بعض رسائله، وهي مسائل فقهيّة في النكاح والميراث وغيرهما.

٦٧ ـ جوابات النصر بن بشير في الصيام.

٦٨ ـ الرجال، وهو مدرج في الإرشاد الآنف الذكر.

٦٩ ـ ردّ العدد الشرعيّة.

٧٠ ـ الردّ على ابن الأخشيد في الإمامة.

٧١ ـ الردّ على ابن رشيد في الإمامة.

٧٢ ـ الردّ على ابن عون في المخلوق، وابن عون هو أبو الحسين محمّد بن جعفر بن محمّد بن عون الأسدي الكوفي ساكن الري، له كتاب الجبر والاستطاعة.

٧٣ ـ الردّ على ابن كلاب في الصفات، وابن كلاب هو عبد الله بن محمّد بن كلاب القطّان من رؤساء الحشوية، له كتاب الصفات.

٧٤ ـ الردّ على أبي عبد الله البصري في تفضيل الملائكة على الأنبياء عليهم السلام.

٧٥ ـ الردّ على الجبّائي في التفسير.

٧٦ ـ الردّ على أصحاب الحلّاج.

٧٧ ـ الردّ على ثعلب في آيات القرآن، ذكره السروي.

٧٨ ـ الردّ على الجاحظ العثمانيّة، كذا ذكره النجاشي، والظاهر أنّه أراد الردّ على كتاب الجاحظ في العثمانيّة.

٧٩ ـ الردّ على الخالدي في الإمامة.

٨٠ ـ الردّ على الزيديّة، ذكره في الذريعة باسم مسائل الزيديّة.

٨١ ـ الردّ على الشعبي.

٨٢ ـ الردّ على الصدوق في عدد شهر رمضان، يظهر من الإقبال للسيّد رحمه الله أنّ اسمه مصابيح النور.

٨٣ ـ الردّ على العقيقي في الشورى.

٨٤ ـ الردّ على القتيبي في الحكاية والمحكي، والقتيبي هو ابن قتيبة المشهور، وما في النجاشي المطبوع «العتبي» غلط يشهد له ما في فهرست الشيخ حيث سمّاه «الردّ على ابن قتيبة».

٨٥ ـ الردّ على الكرابيسي في الإمامة.

٨٦ ـ الردّ على المعتزلة في الوعيد وهو الّذي سمّاه النجاشي مختصر على المعتزلة في الوعيد.

٨٧ ـ الردّ على من حدّ المهر، وكانت نسخته بمكتبة السماوي.

٨٨ ـ رسالته في الفقه إلى ولده، ولم يتمّها، ذكرها ابن شهرآشوب.

٨٩ ـ الرسالة إلى الأمير أبي عبد الله وأبي طاهر بن ناصر الدولة في مجلس جرى في الإمامة.

٩٠ ـ الرسالة إلى أهل التقليد.

٩١ ـ الرسالة العلويّة.

٩٢ ـ الرسالة العزيّة.

٩٣ ـ الرسالة الكافية في الفقه.

٩٤ ـ رسالة الجنيدي إلى أهل مصر.

٩٥ ـ الرسالة المقنعة في وفاق البغداديّين من المعتزلة لما روي عن الأئمّة عليهم السلام.

٩٦ ـ الزاهر في المعجزات، قال شيخنا الرازي ـ دام ظله ـ: والّذي يظهر من آخر المسائل العشر أنّه «الباهر من المعجزات» كما مرّ بهذا العنوان[1].

٩٧ ـ شرح كتاب الإعلام.

---

(١) أي في الذريعة ٣: ١٥، وانظر «الزاهر في المعجزات» نفس الذريعة ١٢: ١٣.

٩٨ ـ عدد الصوم والصلاة.

٩٩ ـ العمد في الإمامة. ذكر السيّد ابن طاووس في الطرائف عند نقله عنه أنّ اسمه «العمدة».

١٠٠ ـ العويص في الأحكام، ابتدأ فيه بمسائل في النكاح، ثمّ مسائل في الطلاق والميراث والإقرار، توجد نسخ منه ويظهر من بعضها أنّه مختصر من العويص.

١٠١ ـ العيون والمحاسن، توجد نسخة منه في المكتبة الرضوية وغيرها.

١٠٢ ـ الفرائض الشرعيّة في مسألة المواريث.

١٠٣ ـ الفصول من العيون والمحاسن، والّذي يظهر من ذكر النجاشي له مع العيون والمحاسن أنّهما متعدّدان وهو غير الفصول للسيّد المرتضى الموجود الآن.

١٠٤ ـ الفضائل، ذكره السروي في المعالم.

١٠٥ ـ قضيّة العقل على الأفعال، وسمّاه السروي «فيضة العقل على الأفعال».

١٠٦ ـ الكامل في الدين، أحال إليه نفسه في مسألة الفرق بين الشيعة والمعتزلة، والفصل بين العدليّة منهما والقول في اللطيف من الكلام وفي أواخر الفصول المختارة للمرتضى.

١٠٧ ـ كتاب في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام من القرآن.

١٠٨ ـ كتاب في قوله صلى الله عليه وآله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى».

١٠٩ ـ كتاب في قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾.

١١٠ ـ كتاب في الخبر المختلق بغير أثر.

١١١ ـ كتاب القول في دلائل القرآن.

١١٢ ـ كتاب في الغيبة.

١١٣ ـ كتاب في القياس.

١١٤ ـ كتاب في المتعة.

١١٥ ـ كتاب الالتباس.

١١٦ ـ الكلام في الإنسان.

١١٧ ـ الكلام في حدوث القرآن.

١١٨ ـ الكلام في المعدوم، والردّ على الجبائي.

١١٩ ـ الكلام في وجوه إعجاز القرآن.

١٢٠ ـ الكلام في أنّ المكان لا يخلو من متمكّن.

١٢١ ـ لمح البرهان في عدم نقصان شهر رمضان، وهو ردّ على شيخه محمّد ابن أحمد بن داود بن عليّ القميّ في قوله بدخول النقص على شهر رمضان، وانتصاراً لشيخه الآخر ابن قولويه ﷺ، حيث يقول بعدم النقصان، وقد كتب فيه كتاباً فردّ ابن داود بكتاب في النقص، وهذا الردّ على كتاب ابن داود كانت نسخته عند السيّد ابن طاووس كما نقل عنه في الإقبال وفلاح السائل.

١٢٢ ـ المبين في الإمامة، ذكره الشيخ باسم «المنير».

١٢٣ ـ المجالس المحفوظة في فنون الكلام. والظاهر أنّ ما في كشف الحجب اشتباه ووهم، حيث اعتقد اتّحاد المجالس مع العيون والمحاسن الّذي انتخب منه السيّد المرتضى الفصول المختارة، فقد صرّح بأنّ الّذي انتخب منه السيّد كتابه، وأتى بما ذكره من المناظرات الموجودة في كتاب الفصول المختارة.

١٢٤ ـ المختصر في الغيبة.

١٢٥ ـ مختصر في الفرائض.

١٢٦ ـ مختصر في القياس.

١٢٧ ـ المختصر في المتعة، له ثلاث كتب فيها أحدها وقد سبق، والثاني وهو هذا والثالث الموجز الآتي.

١٢٨ ـ المزار الصغير، ذكره النجاشي، ولعلّه المزار المعروف بمزار المفيد كما احتمله شيخنا الرازي في الذريعة.

١٢٩ ـ المزورين عن معاني الأخبار.

١٣٠ ـ المسألة الكافية في إبطال توبة الخاطئة، وقد طبع.

١٣١ ـ المسألة الموضحة عن أسباب نكاح أمير المؤمنين عليه السلام.

١٣٢ ـ مسألة في المهر وأنّه ما تراضى عليه الزوجان.

١٣٣ ـ مسألة في تحريم ذبائح أهل الكتاب.

١٣٤ ـ مسألة في الإرادة.

١٣٥ ـ مسألة في الأصلح.

١٣٦ ـ مسألة في البلوغ.

١٣٧ ـ مسألة في ميراث النبيّ صلى الله عليه وآله، وقد طبع في النجف بعنوان «تحقيق نحن معاشر الأنبياء».

١٣٨ ـ مسألة في الإجماع.

١٣٩ ـ مسألة في العترة.

١٤٠ ـ مسألة في رجوع الشمس.

١٤١ ـ مسألة في المعراج.

١٤٢ ـ مسألة في انشقاق القمر، وتكلّم الذراع.

١٤٣ ـ مسألة في تخصيص الأيّام.

١٤٤ ـ مسألة في وجوب الجنّة لمن ينتسب بولادته إلى النبيّ صلى الله عليه وآله.

١٤٥ ـ مسألة في معرفة النبيّ صلى الله عليه وآله بالكتابة.

١٤٦ ـ مسألة في معنى قوله صلى الله عليه وآله: «إنّي مخلّف فيكم الثقلين».

١٤٧ ـ مسألة فيما روته العامّة.

١٤٨ ـ مسألة في النصّ الجلي.

١٤٩ ـ مسألة محمّد بن الخضر الفارسي.

١٥٠ ـ مسألة في معنى قوله ﷺ: «أصحابي كالنجوم».

١٥١ ـ مسألة في القياس مختصر.

١٥٢ ـ المسألة الموضحة في تزويج عثمان.

١٥٣ ـ المسألة المقنعة في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

١٥٤ ـ المسائل في أقضى الصحابة.

١٥٥ ـ مسألة في الوكالة.

١٥٦ ـ مسائل أهل الخلاف.

١٥٧ ـ المسألة الحنبليّة.

١٥٨ ـ مسألة في نكاح الكتابيّة.

١٥٩ ـ المسائل العشرة في الغيبة، طبع في النجف سنة ١٣٧٠.

١٦٠ ـ مسائل النظم.

١٦١ ـ مسألة في المسح على الرجلين، ولعلّه الردّ على النسفي في مسح الرجلين.

١٦٢ ـ مسألة في المواريث.

١٦٣ ـ مصابيح النور في علامات أوائل الشهور.

١٦٤ ـ مقابس الأنوار في الردّ على أهل الأخبار.

١٦٥ ـ المسائل المنثورة، وهي نحو مائة مسألة ذكرها في الفهرست.

١٦٦ ـ المسائل الواردة من خوزستان.

١٦٧ ـ مسألة في خبر مارية القبطية.

١٦٨ ـ مسائل في الرجعة.

١٦٩ ـ مسألة في سبب استتار الحجّة ـ عجّل الله فرجه ـ.

١٧٠ ـ مسألة في عذاب القبر.

١٧١ ـ مسألة في قوله: ﴿الْمُطَلَّقَاتُ﴾.

١٧٢ ـ مسألة فيمن مات ولم يعرف إمام زمانه هل هو صحيح ثابت أم لا؟.

١٧٣ ـ مسألة الفرق بين الشيعة والمعتزلة والفصل بين العدليّة منهما، والقول في اللطيف من الكلام.

١٧٤ ـ مناسك الحجّ.

١٧٥ ـ مناسك الحج مختصر.

١٧٦ ـ الموجز في المتعة، وهو الذي أشرنا إليه فيما سبق.

١٧٧ ـ النصرة في فضل القرآن.

١٧٨ ـ النصرة لسيّد العترة في حرب البصرة، وقد طبع في النجف باسم «الجمل».

١٧٩ ـ نقض في الإمامة على جعفر بن حرب.

١٨٠ ـ نقض في الخمس عشرة مسألة على البلخي.

١٨١ ـ النقض على ابن عبّاد في الإمامة.

١٨٢ ـ النقض على أبي عبد الله البصري.

١٨٣ ـ النقض على الجاحظ في فضيلة المعتزلة.

١٨٤ ـ النقض على الطلحي في الغيبة.

١٨٥ ـ النقض على عليّ بن عيسى الرمّاني في الإمامة.

١٨٦ ـ النقض على غلام البحراني في الإمامة.

١٨٧ ـ النقض على النصيبي في الإمامة.

١٨٨ ـ النقض على الواسطي.

١٨٩ ـ نقض فضيلة المعتزلة.

١٩٠ ـ نقض كتاب الأصم في الإمامة.

١٩١ ـ نقض المروانيّة.

١٩٢ ـ النكت في مقدّمات الأُصول، وسمّاه شيخنا الرازي «الكشف» وهو الّذي سبق أن ذكره باسم أُصول الفقه، وأدرجه الكراجكي في كنز الفوائد من ص ١٨٦ إلى ص ١٩٤.

١٩٣ ـ المقنعة في الفقه.

١٩٤ ـ نهج البيان إلى سبيل الإيمان، حكى عنه الشهيد في مجموعته الّتي كتبها بخطّه، ومن خطّه استنسخها الشيخ شمس الدين محمّد الجبعي جدّ الشيخ البهائي، والّذي يظهر من السيّد ابن طاووس في كتاب اليقين في الباب الرابع والسبعين بعد المائة كونه نهج الحقّ، حيث قال: إنّ الشيخ المفيد نسب الصاحب بن عبّاد إلى جانب المعتزلة في خطبة نهج الحقّ، ولعلّه غير نهج البيان ويحتمل اتّحادهما[1].

قال الأُستاذ الخوئي قدّس سرّه:

وقال الشيخ (٧١٠): محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد، يكنى أبا عبد الله المعروف بابن المعلّم، من جملة متكلّمي الإمامية، انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، وكان مقدماً في العلم وصناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدماً فيه حسن الخاطر دقيق الفطنة حاضر الجواب، وله قريب من مائتي مصنف كبار وصغار، وفهرست كتبه معروف، ولد سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وتوفّي لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، وكان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثرة

---

(١) نقلنا ذلك كلّه من مقدّمة كتاب الأمالي للشيخ المفيد: ١٣ ـ ٢٤. وفي هامش ٢٤ قال: نقلنا ذكر تآليفه من مقدّمة التهذيب ١: ٢٢ ـ ٣٠ بقلم الحجّة العلّامة السيّد حسن الموسوي الخرسان، ومنهج المقال ذيل ترجمة المؤلّف: ٣١٧ ـ ٣١٨.

الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق [المؤالف] فمن كتبه:

١ ـ كتاب المقنعة في الفقه.

٢ ـ كتاب الأركان في الفقه.

٣ ـ رسالة في الفقه إلى ولده لم يتمّمها.

٤ ـ كتاب الإرشاد.

٥ ـ كتاب الإيضاح في الإمامة.

٦ ـ كتاب الإفصاح.

٧ ـ كتاب النقض على ابن عبّاد في الإمامة.

٨ ـ كتاب النقض على عليّ بن عيسى في الإمامة.

٩ ـ كتاب النقض على ابن قتيبة في الحكاية والمحكي.

١٠ ـ كتاب في أحكام أهل الجمل.

١١ ـ كتاب المنير في الإمامة.

١٢ ـ المسائل الصاغانيّة.

١٣ ـ المسائل الجرجانيّة.

١٤ ـ المسائل الدينوريّة.

١٥ ـ المسائل المازندرانيّة.

١٦ ـ المسائل المنثورة نحو مائة مسألة.

١٧ ـ كتاب الفصول من العيون والمحاسن.

١٨ ـ كتاب أحكام المتعة، وغير ذلك من كتبه ممّا أومأنا إليه ممّا هو مثبت في فهرست كتبه، وله:

١٩ ـ المسألة الكافية في إبطال توبة الخاطئة.

٢٠ ـ كتاب النصرة لسيّد العترة في أحكام البغاة عليه بالبصرة، سمعنا منه هذه

كلّها، بعضها قراءة عليه، وبعضها يقرأ عليه غير مرّة وهو يسمع، وعدّه في رجاله فيمن لم يرو عنهمعليهم السلام (١٢٤)، قائلاً: محمّد بن محمّد النعمان، جليل ثقة.

وذكر ابن شهرآشوب في معالم العلماء جملة من كتبه غير ما مرّ (٧٦٥).

وذكر المحدث المجلسي في مقدّمة البحار جملة أُخرى من كتبه.

وقال ابن إدريس في آخر السرائر في ذيل ما استطرفه من كتاب العيون والمحاسن: وكان هذا الرجل كثير المحاسن حديد الخاطر، جم الفضائل غزير العلم، وكان من أهل عكبرى من موضع يعرف بسويقة بن بصري، وانحدر مع أبيه إلى بغداد، وبدأ بقراءة العلم على أبي عبد الله المعروف بالجعل بدرب رباحة، ثمّ قرأ من بعده على أبي ياسر غلام أبي الحسن بباب خراسان، فقال له أبو ياسْر: لم لا تقرأ على عليّ بن عيسى الرمّاني الكلام وتستفيد منه؟ فقال: ما أعرفه ولا لي به أُنس، فأرسل معي من يدلّني عليه، قال: ففعل ذلك وأرسل معي من أوصلني إليه، فدخلت عليه، والمجلس غاصّ بأهله، وقعدت حتّى انتهى بي المجلس، فلمّا خفّ الناس قربت منه، فدخل عليه داخل، فقال: بالباب إنسان يؤثر لحضور مجلسك وهو من أهل البصرة، فقال: هو من أهل العلم؟ فقال غلامه: لا أعلم إلّا أنّه يؤثر لحضور مجلسك، فأذن له فدخل عليه فأكرمه وطال الحديث بينهما، فقال الرجل لعليّ بن عيسى: ما تقول في يوم الغدير والغار؟ فقال: أمّا خبر الغار فدراية، وأمّا خبر الغدير فرواية، والرواية لا توجب ما توجبهُ الدراية، قال: وانصرف البصري ولم يحر خطاباً يورد إليه، قال المفيد رحمه الله: فقلت: أيّها الشيخ مسألة، فقال: هات مسألتك، فقلت: ما تقول فيمن قاتل الإمام العادل؟ قال: يكون كافراً، ثمّ استدرك فقال: فاسقاً، فقلت: ما تقول في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ قال: إمام، قلت: فما تقول في يوم الجمل وطلحة والزبير؟ فقال: تابا، فقلت: أمّا خبر الجمل فدراية، وأمّا خبر التوبة فرواية، فقال لي: كنت حاضراً وقد سألني البصري؟ فقلت: نعم، رواية برواية ودراية

بدراية، فقال: بمن تعرف وعلى من تقرأ؟؟ قلت: أُعرف بابن المعلم، وأقرأ على الشيخ أبي عبد الله الجعل، فقال: موضعك، ودخل منزله وخرج ومعه رقعة قد كتبها وألصقها، فقال لي: أوصل هذه الرقعة إلى أبي عبد الله، فجئت بها إليه فقرأها ولم يزل يضحك بينه وبين نفسه، ثمّ قال: أيش جرى لك في مجلسه؟ فقد وصّاني بك ولقّبك المفيد، فذكر المجلس بقصته فتبسّم (انتهى).

قال: وحكى نظير ذلك مناظرته مع القاضي عبد الجبّار، وفي آخره أنّ الشيخ القاضي قد بهت ولم يحر جواباً، ووضع رأسه ساعة ثمّ رفع رأسه، وقال: من أنت؟ وقال: خادمك محمّد بن محمّد بن النعمان الحارثي، فقام القاضي من مقامه وأخذ بيد الشيخ وأجلسه على مسنده، وقال: أنت المفيد حقّاً(انتهى).

ـ قال السيّد الأُستاذ بعد ذلك: ـ

بقي هنا أُمور.

الأوّل: أنّه حكي عن رسالة نهج العلوم ليحيى بن بطريق الحلّي توقيعات صدرت من الناحية المقدسة إلى الشيخ المفيد قدّس الله روحه، أوّلها[1]:

للأخ السديد، والولي الرشيد، الشيخ المفيد أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان أدام الله إعزازه من مستودع العهد المأخوذ على العباد، بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد سلام عليك أيّها الولي المخلص في الدين، المخصوص فينا باليقين... وفي آخر هذا التوقيع: هذا كتابنا إليك أيّها الأخ الولي، والمخلص في ودّنا الصفي، والناصر لنا الوفي، حرسك الله بعينه الّتي لا تنام، فاحتفظ به ولا تظهر على خطّنا الّذي سطّرناه بما له ضمّناه أحداً، وأدّ ما فيه إلى من تسكن إليه، وأوص جماعتهم بالعمل عليه إن شاء الله، صلّى الله عليه وآله الطاهرين.

---

(١) انظر الأرقام: ٢٨، ٢٩، ٤٩، ٥٤، ٥٥، ٧٥، ١٠٤، ١٠٦، ٢١٢، ٢٣٧، ٢٧٠، ٣٨٩.

والتوقيع الثاني[١] ورد عليه يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجّة سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم سلام الله عليك أيّها الناصر للحقّ، والداعي إليه بكلمة الصدق، فإنّا نحمد الله إليك الّذي لا إله إلّا هو، إلهنا وإله آبائنا الأوّلين، ونسأله الصلاة على سيّدنا ومولانا محمّد خاتم النبيّين، وعلى أهل بيته الطاهرين. وبعد فقد كنّا نظرنا مناجاتك ـ عصمك الله بالسبب الّذي وهبه الله لك من أوليائه، وحرسك به من كيد أعدائه ـ إلى أن قال : ـ ونحن نعهد إليك أيّها الولي المخلص، المجاهد فينا الظالمين، أيّدك الله بنصره الّذي أيّد به السلف من أوليائنا الصالحين، ـ إلى أن قال: ـ وكتب في غرّة شوّال من سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، (وفي آخره): هذا كتابنا إليك أيّها الوليّ الملهم للحقّ العليّ بإملائنا، وخطّ ثقتنا، فأخفه عن كلّ أحد وأطوه واجعل له نسخة يطّلع عليها من تسكن إلى أمانته من أوليائنا، شملهم الله ببركتنا إن شاء الله، الحمد لله والصلاة على سيّدنا محمّد النبيّ وآله الطاهرين.

والتوقيع الثالث مفقود ولم تصل إلينا صورته.

وأمّا هذان التوقيعان فقد ذكرهما الطبرسي في الاحتجاج: الجزء ٢، في توقيعات واردة من الناحية المقدّسة.

أقول: هذه التوقيعات لا يمكننا الجزم بصدورها من الناحية المقدّسة؛ فإنّ الشيخ المفيد ﷺ قد تولّد بعد الغيبة الكبرى[٢] بسبع أو تسع سنين، وموصل التوقيع إلى الشيخ المفيد ﷺ مجهول، هب أنّ الشيخ المفيد جزم بقرائن أنّ التوقيع صدر من الناحية المقدّسة، ولكن كيف يمكننا الجزم بصدوره من تلك الناحية، على أنّ رواية

---

(١) انظر الأرقام: ١٠، ١١٨، ١٣١، ١٤٢، ٢٢٣، ٢٤٤، ٢٦٥، ٣٧٠.

(٢) كذا ولعلّ الصحيح «الصغرى» ليستقيم ما يريده؛ لأنّه لم تنته الكبرى لتكون الولادة بعدها لكنّ المراد الشروع بها.

الاحتجاج لهذين التوقيعين مرسلة، والواسطة بين الطبرسي والشيخ المفيد مجهول[١].

الأمر الثاني: إنّك قد عرفت أنّ الشيخ المفيد إنّما لقّبه بهذا اللقب عليّ بن عيسى الرمّاني، والقاضي عبد الجبّار، ولكن ابن شهرآشوب قال في معالم العلماء: ولقّبه بالشيخ المفيد صاحب الزمان صلوات الله عليه، وقد ذكرت سبب ذلك في مناقب آل أبي طالب ـ انتهى ـ.

وما ذكره رحمه الله لا نعرف له أساساً، ولم نجد له ذكراً في المناقب، ولعلّه رحمه الله نظر في ذلك إلى ماورد في التوقيع المتقدّم من توصيف الشيخ المفيد، ولكنّك قد عرفت أنّ التوقيع لم يثبت، وعلى تقدير ثبوته فقد صدر التوقيع في أواخر حياة الشيخ المفيد رحمه الله، وإنّما لقّب الشيخ بالمفيد في عنفوان شبابه.

الأمر الثالث: نسب بعضهم إلى ابن شهرآشوب في معالم العلماء أنّه وصف الشيخ المفيد في ترجمته بالقميّ، وهذه النسبة غير ثابتة والنسخة الموجودة عندنا خالية عن ذلك، والشيخ المفيد ليس بقميّ جزماً.

الأمر الرابع: أنّه اختلف كلام النجاشي وكلام الشيخ في مولد الشيخ المفيد رحمه الله بعد اتّفاقهما في تأريخ وفاته، ولم يظهر أنّ أيّهما الصحيح وإن كان ما ذكره الشيخ يؤيّده ما حكي عن ابن النديم في فهرسته من أنّ مولد الشيخ سنة ٣٣٨.

روى بعنوان الشيخ أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان عن أحمد بن محمّد ابن الحسن بن الوليد. مشيخة التهذيب: في طريقه إلى الحسين بن سعيد ومحمّد بن الحسن الصفّار.

وروى عن أحمد بن محمّد بن الحسن بن الوليد أبي الحسن، مشيخة التهذيب: في طريقه إلى الحسن بن محبوب.

---

(١) سيأتي أنّه لوجود شواهد يمكننا الجزم ولا يضرّ الإرسال.

وروى عن جعفر بن قولويه أبي القاسم، مشيخة التهذيب: في طريقه إلى محمّد ابن يعقوب الكليني.

وروى عن الحسن بن حمزة العلوي الطبري أبي محمّد، مشيخة التهذيب: في طريقه إلى عليّ بن إبراهيم بن هاشم.

وروى عن محمّد بن أحمد بن داود أبي الحسن، مشيخة التهذيب في طريقه إلى أحمد بن داود القميّ.

وروى عن محمّد بن الحسين بن سفيان البزوفري أبي جعفر، مشيخة التهذيب في طريقه إلى أحمد بن ادريس.

وروى عن محمّد بن عليّ بن الحسين أبي جعفر، مشيخة التهذيب في طريقه إلى محمّد بن عليّ بن الحسين أبي جعفر، ويونس بن عبد الرحمن[1].

المقام الثاني التكلّم عن سند الكتابين إليه:

لنا شواهد صادقة، وقرائن ناطقة على صحة الصدور للكتابين عن الناحية المقدّسة.

فمن الشواهد الإجماع المنقول واتّفاق الشيعة في القرن السادس عليه رواه جمع منهم الحافظ يحيى بن الحسن الأسدي الحلّي صاحب كتاب العمدة المشتهر بابن بطريق المتوفّى سنة ٦٠٠ هـ.

قال صاحب الحدائق في اللؤلؤة: وذكر الشيخ يحيى بن بطريق الحلّي ـ وقد تقدم ـ في رسالة نهج العلوم إلى نفي المعدوم: طريقين في تزكية الشيخ المفيد:

أحدهما صحّة نقله عن الأئمّة الطاهرين بما هو مذكور في تصانيفه من المقنعة وغيرها، إلى أن قال:

---

(١) معجم رجال الحديث ١٧: ٢٠٦ ـ ٢١٠.

وأمّا الطريق الثاني في تزكيته ما ترويه كافة الشيعة وتتلقاه بالقبول من أنّ صاحب الأمر صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه كتب إليه ثلاثة كتب، كتب في كلّ سنة كتاباً، وكان نسخة عنوان الكتاب: للأخ السديد، والمولى الرشيد، الشيخ المفيد...

ثمّ قال: وهذا أوفى مدح وتزكية، وأزكى ثناء وتطرية بقول إمام الأُمّة وخلف الأئمّة انتهى[(١)].

ومنهم الشيخ البحراني في لؤلؤته بقوله المتقدّم ذكره بعد الأبيات المكتوبة على قبر المفيد: (وليس هذا ببعيد بعد خروج ما خرج عنه عليه السلام من التوقيعات للشيخ المذكور المشتملة على مزيد التعظيم والإجلال)[(٢)].

ومنهم صاحب مقابس الأنوار، قال في مقدمته في بيان سمات الثقات: (ومنها (المفيد) لشيخ المشائخ العظام، وحجّة الحجج الهداة الكرام، محيي الشريعة، وماحي البدعة والشنيعة، ملهم الحقّ ودليله، ومنار الدين وسبيله، صاحب التوقيعات المعروفة المهدوية المنقول عليها إجماع الإمامية، والمخصوص بما فيها من المزايا والفضائل السنيّة وغيرها من الكرامات الجلية، والمقامات العلية، والمناظرات الكثيرة الباهرة البهيّة الشيخ أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان الحارثي العكبري[(٣)] البغدادي الكاظمي سقى الله روضته ينابيع الرضوان، وأحلّه أعلى منازل الجنان، وله قريب من مائتي مصنّف أو أكثر...)[(٤)].

---

(١) لؤلؤة البحرين: ٣٦٧. (٢) المصدر: ٣٦٣.

(٣) نسبة إلى عكبرىٰ اسم بليدة من نواحي الدُجيل قرب صريفين وأوانا، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، والنسبة إليها عكبري... وقيل فيها شعراً:

لله درّك يا مدينة عُكبرىٰ ... أيا خيار مدينة فوق الثرىٰ

إن كنت لا أُمّ القرى فلقد أرى ... أهليك أرباب السماحة والقِرى

معجم البلدان ٤: ١٤٢.

(٤) مقابس الأنوار: ٥.

أقول:

وليت شعري لماذا الترديد بعد دعوى إجماع الإمامية على ذلك، وهل المطالبة بصحّة السند بعد الإجماع على صدور الكتابين إلّا كمطالبة البيان بعد العيان، وقد قال المحدّثون في ذلك: (جاء العيان فألوى بالأسانيد)؟[١].

نقاش حول الإجماع:

قد يناقش في الإجماع بأنّه ليس على حكم شرعي فرعي حتّى يكون حجّة حيث لا جدوى منه ما لم يكن كذلك، ولا يثبت الكتابان على تقدير الصدور حكماً شرعيّاً.

والجواب عن ذلك ليس معنى إجماع الإماميّة على صدور التوقيعات إلّا ثبوتها سواء أكانت تثبت حكماً شرعياً أم لا ومعنى ذلك اتّفاقهم على أمر من أُمور الدين إطلاقاً؛ أخذاً بعموم أو إطلاق قول الإمام المهدي عليه السلام: «لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يؤدّيه عنّا ثقاتنا»[٢]. الشامل للحكم الشرعي وغيره.

وكان السيد الخوئي رحمه الله قد ناقش[٣] ـ من خلال تعرّضه إلى هذين الكتابين ـ مسألة الإرسال وعدم وضوح الواسطة بين الطبرسي والشيخ المفيد، وكذا بين الشيخ والإمام المهدي عليه السلام، ولكتاب الاحتجاج بشكل عام إلّا ما علم بصحّته، وكتب أُخرى[٤]، وكنّا في مجلس درسه في النجف الأشرف ـ حوالي ربع قرن ـ نسمع منه

---

(١) مجمع الأمثال للميداني ١: ١٩٩، المولدون، المفسّر بالمحدّثين انظر خزانة الأدب للبغدادي ١: ٦، مقدّمة المؤلّف.

(٢) الوسائل ١٨: ١٠٨، الباب ١١ من أبواب صفات القاضي، الحديث ٤٠، وانظر رقم المختار ٣٣٣ من كتابنا هذا.

(٣) معجم رجال الحديث ١٧: ٢٠٨ ـ ٢١٠.

(٤) هي كتاب تحف العقول، ودعائم الإسلام، والفقه الرضوي.

إسقاط هذه الكتب عن الحجيّة والاعتبار؛ لأجل مسألة الإرسال نفسها، وقد بنى رحمه الله على وثاقة الرواية بوثاقة الراوي أو الرواة المذكورين في سلسلة السند فحسب تبعاً للشهيد وولده صاحب المعالم ومن اختار رأيهم قدّس الله أسرارهم، لا وثاقة الرواية المتحصّلة تارة بوثاقة الراوي، وأُخرى بعمل الأصحاب أو فتاواهم أو القرائن المعتبرة، وإن كانت الرواية مرسلة أو ضعيفة لأحد أسباب الضعف؛ فإنّ عملهم يكون جابراً له كما أنّ إعراضهم كاسر للخبر الصحيح.

وعليه فما ذكره من عدم الجزم بالصدور لأجل ذلك على مبناه صحيح، إلّا أنّ المختار عندنا وثاقة الرواية إطلاقاً، لا وثاقة الراوي فحسب؛ تبعاً لأكثر المحقّقين، والكلام على المذهبين موكول إلى علم الأُصول، ولكنّه لا يمنع ذكر شيء منه من الشواهد على صدور التوقيعات.

فمن هذه الشواهد أنّ الشيخ الطبرسي طاب ثراه بيّن وجه الإرسال لأسانيد محتوى كتاب الاحتجاج، فقال في مقدّمته: (ولا نأتي في أكثر ما نورده من الأخبار بأسانيده، إمّا لوجود الإجماع عليه، أو موافقته لما دلّت العقول إليه، أو لاشتهاره في السير والكتب بين المخالف والمؤالف، إلّا ما أوردته عن أبي محمّد العسكري عليه السلام؛ فإنّ ليس في الاشتهار على حدّ ما سواه، وإن كان مشتملاً على مثل الّذي قدّمناه؛ فلأجل ذلك ذكرت إسناده في جزءٍ من ذلك دون غيره...)[١].

وأنت خبير بأنّ استثناء رواية الإمام العسكري عليه السلام المراد بها التفسير المنسوب إليه روحي فداه دليل على أنّ بقيّة محتوى الكتاب معتبر، نعم، هنا كلام هو أنّ المعتبر عنده لا يستلزم الاعتبار المطلق حتّى عندنا.

والإنصاف أنّه يورث الوثوق المطلق؛ لنفس العذر وعلّة الاختصار بترك الأسانيد.

---

(١) الاحتجاج ١: ٤.

ومن الشواهد أيضاً عمل الطائفة بالمراسيل كعملهم بالمسانيد ما لم يعارضها الأقوى منها[١]؛ والدليل على ذلك تصريح شيخ الطائفة في كتاب العدّة لا بأس بذكره.

قال صاحب المعالم بعد قوله: ـ و حكي في النهاية القول بالقبول عن جماعة من العامة... وقوله وهو قول محمّد بن خالد من القدماء الإماميّة ـ[٢] : وقال المحقّق: إذا أرسل الراوي الرواية قال الشيخ: إن كان ممّن عرف أنّه لا يروي إلّا عن ثقة قبلت مطلقاً[٣]، وإن لم يكن كذلك قبلت بشرط أن لا يكون لها معارض من المسانيد الصحيحة؛ واحتجّ؛ لذلك بأنّ الطائفة عملت بالمراسيل عند سلامتها عن المعارض كما عملت بالمسانيد، فمن أجاز أحدهما أجاز الآخر...[٤].

ومن المعلوم أنّ الكتابين المرسلين إلى الشيخ المفيد سالمان عن المعارض الصحيح من المسانيد، فيدخلان في كلي المقياس الثاني؛ لأنّ الطبرسي عدل أرسل الكتابين عن المعصوم عليه السلام، ولا معارض لهما من المسانيد الصحيحة، فيشملهما عمل الطائفة لتوفّر شروط العمل بهما.

على أنّ الطبرسي نفسه قد صرّح أنّهما كَالبقيّة من محتوى الكتاب من المسانيد قد حذفت أسنادها إلّا رواية الإمام العسكري عليه السلام[٥] كما تقدّم آنفاً.

ولربّما يقال: إنّ عمل الطائفة الّذي حكي عن الشيخ الطوسي يختصّ بالرواة للروايات التي أرسلوها إلينا، لا ما يرسله العلماء المؤلّفون في كتبهم كمراسيل كتاب الاحتجاج.

---

(١) أي من المسانيد؛ فإنّ المراسيل لا تقاوم الأقوى منها قطعاً.

(٢) هل هو الأشعري أو الأحمسي البجلي الثقة أو البرقي ؟ انظر معجم رجال الحديث ١٦: ٧٠ ـ ٧٨.

(٣) كان لها معارض من المسانيد الصحيحة أو لا.

(٤) معالم الأُصول: ٢١٤، فصل الأخبار طبع المكتبة الإسلامية بطهران.

(٥) الاحتجاج ١: ٤.

إلّا أنّه يقال: إنّ علماء الشيعة غير منفصلين عن الرواة في عصر الحضور، وإن كانوا في زمن الغيبة؛ فإنّ ورعهم يأبى أن يتقوّلوا.

على أنّ العدل منهم إذا قال: قال الصادق عليه السلام بالإرسال بدون ذكر الواسطة أوجد لنا الاطمئنان؛ لأنّ تعمد الكذب أو الغفلة والنسيان كلّ ذلك منتف؛ بدليل العدالة والأصل العقلائي كما حرّر في الأُصول.

على أنّ لنا بياناً حول اعتبار الثقة إذا أخبر عن المعصوم بواسطة غير معلومة القدح ولا المدح فإنّ المختار كفاية وثاقة الراوي الأول لنا عن النظر في بقيّة الرواة من دون افتقار إلى إحرازها ما لم يعلم المقدوح منها؛ لأنّ معنى صدّق العادل ثبوت قول المعصوم المستلزم لثبوت أثره الشرعي، ولا يثبت ذلك إلّا بثبوت الواسطة المنتهية إليه، واعتبارها الذي هو من آثار تصديق العادل؛ والوجه فيه أنّ تصديق كلّ شيء بحسبه، فإذا قال زيد حدّثني عمرو عن بكر عن دعد عن الإمام عليه السلام صدّق قول زيد الراوي الأوّل لنا؛ لأنّه عدل يجب تصديقه، ولازمه ثبوت قول عمرو الراوي عن بكر وهو لا يثبت إلّا بثبوت قول دعد، وثبوت قول دعد ثبوت قول الإمام عليه السلام؛ لأنّ إخبار الجميع بمنزلة إخبار واحد، وإن كان حسب التحليل أربعة؛ وإلّا فليس تصديقاً لزيد العادل الراوي الأوّل، هذا إذا كان رجال السند مذكورين فيه؛ والمرجع في ذلك كلّه العرف العام. وأمّا الكلام حول بعض رجاله المطعون فيه بأحد أسباب الطعن فهناك طرق أُخر ذكرها السيّد ابن طاووس في مقدّمة فلاح السائل[1]، وكانت الغاية منها التطبيق لها في روايات الكتاب.

قال طاب ثراه ـ وهو في صدد بيان وجوه الأعذار المصحّحة لها والّتي تنفع لدفع الشكوك في أسناد التوقيعات أو إرسالها ـ:

اعلم أنّني أروي فيما أذكر من هذا الكتاب روايات وطريقي إليها من خواصّ

---

(١) فلاح السائل: ٩.

أصحابنا الثقات، وربّما يكون في بعضها بين بعض الثقات المشار إليهم وبين النبيّ ﷺ أو أحد الأئمّة صلوات الله عليهم رجل مطعون عليه بطعن من طريق الآحاد، أو يكون الطعن عليه برواية مطعون عليه من العباد وبسبب محتمل لعذر للمطعون عليه يعرف ذلك، أو يمكن تجويزه عند أهل الانتقاد، وربّما يكون عذري، أيضاً فيما أرويه عن بعض من يطعن عليه أنّني أجدُ من أعتمد عليه من ثقات أصحابنا الّذين أسندت إليهم عنه أو إليه عنهم قد رووا ذلك عنه ولم يستثنوا تلك الرواية، ولا طعنوا عليها ولا تركوا روايتها، فأقبلها منهم، وأُجوّز أن يكون قد عرفوا صحّة الرواية المذكورة بطريقة أُخرى محقّقة مشكورة، أو رأوا عمل الطائفة عليها فاعتمدوا عليها، أو يكون الراوي المطعون على عقيدته ثقة في حديثه وأمانته.

فقد يكون في الكفّار من هو ثقة في نقل ما يحكيه من الأخبار كما اعتمد علماء أهل الإسلام على أخبار أطبّاء أهل الذمّة في إخبارهم بما يصلح لشفاء الأسقام.

ولولا المانع الذي منع من الاعتماد على رواية من خرج عن عموم لفظ الاتّباع لأهل البيت أو لبعضهم بالحكاية عليهم أفضل السلام لقد كان يمكن العمل برواية كلّ من عرف منه الصدق والأمانة في حديثه من سائر فِرَق الإسلام.

أقول: ومن أعذاري في بعض ما أرويه من رواية وإن كان في بعض رجالها مطعون عليه أنّ أصحاب الأئمّة عليهم السلام كانوا في زمن تقيّة شديدة فيمكن أن يظهر أحدهم خلاف ما تنطوي غريزته عليه، إمّا في أكثر زمان، أو في بعض وقته لضرورة اباحته لتعذر إمكانه. وربّما ساغ إظهار عقيدة قالها على سبيل التقية فيظهر ذلك عنه، ولعلّه يعتذر عنها فلا يقبل بعض من يسمع العذر.

أقول: ومن العذر في نقل حديث رواية ينقل الطعن عليه أنّني وجدت ذلك الطعن من غير معصوم وعن معصوم لم يثبت اسناد الطعن إليه، فإنّ الطعن يحتاج إلى

شهادة ثابتة مرضيّة في الشريعة المحمّديّة صلى الله عليه وآله، أو طريق يكون عذراً واضحاً عند الجلالة الإلهيّة.

أقول: ومن الأعذار أنّني وجدت أنّ الإنسان قد يغضب على واحد في الأزمان، فيقول عنه في حال غضبه غير ما كان، إمّا على عمد أو نسيان، ثمّ يشيع ذلك حتّى يعتقد أو يظنّ كثير من السامعين أنّ ذلك حقّ وأنّه على يقين، ثمّ ينكشف بعد هذا لبعض من يستكشف عنه أنّه ما كان في شيء من ذلك قد وقع منه، وربّما اعترف الّذي قال في حال غضبه بأنّه أخطأ في الطعن والمقال فيعرف ذلك منه من سمع اعترافه ويبقى ما سمع من الاعتراف على اعتقاد ذلك الطعن الأوّل، وهذا رأينا في كثير من الأحوال.

أقول: ومن الأعذار أنّني رأيت الله جلّ جلاله وخواص عباده وكلّ من اعتبرت حال أعدائه وحسّاده، فما وجدت أحداً منهم يسلم أن يقال عنه ما لم يكن وقع عنه، فوجب ترك الطعن إلّا بيقين أو ما يقوم مقامه واضحاً كالشمس مقطوعاً على سلامة الطعن من الغلط واللبس.

أقول: وهذا يكفي في الجواب عن الطعن في الأمور الظواهر، وأمّا العقائد فإنّ الطعن على فسادها يحتاج أن يعلم ذلك يقيناً من جانب صادق من الله جلّ جلاله العلّام بالسرائر.

أقول: ومن الأعذار أنّني إن ذكرت شيئاً من الروايات مطعوناً على بعض رواته فإنّه قد يكون لي طريق آخر إلى ذلك الحديث غير الطريق الّذي قلته عن المطعون عليه في منقولاته: إمّا طريق إلى الإمام المعصوم غير ذلك الطريق، أو طريق إلى غيره من الحجج في مثل الحديث المشار إليه، أو طريق إلى الرجل الثقة الّذي روى المطعون عليه عنه؛ فإنّني ما أذكره إلّا ما لي مخرج عنه.

أقول: لو لم يكن من العذر الواضح والمخرج الصالح في كلّ ما يكون في هذا

الكتاب من رواية عمّن روى عنه مطعن بسبب من الأسباب، أو حديث لم أذكر إسناده لبعض الأعذار إلّا ما رويت عن جماعة من ذوي الاعتبار وأهل الصدق في نقل الآثار بإسنادهم إلى الشيخ المجمع على عدالته أبي جعفر محمّد بن بابويه تغمّده الله برحمته فيما رواه من كتاب ثواب الأعمال...[١].

إلى آخر الوجوه المسوّغة للاعتماد على أي رواية مطعونة السند بإرسال أو أحد أسباب الضعف، وذكر الأعذار النافعة لمن يهمّه تصحيح السند الضعيف، والّتي قد يعضدها نظم الكلام ولحنه أو القرائن الأُخرى الدالّة على صدق الصدور عن المعصوم عليه السلام.

هذا ولعل من أهمّ ما أُثير في الطعن على صحّة هذين الكتابين هو عدم تعرّض تلامذة الشيخ رحمه الله أمثال السيّد المرتضى والشيخ الطوسي والنجاشي وغيرهم من علماء وفضلاء ذلك العصر، سيّما وقد وصلتنا عن تلك الحقبة الكثير من المؤلّفات المهمّة الّتي تبحث في مسألة الغيبة وتستشهد بجملة التوقيعات الصادرة عن الناحية المقدّسة لجملة من الفضلاء والمؤمنين، بل والأنكى من ذلك كلّه إعراض الشيخ المفيد عينه عن التصريح بهذا الأمر والتحدّث عنه.

إلّا أنّا يمكننا الجواب عن ذلك باعتماد جملة من الشواهد الموضحة لهذا اللبس، والّتي من أهمّها ما ورد من النهي عن الإشاعة في متن الكتاب الأوّل من قوله عليه السلام:

«ولا تظهر على خطّنا الّذي سطّرناه بما له ضمّناه أحداً»[٢].

ولعلّ باقي القدماء المنوّه بأسمائهم بعد اطّلاعهم على الكتابين بوجه من

---

(١) فلاح السائل: ٩ ـ ١١، ومن كان له إلمام بالأحاديث لا يعسر عليه الاطمئنان إمّا بالسقوط، أو الثبوت والحمد لله.

(٢) الاحتجاج ٢: ٣٢٤، توقيعات الناحية المقدّسة.

الوجوه أعرضوا عن التصريح بفحوى هذين الكتابين أو حتّى الإشارة إليهما في كتبهم، وإن كان مورد النهي يختصّ بالشيخ رحمه الله؛ إذ كما قرّر في محلّه أنّ خصوص المورد لا يمنع عموم الحكم الوارد.

وممّا يؤيّد العموم حديث التكذيب لمن يدّعي الاتّصال به عليه السلام بالمشاهدة أو ما هو بحكمها؛ ويشهد له فحوى التوقيع الخارج إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد السمري رابع السفراء ـ رضوان الله عليهم ـ:

«فقد وقعت الغيبة التامّة... إلى أن قال: وسيأتي لشيعتي من يدّعي المشاهدة ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر»[١].

فالإظهار إمّا كذب وافتراء، أو منهي عنه، ولعل العلة في ذلك غلق الباب في وجوه مدّعي البابيّة المتواجدين في كلّ دور كأضراب الشريعي والنميري، والهلالي والبلالي.

ولا ينافيه في بعض الظروف جواز الإظهار من بعض العلماء كالسيّد بحر العلوم[٢] طاب ثراه، أو عوام المؤمنين مثل إسماعيل الهرقلي[٣] و غيرهما، لأسباب اُخر.

ثمّ إنّما أخّرنا الترجمة إلى هذا الموضع ولم نذكرها في الكتاب الأوّل له؛ أداءً للحقّين: شرح الكتاب، والاستيعاب للترجمة؛ إذ لكلّ كلام باب، ولكلّ مقال مقام[٤].

* * *

---

(١) غيبة الطوسي: ٢٤٣.

(٢) انظر المختار: «إنّ الأدب في الامتثال» ١٠٢.

(٣) «المصلحة رجوعك» رقمه ٤٠١.

(٤) المثل السائر: (لكلّ مقام مقال) مجمع الأمثال ٢: ١٤٨، والكلمتان متقاربتان، والحمد لله.

٣٣٣
لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يؤدّيه عنا ثقاتنا

من التوقيع الصادر عن الناحية المحفوفة بالقدس والنور، الوارد على القاسم بن العلاء، في أمر أحمد بن هلال العبرتائي، والتحذير عنه، ومنه ما يلي ممّا رواه الكشي من نسخة ما ورد: «ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال ـ لا رحمه الله ـ، وممّن لا يبرأ منه وأعلم الإسحاقي ـ سلّمه الله ـ وأهل بيته ممّا أعلمناك من حال هـذا الفـاجر، وجميع من كان سألك ويسألك عنه من أهل بلده والخارجين، ومن كان يستحقّ أن يطلع على ذلك؛ فإنّه لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يؤدّيه عنّا ثقاتنا قد عرفوا بأنّنا نفاوضهم سرّنا، ونحمله إيّاه إليهم، وعرّفنا ما يكون من ذلك إن شاء الله تعالى»[1].

تقدّم التوقيع عند «بتر الله عمره»[2]، كما وسبقت هناك ترجمة الهلالي وكـذا عند «الشريعي»[3].

ورواه الشيخ الحرّ قال: وعن عليّ بن قتيبة عن أحمد بن إبراهيم المراغي قال: ورد على القاسم بن العلاء، وذكر توقيعاً شريفاً يقول فيه: فإنّه لا عذر لأحد مـن

(١) اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي: ٥٣٦، الرقم ١٠٢٠، معجم رجال الحديث ٢: ٣٥٦، ولفظه «...فيما روي».

(٢) رقمه ١٣٦.

(٣) رقمه ٢٢٢.

مواالينا في التشكيك فيما يؤدّيه عنّا ثقاتنا...»[١].

وعلى ما أسلفناه من لزوم الأخذ برواية العدل حتّى مع الواسطة بينه وبين المعصوم عليه السلام التوقيع الشريف ثابت عندنا؛ لأنّ الكشّي عدل رواه عنه، ولمزيد الوضوح انظر أواخر المختار: «لا صوّت الناعي...»[٢].

وقد تمسّك به الفقهاء في كتبهم الاستدلالية على اعتبار حديث الثقة العرفي.

ويفهم من التوقيع أنّ التشكيك في رواية الثقات لا مبرّر ولا عذر لأحد كائناً من كان فيه، وأنّه عليه القبول إلّا فيما علم الخطأ، أو كان مخالفاً للكتاب والسنّة المعتبرة، أو للعقل السليم، وفيما سوى ذلك لا سبيل للردّ أو التشكيك في خبر الثقة.

ثمّ إنّ للوثاقة درجات لا تنفكّ عن بعضها العدالة، بل وفوق ذلك كما عن السيّد في مسلم بن عقيل في كتاب له من الحسين عليه السلام حين بعثه إلى أهل الكوفة.قال فيه: «وأنا باعث إليكم أخي وابن عميّ وثقتي مسلم بن عقيل...»[٣].

* * *

(١) الوسائل ١٨: ١٠٨ ـ ١٠٩، الباب ١١ من أبواب صفات القاضي، ح ٤٠.

(٢) رقمه ٣٣٢.

(٣) البحار ٤٤: ٣٣٤، وهو السيّد ابن طاووس طاب ثراه.

٣٣٤
لا مدخل للمخذول الضال المضل المعروف بالعزاقري

صدر عن الناحية المقدّسة توقيع في ردّ العزاقري مذكور كَمَلاً عند «كان من ارتداداتهم...»[١]. قال الشيخ الطوسي بإسناده المتقدم في نفس العنوان إلى ابن داود القمي: «قال: وجدت بخطّ أحمد بن ابراهيم النوبختي وإملاء أبي القاسم الحسين بن روح ﷺ على ظهر كتاب فيه جوابات ومسائل أُنفذت من قم يسأل عنها هل هي جوابات الفقيه ﷺ، أو جوابات محمّد بن عليّ الشلمغاني؟؛ لأنّه حكي عنه أنّه قال: هذه المسائل أنا أجبت عنها؟ فكتب إليهم على ظهر كتابهم: بسم الله الرحمن الرحيم وقد وقفنا على هذه الرقعة وما تضمّنته، فجميعه جوابنا ولا مدخل للمخذول الضالّ المضلّ المعروف بالعزاقري ـ لعنه الله ـ في حرف منه...»[٢].

أقول:

قد لا تكون الحوالة حاصلة، ولأجله رأينا ذكر بعض التوقيع ليميّز الطيّب من الخبيث مثل الشلمغاني المتمرّد على مولاه، وقد سبقت ترجمته عند ذكر «الشريعي والنميري والهلالي والبلالي»[٣] ونظرائه بشكل مشترك وعند «عجّل الله له النقمة ولا أمهله»[٤] على الاختصاص وقد ظهر هؤلاء المنحرفون في عصر الغيبة

---

(١) رقمه ٢٩٦. (٢) الغيبة: ٢٢٨.
(٣) رقمه ٢٢٢. (٤) رقمه ٢٤٥.

الصغرى، وأضرابهم في كل الأدوار متواجدون. فلابدّ من المعرفة الكافية بهم والحصول على أكبر طاقة من المقاومة في تجاههم؛ لأنّهم يستفزّون الجهلة من الشيعة ومن دينه كجناح بعوضة، تسرع إليهم الشبهات. فالحذار عن مخالطتهم وتشكيكاتهم. وإنّ الأنام في عصر الغيبة كالأغنام قد فقدت رعاتها. ففي الحديث العلوي: «كأنّي بكم تجولون جولان النَعم تطلبون المرعى فلا تجدونه»[١].

والرضوي: «كأنّي بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي يطلبون المرعى ولا يجدونه»[٢].

فلا يغفلنّ المؤمن عن الاستمساك بدينه والثبات عليه، والدعاء للفرَج كثيراً.

* * *

---

(١) كمال الدين ١: ٣٠٣، الباب ٢٦، ح ١٢.

(٢) أمثال وحكم الإمام الرضا عليه السلام ٢: ٦٩٩، رقم المثل ١٨١. وفيه فقه الحديثين وبحوث تمسّ بصلب الموضوع.

٣٣٥
الله الله اتقوا الله وأمسكوا عن ذلك

من كلام الحجّة من آل محمّد عليهم السلام في الكفّ عن ذكر الاسم المختصّ في المحافل.قال الشيخ الطوسي طاب ثراه، محمّد بن يعقوب، عن بعض أصحابنا، عن عبد الله بن جعفر الحميري، قال: اجتمعت والشيخ أبو عمرو عند أحمد بن إسحاق ابن سعد الأشعري، فغمزني أحمد بن إسحاق أن أسأله عن الخلف، فقلت له: يا ابا عمرو إنّي لأُريد أن أسألك عن شيء وما أنا بشاكّ فيما أُريد أن أسألك عنه؛ فإنّ اعتقادي وديني أنّ الأرض لا تخلو من حجة إلّا إذا كان قبل القيامة بأربعين يوماً رفع الحجّة وغلق باب التوبة فـ ﴿*لَا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً*﴾ [1] فأُولئك شرار خلق الله وهم الّذين تقوم عليهم القيامة، ولكن أحببت أن ازداد يقيناً؛ فإنّ إبراهيم عليه السلام سأل ربّه أن يريه كيف يحيي الموتى ﴿*قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي*﴾ [2]، وقد أخبرني أبو عليّ أحمد بن إسحاق أنّه سأل أبا الحسن صاحب العسكر عليه السلام وقال: من أُعامل وعمّن آخذ وقول من أقبل؟؟؟ فقال: «العَمري ثقتي فما أدّى إليك عنّي فعنّي يؤدّي، وما قال لك فعنّي يقول، فاسمع له وأطع؛ فإنّه الثقة المأمون».

وأخبرني أبو عليّ أنّه سأل أبا محمّد عليه السلام عن مثل ذلك، فقال له:

«العَمري وابنه ثقتان، فما أدّيا إليك فعنّي يؤدّيان، وما قالا فعنّي يقولان، فاسمع

---

(١) الأنعام: ١٥٨. (٢) البقرة: ٢٦٠.

لهما وأطعهما؛ فإنّهما الثقتان المأمونان».

فهذا قول إمامين قد مضيا فيك، فخرّ أبو عمرو ساجداً وبكى، ثمّ قال: سل، فقلت له: أنت رأيت الخلف من أبي محمّد عليه السلام؟ فقال: إي والله ورقبته مثل هذا وأومأ بيده، فقلت: بقيت واحدة، فقال: هات، قلت: الاسم؟ قال: محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي فليس لي أن أُحلّل ولا أُحرّم، ولكن عنه صلوات الله عليه؛ فإنّ الأمر عند السلطان أنّ أبا محمّد عليه السلام مضى ولم يخلف ولداً، وقسّم ميراثه، وأخذ من لا حقّ له فصبر على ذلك، وهو ذا عماله يجولون فليس أحد يجسر أن يتقرب إليهم ويسألهم شيئاً، وإذا وقع الاسم وقع الطلب، الله الله، اتّقوا الله وأمسكوا عن ذلك[١].

أقول: نحن نذهب في التسمية مذهب الصدوق من التحريم لوجوه:

الأوّل: لظاهر النهي.

الثاني: للاحترام والتعظيم وان قيل: لأجل الخوف وانتفى.

الثالث: ولعلّه العمدة أنّ اليهود والنصارى قالت: بأنّ النبيّ محمّداً أبا القاسم لم يبعث بعد، فإذا سمّي المهدي بهما أثبت دعواهم فحرم لذلك.

وعددناه من المختار؛ لأنّ العَمري لا يقول من تلقاء نفسه، نعم، لا ندفع حكاية قول الإمام المهدي عليه السلام بالمعنى، ولا بأس به إن كان الحاكي مصيباً على ما جاء بذلك الحديث الصحيح الصادقي: «إنّي أسمع الكلام منك فأُريد أن أرويه كما سمعته منك فلا يجيء قال: فتعمّد ذلك؟

قلت: لا، قال: تريد المعاني؟ قلت: نعم، قال: فلا بأس»[٢] وفيه الكفاية للدلالة على المعنى.

* * *

(١) الغيبة: ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٢) الوسائل ١٨: ٥٤، الباب ٨ من أبواب صفات القاضي، ح ١٠.

٣٣٦

اللّهمّ احجبني عن عيون أعدائي

إنّه عليه السلام محجوب عن العيون، فهل الجميع أعداؤه أم الأعداء هم المحجوبون؟ والأولياء الموفّقون غير محجوبين؟ الجواب هو التفصيل، غير المستور على الفطن الخبير، وقد سبق ذكر العهد عن أبيه الإمام العسكري عليهما السلام لسبب الاحتجاب، قال: «عهد إليّ أن لا أُجاور قوماً غضب الله عليهم ولعنهم»[١]. وقال: «عهد إليّ أن لا أُوطنّ من الأرض إلّا أخفاها»[٢].

وعليه فالناس في زمن الغيبة بين موفّق ومخذول، وبين مَن المصلحة في الاحتجاب عنه ومن عُجّل له بيُمن اللقاء، ولربط المختار ما يلي من أدعية حُجُب الأئمّة عليهم السلام برواية السيد ابن طاووس رحمه الله قال:

حجاب مولانا صاحب الزمان عليه السلام:

«اللّهمّ احجبني عن عيون أعدائي، واجمع بيني وبين أوليائي، وأنجز لي ما وعدتني، واحفظني في غيبتي إلى أن تأذن لي في ظهوري، وأحيي بي ما دَرَسَ من فروضك وسنّتك، وعجّل فرجي وسهّل مخرجي واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً، وافتح لي فتحاً مبيناً واهدني صراطاً مستقيماً، وقني جميع ما أُحاذره من الظالمين، واحجبني عن أعين الباغضين الناصبين العداوة لأهل بيت نبيّك...»[٣].

---

(١) رقمه ٢٥٣. (٢) رقمه ٢٥٤.

(٣) مهج الدعوات: ٣٠٢، البحار ٩٤: ٣٧٨.

ولا يفوتك أنّا ذكرنا الحجاب بأسره، وما علّق عليه السيّد طاب ثراه، وما عن بعض السادة المعلّقين عند «احجبني عن أعين الباغضين»[١]. ولأدنى علقة الحجاب نذكر بعض الشيء من المناسبات.

قال ابن الأثير:

وفيه[٢] «إنّ الله يغفر للعبد ما لم يقع الحجاب، قيل: يا رسول الله وما الحجاب؟ قال: أن تموت النفس وهي مشركة» كأنّها حجبت بالموت عن الإيمان. ومنه حديث ابن مسعود رضي الله عنه «من اطّلع الحجاب واقع ما وراءه» ـ أي إذا مات الإنسان واقع ما وراء الحجابين: حجاب الجنّة وحجاب النار؛ لأنّهما قد خفيا ـ وقيل اطّلاع الحجاب: مدّ الرأس؛ لأنّ المطالع يمدّ رأسه ينظر من وراء الحجاب وهو الستر[٣].

وقال الشيخ الطريحي: قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[٤] هو هاهنا الأُفق، والمعنى حتّى غابت الشمس في الأُفق واستترت به.قوله: ﴿وَبَيْنَهُما﴾[٥] ـ أي بين الجنّة والنار، أو بين أهلها ﴿حِجابٌ﴾[٦] يعني سوراً ـ والحجاب: الحاجز. قوله: ﴿وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[٧] مثله.

وفي وصفه تعالى: «حجابه النور» ويشير بذلك إلى أنّ حجابه خلاف الحجب المعهودة، فهو تعالى محتجب عن الخلق بأنوار عزّه وجلاله وسعة عظمته وكبريائه، وذلك هو الحجاب الّذي تدهش دونه العقول وتذهب الأبصار وتنحسر البصائر ولو كشف ذلك الحجاب فتجلّى حقائق الصفات وعظمة الذات لم يبق مخلوق إلّا احترق ولا معظور[٨] إلّا اضمحلّ. وأصل الحجاب الستر الحائل بين الرائي والمرئي

---

(١) رقمه ٢٠.
(٢) أي الحديث النبويّ.
(٣) النهاية ١: ٣٤٠ ـ حجب ـ. وفيه بعض اشتقاقاته.
(٤) صٓ: ٣٢.
(٥) الأعراف: ٤٦.
(٦) الأعراف: ٤٦.
(٧) فصّلت: ٥.
(٨) المعظور سيّء الخلق.

وهو هناك راجع إلى منع الإبصار بالرؤية له بما ذكر، فقام ذلك المنع مقام الستر الحائل فعبّر به عنه. و«محمّد ﷺ حجاب الله» ـ أي ترجمانه ـ وجمعه حُجُب ككتاب وكُتُب. و«احتجب الله دون حاجته» احتجاب الله أن يمنع حوائجه، ويخيّب آماله في الدنيا. وفي الحديث: «حجبت الجنّة بالمكاره، والنار بالشهوات». وحجبه حجباً من باب قتل: منعه، ومنه الحاجب وجمعه الحُجّاب بالتشديد. ومنه الحَجب في الفرائض[١].

أقول: من تفسير الحجاب باستتار المحجوب بالنور والعظمة أمكن القول بذلك في الأئمة المعصومين عليهم السلام ومنهم الإمام المهدي عجّل الله فرجه، فلهم الطاقة الموهوبة على الاستتار حيث شاؤوا وعمّن شاؤوا، ومنه ما رواه الشيخ الكليني طاب ثراه من شهوده عليه السلام في الموسم في كلّ عام يرى الناس ولا يرونه أو يرونه ولا يعرفونه[٢]؛ وذلك بإقدار الله عزّ وجلّ له، وأنّ له التصرّف وكيف لا، وعنده الاسم الأعظم، بل هو الاسم الأعظم إلّا أنّ الأئمّة عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿**بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[٣].

* * *

(١) مجمع البحرين: ٢: ٣٣ ـ ٣٤ ـ حجب ـ.
(٢) أُصول الكافي ١: ٣٣٢، ٣٣٨.
(٣) الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧.

٣٣٧

اللّهمّ أذلّ كلّ من ناواه وأهلك كلّ من عاداه

في توقيع له ـ عجّل الله فرجه ـ تعليم كيفيّة الصلاة على النبيّ ﷺ والدعـاء، علّمها الضرّاب الغسّاني السابق ذكره عند «صلّ عليهم كلّهم وسمّهم»(١) بواسـطة عجوز كانت تسكن دار الرضا عليه السلام الّتي كانت لخديجة في مكّة بأمر أبـي مـحمّد العسكري عليه السلام، فلا نعيد من قصّة الضرّاب إلّا بما يربط المختار، وإليك من رقـعة الصلوات الصادرة عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال:

«اللّهمّ وصلّ على وليّك المحيي سنّتك ـ إلى أن قال: ـ اللّهمّ أذلّ كلّ من ناواه، وأهلك كل من عاداه»(٢).

في كلمة المختار أمران:

الأمر الأوّل: أنّ مرجع الضمير في «ناواه، وعـاداه» هـو الإمـام المـهدي عليه السلام: ولا حزازة في رجوع الضمير إلى الآمر بالدعاء، والصلاة على الآمر بها، أليس يقول النبي أو أحد الأئمّة المعصومين عليهم صلوات الله فـي تشـهّدهم مـن صـلواتـهم المفروضة والمسنونة: «اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد»، وليست الصلاة إلّا على أنفسهم عليهم السلام؟ وهم لا يقصدون بذلك إلّا العبوديّة والإخـلاص لله، وعـنهم يـؤخذ التجريد والخلع الكامل، لا ما يدّعيه أربابه؛ لأنّ لهم عليهم السلام شـأناً لا يشـاركهم فـيه

---

(١) رقمه ٢٢٩.

(٢) غيبة الطوسي: ١٦٩ ـ ١٧٠.

غيرهم، خلقهم الله أنواراً فجعلهم بعرشه محدقين من نور عظمته وجلاله، ومن معدن اللطف صيغت نفوسهم قال الشيخ الأزري مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام:

لك نفس من معدن اللطف صيغت جعل الله كلّ نفس فداها[1]

هي نفس النبوّة والخلافة الّتي هي روح محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والسجّاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري والمهدي الوحدة المحمديّة المذكورة في حديث «أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد وكلّنا محمّد»[2] صلى الله عليه وآله وسلم، وليست الغاية مجرّد التسمية، بل نوريّة الذات والصفات والسيرة المحفوظة معها الجهات والمراتب الّتي رتّبهم الله فيها، وآية المباهلة[3] تشهد لتلك الوحدة النورية، والحديث النبويّ: «لتنتهنّ يا بني وليعة أو لأبعثنّ رجلاً كنفسي»[4] شاهد آخر، حتّى صار مثلاً يتمثّل به أهل البيت عليهم السلام، ومنه حديث الهادي روحي فداه[5]. و إذا ثبتت منقبة لأوّلهم ثبتت لآخرهم إلّا الخصائص كتعدّد الزوجات، ووجوب صلاة الليل على النبيّ صلى الله عليه وآله وما شابه ذلك.

الأمر الثاني:

أنّ المناوءة والمعاداة من أعداء الدين كانت تستهدف أهل بيت الرسول وكانوا عليهم السلام يدعون ويستعيذون بالله عزّ وجلّ من شرورهم وردّها في نحورهم، وهم المحسودون لما آتاهم الله من الهيبة والمحبّة في القلوب، والعلوم الّتي خصّهم الله بها دون الناس، فقعدوا لهم بكلّ مرصد، فلم يسلموا من تقتيل وتشريد:

أبادوهم قتلاً وسُمّاً ومُثلةً كأنّ رسول الله ليس لهم أب

---

(١) كشكول البحراني ٣: ٤٢١.
(٢) مصابيح الأنوار ٢: ٣٩٩.
(٣) آل عمران: ٦١.
(٤) أمالي الطوسي ٢: ١٥٩ ـ ١٦٦.
(٥) تحف العقول: ٤٥٨ ـ ٤٥٩.

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي ... منهم أسارى وقتلى ضرّجوا بدم[١]

بغياً وجحوداً لفضلهم، وإطفاءً لنور الله ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون، ولا تصدر إلّا عن كلّ وغد خبيث الأصل من أولاد زنا أو حيض، كما لا يتولّاهم إلّا كلّ مؤمن طيّب ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[٢]، وفي النبويّ: «يا عليّ لا يبغضك من قريش إلّا سفحيّ»[٣]، «يا عليّ لا يبغضك مؤمن ولا يحبّك منافق»[٤]، «عنوان صحيفة المؤمن حبّ عليّ بن أبي طالب»[٥]، فلو رضا إحصاء المأثور في هذا الصدد لخلص إلى كتاب مفرد وقد أُلّفت حول ذلك الكتب والرسائل وإنّما أردنا الإيحاء إليه، وأنّ الأمّة خسرت لصالحها المباشر لظلم أهل البيت وصالحها الساكت عنه أو المشايع له، وهل يوجد في الدنيا أئمّة كالأئمّة المعصومين طاهرين مطهّرين رحماء أُمناء ولاة ودعاة وهداة وقادة و سادة الأوّلين والآخرين؟ فلا مثيل لهم بعد الرسول صلى الله عليه وآله ذوو القربى الّذي امرُ العباد بمودّتهم في محكم التنزيل: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[٦]؛ إنّها أجر الرسالة فما أعظمهم جاهاً.

* * *

---

(١) المجالس السنيّة ١: ١٣٩.
(٢) الأعراف: ٥٨.
(٣) الغدير ٤: ٣٢٣.
(٤ و٥) الغدير ١٠: ٢٧٨.
(٦) الشورى: ٢٣.

٣٣٨
اللّهمّ ارزقنا توفيق الطاعة

هل يكون المطيع إلّا موفّقاً والعاصي إلّا مخذولاً؟ فالإنسان أبداً بين توفيق وخذلان، والمختار من دعاء مذكور في كتاب البلد الأمين، قال الشيخ الكفعمي: دعاء آخر مروي عن المهدي عليه السلام أيضاً ـ ولفظه ـ :

«اللّهمّ ارزقنا توفيق الطاعة وبُعد المعصية وصدق النيّة وعرفان الحرمة، وأكرمنا بالهدى والاستقامة، وسدّد ألسنتنا بالصواب والحكمة، واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة، وطهّر بطوننا من الحرام والشبهة، واكفف أيدينا عن الظلم والسرقة، واغضض أبصارنا عن الفجور والخيانة، واسدد أسماعنا عن اللغو والغيبة، وتفضّل على علمائنا بالزهد والنصيحة، وعلى المتعلّمين بالجهد والرغبة، وعلى المستمعين بالاتّباع والموعظة، وعلى مرضى المسلمين بالشفاء والراحة، وعلى موتاهم بالرأفة والرحمة، وعلى مشايخنا بالوقار والسكينة، وعلى الشباب بالإنابة والتوبة، وعلى النساء بالحياء والعفّة، وعلى الأغنياء بالتواضع والسعة، وعلى الفقراء بالصبر والقناعة، وعلى الغزاة بالنصر والغلبة، وعلى الأُسراء بالخلاص والراحة، وعلى الأُمراء بالعدل والشفقة، وعلى الرعية بالإنصاف وحُسن السيرة، وبارك للحجّاج والزوّار في الزاد والنفقة، واقض ما أوجبت عليهم من الحجّ والعمرة بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين»[١]

---

(١) البلد الأمين: ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

أقول:

لبعض السادة تسميته (دعاء الاهتمامات العامة)، وشرح بعض كلماته قال: إلى هنا يوجّه الإمام المهدي عليه السلام إلى ما ينبغي الاهتمام به من قبل جميع النـاس، ثـمّ يصنّف الناس ويركّز اهتمام كلّ صنف إلى أهمّ ما يحتاج إليه. فالفرد في توجيهاته إلى السلطة يحتاج إلى الإنصاف في تناول الأُمور، وعدم الإفراط في مطاليبه الّتي تعجز عنها السلطة، وعدم التفريط بحقوقه حتى لا يشجّع السلطة على الاسـتهتار تماماً كحاجة السلطة إلى العدل والشفقة...[1].

والدعاء المذكور من قبل أن يكون دعاء يعتبر دستوراً لجميع الطبقات، وهـو الهدف الأعلى من قراءة كلّ دعاء مشتمل على كرائم الخصال بـالاختصال بـها أو طلبها منه تعالى.

* * *

(١) كلمة الإمام المهدي عليه السلام: ٣٢٥ـ٣٢٦.

٣٣٩
اللّهم ارزقه ولداً ذكراً تقرّ به عينه

دعاء الإمام المهدي عليه السلام للقاسم بن العلاء بولد له تقرّ به عينه، فـاستجاب الله دعاءه، فوهب له ابنه الحسن، رواه الطبري، وقد تقدّم التوقيع بكامله عند «جُعل هذا الحمل الذي له وارثاً»[١]، و هكذا رواية الشيخ الكليني طاب ثراه حكاية عن القاسم ابن العلاء قال: «ولد لي عدة بنين، فكنت أكتب وأسأل الدعاء، فلا يكتب إليّ لهم بشيء، فماتوا كلّهم، فلمّا ولد لي الحسن ابني كتبت أسال الدعاء فـأُجبت: يـبقى، والحمد لله»[٢].

وإنّما كرّرت الحديث لتكون على بصيرة من أمر الكتاب في الولد والجـواب، وقد ألحّ القاسم بن العلاء في الطلب في كتب أربعة أرسلها إلى الناحية المـحفوفة بالجلال والقدس حتّى ظفر بمطلوبه، وإنّ في ذلك لدلالة على الإلحاح في الدعاء والطلب، وتقدّمت في العنوان الآنف الذكـر تـرجـمة القـاسم، وأشـرنا إلى الدلالة المستفادة من قصّته؛ ومن ثم لا نعيد الترجمة ولا غيرها فراجع[٣].

الولد الذكر قرّة العين:

قد جاءت الإشارة إليها في قوله تعالى: ﴿*وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا*

---

(١) دلائل الإمامة: ٢٨٦، وأُنظر المختار رقمه ٤٩٠.

(٢) أُصول الكافي ١: ٥١٩، ح ٩.

(٣) المصدران.

﴿وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[١]. قال الفيض: بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل؛ فإنّ المؤمن إذا شاركه أهله في طاعة الله سُرّ به قلبه وقرّت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقّع لحوقهم به في الجنّة....

وفي المناقب عن سعيد بن جبير قال: هذه الآية والله خاصّة في أمير المؤمنين عليه السلام كان أكثر دعائه يقول: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾ ـ يعني فاطمة ـ ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ الحسن والحسين عليهما السلام ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ قال أمير المؤمنين عليه السلام: والله ما سألت ربّي ولداً نضير الوجه، ولا سألت ولداً حسن القامة، ولكن سألت ربّي ولداً مطيعين لله خائفين وجلين منه حتى إذا نظرت إليه وهو مطيع لله قرّت به عيني[٢].

وهذا الحديث العلوي مقياس للجميع حين يطلبون من أزواجهم أولاداً ذكوراً أو إناثاً إذا كانوا مطيعين لله تعالى كانوا قرّة أعين، وإن كانت الأُخرى كان العمه لها، وهذه هي ثمرة الفؤاد من الأولاد، أو عجّلت في الدنيا لهم جهنّم وبئس المهاد، وعند الناس أنّهم قرّة الأعين إطلاقاً الصالحون منهم والطالحون، ولكنّ المقياس الصحيح هو قول أمير المؤمنين عليه السلام، وإلّا فليرضوا بإبليس وأشباله، والمثل السائر: (ما فرحنا بإبليس فكيف بأولاده)[٣]، والإنسان مخيّر به لا مسيّر.

* * *

(١) الفرقان: ٧٤.

(٢) تفسير الصافي ٤: ٢٦ ـ ٢٧، ذيل الآية ٧٤ من سورة الفرقان.

(٣) أمثال وحكم ٣: ١٣٨٩. (وأشباله).

٣٤٠

اللّهم إن أطعتك فالمحمدة لك

من دعاء له عليه السلام لقضاء الحاجة عن كتاب مهج الدعوات للسيّد ابن طاووس في فصل له، قال طاب ثراه:

ورأيت في كتاب كنوز النجاح تأليف الفقيه أبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي رحمه الله عن مولانا الحجّة ـ صلوات الله عليه ـ ما هذا لفظه:

روى أحمد بن الدربي، عن خزامة، عن أبي عبد الله الحسين بن محمّد البزوفري، قال: خرج عن الناحية المقدّسة: «من كان له إلى الله حاجة فليغسل ليلة الجمعة بعد نصف الليل، ويأتي مصلّاه ويصلي ركعتين يقرأ في الركعة الأُولى الحمد، فإذا بلغ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يكرّرها مائة مرّة ويتمّم في المائة إلى آخرها، ويقرأ سورة التوحيد مرّة واحدة ثمّ يركع ويسجد ويسبّح فيها سبعة سبعة، ويصلّي الركعة الثانية على هيئته، ويدعو بهذا الدعاء؛ فإنّ الله تعالى يقضي حاجته البتّة كائناً ما كان إلّا أن يكون في قطيعة الرحم.

والدعاء:

«اللّهمّ إن أطعتك فالمحمدة لك، وإن عصيتك فالحجّة لك، منك الروح ومنك الفرج، سبحان من أنعم وشكر، سبحان من قدر وغفر. اللّهمّ إن كنتُ قد عصيتك فإنّي قد أطعتك في أحبّ الأشياء إليك وهو الإيمان بك لم أتّخذ لك ولداً ولم أدع لك

شريكاً منّاً منك به عليّ لا منّاً منّي به عليك، وقد عصيتك يا إلهي على غير وجه المكابرة، ولا الخروج عن عبوديّتك، ولا الجحود لربوبيّتك، ولكن أطعت هواي وأزلّني الشيطان، فلك الحجّة عليّ والبيان، فإن تعذّبني فبذنوبي غير ظالم، وإن تغفر لي وترحمني فإنّك جواد كريم يا كريم يا كريم! ـ حتّى يقطع النفس، ثم يقول: ـ يا آمناً! من كلّ شيء وكلّ شيءٍ منك خائفٌ حذرٌ، أسألك بأمنك من كلّ شيءٍ وخوف كلّ شيءٍ منك ان تصلّي على محمّد وآل محمّد، وأن تعطيني أماناً لنفسي وأهلي وولدي وسائر ما أنعمت به عليّ حتّى لا اخاف أحداً ولا أحذر من شيء أبداً، إنّك على كلّ شيء قدير، وحسبنا الله ونعم الوكيل، يا كافي! إبراهيم نمرود، يا كافي! موسى فرعون، أسألك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وأن تكفيني شرّ فلان بن فلان».

فيستكفي شرّ من يخاف شرّه إن شاء الله تعالى، ثمّ يسجد ويسأل حاجته ويتضرّع إلى الله تعالى؛ فإنّه ما من مؤمن ولا مؤمنة صلّى هذه الصلاة ودعا بهذا الدعاء خالصاً إلّا فتحت له أبواب السماء للإجابة، ويجاب في وقته وليلته كائناً ما كان، وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس[١].

أقول: سيأتي بعض الكلام عليه عند «من كان له إلى الله حاجة...»[٢].

قوله عليه السلام: «اللّهمّ إن أطعتك فالمحمدة لك...» يصدّقه برهان النقل والعقل: أمّا النقل فقال الشيخ الكليني: محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد بن أبي‌نصر قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: قال الله: [يا] ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوّتي أدّيت فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سميعاً بصيراً قويّاً؛ ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيّئة فمن نفسك، وذاك أنّي أولى

---

(١) مهج الدعوات: ٣٦١ ـ ٣٦٢. (٢) رقمه ٤٢٤.

بحسناتك منك وأنت أولى بسيّئاتك منّي، وذاك أنّي لا أُسأل عمّا أفعل وهم يسألون[١].

اعقل الحديث فإنّه يرشدك إلى نهج الحقّ، والقرآن والحديث جلاء العقول فتتمّ بهما الحجّة.

وأمّا العقل فهو الحاكم عليك فأنّك ذو اختيار تختار مرّة طاعة الله ومرّة عصيانه، ولا تكون الطاعة إلّا بعصيان هواك ولا العصيان إلّا بطاعة هواك. فأنت أبداً إمّا موفّق أو مخذول، مكسوف نور شمس عقلك إن أطعت هواك، وإن خالفت تزداد تنويراً، قال أحد المولّدين:

(البسيط)

إنارة العقل مكسوف بطوع هوى   وعقل عاصي الهوى يزداد تنويراً[٢]

والتجربة أكبر برهان[٣] بأنّ النيّة الحسنة تحسّن الأخلاق والقبيحة تقبّحها، وللأولى شذاها ونشرها في أجواء النفوس، ﴿*وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا*﴾[٤]، كما أنّ الثانية لا تزيدها إلّا خبثاً. ومن هنا تجد صدور طاعة الله عن الطيّبة بسهولة على عكس الأُخرى، والعيان أصدق شاهد لا يفتقر إلى بيان، وقد قيل: جاء العيان فألوى بالأسانيد وترى ذلك بعينك و«لا تطلب أثراً بعد عين»[٥].

وأمّا كيف تكون المحمدة لله والمطيع هو المتحمّل جهد الطاعة؟ فقد أجاب عنه الحديث القدسي: «وبقوّتي أدّيت فرائضي»[٦] فلو لم تكن الطاعة عليها والأدوات

---

(١) أُصول الكافي ١: ١٥٢، ح ٦.
(٢) الخزانة للبغدادي ٥: ١٠٦.
(٣) مثل سائر على اللسان.
(٤) الأعراف: ٥٨.
(٥) رقمه ٣٢٤.
(٦) البحار ٥: ٤ ح ٣، نحوه.

الّتي استطاع بها لما كان في الوجود مطيع، فعليه أن يحمد الله تعالى على عطاء الأدوات، والتوفيق الّذي ساقه إليه فاستطاع الطاعة له عزّ وجلّ.

وأمّا العاصي فللّه الحجّة البالغة عليه حيث صرف نعمه الّتي أنعمها عليه في عصيانه وفيما لا يرضى في صرفه وكان عليه أن لا يصرفها إلّا فيما أمره، ولا تستطيع الألسن الناطقة إلّا الاعتذار بتوفيقه، قائلة: ربّنا إن تعذبنا فبذنوبنا، وإن تغفر لنا وترحمنا فإنّك أنت الجواد الكريم الغفّار.

بقي سؤال:

وهو أنّ المعصوم لا يعصي الله، بل ولا يخطر بباله إلّا الطاعة فما وجه القول في هذا الدعاء: «و قد عصيتك يا إلهي! على غير وجه المكابرة...» وكيف يقول ذلك الإمام المهدي عليه السلام وهو معصوم لم يعصي الله تعالى؟

والجواب: إمّا تعليم للآخرين أو الإدراك بالعجز عن القيام بما هو أهله من العبودية، أو الإحساس بالعظمة المطلقة أو وجوه أُخرى.

* * *

٣٤١

اللّهمّ انتقم لي من أعدائي

سينتقم الله تعالى من أعداء الإمام عليه السلام بـالإذن له بـالقيام قـريباً إن شـاء الله، ويستجيب دعاءه، والمختار من كلام له رواه الشيخ الصدوق، قال: حدّثنا محمّد بن موسى بن المتوكّل رضي الله عنه، قال: حدّثنا عبد الله بن جعفر الحميري، قال: سمعت محمّد ابن عثمان العَمري رضي الله عنه يقول: رأيته صلوات الله عليه مـتعلّقاً بـأستار الكـعبة فـي المستجار وهو يقول: «اللّهمّ انتقم لي من أعدائي»[1].

بيان:

رواه الشيخ الطوسي في الغيبة بإسناد له أيضاً، قال محمّد بن عثمان رضي الله عنه: ورأيته صلوات الله عليه متعلّقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول: اللّهمّ انتقم لي من أعدائك[2] وفق رواية الصدوق طاب ثراهما إلّا كلمة «من أعدائك».

ولا ريب أنّ أعداء المهدي عليه السلام هم أعداء الله وأولياءه أولياؤه تعالى، وقد صدر هذا الدعاء في زمن العَمري الثاني المتوفّى (٣٠٤، أو ٣٠٥)[3]، وإلى الآن[4] لم ينتقم من أعداء الله وأعداء الإنسانيّة والإسلام الّذين عاشوا أو يعيشون في الدنيا، وسيرون

---

(١) إكمال الدين ٢: ٤٤٠، باب ٤٣، ح ١٠.

(٢) الغيبة: ١٥١ ـ ١٥٢.

(٣) كما في الغيبة: ٢٢٣.

(٤) في العشر الأخير من ذي الحجّة سنة ١٤١٢ هـ.

اليوم الأحمر بسلّ سيف الله المغمود في اليوم الموعود إن شاء الله تعالى؛ ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾[١]، ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾[٢]، قال الفيض: القمّي قال: صيحة القائم من السماء ـ وقبل الآية ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ قيل: للبعث وفصل القضاء، والقمّي قال: ينادي المنادي باسم القائم واسم أبيه عليهما السلام[٣] والآيات المؤوّلة به عجّل الله فرجه كثيرة لا مجال لذكرها، وفي المذكور منها الكفاية إن شاء الله.

* * *

---

(١) المعارج: ٦ ـ ٧. (٢) قٓ: ٤١.

(٣) تفسير الصافي ٥: ٦٥، ذيل الآية ٤١ من سورة قٓ.

٣٤٢
اللّهمّ أنجز لي ما وعدتني

سينجز الله تعالى للإمام المهدي عليه السلام وعده، وينصر جنده، ويطهّر الأرض من الأعداء، ويعزّ الأولياء قريباً إن شاء الله.

روى الشيخ الصدوق خبر الولادة عن حكيمة بنت الجواد عليه السلام بإسناد له سبقت الإشارة إليه عند «املأ الأرض بي عدلاً وقسطاً»[1]. فلا حاجة إلى ذكره إلّا بقدر ما يربط المختار. قالت حكيمة: «و إذا أنا بالصبي عليه السلام ساجداً لوجهه، جاثياً على ركبتيه، رافعاً سبّابتيه وهو يقول: أشهد أن لا إله إلّا الله [وحده لا شريك له] وأنّ جدّي محمّداً رسول الله، وأنّ أبي أمير المؤمنين، ثم عدّ إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه، ثمّ قال: اللّهمّ أنجز لي ما وعدتني، وأتمم لي أمري، وثبّت وطأتي، واملأ الأرض بي عدلاً وقسطاً»[2].

أقول:

وقد روى الشيخ الطوسي المختار بسند آخر، وصورته الخاصّة برؤية العَمري إيّاه في بيت الله الحرام، لا الولادة، ومن الجائز صدوره مكرّراً، قال: وأخبرني جماعة، عن محمّد بن عليّ بن الحسين، قال: أخبرنا أبي ومحمّد بن الحسن ومحمّد

---

(١) رقمه ٧٧.

(٢) إكمال الدين ٢: ٤٢٨، باب ٤٢.

ابن موسى بن المتوكّل، عن عبد الله بن جعفر الحميري أنّه قال: سألت محمّد بن عثمان رضي الله عنه فقلتُ له: رأيت صاحب هذا الأمر؟ قال: نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو عليه السلام يقول: «اللّهمّ أنجز لي ما وعدتني...»[1].

فما وعده الله لا بدّ من إنجازه، وليس ذلك إلّا خروجه لإقامة العدل ونشر الأمن وإنقاذ العباد والبلاد من الظلم والفساد إن شاء الله.

* * *

---

(١) الغيبة: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

٣٤٣

اللّهمّ إنّك تعلم أنّها من أحبّ البقاع لولا الطرد

شرّفت سُرّ من رأى بأبناء الرضا الهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام وهي بقعة الولادة العامرة، والمسكن والمدفن، والغيبتان القصيرة والطويلة فحريّة بأن تكون من أحبّ البقاع.

وقد روى الخبر الشيخ الكليني طاب ثراه وإليك ما يربط المختار، قال: عليّ بن محمّد عن أبي محمّد الوجناني أنّه أخبرني عمّن رآه: أنّه خرج من الدار قبل الحادث بعشرة أيّام وهو يقول: «اللّهمّ إنّك تعلم أنّها من أحبّ البقاع لولا الطرد...»(١).

قال العلّامة المجلسي رحمه الله: «عمّن رآه» أي القائم عليه السلام. «قبل الحادث» أي وفاة أبي محمّد عليه السلام، أو التجسّس له من السلطان والتفحّص عنه، ووقوع الغيبة. «أنّها» أي الدار أو مدينة سُرّ من رأى. «لولا الطرد» أي دفع الظالمين إيّاي(٢).

أقول:

هل أُمر الإمام عليه السلام بالخروج عن الدار أو البلدة، والاختفاء عن الناس إلى وقت حضور الوفاة، فدخل وقام بالتجهيز والصلاة على أبيه عليه السلام أو كان الخروج لغاية معجّلة قضاها ثم عاد إليها؟ ليست لدينا من معلومات تكشف عن حقيقة الحال،

(١) أُصول الكافي ١: ٣٣١، ح ١٠. (٢) مرآة العقول ٤: ١٣.

والمعلوم لدى الجميع أنّ لأهل البيت عليهم السلام حالات وتصاريف لا سبيل لسواهم العلم بها إلّا شيئاً قالوه فوصل إلينا على أيدي الرواة، وكتب العلماء جزاهم الله عنّا خيراً، ومنه الصادقي: «يفقد الناس إمامهم، ويشهد الموسم، فيراهم ولا يرونه»[1]، فله الطاقة الموهوبة على الاستتار من دون أن يراه الناس، أو يرونه ولا يعرفونه، أو يعرفونه بعد المفارقة، كل ذلك بإقدار الله تعالى.

ثمّ البقاع الشريفة المتبرّكة: هي مكة والمدينة النبويّة زادهما الله شرفاً، والنجف وكربلاء وبلدة الكاظمين ومشهد الرضا وسرّ من رأى وكلّ بقعة حلّ بها المعصوم وشرّفت به على مشرّفيها آلاف التحيّة والثناء، وبيت المقدس، وبقاع الأنبياء، والمساجد، ومقاماتهم وضرائحهم، بل الصلحاء والمؤمنين من العلماء وغيرهم، فما ظنّك بالإمام المهدي عليه السلام.

ولعلّ الأحبّية لديه بلدة سُرّ من رآى؛ لأنّها منزل جدّه وأبيه وولادته، وقد ضمّت أجسامهما الطيّبة، مهبط ملائكة الله، ومزار لأرواح الأولياء والمؤمنين إلى يوم القيامة، وأنّها معاقل الزائرين، ومواطن نزول الرحمة والبركات، وعندها تقضى الحاجات وتستجاب الدعوات، ولاسيّما قبر الحسين عليه السلام وفيه «استجابة الدعاء تحت قبّته»[2] وهكذا بقية القباب المنوّرة.

* * *

---

(١) أُصول الكافي ١: ٣٣٧ ح ٦.

(٢) كامل الزيارات: ٢٧٣ ـ ٢٧٤، وفيه قصة الهادي عليه السلام، والشفاء له من الله في الحائر.

٣٤٤
اللّهمّ إنّي أستخيرك لعلمك بعاقبة الأُمور

من الاستخارة المرويّة عن الناحية المحفوفة بالنور والجلال ما حكاه الكفعمي كما يلي، قال عند عدّ أقسامها:

ومنها ما ذكره العلّامة في مصباحه أنّ هذه الاستخارة مرويّة عن صاحب الأمر عليه السلام وهي: أن يقرأ الحمد عشراً فثلاثاً فمرّة، ثمّ يقرأ القدر عشراً، ثمّ يقول ثلاثاً: «اللّهمّ إنّي أستخيرك لعلمك بعاقبة الأُمور، وأستشيرك لحسن ظنّي بك في المأمور والمحذور، اللّهمّ إن كان الأمر الفلاني ـ ويسمّيه ـ بما قد نيطت بالبركة أعجازه وبواديه، وحفّت بالكرامة أيّامه ولياليه، فخر لي، اللّهمّ فيه خيرة تردّ شُمُوسه ذلولاً وتقعض[1] أيّامه سروراً، اللّهمّ إمّا أمر فأئتمر وإمّا نهي فأنتهي، اللّهمّ إنّي أستخيرك خيرة في عافية».

ثمّ يقبض على قطعة من السبحة ويضمر حاجته، فإن كان عدد تلك القطعة فرداً فليفعل، وإن كان عددها زوجاً فليترك...[2].

أقول:

تعرّضنا عند المختار: «تردّ شُموسه ذلولاً»[3] لتحليل وتفصيل هذه الاستخارة،

---

(١) انظر المختار رقمه ١٤٥.

(٢) البلدالأمين: ١٦٠، جنّةالمأوى المطبوع مع البحار ٥٣: ٢٧١.

(٣) رقمه ١٤٥.

فليراجع إلى ذلك حتماً. كما أوضحنا المراد من عدد قراءة الحمد وعمليّة الاستخارة ولا نذكر منها إلّا بعض نواحيها الأُخر.

الاستخارة:

ليست الاستخارة سوى طلب الخير ممّن بيده الخير وهو الله سبحانه كما في آية المُلك قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١] والدالّ عليه العقل والفطرة بأنّ له القدرة المطلقة في العطاء والمنع والضرّ والنفع فإذا طلب العدل منه الخير وعرف من نيّته الصدق والإخلاص خار الله تعالى ما هو الأصلح له لدينه ودنياه، وإذا استشاره أوقع في قلبه الصالح له على اختيار الأُمور، وقوّى عزمه عليه؛ لأنّ النفع والضرّ كالخير والشرّ بيده بمعنى التوفيق أو الاستدراج المعبّر به عن الخذلان الّذي لا يخلو منه الإنسان قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢] قال الفيض: وذلك أن تتواتر عليهم النعم فيظنّوا أنّه لطف من الله بهم فيزدادوا بطراً وانهماكاً في الغي، حتّى يحقّ عليهم كلمة العذاب...[٣].

وإنّما جاءت الكيفيّة بالصلاة أو السبحة أو بعض الأدعية والأذكار لكشف الخير له. والأهمّ من ذلك كلّه الاتّجاه إليه تعالى وبعد الاستشارة الأخذ بما وقع في القلب فإنّه الخير.

* * *

---

(١) آل عمران: ٢٦. (٢) الأعراف: ١٨٢.

(٣) تفسير الصافي ٢: ٢٥٦، ذيل الآية ١٨٢ من سورة الأعراف.

٣٤٥

اللّهمّ جدّد به ما محي من دينك

ومن نسخة التعليم لكيفيّة الصلاة على محمّد وآله صلى الله عليهم وسلّم الخارجة عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال بواسطة العجوز الكائنة في مكّة في دار خديجة عليها السلام المسمّاة بدار الرضا عليه السلام ليعقوب بن يوسف الضرّاب الغسّاني الآنفة قصّته عند «صلّ عليهم...»[1] وغيره، وإليك ما يلي منها قال الضرّاب:

ثمّ كان معي نسخة توقيع خرج إلى القاسم بن العلاء بآذربيجان، فقلت لها: تعرضين هذه النسخة على إنسان قد رأى توقيعات الغائب، فقالت: ناولني؛ فإنّي أعرفها، فأريتها النسخة وظننت أنّ المرأة تحسن أن تقرأ، فقالت: لا يمكنني أن أقرأ في هذا المكان، فصعدت الغرفة ثمّ أنزلته فقالت: صحيح، وفي التوقيع أُبشّركم ببشرى ما بشّرت به إيّاه وغيره، ثمّ قالت: يقول لك: إذا صلّيت على نبيّك صلى الله عليه وآله كيف تصلّي عليه؟ فقلت: أقول: اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وبارك على محمّد وآل محمّد، كأفضل ما صلّيت وباركت وترحّمت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنّك حميد مجيد».

فقال: لا، إذا صلّيت عليهم فصلّ عليهم كلّهم وسمّهم، فقلت: نعم، فلمّا كانت من الغد نزلت ومعها دفتر صغير، فقالت: يقول لك: إذا صلّيت على النبيّ فصلّ عليه

---

(١) رقمه ٢٢٩.

وعلى أوصيائه على هذه النسخة فأخذتها وكنت اعمل بها.

ورأيت عدّة ليال قد نزل من الغرفة وضوء السراج قائم، وكنت أفتح الباب وأخرج على أثر الضوء وأنا أراه ـ أعني الضوء ـ ولا أرى أحداً حتّى يدخل المسجد، وأرى جماعة من الرجال من بلدان شتى يأتون باب هذه الدار، فبعضهم يدفعون إلى العجوز رقاعاً معهم، ورأيت العجوز قد دفعت إليهم كذلك الرقاع، فيكلّمونها وتكلّمهم ولا أفهم عنهم، ورأيت منهم في منصرفنا جماعة في طريقي إلى أن قدمت بغداد.

ونسخة الدفتر الّذي خرج:

«بسم الله الرحمن الرحيم، اللّهمّ صلّ على محمّد سيّد المرسلين، وخاتم النبيّين، وحجّة ربّ العالمين، المنتجب في الميثاق، المصطفى في الظلال، المطهّر من كلّ آفة، البريء من كلّ عيب، المؤمّل للنجاة، المرتجى للشفاعة، المفوّض إليه دين الله، اللّهمّ شرّف بنيانه وعظّم برهانه، وأفلج حجّته، وارفع درجته، وأضئ نوره، وبيّض وجهه، وأعطه الفضل والفضيلة، والدرجة والوسيلة الرفيعة، وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأوّلون والآخرون.

وصلّ على أمير المؤمنين، ووارث المرسلين، وقائد الغرّ المحجّلين، وسيّد الوصيّين، وحجّة ربّ العالمين.

وصلّ على الحسن بن عليّ إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجّة ربّ العالمين.

وصلّ على الحسين بن عليّ إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجّة ربّ العالمين.

وصلّ على عليّ بن الحسين إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجّة ربّ العالمين.

وصلّ على محمّد بن عليّ إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجّة ربّ العالمين.

وصلّ على جعفر بن محمّد إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجّة ربّ العالمين.

وصلّ على موسى بن جعفر إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجّة ربّ العالمين.

وصلّ على عليّ بن موسى إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجّة ربّ العالمين.

وصلّ على محمّد بن عليّ إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجّة ربّ العالمين.

وصلّ على عليّ بن محمّد إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجّة ربّ العالمين.

وصلّ على الحسن بن عليّ إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجّة ربّ العالمين.

وصلّ على الخلف الصالح الهادي المهدي إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجّة ربّ العالمين.

اللّهمّ صلّ على محمّد وأهل بيته الأئمّة الهادين المهديّين العلماء الصادقين الأبرار المتّقين، دعائم دينك وأركان توحيدك، وتراجمة وحيك، وحججك على خلقك، وخلفائك في أرضك، الّذي اخترتهم لنفسك، واصطفيتهم على عبادك، وأرضيتهم لدينك، وخصصتهم بمعرفتك، وجللتهم بكرامتك، وغشّيتهم برحمتك، وربّيتهم بنعمتك، وغذّيتهم بحكمتك، وألبستهم نورك، ورفعتهم في ملكوتك، وحففتهم بملائكتك، وشرّفتهم بنبيّك.

اللّهمّ صلّ على محمّد وعليهم صلاة كثيرة دائمة طيّبة، لا يحيط بها إلّا أنت، ولا يسعها إلّا علمك، ولا يحصيها أحد غيرك.

اللّهمّ صلّ على وليك المحيي سنّتك، القائم بأمرك، الداعي إليك، الدليل عليك،

وحجّتك على خلقك، وخليفتك في أرضك، وشاهدك على عبادك. اللّهمّ أعزّ نصره، ومدّ في عمره، وزيّن الأرض بطول بقائه. اللّهمّ اكفه بغي الحاسدين، وأعذه من شرّ الكائدين، وادحر عنه إرادة الظالمين، وتخلّصه من أيدي الجائرين. اللّهمّ أعطه في نفسه وذرّيّته وشيعته ورعيّته، وخاصّته وعامّته، وعدوّه وجميع أهل الدنيا ما تقرّ به عينه، وتسرّ به نفسه، وبلّغه أفضل أمله في الدنيا والآخرة؛ إنّك على كلّ شيءٍ قدير.

اللّهمّ جدّد به ما محي من دينك، وأحيي به ما بدّل من كتابك، وأظهر به ما غيّر من حكمك، حتّى يعود دينك به وعلى يديه غضّاً جديداً خالصاً مخلصاً، لا شكّ فيه ولا شبهة معه ولا باطل عنده ولا بدعة لديه.

اللّهمّ نوّر بنوره كلّ ظلمة، وهدّ بركنه كلّ بدعة، واهدم بعزّته كلّ ضلالة، واقصم به كلّ جبّار، وأخمد بسيفه كلّ نار، وأهلك بعدله كلّ جبّار، وأجر حكمه على كلّ حكيم، وأذلّ لسلطانه كلّ سلطان.

اللّهمّ أذلّ كلّ من ناواه، وأهلك كلّ من عاداه، وامكر بمن كاده، واستأصل من جحد حقّه، واستهان بأمره، وسعى في إطفاء نوره، وأراد إخماد ذكره. اللّهمّ صلّ على محمّد المصطفى، وعليّ المرتضى، وفاطمة الزهراء والحسن الرضا والحسين المصطفى، وجميع الأوصياء، مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، ومنار التقى، والعروة الوثقى، والحبل المتين، والصراط المستقيم.

وصلّ على وليّك وولاة عهده، والأئمّة من ولده، ومدّ في أعمارهم، وأزد في آجالهم، وبلّغهم اقصى آمالهم دنياً وآخرةً إنّك على كلّ شيء قدير»[1].

«اللّهمّ جدّد به ما محي من دينك» إمّا لكثرة البدع في الدين أو بترك أحكامه.

* * *

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ١٦٨ ـ ١٧٠، فصل ما روي من الأخبار المتضمّنة لمن رآه، دلائل الإمامة: ٣٠٠ ـ ٣٠٤، إلزام الناصب ١: ٣٦٨ ـ ٣٧٤، من زار الحجّة في غيبته.

٣٤٦

اللّهمّ ربّ النور العظيم وربّ الكرسي الرفيع

قال الشيخ الكفعمي: وممّا خرج عن صاحب الزمان عليه السلام إلى محمّد بن الصلت القمّي:

«اللّهمّ ربّ النور العظيم وربّ الكرسي الرفيع، وربّ البحر المسجور...»[١].

وجاء طاب ثراه عن آخر الدعاء من أدعية الصباح المروي عن الناحية المقدّسة، ولولا طوله والخروج به عن الموضوع لذكرناه بكامله.

من هو الشيخ الكفعمي؟

في كتاب الغدير ترجمته الجديرة بالذكر، قال العلّامة الأميني طاب ثراه:

الشيخ تقي الدين إبراهيم ابن الشيخ زين الدين عليّ ابن الشيخ بدر الدين حسن ابن الشيخ محمّد ابن الشيخ صالح ابن الشيخ إسماعيل الحارثي الهمداني الخارفي العاملي الكفعمي اللويزي الجبعي:

أحد أعيان القرن التاسع الجامعين بين العلم والأدب، الناشرين لألوية الحديث والمستخرجين كنوز الفوائد والنوادر، وقد استفاد الناس بمؤلّفاته الجمّة وأحاديثه المخرّجة، وفضله الكثير، كلّ ذلك مشفوع منه بورع موصوف، وتقوى في ذات الله، إلى ملكات فاضلة ونفسيّات كريمة، حلّى جيد زمنه بقلائدها الذهبيّة، وزيّن معصمه

---

(١) دعاء النيل بالأماني مصباح المتهجّد للطوسي: ٢٠١، البلد الأمين: ٥٩ ـ ٦٠.

بأسورتها، وجلّل هيكله بأبرادها القشيبة، وقبل ذلك كلّه نسبه الزاهي بأنوار الولاية المنتهي إلى التابعي العظيم الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني، ذلك الطوي المذهب العليّ شأنه، الجليّ برهانه الّذي هو من فقهاء الشيعة، سيوافيك ذكره في ترجمة أحد أحفاد أخي المترجم له الشيخ حسين والد شيخنا البهائي قدّس أسرارهم.

وقد توافقت المعاجم على سرد ألفاظ الثناء البالغ على المترجم له (الكفعمي) تجد ترجمته في أمل الآمل.رياض العلماء. نفح الطيب ٤: ٣٩٥، وأكثر من ذكر بدائعه وطُرفه وخطبه وأشعاره.رياض الجنّة في الروضة الرابعة. روضات الجنّات: ص ٦. تكملة أمل الآمل لسيّدنا أبي محمّد الحسن الصدر الكاظمي. أعيان الشيعة ج ٥: ٣٣٦ ـ ٣٥٨. الكُنى والألقاب ٣: ٩٥. سفينة البحار ١: ٧٧. الفوائد الرضويّة ١: ٧. المشيخة لشيخنا الرازي: ص ٤٢.

تآليفه القيّمة:

١ ـ المصباح، المؤلّف ٨٩٥.

٢ ـ البلد الأمين.

٣ ـ شرح الصحيفة.

٤ ـ المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى.

٥ ـ رسالة في محاسبة النفس.

٦ ـ كفاية الأدب[1] في أمثال العرب، في مجلّدين.

٧ ـ قراضة النضير في التفسير[2].

٨ ـ صفوة الصفات في شرح دعاء السمات.

---

(١) في تكملة السيّد الصدر نهاية الأدب. (٢) تلخيص من مجمع البيان.

٩ ـ فروق اللغة.

١٠ ـ المنتقى في العوذ والرقى.

١١ ـ الحديقة الناضرة.

١٢ ـ نور حدقة البديع في شرح بعض القصائد المشهورة.

١٣ ـ النحلة[١].

١٤ ـ فرج الكرب.

١٥ ـ الرسالة الواضحة في شرح سورة الفاتحة.

١٦ ـ العين المبصرة.

١٧ ـ الكوكب الدرّي.

١٨ ـ زهر الربيع في شواهد البديع.

١٩ ـ حياة الأرواح في اللطائف والأخبار والآثار، فرغ منه سنة ٨٤٣.

٢٠ ـ التلخيص في الفقه.

٢١ ـ أُرجوزة في مقتل الحسين عليه‌السلام وأصحابه.

٢٢ ـ مقاليد الكنوز في أقفال اللغوز.

٢٣ ـ رسالة في وفيات العلماء.

٢٤ ـ ملحقات الدروع الواقية.

٢٥ ـ مجموع الغرائب.

٢٦ ـ اللفظ الوجيز في قراءة الكتاب العزيز.

٢٧ ـ مجموعة كبيرة مشتملة على رسائل وكتابات.

٢٨ ـ مختصر نزهة الألبّاء في طبقات الأُدباء.

---

(١) في التكملة النخبة.

٢٩ ـ اختصار لسان الحاضر والنديم.إلى تآليف أُخرى أنهاها السيّد صاحب (الأعيان) إلى ٤٩.

توفّي شيخنا الكفعمي شاعرنا العظيم في كربلاء المشرّفة سنة ٩٠٥ كما في كشف الظنون، وكان يوصي أهله بدفنه في الحائر المقدّس بأرض تسمّى (عقيرا)[١] ومن ذلك قوله:

سألتكم بالله أن تدفنوني	إذا متّ في قبر بأرض عقير
فإنّي به جار الشهيد بكربلا	سليل رسول الله خير مجير
فإنّي به في حفرتي غير خائف	بلا فرية من منكر ونكير
أمنت به في موقفي وقيامتي	إذا الناس خافوا من لظى وسعير
فإنّي رأيت العُرب يحمي نزيلها	ويمنعه من أن ينال بضير
فكيف بسبط المصطفى أن يذود من	بجائره ثاوٍ بغير نصير
وعارٌ على حامي الحمى وهو في الحمى	إذا ضلّ في البيدا عقال بعير

لفت نظر:

ذكر السيد الأمين صاحب (الأعيان) في ص ٣٣٦ ج ٥: أنّ المترجم له ولد سنة ٨٤٠ مستفيداً من أُرجوزة له في علم البديع، وهذا التاريخ بعيد عن الصواب جدّاً، وذهول عمّا ذكره السيّد نفسه من أُمور تفنّده وتضادّه، قال في ص ٣٤٠: وجد بخطّه كتاب «دروس» الشهيد فرغ من كتابته سنة ٨٥٠، وعليه قراءته وبعض الحواشي الدالّة على فضله.

وعدّ من تآليفه ص ٣٤٣ [حياة الأرواح] فقال: فرغ من تأليفه ٨٤٣.

---

(١) قيل: (عقير) اسم لبعض نواحي كربلاء المشرّفة كالغاضرية وشاطئ الفرات هامش الغدير ١١: ٢١٥.

وذكر له مجموعة كبيرة فقال: قال صاحب الرياض: رايته بخطّه في بـلدة إيـروان من بلاد آذربايجان، وكان تاريخ إتمام كتابة بعضها سنة ٨٤٨، وبعضها سنة ٨٤٩، وبعضها ٨٥٢.

وقال في ص ٣٣٦: تاريخ وفاته مجهول، وفي بعض المواضع: أنّه توفّي سنة ٩٠٠ ولم يذكر مأخذه، فهو إلى الحدس أقرب منه إلى الحسّ، لكنّه كان حيّاً سنة ٨٩٥، فإنّه فرغ من تأليف «المصباح» في ذلك التاريخ، وليس في تواريخ مؤلّفاته ما هو أزيد من هذا، فعلى ما استفاده سيّد الأعيان من تأريخ ولادته ٨٤٠ يكون عند تأليفه «المصباح» ابن خمس وخمسين سنة، وله في رائيّته في «المصباح» قوله:

بشـيخ كـبير له لمّـة   كساه التعمّر ثوب القتير

فمجموع ما ذكرنا يعطينا خبراً بأنّ شاعرنا المترجم له وُلد في أوّليّات القـرن التاسع، وأنّه كان في سنة ٨٤٣ مؤلّفاً صاحب رأي ونظر، يثني على تآليفه الأساتذة الفطاحل، وكان حينما ألّف «المصباح» سنة ٨٩٤ شيخاً هرماً كبيراً[١].

أقول: كان استعراض ترجمة الشيخ الكفعمي طاب ثراه من فوائد رواية دعاء صاحب الزمان عجّل الله فرجه والكفْعمي نسبة إلى كفعم، كزمزم: قرية مـن قـرى جبل عامل[٢].

قوله عليه السلام: «اللّهمّ ربّ النور العظيم» هو نوره تعالى، الّذي لا أنور منه نوراً، بل ولا نور إلّا من نوره ﴿ *اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ...* ﴾[٣].

ومن نور الله نور محمّد وعليّ وفـاطمة والحسـن والحسـين وبـاقي الأئـمّة الأطهار عليهم السلام وبهم فسّرت آية النور[٤].

---

(١) الغدير ١١: ٢١٣ ـ ٢١٦.   (٢) الكُنى والألقاب للمحدّث القمّي ٣: ٩٥.

(٣) النور: ٣٥.

(٤) الصافي ٣: ٤٣٥ ـ ٤٣٦، ذيل الآية ٣٥ من سورة النور.

قوله عليه السلام: «وربّ الكرسي الرفيع» كلمة «الكرسي» من المتشابهات القرآنيّة المختلفة التفاسير.

الكرسي في اللغة والقرآن:

قال ابن فارس: الكاف والراء والسين أصل صحيح يدلّ على تلبّد شيءٍ فوق شيء وتجمّع... إلى أن قال: واشتقّت الكرّاسة من هذا؛ لأنّها ورق بعضه فوق بعض، وقال:

يا صاح هل تعرف رسماً مُكرسا قال نعم أعرفه وأبلَسا

والكرّوس: العظيم الرأس، وهو من هذا كأنّه شيء كرّس ـ أي جمع جمعاً كثيفاً ـ ومن الباب الكركسة: ترديد الشيء. ويقال للّذي ولدته إماء مكركس ـ أي هو مردّد في ولادهنّ له ـ [1].

وفي اللسان:

الكرسي: الأصل. والكرسي معروف واحد الكراسي، وربّما قالوا: كرسي بكسر الكاف. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾، في بعض التفاسير: الكرسي العلم.

وفيه عدّة أقوال: قال ابن عبّاس: كرسيّه علمه. وروي عن عطاء أنّه قال: ما السموات والأرض في الكرسي إلّا كحلقة في أرض فلاة، قال الزجّاج: وهذا القول بيّنٌ؛ لأنّ الّذي نعرفه من الكرسي في اللغة الشيء الّذي يعتمد عليه ويجلس عليه، فهذا يدلّ على أنّ الكرسي عظيم دونه السموات والأرض. والكرسي في اللغة. والكرّاسة: إنّما هو الشيء الّذي قد ثبت ولزم بعضه بعضاً. قال: وقال قوم: كرسيّه قدرته الّتي بها يمسك السموات والأرض، قالوا: وهذا كقولك: اجعل لهذا الحائط

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٥: ١٦٩ ـ ١٧٠ ـ كرس ـ.

كرسيّاً: ـ أي اجعل له ما يعمّده ويمسكه ـ قال: وهذا قريب من قول ابن عبّاس؛ لأنّ علمه الّذي وسع السموات والأرض لا يخرج من هذا، والله أعلم بحقيقة الكرسي إلّا أنّ جملته أمر عظيم من أمر الله عزّ وجلّ.

وروى أبو عمرو عن ثعلب أنّه قال: الكرسي ما تعرفه العرب من كُراسي الملوك، ويقال كِرسي أيضاً.

قال أبو منصور: والصحيح عن ابن عباس في الكرسي ما رواه عمّار الذهبي عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس أنّه قال: الكرسي موضع القدمين، وأمّا العرش فإنّه لا يقدر قدره.قال: وهذه رواية اتّفق أهل العلم على صحّتها، قال: ومن روى عنه في الكرسي أنّه العلم فقد أبطل[١].

قال الطريحي:

قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[٢] الكرسي بالضمّ والكسر: السرير، والعلم. والكرسي: جسم بين يدي العرش، محيط بالسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وسمّي كرسيّاً؛ لإحاطته. وفي حديث الفضيل عن الصادق عليه السلام: «يا فضيل كلّ شيء في الكرسي»... وقيل ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾: ـ يعني علمه ـ وقيل: ملكه، تسمية بمكانه الّذي هو كرسي الملك[٣].

إنّا نذهب في أمثال كلمة الكرسي والعرش ومجيء الربّ إلى استعارتها في القرآن السائرة سير الحوار العرفي والمستعملة عندهم فيما يتناوله الملوك، ومن باب «خذوا الغايات واتركوا المبادي»[٤] كالرحمة لا يراد منها المعنى اللغوي.

* * *

---

(١) لسان العرب ٦: ١٩٣ ـ ١٩٤ ـ كربس ـ.

(٢) البقرة: ٢٥٥.　　　　(٣) مجمع البحرين ٤: ٩٩ ـ كربس ـ.

(٤) أمثال وحكم ٢: ٧٢٣. وفيه (خذ ما صفا، دع ما كدر).

تلغى اللغات إذا وصلت معانيها.

٣٤٧
لا وربما اهتدى

روى العلّامة المجلسي من كتاب تنبيه الخاطر قال: حدّثني السيّد الأجلّ عليّ ابن إبراهيم العريضي العلوي الحسيني، عن عليّ بن عليّ بن نما، قال: حدّثني الحسن بن عليّ بن حمزة الأقساسي في دار الشريف عليّ بن جعفر بن عليّ المدائني العلوي، قال: كان بالكوفة شيخ قصّار، وكان موسوماً بالزهد منخرطاً في سلك السياحة متبتّلاً للعبادة مقتفياً للآثار الصالحة، فاتّفق يوماً أنّني كنت بمجلس والدي، وكان هذا الشيخ يحدّثه وهو مقبل عليه، قال: كنت ذات ليلة بمسجد جُعفي وهو مسجد قديم في ظهر الكوفة، وقد انتصف الليل وأنا بمفردي فيه للخلوة والعبادة؛ إذ اقبل عليّ ثلاثة أشخاص فدخلوا المسجد، فلمّا توسّطوا صرحته جلس أحدهم ثمّ مسح الأرض بيده يمنة ويسرة وخضخض الماء، ونبع فأسبغ الوضوء منه، ثمّ أشار إلى الشخصين الآخرين بإسباغ الوضوء فتوضّئا، ثمّ تقدّم فصلّى بهما إماماً فصلّيت معهم مؤتّماً به، فلمّا سلّم وقضى صلاته بهرني حاله واستعظمت فعله من إنباع الماء، فسألت الشخص الّذي كان منهما على يميني عن الرجل فقلت له: من هذا؟ فقال لي: هذا صاحب الأمر ولد الحسن، فدنوت منه وقبّلت يديه، وقلت له: يابن رسول الله ما تقول في الشريف عمر بن حمزة هل هو على الحقّ؟ فقال: لا، وربما اهتدى، إلّا أنّه لا يموت حتّى يراني، فاستطرفنا هذا الحديث.

فمضت برهة طويلة فتوفّي الشريف عمر ولم يسمع أنّه لقيه. فلمّا اجتمعت بالشيخ الزاهد ابن بادية أذكرته بالحكاية التي كان ذكرها، وقلت له مثل الرادّ عليه أليس كنت ذكرت أنّ هذا الشريف لا يموت حتّى يرى صاحب الأمر الّذي أشرت إليه؟ فقال لي: ومن أين علمت أنّه لم يره؟

ثمّ إنّني اجتمعت فيما بعد بالشريف أبي المناقب ولد الشريف عمر بن حمزة، وتفاوضنا أحاديث والده، فقال: إنّا كنّا ذات ليلة في آخر الليل عند والدي وهو في مرضه الّذي مات فيه، وقد سقطت قوته وخَفَتَ صوته، والأبواب مغلقة علينا إذ دخل علينا شخص هبناه واستطرفنا دخوله، وذهلنا في سؤاله[1] فجلس إلى جنب والدي، وجعل يحدثه مليّاً ووالدي يبكي ثمّ نهض.

فلمّا غاب عن أعيننا تحامل والدي، وقال: أجلسوني فأجلسناه وفتح عينيه، وقال: أين الشخص الّذي كان عندي؟ فقلنا: خرج من حيث أتى، فقال: اطلبوه فذهبنا في أثره فوجدنا الأبواب مغلقة ولم نجد له أثراً، فعدنا إليه فأخبرناه بحاله وأنّا لم نجده وسألناه عنه، فقال: هذا صاحب الأمر، ثمّ عاد إلى ثقله في المرض وأُغمي عليه[2].

سواء أصحّت الحكاية أم لا فإنّ الإمام عليه السلام يعلم ما عليه الإنسان وما يصير إليه من كفر أو إيمان وسعادة أو شقاوة، ولعل عمر بن حمزة ممّن صار إلى ما فيه خاتمة الخير، وإلى السعادة والقبول والرضا والغفران، كلّ ذلك ببركة اليمن بلقائه روحي فداه.

* * *

---

(١) أي عن أن نسأل عن اسمه وسمته. (٢) البحار ٥٢: ٥٥ ـ ٥٦، ح ٣٩.

٣٤٨
لا يأخذوا من أحد شيئا

خرج عن الناحية المحفوفة بالتقديس والإجلال توقيع يأمر الوكلاء بالكفّ عن قبول الأموال في ظروف أرادت طواغيت العصر القضاء عليهم، من قصّة رواها الشيخ الكليني قال: الحسين بن الحسن العلوي، قال: كان رجل من ندماء روز حسني، وآخر معه، فقال له: هو ذا يُجبي الأموال، وله وكلاء، وسمّوا جميع الوكلاء في النواحي، وأُنهي ذلك إلى عبيد الله بن سليمان الوزير، فهمّ الوزير بالقبض عليهم، فقال السلطان: اطلبوا أين هذا الرجل؛ فإنّ هذا أمر غليظ. فقال عبيد الله بن سليمان: نقبض على الوكلاء، فقال السلطان: لا، ولكن دسّوا لهم قوماً لا يعرفون بالأموال، فمن قبض منهم شيئاً قبض عليه، قال: فخرج بأن يتقدم إلى جميع الوكلاء أن لا يأخذوا من أحد شيئاً، وأن يمتنعوا من ذلك، ويتجاهلوا الأمر.

فاندسّ لمحمّد بن أحمد رجل لا يعرفه وخلا به، فقال: معي مال أُريد أن أُوصله، فقال له محمّد: غلطت أنا لا أعرف من هذا شيئاً، فلم يزل يتلطّفه ومحمّد يتجاهل عليه، وبثّوا الجواسيس وامتنع الوكلاء كلّهم لما كان تقدّم إليهم[1].

أقول:

لولا كلاءة الله ورعايته لحسم الوكلاء عن آخرهم ولقضي على الشيعة كافة، ولكن الطواغيت مكروا ومكر الله والله خير الماكرين، ومن يمكر فإنّما يمكر لنفسه،

---

(١) أصول الكافي ١: ٥٢٥، ح ٣٠.

والقوم الأوغاد أرادوا إطفاء نور الله والله متمّ نوره ولو كره الكارهون.

الحسين بن الحسن العلوي:

في المعجم بعد العنوان الرقم ٣٣٥٨ قال: هو الحسين بن الحسن العلوي الحسيني الأسود، المتقدّم آنفاً، روى عنه محمّد بن يعقوب، الكافي: الجزء ١، كتاب الحجّة ٤ باب مولد الصاحب عجّل الله تعالى فرجه ١٢٥ الحديث ٣٠[١].

روز حسني:

لم أظفر عليه بأكثر من قول العلّامة المجلسي: والظاهر أنّ روز حسني اسم مركّب، وقيل: نعت رجل[٢]، والمعلّق على الحديث: كأنّه كان والياً بالعسكر، وفي بعض النسخ [بدر حسني][٣]، وكيف كان فالنديمان كانا من السعاة وأعوان الظلمة وإثارة الفتنة وجرّاء ذلك أنّ السلطان تربّص بوكلاء الناحية الدوائر، فعادت عليه دائرة السوء بخروج التوقيع عنها بكفّ الوكلاء من قبول الأموال، وإبطال غائلة المكر وما جنته الجناة من قبل السلطان وطاغوت الزمان.

* * *

---

(١) معجم رجال الحديث ٥: ٢١٨.

(٢) مرآة العقول ٦: ٢٠٠.

(٣) هامش أُصول الكافي ١: ٥٢٥.

٣٤٩
لا يبحثوا عمّا ستر عنهم فيأثموا

كلمة لو عمل بها العامل صان مروءته، وأرضى مولاه، انـتزعت مـن التـوقيع الخارج عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال، لرفع التشاجر في الخلف بعد مضي أبي محمّد الماضي عليه السلام، وقد رواه الصدوق وغيره وإليك بـروايـته بـقدر الحـاجة قال عليه السلام فيه: «فليدَعوا عنهم اتّباع الهوى، وليقيموا على أصلهم الّذي كـانوا عـليه، ولا يبحثوا عمّا ستر عنهم فيأثموا ولا يكشفوا سرّ الله فيندموا...»[١].

أقول: انتزعنا من التوقيع نفسه نبذة كلمات لا أُريد التنصيص عليها جميعاً فإنّها غير خفيّة عن الناظر في الكتاب، منها: «ليدعوا عنهم اتّباع الهوى»[٢].

البحث عن المستور:

منع العباد عن سؤال بعض الأشياء خاصّة، وإلّا فالسؤال مفتاح العلم[٣]، ودواء العي السؤال، بل وقد جاء الأمر بالسؤال عن أهل الذكر عند الجهل بالحقيقة[٤] ففي السؤال أمران ضدّان: أحدهما: محبوب والثاني: مرغوب عنه، وإنّما العلم بالأمرين والتمييز بينهما لا يحصل إلّا بالتعليم والتعلّم وبالسؤال والجواب، وموضوع السؤال

---

(١) إكمال الدين ٢: ٥١١، الباب ٤٥، ح ٤٢.

(٢) رقمه ٣٧٥، الآتي ذكره.

(٣) في النبوي «العلم خزائن ومفاتيحه السؤال...» البحار ٧٧: ١٤٦.

(٤) النحل: ٤٣ والأنبياء: ٧ ﴿فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾.

كسائر الموضوعات الّتي يقع عنها السؤال، حتّى قيل: تعلّموا السؤال كما تتعلّمون الجواب[١]، أو تعلّموا السؤال قبل الجواب، من الأمثال السائرة.

وإليك من الأوّل قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللهُ عَنْهَا وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَافِرِينَ﴾[٢].

دلّت الآيتان على حظر السؤال لئلّا يقع السائل فيما يسوؤه، أو لا يتحمله عقله فيكفر بالله. وكذلك الشيعة يجب عليهم الكفّ عن موضوع تأخير الظهور أو تقديمه؛ لأنّهم لم يحيطوا به ويجهلون العلل في ذلك كلّه، وإيّاهم أن يكونوا كبعض الأُمم السالفة من بني إسرائيل حيث هلكوا بكثرة سؤالهم، وإن نسيت فلا تنس قصّة البقرة الّتي سمّيت سورة من السور باسمها[٣]. والبحث عمّا ستر عن الشيعة سبب لوقوعهم في الإثم أو الجحود العياذ بالله.

* * *

(١) من المثل في معناه النبوي: «حسن السؤال نصف العلم» كنز العمال ١٠: ٢٣٨، الرقم ٢٩٢٦٢، يماثله النبوي: «تعلموا اللحن كما تتعلّمون حفظه» كنز العمال ١: ٦١١، الرقم ٢٨٠٨.

(٢) المائدة: ١٠١ ـ ١٠٢.

(٣) البقرة: ٦٦ ـ ٧١.

٣٥٠
لا يبقى الناس في فترة أكثر من تيه بني إسرائيل

شاركت هذه الأُمّة الأمم السابقة في كلّ شيء، وزادت عليها بما يقرح القلوب بأن أزاحت أهل بيت نبيّها عن مراتبهم الّتي رتّبهم الله فيها، فتاهت بأفضع ممّا تاه به بنو إسرائيل أكثر من أربعين سنة؛ وذلك أنّهم تابوا فدخلوا الأرض المقدّسة دون أُمّة محمّد ﷺ الغامرة في غيّها فلم تحفظه في ودائعه الواجب عليهم حفظها ورعايتها، بل:

أبادوهم قتلاً وسمّاً ومثلة　　　كأنّ رسول الله ليس لهم أب
أبادوهم قتلاً وسمّاً ومثلة　　　فيالك خطبٌ فيالورى ليس يوجد[1]

ولربط المختار ما يلي من رواية الشيخ الطوسي طاب ثراه في الغيبة من قصّة الآودي بإسناده إليه تقدّمت عند «حدّث بها إخوانك من أهل الحقّ»[2] وفيها قال الإمام المهديّ عليه السلام:

«أنا قائم الزمان، أنا الّذي أملأها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً؛ إنّ الأرض لا تخلو من حجّة، ولا يبقى الناس في فترة أكثر من تيه بني إسرائيل، وقد ظهر أيّام خروجي...»[3].

---

(١) وفيات الأئمّة من علماء البحرين والقطيف ص ٣٩٤.　　(٢) رقمه ١٦٦.

(٣) الغيبة: ١٥٢، وفي إكمال الدين ٢: ٤٤٤، الباب ٤٣ ح ١٨، عن الأزدي.

أقول:

إن شئت نظرت[١]، والمهم الإشارة إلى الجواب عن سؤال جاء ذكره عند المختار: «حدّث بها إخوانك...» بأنّ مدّة تيه بني إسرائيل كانت أربعين سنة. قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[٢] قد منعوا دخول الشام في هذه المدّة، ثمّ تابوا وقال لهم موسى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ...﴾[٣]، وهذه الأُمّة قد وقعت في التيه أكثر من ألف سنة فكيف يقاس تيههم بتيه بني إسرائيل؟.

والجواب: إنّما قيسوا بهم إن أحدثوا التوبة كما تابوا، وإلّا فلا حدّ للمدّة أصلاً كما هو كذلك، فلو أنّ بني إسرائيل تابوا قبل أربعين سنة لدخولها، وكذلك الأُمّة لو تابت، أو لم تعص من الأول لما غاب شخصه ﷺ عنها.

* * *

---

(١) أي الرقم ١٦٦. (٢) المائدة: ٢٦.

(٣) المائدة: ٢١.

٣٥١
لا يجوز شدّ المئزر بشيءٍ سواه

من جوابات المسائل الحميريّة الخارجة عن الناحية المقدّسة، سأل عنها محمّد ابن عبد الله بن جعفر الحميري، سنة سبع وثلاثمائة، تقدّم أكثرها، منها برواية الشيخ الطبرسي طاب ثراه ما يلي:

وسأل هل يجوز أن يشدّ عليه مكان العقد تكّة؟.

فأجاب: لا يجوز شدّ المئزر بشيءٍ سواه من تكّة، ولا غيرها[1].

بيان:

يسأل الإمام عليه السلام عن ثوبي الإحرام يجعل لأحدهما المعبّر عنه بالمئزر من تكّة كما للسراويل، أو لا بدّ من شده دون أن يعقده أو يشدّه بغيره؟.

أجاب عليه السلام بعدم جواز شدّه سواه على بدنه، وأنّ مفروض السؤال كما سمعت هو المئزر، وكذا الآخر المسمّى بالإزار، وللإحرام بهما سواء للحجّ أو الاعتمار واجبات أو محرّمات، وشروط أحكام لابدّ من معرفتها قبل العمل؛ لئلّا يقع فيما يوجب الفساد أو الكفّارة على اختلاف أقسامها، وأنّ التوقيع خاصّ بمسألة ثوبي الإحرام والمخيط منهما، أو الشدّ الملحق به، وهو الفارق بين لباس المصلّي

---

(١) الاحتجاج ٢: ٣٠٧، توقيعات الناحية المقدسة.

والمحرم، ويشترك معه في سائر الشروط من الإباحة والطهارة وعدم لبس الذهب، وجلد ما لا يؤكل لحمه، وغيرها من المشتركات بين المحرم والمصلّي.

قال المحقّق في الشرائع في أحكام الإحرام:

الثالث: لبس ثوبي الإحرام، وهما واجبان، ولا يجوز الإحرام فيما لا يجوز لبسه في الصلاة.

وهل يجوز الإحرام في الحرير للنساء؟ قيل: نعم، لجواز لبسهنّ له في الصلاة، وقيل: لا...[١].

ليس الإنسان في حال إحلاله وإحرامه سواء، كما ليس له أن يلبس ما شاء حتى في حالة الإحلال مما يحرم لبسه على الرجال من الذهب والحرير، والمغصوب وأشباه ذلك.

وليعلم أنّ الحجّ وفادة وحشر إلى الله قبل الحشر الأكبر، يجب عليه ترك ما خوّل من أمتعة وتمتّعات دنيويّة وراء ظهره كما يمرّ عليه يوم على رغم أنفه وقت تركها الإجباري ويأتي ربّه فرادى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[٢].

وصدر الآية يلقي الضوء علينا أنّ في يوم لقاء الله الشخوص الإفرادي المجرّد عن كلّ ما عليه من صنع بشري ومنه الخياطة، ولأجله جاء الشبه بين ثوبي الإحرام وأقمصة الأكفان من شروط الإباحة والخلوّ عن النجاسة وعدم المخيط ونزع الثياب الّتي عليها الآثار البشريّة إلّا الشهيد المرمّل بدمائه فيدفن بها بلا نزع وتغيير ما عليه، وليحشر فيها، ولتشهد له يوم القيامة.

* * *

---

(١) شرائع الإسلام ١: ٢٤٦، أحكام الحج. (٢) الأنعام: ٩٤.

٣٥٢

لا يحلّ لأحد أن يتصرّف في مال غيره بغير إذنه

وفقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[1]، قد صدر التوقيع عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال، رواه الشيخ الصدوق طاب ثراه جواباً لمسائل الأسدي، وإليك ما قال: حدّثنا محمّد بن أحمد الشيباني، وعليّ بن أحمد بن محمّد الدقّاق، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المؤدّب، وعليّ بن عبد الله الورّاق رضي الله عنهم، قالوا: حدّثنا أبو الحسين محمّد بن جعفر الأسدي ﷺ، قال: كان فيما ورد عليّ من الشيخ أبي جعفر بن عثمان ـ قدّس الله روحه ـ في جواب مسائلي إلى صاحب الزمان عليه السلام:

«... وأمّا ما سألت من أمر الضياع الّتي لناحيتنا هل يجوز القيام بعمارتها وأداء الخراج منها وصرف ما يفضل من دخلها إلى الناحية احتساباً للأجر وتقرّباً إلينا؟ فلا يحلّ لأحد أن يتصرّف من مال غيره بغير إذنه، فكيف يحلّ ذلك في مالنا من فعل شيئاً من ذلك من غير أمرنا فقد استحلّ منّا ما حرّم عليه؟! ومن أكل من أموالنا شيئاً فإنّما يأكل في بطنه ناراً وسيصلى سعيراً»[2].

---

(١) النساء: ٢٩.

(٢) إكمال الدين ٢: ٥٢٠ ـ ٥٢١ الباب ٤٥ ح ٤٩.

أقول:

يأتي بعض التوقيع عند «من أكل من أموالنا شيئاً...»[١]، وقد ذكرنا أنّ التوقيع على وفق آية تحريم أكل الأموال بالباطل الصريحة في ذلك، وأنّ التصرّف ومنه الأكل لا يحلّ إلّا بأسباب محلّلة شرعاً وعرفاً غير المردوع عنها أحدها التجارة عن تراض وكذا الهبة والتوريث والإجارة وسائر النواقل الشرعية المذكورة في الفقه الإسلامي، وقد سبق القول حول الغصب عند «الغاصب يؤخذ بأشدّ الأحوال»[٢].

* * *

---

(١) رقمه ٤١٥.

(٢) رقمه ٢٥٥.

٣٥٣
لا يضيقنّ صدرك، فإنّك ستحجّ من قابل إن شاء الله

من توقيع صدر عن الناحية المقدّسة رواه الشيخ الكليني المذكور تمامه عند «الأسدي نعم العديل»[١]، ومن ثمّ لا نعيد إلّا ما يربط المختار قال الراوي: «... وتهيّأت للحجّ وودّعت الناس وكنت على الخروج، فورد: نحن لذلك كارهون والأمر إليك.

قال: فضاق صدري واغتممت وكتبت: أنا مقيم على السمع والطاعة غير أنّي مغتمّ بتخلّفي عن الحجّ، فوقّع: لا يضيقنّ صدرك؛ فإنّك ستحجّ من قابل إن شاء الله، قال: ولمّا كان من قابل كتبت أستأذن، فورد الإذن...»[٢].

بما أنّه سبق شرح التوقيع فلا نطيل، بقي ضيق الصدر بفوات رفقة الحجّ، وهل كان الضيق بعد ورود الكراهة عنه عليه السلام، حتّى قال له: لا يضيقنّ صدرك... الدالّ على حزازة صاحبه، أم لا؟

والجواب: ليس كلّ ضيق الصدر فيه منقصة بل قسم منه ممدوح إذا كان لخوف فوات الواجب المسبّب له الغمّ بذلك، وله مرتبة أُخرى هابطة لا تليق العارف بالله أو المعصوم عليه السلام. وليس ضيق صدر النبيّ صلى الله عليه وآله الّذي أخبر به الله تعالى من هذا القبيل ـ أي: الضيق المقدوح المنهي ـ بل كان لأجل الناس، كما ومنه التوقيع: «فغمّنا ذلك

---

(١) رقمه ٥٠.

(٢) أُصول الكافي ١: ٥٢٢ ح ١٧، باب مولد الصاحب عليه السلام.

لكم لا لنا، وساءنا فيكم لا فينا»[١] فما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾[٢] و﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾[٣] وغيرهما من آيات صريحة في بيان السبب وأنّه لأجل قولهم الباطل ومكرهم، فلا يقاس بآل محمّد صلّى الله عليهم وسلّم أحد من الناس في الحال والمقال، ولا في شيء من شؤونهم عليهم السلام.

* * *

---

(١) غيبة الطوسي: ١٧٣. (٢) الحجر: ٩٧.

(٣) النحل: ١٢٧. وفيما لا صراحة في الغير باب التأويل الصحيح مفتوح.

٣٥٤
لا يموت حتّى يراني

بشرى لبعض الناس صدرت عن الإمام المهديّ عليه السلام وهو الشريف عـمر بـن حمزة في قصّة الشيخ القصّار، تقدّم ذكرها كَمَلاً عند «لا وربّما اهتدى»[1] برواية الشيخ المجلسي طاب ثراه نقلاً عن كتاب تنبيه الخاطر بإسناد له فراجع، ولأجـل ما يربطك بالمختار نذكر ما قال القصّار:

وقلت له: «يا ابن رسول الله ما تقول في الشريف عمر بن حمزة هل هو على حقّ؟ فقال: لا وربّما اهتدى إلّا أنّه لا يموت حتى يراني...»[2].

من شاء نظر القصّة عن آخرها، والمهمّ ذكر بعض ما ورد من عـمل أو قـول يعجّل للعامل أو القائل السعادة بيمن لقائه ورؤيته عجّل الله فرجه.

وهو أُمور:

الأوّل: اجتماع القلوب ومصافاتها ووفاؤها بالعهد المأخوذ عليهم، ودليل ذلك ما جاء عنه عليه السلام في كتابه الثاني للشيخ المفيد طاب ثراه:

«ولو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بـالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجّلت لهم السعادة بـمشاهدتنا عـلى حـقّ المعرفة وصدقها منهم بنا فما يحبسنا عنهم إلّا ما يتّصل بنا ممّا نكرهه ولا نـؤثره

---

(١) رقمه ٣٤٧.

(٢) البحار ٥٢: ٥٥.

منهم...»[١].

ويحتمل أن يكون ترك المكروه عنده عليه السلام وما يؤثره هو من علل اللقاء المستقلة وأسبابه لبعض الأفراد، وإن لم يحصل اجتماع القلوب الموقوف على المجتمع الإيماني، كما أنّ الإجتماع المذكور مع ترك المكروه كان من العلل له، والسبب الكامل هو الأمران: اجتماع القلوب، وترك المكروه معاً، وما ذكرناه كان احتمالاً فاختر ما شئت من التفسيرين وشمّر عن الساعدين للظفر بالسعادة.

الثاني: الحبّ المفرط بأن يعشقه ويطلبه ليل نهار، ولا يقرّ له قرار؛ فإنّه عليه السلام يخضع لشرع الله وسنّته في ذات الحبّ وحبّ الذات، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً، وكيف لا وهو ابن من يسيل منه الحبّ والجمال محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

وإليك قصّة الزيّات برواية الشيخ الكليني لتشاهد شرع الحبّ والجمال، قال طاب ثراه.

عنه[٢] عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن عليّ بن الحكم عن بعض أصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلام قال: كان رجل يبيع الزيت وكان يحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله حبّاً شديداً، كان إذا أراد أن يذهب في حاجة لم يمض حتّى ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عرف ذلك منه، فإذا جاء يطاول له حتّى ينظر إليه، حتّى إذا كان ذات يوم دخل عليه فتطاول له رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى نظر إليه ثمّ مضى في حاجته، فلم يكن بأسرع من أن رجع، فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قد فعل ذلك أشار إليه بيده اجلس، فجلس بين يديه، فقال: ما لك فعلت اليوم شيئاً لم تكن تفعله قبل ذلك؟ فقال: يا رسول الله! والّذي بعثك بالحقّ نبيّاً لغشي قلبي شيء من ذكرك حتّى ما استطعت أن أمضي في حاجتي

---

(١) الاحتجاج ٢: ٣٢٥، وسبق ذكر الكتاب في هذا الكتاب لا يخفى على الناظر فيه عن آخره.

(٢) يعود الضمير إلى محمّد بن يحيى المذكور قبله.

حتّى رجعت إليك، فدعا له وقال له خيراً. ثمّ مكث رسول الله صلى الله عليه وآله أيّاماً لا يراه. فلمّا فقده سأل عنه؟ فقيل: يا رسول الله! ما رأيناه من أيّام، فانتعل رسول الله صلى الله عليه وآله وانتعل معه أصحابه، وانطلق حتّى أتوا سوق الزيت فإذا دكّان الرجل ليس فيه أحد، فسأل عنه جيرته، فقالوا: يا رسول الله مات، ولقد كان عندنا أميناً صدوقاً إلاّ أنّه قد كان فيه خصلة، قال: وما هي؟ قالوا: كان يرهق[1] ـ يعنون يتبع النساء ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: رحمه الله والله لقد كان يحبّني حبّاً لو كان نخّاساً[2] لغفر الله له[3].

تصدقه القلوب، وإنّ (القلوب شواهد)[4] يمتلك الحبّ القلب إذا دخله، وأصبح صاحبه للحبيب عبداً، فيحنّ عليه بنظرة ولقاء.

الثالث: قراءة سور المسبّحات: سورة الحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى؛ فقد روى الشيخ الطبرسي بإسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: من قرأ المسبّحات كلّها قبل أن ينام لم يمت حتّى يدرك القائم عليه السلام، وإن مات كان في جوار رسول الله صلى الله عليه وآله[5].

وجدتني أُفكّر في السبب بعد إخراج الحديث هل فيها ما توجب قراءته لقاء الحجّة عجّل الله فرجه وما هي العلة في ذلك؟

وكان الجواب عمليّاً أنّي عثرت على رواية أحمد بن الحسن الميثمي عن رجل من أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السلام [أنّه] قال: سمعته يقول: نزلت هذه الآية التي في سورة الحديد ﴿*وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ*

---

(١) الرهق محركة... غشيان المحارم هامش روضة الكافي ٨: ٧٨.

(٢) لعلّ المراد من يبيع الأحرار عمداً المصدر.

(٣) روضة الكافي ٨: ٧٧ ـ ٧٨.

(٤) أمثال وحكم ١: ٢٦٧ وفيه (القلوب تشاهد) والصحيح ما أثبتناه.

(٥) تفسير مجمع البيان ٩: ٢٢٩، في فضل سورة الحديد.

﴿الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[١] في أهل زمان الغيبة[٢].

والصدوق في الصادقي قال: نزلت هذه الآية في القائم عليه السلام[٣].

والباقري في قول الله عزّ وجلّ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[٤] قال: يحييها الله عزّ وجلّ بالقائم عليه السلام بعد موتها ـ بموت كفر أهلها ـ والكافر ميّت[٥].

فالمؤمن الشائق إلى الرؤية إذا قرأ سورة الحديد وباقي المسبّحات عسى أن تدركه السعادة وأن يوفّق للرؤية.

وفي سورة الصفّ قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٦] «أنّه نزل في القائم من آل محمّد عليهم السلام إذا خرج يظهره الله على الدين كلّه حتّى لا يعبد غير الله...»[٧].

ولعلّ المتدبّر في سورة الحديد والحشر والجمعة والتغابن والأعلى يظفر بأكثر من ذلك بالعلقة بها مع الإمام المهديّ عليه السلام لأنّه القرآن الناطق والترجمان لما بين الدفتين من سطور، قال أمير المؤمنين عليه السلام يوم رفع المصاحف في صفّين:

«هذا القرآن إنّما هو خطّ مستور بين الدفّتين، لا ينطق بلسان، ولا بدّ له من ترجمان، وإنّما ينطق عنه الرجال»[٨] وأين الناطق الذاتي من الخطّي.

* * *

---

(١) الحديد: ١٦.

(٢) المحجّة فيما نزل في القائم الحجّة عليه السلام: ٢١٩.

(٣) إكمال الدين ٢: ٦٦٨، الباب ٥٨ ح ١٢. (٤) الحديد: ١٧.

(٥) الإكمال ٢: ٦٦٨، الباب ٥٨ ح ١٣. (٦) الصفّ: ٨.

(٧) تفسير القمّي ٢: ٣٦٥.

(٨) شرح النهج لابن أبي الحديد ٨: ١٠٣، من كلام له ١٢٥، وقبله: «إنّا لم نحكّم الرجال وإنّما حكّمنا القرآن، والقرآن...». ثمّ المقارنة بين المعصوم والقرآن وعدم التفكيك بينهما بحديث الثقلين.

٣٥٥
لا ينازعنا موضعه إلّا ظالم آثم

خرج عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال على يد أبي عَمرو العَمري الردّ على تشاجر ابن أبي غانم القزويني مع جماعة من الشيعة حول الخلف، وجعفر الكذّاب المدّعي القيمومة كذباً بعد مضيّ الماضي عليه السلام، ومن التوقيع قول عجّل الله فرجه:

«وإنّ الماضي عليه السلام مضى سعيداً فقيداً على منهاج آبائه حذو النعل بالنعل[1]، وفينا وصيّته وعلمه، ومن هو خلفه ومن هو يسدّ مسدّه، لا ينازعنا موضعه إلّا ظالم آثم، ولا يدّعيه دوننا إلّا جاحد كافر...»[2].

أقول:

كما قلنا إنّه عليه السلام يريد به الردّ على جعفر الكذّاب المنازع له والمدّعي القيمومة بعد أخيه العسكري عليه السلام، ويشهد له ما بعده:

«قد امتحنّا به من منازعة الظالم العتلّ الضالّ المتتابع في غيّه المضادّ لربّه الداعي ما ليس له الجاحد حقّ من افترض الله طاعته الظالم الغاصب...»[3].

ويحتمل أن يريد به السلطان العبّاسي الغاصب لمنصب الخلافة كسائر الخلفاء

---

(١) رقم المختار ١٦٨.

(٢) غيبة الطوسي: ١٧٢ ـ ١٧٣.

(٣) الغيبة: ١٧٣.

العباسيّين المتأمّرين على البلاد والعباد، ولكنّه بعيد؛ لأنّ العبّاسي كان غاصباً متأمّراً قبل مضي الماضي ﵇ والكلام مصوغ لما بعده، وكيف كان فآباء الإمام المهدي ﵈ كانوا كلّهم معارضون منازعون من داخل من قبل أولادهم الثائرين إلّا القليل منهم، ومن خارج من أقوام متمرّدين من سفيانيّين ومروانيّين واُمويّين وعباسيّين مدّعين ما لم يجعل الله لهم فيه نصيباً وما ليس من الأمر شيء، والحجّة المنتظر نوزع وعورض كأبيه وأجداده الكرام ﵈، وأوّل من نازعه في المنصب عمّه جعفر الكذّاب، وفي عصر الغيبة الصغرى الشريعي والنميري والهلالي والبلالي والعزاقري والحلّاج وأضرابهم ممن لم ينصّ على سفارتهم من قبل المعصوم ﵇ وقد تقدّم عرض دعاويهم وشيء من تراجمهم ما لا يغيب عن الناظر في هذا الكتاب، ولأجله لا نطيل المقال بعد وضوح الحال، والمؤمن الموفّق بحمد الله لا يكون ظالماً لأهل البيت ﵈، ولا مُعيناً لظالم، ولا يفارق الحقّ ولا يجهله ولا يخذله، ولا يغفل عمّا فرض الله عليه من المعرفة والطاعة له.

* * *

٣٥٦

لتملكونهم كما ملكوكم

من كلمات الإمام المهديّ عليه السلام لعليّ بن مهزيار الأهوازي عند لقائه في جبال الطائف في قصّة له قد سبق بيانها[١]، إلى أن قال عجّل الله فرجه بعد سؤاله عليه السلام عن أهل العراق وقول المهزياري في الجواب: سيّدي قد ألبسوا جلباب الذلّة وهم بين القوم أذلّاء:

«يابن المازيار[٢] لتملكونهم كما ملكوكم وهم يومئذ أذلّاء. فقلت: سيّدي لقد بعد الوطن وطال المطلب، فقال: يابن المازيار أبي أبو محمّد عهد إليّ أن لا أُجاور قوماً غضب الله عليهم ولعنهم و لهم الخزي في الدنيا والآخرة...» إلى آخر القصّة[٣].

تحكيماً لقانون المجازاة، في الباقري: «في التوراة أربعة أسطر: من لا يستشر يندم، والفقر الموت الأكبر، وكما تدين تدان، ومن ملك استأثر»[٤].

وكما تزرع تحصد، وموثّق الصدوق عن النبيّ صلى الله عليه وآله في تفسير أبـجد: «... أمّـا سعفص فالصاد صاع بصاع: يعني الجزاء بالجزاء كما تدين تدان»[٥]، ولا يكون ملك الشيعة لأعدائها إلّا بخروج مَلِكِهم وسلطانِهم وهو الإمام المـنتظر وظـهور دولتـه

---

(١) رقم المختار ٣٨، ٢٨١. (٢) مخفف «المهزيار».

(٣) غيبة الطوسي: ١٥٩ ـ ١٦١، وانظر رقم المختار ٣٨.

(٤) الوسائل ٨: ٤٢٤، الباب ٢١ من أبواب أحكام العشرة ح ٣.

(٥) الخصال ١: ٣٣٢ ح ٣٠.

الربانيّة، وقد سمع ابن طاووس في السحر قوله ودعاءه عليه السلام لأموات الشيعة: «أحيهم في عزّنا و ملكنا وسلطاننا ودولتنا»[١] وأخذ الثأر من أعداء الأئمّة الأطهار عليهم السلام ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، والملك لله تظهر ظاهرته كما شاء الله بقيام الإمام المهدي إن شاء الله، وبه يقهر الملوك والجبابرة وطواغيت الدهر، وهم أذلّاء صاغرون، ويعزّ الأولياء ونحن اليوم نقول: «أين معزّ الأولياء ومذلّ الأعداء، أين جامع الكلم على التقوى، أين باب الله الّذي منه يؤتى، أين وجه الله الّذي اليه يتوجّه الأولياء، أين السبب المتّصل بين أهل الأرض والسماء» من دعاء الندبة يندبه المؤمنون بأمر الصادق عليه السلام في الأعياد الأربعة: «الغدير، والفطر، والأضحى، والجُمُعة»[٣]، وعسى أن يستجاب الدعاء.

* * *

---

(١) رقمه ٢٦٦. (٢) المنافقون: ٨.

(٣) أواخر جمال الأُسبوع: ٥٥٣ ـ ٥٦٠.

٣٥٧
الّذي سنّه العالم عليه السلام بالرقاع والصلاة

روى الشيخ الطبرسي في الاحتجاج مسائل محمّد بن عبد الله الحميري الفقيه التي سأل عنها وأرسلها إلى الناحية المحفوفة بالقدس والجلال في كتب أربعة وكان تاريخ رابعها سنة ٣٠٨ هـ وخرج الجواب عن إحدى مسائله، وصورة ذلك ما يلي:

وسأل عن الرجل تعرض له الحاجة ممّا لا يدري أن يفعلها أم لا. فيأخذ خاتمين فيكتب في أحدهما(نعم افعل)، وفي الآخر (لا تفعل)، فيستخير الله مراراً، ثمّ يرى فيهما فيخرج أحدهما فيعمل بما يخرج، فهل يجوز ذلك أم لا؟ والعامل به والتارك له أهو مثل الاستخارة أم هو سوى ذلك؟

فاجاب: الّذي سنّه العالم عليه السلام في هذه الاستخارة بالرقاع والصلاة[١].

أقول:

الاستخارة: هي طلب الخير من الله تعالى قال الشيخ الطريحي: والاستخارة طلب الخيرة كعنبة وأستخيرك بعلمك ـ أي أطلب منك الخيرة في الأمر ـ [٢]. وقال ابن الأثير: فيه[٣] «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلّمنا الاستخارة في كلّ شيءٍ» الخير ضدّ الشرّ، تقول: منه خرت يا رجل ـ إلى أن قال: ـ والاستخارة: طلب الخيرة في الشيء

(١) الاحتجاج ٢: ٣١٤، البحار ٥٣: ١٦٨. (٢) مجمع البحرين ٣: ٢٩٦ ـ خير ـ.
(٣) أي في الحديث النبويّ.

وهو استفعال منه يقال: استخر الله يخر لك(١).

يريد عليه السلام بقوله: «سنّه العالم عليه السلام بالرقاع والصلاة» لزوم الأخذ فيها عن الشرع وسننه في كلّ شيء لا الاقتراح المبتدع ليتّخذ ذلك سنّة في قبالة سنّة الإسلام الكافل لبيان الأحكام، فلا دلالة له على حصر الاستخارة بالرقاع والصلاة، وبه يندفع ما يتوهم من مفهوم التوقيع الاختصاص بذلك ونفي ما سواه.

الاستخارة بالرقاع والصلاة:

ليعلم أوّلاً أنّ المراد بالعالم هو الصادق عليه السلام، أو أيّ واحد من آبائه عليهم السلام، وثانياً أنّه جاء ذكر الرقاع والصلاة عنهم عليهم السلام، رواه الشيخ الكليني طاب ثراه بسندين، قال في إسناده عن الصادق روحي فداه: غير واحد، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمّد البصري، عن القاسم بن عبدالرحمن الهاشمي، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أردت أمراً فخذ ستّ رقاع فاكتب في ثلاث منها: بسم الله الرحمن الرحيم خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلانة افعله، وفي ثلاث منها: بسم الله الرحمن الرحيم خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلانة لا تفعل. ثمّ ضعها تحت مصلّاك، ثمّ صل ركعتين فإذا فرغت فاسجد سجدة وقل فيها مائة مرّة: «أستخير الله برحمته خيرة في عافية»، ثمّ استو جالساً وقل: «اللّهمّ خرّ لي في جميع أُموري في يسر منك وعافية» ثمّ اضرب بيدك إلى الرقاع فشوشها وأخرج واحدة، فإن خرج ثلاث متواليات افعل فافعل الأمر الّذي تريده، وإن خرج ثلاث متواليات لا تفعل فلا تفعله، وإن خرجت واحدة افعل، والأُخرى لا تفعل فأخرج من الرقاع إلى خمس فانظر أكثرها فاعمل به ودع السادسة لا تحتاج إليها(٢).

فينطبق على الصادق عليه السلام في هذا الحديث لفظ التوقيع اسم العالم، وتجده

---

(١) النهاية ٢: ٩١ ـ خير ـ.

(٢) الكافي ٣: ٤٧٠ ـ ٤٧١، باب صلاة الاستخارة، ح ٣.

اشتمل على الرقاع والصلاة، وإليك عنهم عليهم السلام لا على التعيين ما رواه أيضاً طاب ثراه أنّه قال لبعض أصحابه وقد سأله عن الأمر يمضي فيه ولا يجد أحداً يشاوره فكيف يصنع؟ قال: شاور ربّك، قال: فقال له: كيف؟ قال له: انو الحاجة في نفسك ثمّ اكتب رقعتين في واحدة لا، وفي واحدة نعم، واجعلهما في بندقتين من طين، ثـمّ صـل ركعتين واجعلهما تحت ذيلك وقل: يا الله إنّي أُشاورك في أمري هـذا وأنت خـير مستشار ومشير، فأشر عليّ بما فيه صلاح وحسن عاقبة، ثمّ أدخل يدك فإن كان فيها نعم فافعل، وإن كان فيها لا فلا تفعل، هكذا شاور ربّك[1].

وفي الباب ثمان روايات منها اثنتان ذات رقاع وصلاة سمعتهما، ومنها ما فيه صلاة كما في الصادقي: «صلّ ركعتين واستخر الله فوالله ما استخار الله مسلم إلّا خار له البتّة»[2]، ومنها زيادة على الصلاة قول «أستخير الله» مائة مرّة ومرّة[3].

أمّا الاستخارة بالسبحة فلنا طريق مجاز متّصل إلى الإمام المهدي عليه السلام أجاز لي بعض العلماء في العمل به وفي إجازة الآخرين وقد أجـزت لهـم بـإجازتي مـنه، وكيفيّتها ما يلي:

بأن يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، ثمّ اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد ثلاث مرّات، ثمّ دعاء مّا كأن يقول: يا من يعلم اهد من لا يعلم، أو يا ربّ خر لي ما هو الصالح، ونظائر ذلك، ثمّ يقبض على السبحة فيعدّ القبضة فإن كنّ الباقي فرداً فَعَلَه، وإن كان زوجاً تَرَكَه.

ولبعض موهبة حين يعمل بهذه الاستخارة تأتيه آية من القـرآن الكـريم بـها ينكشف له الأمر بصورة واضحة، وربّما لا تأتيه.

وأمّا الاستخارة بالمصحف الكريم ففي صحيح أبي اليسع القـمّي قـال: قـلت

---

(١) الكافي ٣: ٤٧٣، ح ٨. (٢) المصدر: ٤٧٠، ح ١.

(٣) نفس المصدر: ٤٧٢، ح ٧.

لأبي‌عبد الله عليه السلام: أُريد الشيء فأستخير الله فيه فلا يوفّق فيه الرأي أفعله أو أدعه؟ فقال: انظر إذا قمت إلى الصلاة فإنّ الشيطان أبعد ما يكون من الإنسان إذا قام إلى الصلاة أيّ شيء يقع في قلبك فخذ به، وافتتح المصحف فانظر إلى أوّل ماترى فيه فخذ به إن شاء الله[1].

وأمّا الاستخارة بالدعاء فهو ما ذكر في فتح الأبواب لابن طاووس طاب ثراه، قال:

دعاء مولانا المهديّ صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين في الاستخارات، وهو آخر ما خرج من مقدس حضرته أيّام الوكالات.

روى محمّد بن عليّ بن محمّد في كتاب جامع له ما هذا لفظه:

استخارة الأسماء الّتي عليها العمل، ويدعو بها في صلاة الحاجة وغيرها، ذكر أبو ذَلَف محمّد بن المظفّر رحمة الله عليه أنّها آخر ما خرج:

«بسم الله الرحمن الرحيم، اللّهمّ إنّي أسألك باسمك الّذي عزمت به على السموات والأرض فقلت لهما: ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين، وباسمك الّذي عزمت به على عصا موسى فإذا هي تلقف ما يأفكون، وأسألك باسمك الّذي صرفت به قلوب السحرة إليك حتّى قالوا: آمنّا بربّ العالمين، ربّ موسى وهارون، أنت الله ربّ العالمين، وأسألك بالقدرة الّتي تبلي بها كل جديد، وتجدّد بها كلّ بالٍ، وأسألك بحقّ كلّ حقّ هو لك، وبكلّ حقّ جعلته عليك، إن كان هذا الأمر خيراً لي في ديني ودنياي وآخرتي أن تصلّي على محمّد وآل محمّد، وتسلّم عليهم تسليماً، وتهيّئه لي وتسهّله عليّ، وتلطّف لي فيه برحمتك يا أرحم الراحمين. وإن كان شرّاً لي في ديني و دنياي وآخرتي أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وتسلّم عليهم تسليماً، وأن

---

(١) الوسائل ٥: ٢١٦ ـ ٢١٧، الباب ٦ من أبواب صلاة الاستخارة... ح ١.

تصرفه عنّي بما شئت وكيف شئت [وحيث شئت] وترضيني بقضائك، وتبارك لي في قدرك حتّى لا أُحبّ تعجيل شيء أخّرته، ولا تأخير شيء عجّلته؛ فإنّه لا حول ولا قوّة إلّا بك، يا عليّ يا عظيم يا ذا الجلال والإكرام»(١).

يقول عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن الطاووس: لعلّ يسبق إلى بعض الخواطر أنّ مولانا المهدي صلوات الله عليه لمّا جاءت الغيبة الطويلة جعل هذا ـ دعاء الاستخارة ـ عند ذوي البصائر عوضاً عن لقائه ومشاورته، وينبّههم بذلك على جلالة فضل مشاورة الله جلّ جلاله واستخارته؛ فإنّ هذا الدعاء ما عرفت فيما وقفتُ عليه أنّ أحداً طلبه منه، وإنّما صدر ابتداءً عنه في آخر المهمّات، وهذا مفهوم عند ذوي البصائر والديانات(٢).

أقول:

للعلقة بصلب الموضوع من ناحية الإمام المهدي عليه السلام، وناحية الاستخارة المأثورة عنه قدّمنا البحث عن الوصول إلى الاستخارة بالرقاع والصلاة والسبحة والمصحف والدعاء الخارج عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال.

وقد يستفاد من بعض الروايات أنّ المؤمن إذا استخار الله تعالى طالباً منه الخير خاصة إذا قال مائة مرّة أو سبعين، أو لا أقلّ من ثلاثة لأوقع الله تعالى الخير على خاطره أو في قلبه، فليأخذ بما أُلهم ويتوكّل على الله، فإنّه يوفّق إليه.

* * *

---

(١) فتح الأبواب: ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٢) فتح الأبواب: ٢٠٦ ـ ٢٠٧، وقد تكلّمنا حول الاستخارة عند «اللّهمّ إنّي أستخيرك...» فراجع الرقم ٣٤٤.

٣٥٨
لعنة الله والملائكة... على من استحلّ من مالنا درهماً

صدر عن الناحية المحفوفة بالقدس والجلال بلا سبق سؤال توقيع رواه الصدوق قال:

حدّثنا أبو جعفر محمّد بن محمّد الخزاعي رضي الله عنه قال: حدّثنا أبو عليّ بن أبيالحسين الأسدي، عن أبيه رضي الله عنه قال: ورد عليّ توقيع من الشيخ أبيجعفر محمّد ابن عثمان العَمري ـ قدس الله روحه ـ ابتداءً لم يتقدّمه سؤال:

«بسم الله الرحمن الرحيم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من استحلّ من مالنا درهماً». قال أبو الحسين الأسدي رضي الله عنه: فوقع في نفسي أنّ ذلك فيمن استحلّ من مال الناحية درهماً دون من أكلٍ منه غير مستحلّ له، وقلت في نفسي: إنّ ذلك في جميع من استحلّ محرّماً، فأيّ فضل في ذلك للحجّة عليه السلام على غيره؟ قال: فوالذي بعث محمّداً بالحقّ بشيراً لقد نظرت بعد ذلك في التوقيع فوجدته قد انقلب إلى ما وقع في نفسي:

«بسم الله الرحمن الرحيم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من أكل من مالنا درهماً».

قال أبو جعفر محمّد بن محمّد الخزاعي: أخرج إلينا أبو عليّ بن أبي الحسين الأسدي هذا التوقيع حتى نظرنا إليه وقرأناه[1].

---

(١) إكمال الدين ٢: ٥٢٢، الباب ٤٥ ح ٥١.

أقول:

كثيراً ما كان الأئمّة الهداة الأطهار عليهم السلام يجيبون ابتداءً بعلم الإمامة وبلا سؤال سبق لأحد عن حكم الشيء الفلاني. والغالب عليه أنّ الجواب بهذا اللون كان لأمرين أو أُمور: الأوّل حكم الواقعة. الثاني إظهار المعجز لتثبيت القول بإمامته وقيمومته بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام. الثالث لرفع الخلاف الكثير الحادث بعده، وقد سبق ذكره تشاجر ابن أبي غانم القزويني مع جماعة من الشيعة[1].

وتجد التوقيع اشتمل على معجزتين الأُولى صدوره ابتداءً جواباً عمن يرى أمواله عليه السلام حلالاً. والثانية انقلاب تحريم الاستحلال إلى حكم من أراد أكلها. والمعجزة الثانية أقوى دلالة على الإمامة من الأُولى؛ حيث انقلب الإخبار عمّا وقع في نفس الأسدي بأنّ الآكل لأمواله مباح إذا لم يعتقد استحلالها، فخرج الجواب؛ لعدم الفرق في التحريم؛ لأنّ المستحلّ لها ولو درهماً واحداً، وآكلها سيّان في الإثم واستحقاق اللعنة الشاملة له من الله والملائكة والناس جميعاً، فما حال ملعون كهذا الإنسان في الدنيا والآخرة عند الله تعالى.

ثمّ إنّ مسألة تحليل الخمس في الغيبة وإباحته لطيب النسل ممّا اختلف فيه فليراجع كتاب الخمس.

* * *

---

(١) رقم المختار ٣٥، ٢١٤، ٢٤٣.

٣٥٩
لقد كانت الأيّام تعدني وشكّ لقائك

من كلمات الحبيب مع الحبيب المتبادلة بين الإمام المهدي عليه السلام مع أبي إسحاق إبراهيم بن المهزيار الأهوازي، ومنها السابقة الذكر عند «تتخيّل لي صورتك حتّى كأنّا لم نخل طرفة عين»[1] واللاحقة عند «المعاتب بيني وبينك على تشاحط الدار وتراخي المزار»[2]، من قصّة ملاقاته في جبال الطائف المذكورة عند «إذا بدت لك أمارات الظهور...»[3] نبذة منها، ونبذة عند «إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة...»[4] اختصاصها بأخيه عليّ بن مهزيار على روايتين[5]، وبرواية الصدوق إليك ما يلي من ربط المختار قال المهزياري:

«فلمّا مثّل لي أسرعت إلى تلقّيه فأكببت عليه ألثم كلّ جارحة منه، فقال لي: مرحباً بك يا أبا إسحاق لقد كانت الأيّام تعدني وشك لقائك...»[6].

قد يسبق إلى بعض الأفهام أنّ قوله عليه السلام: «لقد كانت الأيّام...» لا يليق بالإمامة بأن يقوله مع آحاد الناس العاديّين، فلو لم تكن فيه مصلحة من جهة أُخرى فهو مردود؛ لأجل عدم السنخيّة المتناسبة.

---

(١) رقمه ١٤٤.
(٢) رقمه ٤٠٢.
(٣) رقمه ٣٧.
(٤) رقمه ٣٨.
(٥) كتاب الغيبة: ١٥٩، وإكمال الدين ٢: ٤٦٥، الباب ٤٣، ح ٢٣.
(٦) إكمال الدين ٢: ٤٤٧، الباب ٤٣، ح ١٩.

والجواب عنه أنّ فيما أوحى الله إلى داود عليه السلام ما يثبتها، قال تعالى: «يا داود! لو يعلم المدبرون عنّي كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقاً إليّ، وتقطّعت أوصالهم من محبّتي، يا داود! هذه إرادتي في المدبرين عنّي فكيف إرادتي في المقبلين عليّ»[1].

وفي مناجاته الأُخرى: «يا ربّ! من المشتاقون إليك؟ قال: إنّ المشتاقين إليّ الّذين صفّيتهم من كلّ كدر، وأنبهتهم بالحذر، وخرقت من قلوبهم إليّ خرقاً ينظرون إليّ، وإنّي لأحمل قلوبهم بيدي فأضعها على سمائي، ثمّ أدعو نجباء ملائكتي، فإذا اجتمعوا سجدوا لي، فأقول: إنّي لم أجمعكم لتسجدوا لي ولكن دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين إليّ، وأُباهي بكم أهل الشوق إليّ، وإنّ قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء الشمس لأهل الأرض. يا داود! إنّي خلقت قلوب المشتاقين من رضواني، ونعّمتها بنور وجهي، واتّخذتهم لنفسي محدّثين، وجعلت أبدانهم موضع نظري إلى الأرض، وقطعت من قلوبهم طريقاً ينظرون به إليّ يزدادون في كلّ يوم شوقاً.

قال داود: يا ربّ! أرني أهل محبّتك، فقال: يا داود! ائت جبل لبنان فإنّ فيه أربعة عشر نفساً فيهم شبّان وفيهم كهول وفيهم مشائخ، فإذا أتيتهم فأقرأهم منّي السلام وقل لهم: إنّ ربّكم يقرئكم السلام ويقول لكم: ألا تسألوني حاجة فإنّكم أحبّائي وأصفيائي وأوليائي، أفرح لفرحكم وأُسارع إلى محبّتكم. فأتاهم داود فوجدهم عند عين من العيون يتفكّرون في عظمة الله تعالى وملكوته، فلمّا نظروا إلى داود نهضوا ليتفرّقوا عنه، فقال لهم داود: إنّي رسول الله إليكم، جئتكم لأُبلّغكم رسالة ربّكم، فأقبلوا نحوه، وألقوا أسماعهم نحو قوله، وألقوا أبصارهم إلى الأرض، فقال

---

(١) المحجّة البيضاء ٨: ٦٢، كتاب المحبّة والشوق.

داود: إنّي رسول الله إليكم وهو يُقرئكم السلام، ويقول لكم: ألا تسألوني حاجة، ألا تنادوني فأسمع صوتكم وكلامكم؛ فإنّكم أحبّائي وأصفيائي وأوليائي، أفرح لفرحكم، وأُسارع إلى محبّتكم، وأنظر إليكم في كلّ ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة، قال: فجرت الدموع على خدودهم.

فقال شيخهم: سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا.

وقال الآخر: سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك.

وقال الآخر: سبحانك سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك أفنجترئ على الدعاء وقد علمت أنّه لا حاجة لنا في شيء من أُمورنا فأدم لنا لزوم الطريق إليك وأتمم بذلك المنّة علينا.

وقال الآخر: نحن مقصّرون في طلب رضاك، فأعنّا عليه بجودك.

وقال الآخر: ألا من نطفة خلقتنا، ومننت علينا بالتفكّر في عظمتك، أفيجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك، متفكّر في جلالك؟ وطلبتنا الدنوّ من نورك.

وقال الآخر: كلّت ألسنتنا عن دعائك لعظم شأنك وقربك من أوليائك، وكثرة مننك على أهل محبّتك.

وقال الآخر: أنت هديت قلوبنا لذكرك، وفرّغتنا للاشتغال بك، فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك.

وقال الآخر: قد عرفت حاجتنا، إنّما هو النظر إلى وجهك.

وقال الآخر: كيف يجترئ العبد على سيّده؟ فإذا أمرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نوراً نهتدي به في الظلمات بين أطباق السمٰوات.

وقال الآخر: ندعوك أن تقبل علينا وتديمه علينا.

وقال الآخر: نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا، وتفضّلت به علينا.

وقال الآخر: لا حاجة لنا في شيء من خلقك، فامنن علينا بالنظر إلى جمال وجهك.

وقال الآخر: أسألك من بينهم أن تعمي عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها، وقلبي عن الاشتغال بالآخرة.

وقال الآخر: قد عرفنا أنّك تباركت وتعاليت، تحبّ أولياءك، فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كلّ شيء دونك.

فأوحى الله تعالى إلى داود قل لهم: قد سمعت كلامكم، وأجبتكم إلى ما أحببتم، فليفارق كلّ واحد منكم صاحبه، وليتّخذ لنفسه سرباً؛ فإنّي كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم، حتّى تنظروا إلى نوري وجلالي. فقال داود: يا ربّ! بم نالوا منك هذا؟ قال: بحسن الظنّ والكفّ عن الدنيا وأهلها، والخلوات بي ومناجاتهم لي، وإنّ هذا منزل لا يناله إلّا من رفض الدنيا وأهلها، ولم يشتغل بشيء من ذكرها، وفرّغ قلبه لي، واختارني على جميع خلقي، فعند ذلك أعطف عليه فأفرغ نفسه له، وأكشف الحجاب فيما بيني وبينه، حتى ينظر إليّ نظر الناظر بعينه إلى الشيء، وأُريه كرامتي في كلّ ساعة وأُقرّبه من نور وجهي، إن مرض مرّضته كما تمرّض الوالدة الشفيقة ولدها، وإن عطش أرويته، وأذقته طعم ذكري، فإذا فعلت ذلك به يا داود! عزفت نفسه عن الدنيا وأهلها، ولم أُحبّبها إليه؛ لئلّا تصدّه عن الاشتغال بي، يستعجلني بالقدوم عليّ، وأنا أكره ان أُميته؛ لأنّه موضع نظري من بين خلقي، لا يرى غيري ولا أرى غيره...»[١].

أقول:

إذا كان الحبّ وكلماته متبادلة بين الله وصفوة عباده من الأشخاص فأيّ مانع

---

(١) المحجّة البيضاء ٨: ٥٩ ـ ٦١، كتاب المحبّة والشوق.

من التبادل بين خليفة الله الإمام المهدي عليه السلام وإبراهيم بن مهزيار، هذا على ظاهر الأمر، وأمّا على حساب الواقع فليس الحبّ المتبادل بين المعصوم وآحاد الناس سوى تبادلهم مع الله تعالى، وكيف كان فقد فاز المهزياري بعد تخريج التوقيع الفوز العظيم، كما فاز أُولئك النفر المحبّون في عصر داود عليه السلام، وليس الإيمان الصادق إلّا الحبّ وما يستتبعه من كلمات طيّبة تصدر عن قلب الحبيب نظماً أو نثراً، وهل يلام من أخذ بمجامع قلبه الغرام قائلاً: فأكببت عليه ألثم كلّ جارحة منه؟ ويقول له الحبيب: «لقد كانت الأيّام تعدني وشك لقائك والمعاتب بيني وبينك على تشاحط الدار وتراخي المزار»[1] عتاب الحبيب، وقول القائل:

أروم وقد طال المدى منك نظرة ... وكم من دماء دون مرماي طُلّت[2]

* * *

(١) مرّ في أوّل رقم ٣٥٩.

(٢) ديوان ابن الفارض: ١٧.

٣٦٠
لكلّ أجل كتاب

من التوقيع الخارج عن الناحية المحفوفة بالإجلال على يـد العَـمري ﷺ ردّاً على تشاجر قوم في الخلف بعد مضيّ أبي محمّد العسكري عليه السلام، تقدّم بعضه عـند نبذة من الكلمات المختارة[1]، رواه الشيخ الطوسي، ولربط المختار ما يلي:

«و لولا أنّ أمر الله تعالى لا يغلب وسرّه لا يظهر ولا يعلن لظهر لكم من حقّنا ما تبين منه عـقولكم، ويـزيل شكـوككم، لكـنّه مـا شـاء الله كـان، ولكـلّ أجـل كتاب...»[2].

كلمة «لكلّ أجل كتاب» إمّا هي اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[3] أو هي هو؛ وكانوا عليهم السلام كثيراً ما يضمّنون من آيات القرآن كلامهم اقتباساً أو استشهاداً، مع الفرق بينهما في ظاهر الكلام، فتعتبر الكلمة مثلاً قرآنياً، ومثلاً روائيّاً، جاء التصريح بالأوّل في بعض كتب الأدب[4].

والأجل المدّة والوقت، والكتاب التأريخ؛ إذ لو فسّر الكتاب بالمدّة فلا يصلح تفسير الأجل بها، ولا معنى لكل مدّة مدّة إلّا بتأويل المبهم منها بالمعيّن، بل لا بدّ من تفسير الكتاب بتاريخ المدّة، وقد تعرّض بعض المفسّرين للآية بذكر وجوه.

قال: **الأوّل**: أنّ لكل شيء وقتاً مقدّراً فالآيات ـ أي قبل الآية ـ الّتي سألوها لها

---

(١) الرقم ٣٥، ١٦٨، ٢٥٠.
(٢) غيبة الطوسي: ١٧٣.
(٣) الرعد: ٣٨.
(٤) أمثال وحكم ٣: ١٣٦٧.

وقت معيّن حكم الله به، وكَتَبَه في اللوح المحفوظ. فلا يتغيّر عن ذلك الحكم بسبب تحكماتهم الفاسدة، ولو أنّ الله أعطاهم ما التمسوا لكان فيه أعظم الفساد.

الثاني: أنّ لكلّ حادث وقتاً معيّناً قضى الله حصوله فيه، كالحياة والموت والغنى والفقر والسعادة والشقاوة[1] ولا يتغيّر البتّة عن ذلك الوقت.

الثالث: أنّ هذا من المقلوب، والمعنى: أنّ لكلّ كتاب منزل من السماء أجلاً ينزل فيه ـ أي لكل كتاب وقت يعمل به ـ فوقت العمل بالتوراة والإنجيل قد انقضى، ووقت العمل بالقرآن قد أتى وحضر.

الرابع: لكلّ أجل معيّن كتاب عند الملائكة والحفظة...

الخامس: كلّ وقت معيّن مشتمل على مصلحة خفيّة ومنفعة لا يعلمها إلّا الله تعالى، فإذا جاء ذلك الوقت حدث ذلك الحادث، ولا يجوز حدوثه في غيره.

واعلم أنّ هذه الآية صريحة في أنّ الكل بقضاء الله وبقدره، وأنّ الأُمور مرهونة بأوقاتها؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ معناه أنّ تحت كلّ أجل حادث معيّن، ويستحيل أن يكون ذلك التعيين لأجل خاصيّة الوقت، فإنّ ذلك محال[2]؛ لأنّ الأجزاء المعروضة في الأوقات المتعاقبة متساوية، فوجب أن يكون اختصاص كلّ وقت بالحادث الّذي يحدث فيه بفعل الله تعالى واختياره، وذلك يدلّ أنّ الكلّ من الله تعالى، وهو نظير قوله ﷺ: «جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»[3].

قوله: (وإنّ الأُمور مرهونة بأوقاتها) من الأمثال النبويّة السائرة[4]، وكذا حديث «جفّ القلم...» ذكره القضاعي في الشهاب[5] والمناوي في الكنوز[6] وغيرهما في غيرهما.

---

(١) الشقاوة إحدى مصادر شقي.

(٢) الصحيح حادثاً معيّناً، والإحالة ممنوعة.

(٣) تفسير الرازي ٥: ٢٠٧ ذيل الآية ٣٨ من سورة الرعد.

(٤) البحار ٧٧: ١٦٧.

(٥) مسند الشهاب للقضاعي ١: ٣٥٢.

(٦) هامش الجامع الصغير ١: ١١٤.

ومن علمائنا من فسّر الآية بما لفظه: لكلّ وقت حكم يكتب على العباد ولهم ما يقتضيه صلاحهم[١].

وقد طبّقها الإمام المهديّ عجّل الله فرجه على مدّة الخروج غير المعلومة لأحد لا يعلمها إلّا الله ومثله مثل الساعة لا يجلّيها لوقتها إلّا هو؛ لعلمه تعالى بالمصالح وجهل الناس بها، فعليهم الدعاء والتسليم لأمره، وانتظار الفرج الّذي هو من أفضل الأعمال؛ ففي النبوي رواه الصدوق: «أفضل أعمال أُمّتي انتظار الفرج من الله عزّ وجلّ»[٢].

والانتظار حالة نفسانيّة ينشعب عنها التهيّؤ لما ينتظره، أو قل: هو طلب لإدراك ما يأتي، كأنّه ينظر متى يكون، أو ترقّب حصول الأمر المنتظر له المتعلّق به قلبه، فالمنتظر لخروج الحجّة عليه السلام قد تعلّق به قلبه، ولا يفتر حتّى يخرج، ولازم ذلك دفع ما يعوق الدوام أو رفعه من ركوب الآثام الّتي تحول بينه وبين الاتجاه إليه، والاجتناب عما يضادّ أهدافه والحصول على رضاه عليه السلام، وليس ذلك إلّا بالورع عن محارم الله تعالى والاجتهاد في طاعته الّتي هي الغاية من الخروج والقيام.

قوله عليه السلام: «ولولا أنّ أمر الله لا يغلب... لظهر لكم من حقّنا ما تبين منه عقولكم»[٣] ـ أي بعد الخروج والأخذ بالحقوق ـ يتغيّر طور العقول في الإدراك والقضاء؛ لأنّه عليه السلام يضع يده على الرؤوس، فتكمل أحلام الناس، فيدركون الحقائق غير ما كانوا يدركونها.

ففي الباقري: «إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم»[٤]. وفي الآخر وضع يده عليه السلام فافهم فإنّه دقيق.

* * *

---

(١) تفسير الصافي ١: ٩٣٧.
(٢) إكمال الدين ٢: ٦٤٤، الباب ٥٥، ح ٣.
(٣) مرّ آنفاً.
(٤) الكافي ١: ٢٥، كتاب العقل ح ٢١، إكمال الدين ٢: ٦٧٥، الباب ٥٨ ح ٣٠.

٣٦١
لم تزري على الناحية؟ ولم تمنع أصحابي خمس مالك؟

من قصّة أمير الجيش المُزري هو وابن أخيه على الناحية المحفوفة بالتقديس والإجلال السابقة الذكر بأسرها عند «قد وفينا بما وعدنا»[1]. ومن معجزات الإمام المهديّ عليه السلام على تعديد صاحب الخرائج، وحاصلها ما يلي:

قال أبو الحسن المسترقّ الضرير: كنت يوماً في مجلس الحسن بن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة، فتذاكرنا أمر الناحية، قال: كنت أُزري عليها إلى أن حضرت مجلس عمّي الحسين يوماً، فأخذت أتكلّم في ذلك، فقال: يا بنيّ قد كنت أقول بمقالتك هذه إلى أن نُدبت لولاية قمّ حين استصعبت على السلطان، وكان كلّ من ورد إليها من جهة السلطان يحاربه أهلها، فسُلّم إليّ جيشٌ وخرجت نحوها. فلمّا بلغت إلى ناحية طزر[2] خرجت إلى الصيد، ففاتتني طريدة، فاتّبعتها وأوغلت في أثرها، حتّى بلغت إلى نهر فسرت فيه، وكلّما أسير يتّسع النهر، فبينما أنا كذلك إذ طلع عليّ فارس تحته شهباء، وهو متعمّم بعمامة خزّ خضراء، لا أرى منه إلّا عينيه، وفي رجليه خفّان أحمران، فقال لي: يا حسين ـ فلا هو أمّرني ولا كنّاني[3] ـ فقلت: ماذا تريد؟ فقال: لم تُزري على الناحية؟ ولم تمنع أصحابي خمس مالك؟ ...[4].

---

(١) رقمه ٢٨٥.

(٢) طزر بالتحريك وأصله تزر: وهي مدينة في مرج القلعة، أُنظر تعليق المختار الرقم ٢٨٥.

(٣) أي لم يقل: يا أمير ولا يا أبا عبد الله.

(٤) الخرائج والجرائح ١: ٤٧٢ ـ ٤٧٥.

أقول:

حرصاً على مزيد ربط المختار كرّرنا بعض القصة من بدايتها مع سبق ذكرها كما تقدّم.

الإزراء:

هو التنقيص والتهاون بالشيء كما عن النهاية في المختار المتقدّم، وبزجر الإمام المهدي عليه السلام انزجر الأمير على جيش ناصرالدولة الّذي اسمه الحسين المُزري هو وابن أخيه الحسن، وتابا عمّا كانا فيه، وقد استقاما على الطريقة والقصة يعمّ نفعها الآخرين عند سماعها، كما هو الشأن في كلّ قصّة فيها من عظة حسنة، وهي ظاهرة الصدق، فليراجعها من أحبّ دراستها بدقة ليأخذ منها نصيبه الأوفر، والغاية من سرد القصص والتوقيعات الهداية، والله الهادي إلى الصواب، وقد علّقنا على القصّة نفسها ما ينفع الناظر فيها إن شاء الله تعالى.

* * *

٣٦٢
لم لا يمكن وكفّه في كفّك؟

من الجوابات المحتملة الصدور عن الإمام المهدي عليه السلام القوليّة والفعليّة عن سؤال العلّامة الحلّي في قصّة له، وصورتها والمترجمة عن دار السلام للميثمي كما في إلزام الناصب ما يلي، قال: الحكاية التاسعة عشر:

ذكر المحدث الفاضل الميثمي في كتابه دار السلام عن السيّد السند السيّد محمّد صاحب المفاتيح ابن صاحب الرياض نقلاً عن خطّ آية الله العلّامة في حاشية بعض كتبه ما ترجمته بالعربيّة: خرج ذات ليلة من ليالي الجمعة من بلدة الحلّة إلى زيارة قبر ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله أبيعبدالله عليه السلام، وهو على حمار له، وبيده سوط يسوق به دابّته، فعرض له في أثناء الطريق رجل في زيّ الأعراب فتصاحبا، والرجل يمشي بين يديه، فافتتحا بالكلام وساق معه الكلام من كلّ مقام، وإذا به عالم خبير نحرير، فاختبره عن بعض المعضلات وما استصعب عليه علمها، فما استتمّ عن كلّ من ذلك إلّا وكشف الحجاب عن وجهها، وافتتح من مغلقاتها إلى أن انجرّ الكلام في مسألة أفتى به بخلاف ما عليه العلّامة، فأنكره عليه قائلاً: إنّ هذه الفتوى خلاف الأصل والقاعدة ولا بدّ في خلافهما من دليل وارد عليهما مخصّص لهما، فقال العربي: الدليل عليه حديث ذكره الشيخ الطوسي في تهذيبه، فقال العلّامة: إنّي لم أعهد بهذا الحديث في التهذيب، ولم يذكره الشيخ ولا غيره، فقال العربي: ارجع إلى نسخة التهذيب الّتي عندك الآن، وعدّ منها أوراقاً كذا وسطوراً كذا فتجده،

فلمّا سمع العلّامة بذلك، ورأى أنّ هذا إخبار عن المغيبات تحيّر في أمر الرجل تحيّراً شديداً، واندهش في معرفته، وقال في نفسه: ولعلّ هذا الرجل الّذي يمشي بين يدي منذ كذا وأنا في ركوبي هو الذي بوجوده تدور رحى الموجودات، وبه قيام الأرضين والسموات، فبينما هو كذلك إذ وقع السوط من يده من شدّة التفكّر والتحيّر، فأخذ ليستخبر عن هذه المسألة استخباراً منه واستظهاراً عنه أنّ في زمن الغيبة الكبرى هل يمكن التشرّف إلى لقاء سيّدنا ومولانا صاحب الزمان؟ فهوى الرجل وأخذ السوط من الأرض ووضعه في كفّ العلّامة، وقال: لم لا يمكن وكفّه في كفّك، فأوقع العلّامة نفسه من على الدابةّ منكبّاً على قدميه، وأُغمي عليه من فرط الرغبة وشدّة الاشتياق، فلمّا أفاق لم يجد أحداً، فاهتمّ بذلك همّا شديداً، وتكدر ورجع إلى أهله، وتصفح من نسخة تهذيبه فوجد الحديث المعلوم كما أخبره الإمام عليه السلام، في حاشية تلك النسخة، فكتب بخطّه الشريف في ذلك الموضع: هذا حديث أخبرني به سيّدي ومولاي في ورق كذا وسطر كذا.

ثمّ نقل الفاضل الميثمي عن السيّد المزبور طاب ثراه أنّه قد رأى تلك النسخة بخطّ العلّامة في حاشيته[1].

من هو العلّامة؟ من هو السيد محمّد؟ من هو الميثمي؟ من هو صاحب الإلزام؟ و موجز ترجمة هؤلاء كما يلي:

العلّامة الحلّي:

ليس بوسع هذا الكتاب استيعاب ترجمته سوى الإيجاز، منها أنّه كما في كُنى المحدّث القمّي: آية الله الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن بن سديد الدين يوسف بن عليّ بن المطهّر الحلّي علّامة العالم، وفخر نوع بني آدم، أعظم العلماء

(١) إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب عليه السلام ٢: ٣٢ ـ ٣٣، دار السلام: ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

شأناً، وأعلاهم برهاناً، سحاب الفضل الهاطل، وبحر العلم الّذي لا يساجل؛ جمع من العلوم ما تفرق في الناس، وأحاط من الفنون بما لا يحيط به القياس، رئيس علماء الشيعة، ومروّج المذهب والشريعة، صنّف في كلّ علم كتباً، وآتاه الله من كلّ شيء سبباً، قد ملأ الآفاق بتصانيفه، انتهت إليه رئاسة الإماميّة في المعقول والمنقول، والفروع والأُصول، مولده سنة ٦٤٨ ـ إلى أن قال بعد ذكر وصيّته الطويلة لابنه :ـ هذه وصيّتي إليك، والله خليفتي عليك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. توفّي‏ﺭﺣﻤﻪ‌ﺍﻟﻠﻪ يوم السبت ٢١ (مح) ـ (أي المحرّم) ـ سنة ٧٢٦، ودفن بجوار أمير المؤمنين عليه‌السلام، قال صاحب نخبة المقال في تاريخه:

وآيــة الله ابــن يــوسف الحســن   ســبط مــطهر فــريدة الزمــن

عــلّامة الدهــر جــليل قــدره   ولد رحمة (٦٤٨) و عزّ(٧٧) عمره[١]

السيد محمّد صاحب المفاتيح:

هو السيّد المجاهد محمّد ابن الأميرالسيّد عليّ صاحب الرياض ابن محمّدعليّ الطباطبائي الحائري، المتوفّى بقزوين في ٢٦ صفر سنة ١٢٤٢ عن نيّف وستّين سنة، ـ له كتاب مفاتيح الأُصول ـ كتبه أيّام اشتغاله بأصفهان، وليس فيه مقدّمة الواجب واجتماع الأمر والنهي، ومسألة الضدّ وحجّية الظنّ وبعض مباحث الألفاظ. نعم له حجّية الظنّ كتبه مستقلاً... ذكره العلّامة الرازي، فراجع[٢].

الميثمي:

قال حفيده ملك الواعظين ابن جمال الدين بن محمّد تقي بن محمود العراقي الميثمي: وجدت ترجمة جدّي في أحد مؤلّفاته الموسوم بـ«مشكاة النيّرين» بخطّه،

(١) الكنى والألقاب ٢: ٤٧٧ ـ ٤٨٠.   (٢) الذريعة ٢١: ٣٠٠.

قال: اسمي محمود بن جعفر بن باقر بن القاسم من ولد ميثم التمّار مولى أميرالمؤمنين عليه السلام، توفّي والدي جعفر سنة ١٢٦١، قد أخذت السطوح بعد الأوّليّات في إيران، وحضرت درس الشيخ الأنصاري في النجف، ثمّ يذكر مؤلّفاته في الفقه والأُصول وغيرها، ومنه دار السلام فيما يخصّ الإمام المهديّ عليه السلام[١].

صاحب إلزام الناصب:

هو الشيخ الحاج عليّ اليزدي الحائري المتوفّى سنة ١٣٣٣، المدفون في كربلاء بعد إقامته فيها خمساً وستّين سنة عند رجلي أبي الفضل العبّاس عليه السلام، وقد ألّف كتباً. منها هذا الكتاب[٢].

* * *

---

(١) مقدّمة دارالسلام: ٢ ـ ٤.

(٢) مقدّمة إلزام الناصب ١: ١.

٣٦٣
لم نكاتب إلّا من كاتبنا

إليك صورة السؤال والجواب من كتاب الحميري الواسطة بين الإمام المهدي عليه السلام وجماعة من الناس برواية الشيخ الطبرسي قال: وممّا خرج عن صاحب الزمان صلوات الله عليه من جوابات المسائل الفقهيّة أيضا ما سأله عنها محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري فيما كتب إليه، وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم: أطال الله بقاك، وأدام الله عزّك وتأييدك وسعادتك وسلامتك، وأتمّ نعمته عليك، وزاد في إحسانه إليك، وجميل مواهبه لديك، وفضله عندك، وجعلني من السوء فداك، وقد مني قبلك الناس يتنافسون في الدرجات، فمن قبلتموه كان مقبولاً، ومن دفعتموه كان وضيعاً، والخامل من وضعتموه، ونعوذ بالله من ذلك وببلدنا[1]. ـ أيّدك الله ـ جماعة من الوجوه يتساوون، ويتنافسون في المنزلة.

وورد ـ أيّدك الله ـ كتابك إلى جماعة منهم في أمر أمرتهم به من معاونة (ص)[2].

وأخرج عليّ بن محمّد بن الحسين بن الملك المعروف بملك بادوكة، وهو خَتَن[3] (ص) رحمه الله من بينهم، فاغتمّ بذلك، وسألني ـ أيّدك الله ـ أن أعلمك

---

(١) أي الكوفة، والحميري نسبة إلى حمير أبو قبيلة.

(٢) كناية عن رجل مبهم الاسم .

(٣) الختن بفتحتين: كلّ من كان قبل المرأة الأب أو الأخ، وقيل زوج ابنة الرجل المجمع ـ ختن ـ.

ما ناله من ذلك، فإن كان من ذنبٍ فأستغفر منه، وإن يكن غير ذلك عرّفته ما تسكن نفسه إليه إن شاء الله.

التوقيع:

«لم نكاتب إلّا من كاتَبَنا»[١].

إذا خرج الكلام على الكناية والرمز دون التصريح كان أقرب إلى الإبهام منه إلى التوضيح، والمقام من هذا القبيل.

قال العلّامة المجلسي: عبّر عن المعان برمز (ص)؛ لمصلحة. وحاصل جوابه عليه السلام أنّ هؤلاء كاتبوني وسألوني فأجبتهم، وهو لم يكاتبني من بينهم؛ فلذا لم أدخله فيهم، وليس ذلك من تقصير وذنب[٢].

ويصلح ما ذكره المجلسي طاب ثراه جواباً عن سؤال هو:

إنّ عادته عليه السلام على الأغلب الابتداء بالإخبار بالمغيّبات؛ للتدليل على الإمامة، أو للثبات عليها، أو للوثوق بالواسطة في إيصال التوقيع، فلماذا لم يدرج الرجل المرموز بـ(ص) في كتاب الجماعة، بل ولم يذكره إطلاقاً؟

والجواب عنه أوّلاً لأجل المصلحة كنّي عنه بـ(ص)، كما قاله المجلسي، وثانياً لم يكن الرجل المرموز مرتاباً في الإمامة حتّى يزيل ارتيابه، ومع ذلك كلّه أنّ الإبهام بحاله، والتقيّة بادية الملامح، والرمز شاهد عليه، ولكن لا إشكال بعد بناء الكلام على الإبهام، وليكن ذلك كمثل يجري على اللسان، أو حكمة نافعة في بعض الأزمان، وليس ذلك مقياساً مطّرداً.

نعم قد يأتي مثل هذا الكلام للتناظر والمزابلة والتحذير، والتعريف في الظاهر، كقول الرضا عليه السلام لابن أبي محمود:

---

(١) الاحتجاج ٢: ٣٠١.　　(٢) البحار ٥٣: ١٥٤.

«إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فالزم طريقتنا؛ فإنّه من لَزِمنا لَزِمناه، ومن فارَقَنا فارقناه...»[1]؛ فإنّ ظاهر التعريف والتمهيد، وباطنه التحذير والتهديد، ويشهد على فحواه قلق نفس (ص)، واستيضاحه علّة عدم المكاتبة، والسؤال عنها.

* * *

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٣٦ ـ ٢٣٧، الباب ٢٨ ح ٦٣، أمثال وحكم الإمام الرضا عليه السلام وكلماته المختارة ٢: ٦١٨، الرقم ١٥٩، وفيه شرح الكلمة.

٣٦٤

لم يدعُ المرء ربّه بأن لا يزيغ قلبه

من عظات الإمام المهدي عليه السلام لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد بأن يدعو الله تعالى أن لا يزيغ قلبه، ويسأل الثبات على الحقّ، ولا يكون كأحمد بن هلال الضال المارّ ذكره وترجمته عند «بتر الله عمره» والتوقيع الخارج عن الناحية المحفوفة بالتقديس في التبرّي منه ولعنه فراجع[١]. فلا نرى وجهاً لتكراره سوى ما يلي منه برواية الكشّي: قال: وقال أبو حامد: فثبت قوم على إنكار ما خرج فيه فعاودوه فيه، فخرج: «لا أشكر الله قدره[٢]، لم يدعُ المرء ربّه بأن لا يزيغ قلبه بعد أن هداه، وأن يجعل ما منّ به عليه مستقرّاً ولا يجعله مستودعاً ...»[٣].

من الأدعية القرآنية قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[٤].

والآية مرتبطة بقبلها، بآية المحكم والمتشابه: ﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ

---

(١) رقمه ١٣٦، وتجد ترجمته عند «الشريعي والنميري والهلالي والبلالي» رقمه ٢٢٢.

(٢) رقمه ٣١٣.

(٣) اختيار معرفة الرجال: ٥٣١، الرقم ١٠٢٠.

(٤) آل عمران: ٨.

﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ (١).

دعاءٌ قرآنيٌ وابتهالٌ، وكلمةٌ جاريةٌ على اللسان أن يدعو الإنسان ربّه بأن لا يزيغ قلبه في كلّ ما هو فيه من الإيمان والمعرفة والحبّ والاعتقاد بالمعتقدات الصحيحة، وعليه أن يعمل بالمحكم ويؤمن بالمتشابه، فلا يقول فيه بالتأويل، لاختصاص العلم به بالله والراسخين في العلم، وهم المعصومون عليهم السلام. وفي التوقيع أن يسأل الله الثبات والاستقامة على الحقّ وسيرة أهل البيت عليهم السلام، فلا يكون كالهلالي والبلالي والشريعي والنميري والعزاقري والحلّاج وغيرهم ممّن زاغ قلبه بعد الهداية والإيمان، ويسأله تعالى أن لا يجعله مستودعاً بل مستقرّاً ثابتاً. فاعتبر أيّها المؤمن بأحمد بن هلال قد حجّ أربعاً وخمسين حجّة، عشرون منها على قدميه، ومع ذلك ادّعى البابيّة وألحد في الدين، حتّى خرج اللعن والتبرّي منه وأنّه الصوفي المتصنّع الضالّ كنظائره ممّن مرّ اسمه.

والزيغُ الميل إلى الباطل، وقد جاء منه ببعض مشتقّاته في تسع كلمات من القرآن الكريم تذمّ من كان فيه، وتحثّ على المجانبة والابتعاد عنه، والسؤال منه تعالى في ذلك.

* * *

---

(١) آل عمران: ٧.

٣٦٥

لم يقل إنّ هذه السجدة بدعة إلّا من أراد أن يحدث بدعة في دين الله

من جوابات الإمام المهدي عليه السلام عن مسائل محمّد بن عبد الله الحميري وكتبه الأربعة الموزعة على كلمات مختارة منها ما يلي:

وسأل عن سجدة الشكر بعد الفريضة، فإنّ بعض أصحابنا قال: إنّها بدعة...

فأجاب: سجدة الشكر من ألزم السنن وأوجبها ولم يقل: إنّ هذه السجدة بدعة إلّا من أراد أن يحدث بدعة في دين الله...[1].

أقول:

سبق عند «السجدة دعاء وتسبيح» الجواب والسؤال كَمَلاً، فلا نبحث عن شيء من ذلك، بل نذكر ما لم يكن هنالك من أحكام وبعض أقسام السجود.

قال الشيخ الكليني في باب عزائم السجود:

جماعة عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا قرأت شيئاً من العزائم الّتي يسجد فيها فلا تكبّر قبل سجودك، ولكن حين ترفع رأسك، والعزائم أربع:

---

(١) الاحتجاج ٢: ٣٠٨، الوسائل ٤: ١٠٥٩، الباب ٣١ من أبواب التعقيب، الحديث ٣، البحار ٥٣: ١٦١.

خم السجدة، وتنزيل، والنجم، واقرأ باسم ربّك».

وفي موثّق أبي بصير: «إذا قرئ شيء من العزائم الأربع فسمعتها فاسجد وإن كنت على غير وضوء، وإن كنت جنباً...».

وفي الآخر: «... والحائض تسجد إذا سمعت السجدة».

وصحيح زرارة عن أحدهما عليهما السلام قال: لا تقرأ في المكتوبة بشيء من العزائم؛ فإنّ السجود زيادة في المكتوبة[1].

في الباقري: «إنّ أبي عليّ بن الحسين عليه السلام كان أثر السجود في جميع مواضع سجوده فسمّي السجّاد لذلك»[2].

في حديث الفضل أنّه دخل على أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: فإذا أنا بغلام أسود بيده مقصّ يأخذ اللحم من جبينه وعرنين أنفه من كثرة سجوده[3].

يعجز عن عدّ آثار السجود اللسان، وكيف لا وهو من أهمّ أركان الصلاة وأدلّها إذلالاً لله تعالى؛ ولأهله حكايات منها: قد اضطرّ شخص إلى ما هو خارج عن طاعته، فهوي إلى السجود فبرق له بارقٍ زال اضطراره في حينه حين التجأ بالله لرفعه، فمن شاء فليفعل فعله.

ولاستيعاب ما للسجود من حكم وأثر أو قصّة لابدّ من تأليف كتاب مستقلّ له.

* * *

---

(١) الكافي ٣: ٣١٧ ـ ٣١٨، باب عزائم السجود، ح ١ و٢ و٤ و٦.

(٢) وسائل الشيعة ٤: ٩٧٧، الباب ٢١ من أبواب السجود ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة ٤: ٩٧٧ ـ ٩٧٨، الباب ٢١ من أبواب السجود ح ٤.

٣٦٦
لم يكن عليه إلّا غَسل يده

من جوابات مسائل محمّد بن عبد الله الحميري الصادرة عن الناحية المقدّسة على يد العَمري طاب ثراه، ومنها السؤال عن موت إمام الجماعة في الصلاة الآتي ذكر فروعه في التوقيع المشابه له حسب ترتيب الحروف عند «ليس على من نحّاه إلّا غَسل اليد»[١]، قال الحميري: «وروي عن العالم[٢] عليه السلام أنّ من مسّ ميّتاً بحرارة غَسل يده، ومن مسّه وقد برد فعليه الغُسل، وهذا الإمام في هذه الحالة[٣] لا يكون مسّه إلّا بحرارة، والعمل من ذلك على ما هو، ولعلّه ينحّيه ولا يمسّه، فكيف يجب عليه الغُسل؟

التوقيع:

إذا مسّه على هذه الحالة لم يكن عليه إلّا غَسل يده[٤].

أقول:

كما سمعت ستسمع صور المسألة عند التوقيع الآتي تحت العنوان الآنف الذكر، وحمل التوقيعين على صورة حرارة البدن الّتي لا يجب على من مسّه فيها إلّا غسل اليد، حملهما الشيخ الحرّ على هذه الصورة، وأنّ التوقيعين واردان في موت إمام

---

(١) رقمه ٣٧٧.

(٢) أي الصادق عليه السلام.

(٣) أي موته في الصلاة.

(٤) غيبة الطوسي: ٢٣٠، الاحتجاج ٢: ٣٠٢.

الجماعة المذكور في العنوان، والمقرّر في علم الأُصول أنّ خصوص المورد لا يخصّص عموم الحكم الوارد، فيجري وجوب غَسل اليد في كلّ ميّت مسّ جسده في حال حرارته، وتفاصيل الحكم من وقوع المسّ على ثوب الميّت، مع الرطوبة أو عدمها، أو تخصيص قاعدة «كلّ يابس ذكي»[١]، أو أنّ المحكّم عمومها، قد ذكرها الفقهاء في باب نجاسة الميتة، وتعرّضوا لرواياتها، ولاسيّما ميتة الإنسان، ومنها التوقيعان، كما واستثنوا المعصوم والشهيد وغيرهما، قال صاحب الجواهر ﷺ:

وأمّا ميتة الآدمي من ذي النفس[٢] فنجسة بلا خلاف أجده فيه، بل في الخلاف[٣] والغُنية[٤] والمعتبر[٥] والمنتهى[٦] والذكرى[٧] والروض[٨]، وعن ظاهر الطبريّات[٩] والتذكرة[١٠] وصريح نهاية الإحكام[١١] وكشف الالتباس[١٢] وغيرها[١٣] الإجماع عليه، وهو الحجة، مضافاً إلى إطلاق أو عموم بعض ما تقدم في ميتة ذي النفس وغيره.

وإلى قول الصادق ﷺ في خبر إبراهيم بن ميمون بعد أن سأله عن الرجل يقع ثوبه على جسد الميّت «إن كان غُسّل الميّت فلا تغسل ما أصاب ثوبك منه، وإن لم يغسّل فاغسل ما أصاب ثوبك منه»[١٤]، كقوله ﷺ في حسن الحلبي أو صحيحه

---

(١) الجواهر ٥: ٣٤٧، وفي الوسائل ١: ٢٤٨، الباب ٣١ من أحكام الخلوة ح ٥ «كلّ شيء يابس زكي» ولعلّ الصحيح «ذكي».
(٢) أي ما له دم سائل.
(٣) أُنظر مفتاح الكرامة ٢: ١٥.
(٤) الغنية (الجوامع الفقهيّة): ٤٨٩ س ٣.
(٥) المعتبر ١: ٤٢٠.
(٦) المنتهى ١: ١٦٤ س ٢.
(٧) الذكرى: ١٣ س ١٩.
(٨) الروض: ١٦٢ س ٢٠.
(٩) الطبريّات (الجوامع الفقهيّة): ٢١٧ ـ ٢١٨، وهو المعروف بالناصريّات كما جاء في الذريعة (٢٠: ٣٥).
(١٠) التذكرة ١: ٥٩.
(١١) نهاية الإحكام ١: ٢٦٩.
(١٢) كشف الالتباس (مخطوط مكتبة ملك الرقم ٢٧٣٣): ٦٨ س ١٧.
(١٣) أُنظر مفتاح الكرامة ٢: ١٥.
(١٤) الوسائل ٢: ١٠٥٠، الباب ٣٤ من أبواب النجاسات ح ١.

أيضاً: «يغسل ما أصاب الثوب» بعد أن سأل مثل ذلك[١].

وإلى ما عن الطبرسي في احتجاجه أنّه قال: «فما خرج عن صاحب الزمان عليه السلام إلى محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري حيث كتب إليه: روي لنا عن العالم عليه السلام: أنّه سئل عن إمام قوم صلّى بهم بعض صلاته، وحدثت عليه حادثة كيف يعمل من خلفه؟ فقال: يؤخّر، ويتقدّم بعضهم ويتمّ صلاتهم، ويغتسل من مسّه».

التوقيع:

ليس على من نحّاه إلّا غسل اليد، وإذا لم يحدث حادثة يقطع الصلاة يتمّم صلاته مع القوم»[٢]، و عنه أيضاً قال: «وكتب إليه وروي عن العالم عليه السلام: أنّ من مسّ ميّتاً بحرارته ـ إلى آخر ما ذكرناه عقيب المختار الجاري، ثمّ قال طاب ثراه: ـ وعن الشيخ في كتاب الغيبة روايته مسنداً، إلى غير ذلك من الأخبار.

ثمّ إنّ ظاهر التوقيعين بل صريحهما كسابقهما من الأخبار والإجماعات كون النجاسة هنا كغيرها من النجاسات في جريان جميع الأحكام الّتي منها غَسل الملاقي، وحرمة أكله وشربه... ـ إلى أن قال طاب ثراه: ـ

وكيف كان فينبغي استثناء المعصوم عليه السلام والشهيد، ومن شرع له تقدّم الغُسل على موته كالمرجوم، فاغتسل من ميّت الآدمي؛ وفاقاً لكشف اللثام[٣]، وعن الميسي[٤]؛ للأصل المقرّر بوجوه، ولما ورد في النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه طاهر مطهّر[٥]، كالزهراء البتول عليها السلام[٦]، ويتمّ في غيرهما من المعصومين عليهم السلام بعدم القول بالفصل، وبالقطع بالاشتراك في علّة ذلك.

---

(١) المصدر: ح ٢.
(٢) الاحتجاج ٢: ٣٠٢.
(٣) كشف اللثام ١: ٥١.
(٤) لا يوجد لدينا كتابه، ونقله صاحب الجواهر ٥: ٣٠٧.
(٥) الوسائل ٢: ٩٢٨، الباب ١ من أبواب غسل المسّ ح ٧.
(٦) مستدرك الوسائل ٢: ٤٢، الباب ٣٧ من أبواب الحيض ح ١٦.

وأيّد ما دلّ على سقوط الغُسل للشهيد بعدم نجاسته بهذا الموت إكراماً وتعظيماً له من الله تعالى شأنه[١]، بل لم يجعله عزّ وجلّ موتاً فقال عزّ من قائل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٢]، كظهور ما دلّ على مشروعيّة تقدّم الغُسل[٣] في جريان أحكام الغُسل المتأخّر عليه الّتي منها عدم النجاسة، ولا استبعاد في ذلك وإن تقدّم، بعد مجيء الدليل...» إلخ.

كلّ ذا مع قصور ما دلّ على التنجيس من الأخبار[٤]، وإطلاق بعض معاقد الإجماع عن تناول مثل هذه الأفراد، بل قد يدعى ظهور النصوص، بل والفتاوى في غيرها، سيّما الأخيرين ممّن شرع [لم يشرع] تغسيله بعد موته، أو لم يشرع هواناً به[٥]، خصوصاً إن قلنا بالتلازم بين النجاسة وغُسل المسّ ولم نوجبه بمسّهما، كما سيأتي البحث فيه إن شاء الله.

وألحق جماعة منهم الشهيد في الذكرى[٦] والمحقّق الثاني في جامع المقاصد[٧] والسيّد في مداركه[٨] بهذه الثلاثة[٩] الميّت من الإنسان قبل البرد، فلا يجب الغَسل بالفتح؛ بمباشرته للأصل المقرّر بوجوه[١٠]، وعدم القطع بالموت.

بل في الحدائق: إنّا نمنع انفصال الروح في هذا الحال تماماً؛ إذ هي بعد خروجها من البدن تبقى لها اتّصال كاتّصال شعاع الشمس بعد غروبها بما أشرقت

---

(١) الوسائل ٢: ٦٩٨ ـ ٧٠١، الباب ١٤ من أبواب غسل الميّت.
(٢) آل عمران: ١٦٩.
(٣) الوسائل ٢: ٧٠٣، الباب ١٧ من أبواب غسل الميّت ح ١.
(٤) الوسائل ٢: ٧٦٠، الباب ٣٥ من أبواب التكفين ح ١ فيه «فالّذي يغسّله يغتسل».
(٥) الأوّل الشهيد. والثاني المحكوم عليه المتقدّم اغتساله.
(٦) الذكرى: ٧٩، توابع غسل الأموات. (٧) جامع المقاصد ١: ٤٥٩.
(٨) مدارك الأحكام ٢: ٢٧١.
(٩) الثلاثة: المعصوم، والشهيد، والمتقدّم الاغتسال المحكوم بالرجم.
(١٠) أصل البراءة أو استصحاب عدم وجوب الغسل قبل الموت أو أصالة الطهارة.

عليه، وآثار ذلك الاتصال باقية، فإذا برد انقطع وعلم خروجها بجميع متعلّقاتها وآثارها... إلى آخره[١].

ولظهور التلازم بين الغَسل والغُسل بالضمّ لاشتراكهما في العلّة وهي النجاسة، كما يومئ إليه تلازمهما في غير محلّ البحث وجوداً وعدماً، ومنه سقوطهما معاً بمسّ الشهيد ونحوه كإيماء مكاتبة الحسن بن عبيد إلى الصادق عليه السلام، وصحيحة الصفّار، ففي الأوّل:

«كتب إليه: هل اغتسل أمير المؤمنين عليه السلام حين غسّل رسول الله صلى الله عليه وآله عند موته؟ فأجابه عليه السلام: النبيّ صلى الله عليه وآله طاهر مطهّر، ولكن فعل أمير المؤمنين عليه السلام، وجرت به السنّة» الحديث[٢]. و في الثاني:

كتب إليه: رجل أصاب يديه أو بدنه ثوب الميّت الّذي يلي جلده قبل أن يُغسّل، هل يجب عليه غَسل يديه أو بدنه؟ فوقّع عليه السلام: إذا أصاب يدك جسد الميّت قبل أن يُغسّل فقد يجب عليك الغُسل[٣]، ولمّا لم يجب الغُسل بالضمّ بالمسّ في الحال نصّاً وفتوى كما ستعرف لم يجب بالفتح. ولإطلاق نفي البأس أو عمومه في خبر إسماعيل بن جابر لمّا دخل على الصادق عليه السلام حين موت ابنه إسماعيل الأكبر، فجعل يقبّله وهو ميّت، فقال له: «جعلت فداك أليس لا ينبغي أن يُمسّ الميت بعد أن يموت، ومن مسّه فعليه الغُسل؟ فقال: أمّا بحرارته فلا بأس، إنّما ذاك إذا برد» الحديث[٤]. كصحيح ابن مسلم عن الباقر عليه السلام: «مسّ الميّت عند موته وبعد غُسله، والقبلة ليس به بأس»[٥].

---

(١) الحدائق ٣: ٣٣٦ ـ ٣٣٧.

(٢) الوسائل ٢: ٩٢٨، الباب ١ من أبواب غسل المسّ ح ٧.

(٣) الوسائل ٢: ٩٢٨، الباب ١ من أبواب غسل المسّ ح ٥.

(٤) الوسائل ٢: ٩٢٧، الباب ١ من أبواب غسل المسّ ح ٢.

(٥) الوسائل ٢: ٩٣١ ـ ٩٣٢، الباب ٣ من أبواب غسل المسّ ح ١.

أقول: المستدلّ يحاول نفي النجاسة المستلزم لعدم وجوب غسل اليد الماسّة بدن الميّت، وشيخ الجواهر يتنظّر في أدلّته، ويقصد من روايته إثباتها بكلامه الآتي فتدبّر جيّداً، قال طاب ثراه: وفي الكلّ نظر؛ لانقطاع الأصل بإطلاق الأخبار السابقة، ومعاقد جملة من الإجماعات على نجاسة الآدمي بالموت، كإطلاق الإجماع أيضاً على نجاسة مطلق ذي النفس به، ومنه الإنسان، وتصريح المروي في الاحتجاج المتقدّم سابقاً[1]، ولمنع عدم القطع بالموت؛ إذ هو مع أنّه موكول إلى العرف كموت غيره من ذوات الأنفس مستفاد من الأخبار[2] أيضاً، خصوصاً ما دلّ منها على التفصيل بين الحالين للميّت[3]، على أنّه لو لم يحصل الموت إلّا بالبرودة لم يجز دفنه ولا تغسيله، بل ولا يجري شيء من أحكام الأموات عليه بالنسبة إلى أمواله ونسائه وغيرها، وهو ممّا يقطع بفساده في البعض إن لم يكن في الكلّ، بل في الروض: أنّه لم يقل أحد بعدم جواز دفنه قبل البرودة، خصوصاً صاحب الطاعون، وقد أطلقوا القول باستحباب التعجيل مع ظهور علامات الموت، انتهى[4].

وما سمعته من الحدائق بعد تسليمه لا ينافي صدق اسم الموت وتحقّقه مع ذلك التعلّق، كمنع دعوى التلازم بين المضموم والمفتوح، لتعلّق الأوّل نصّاً وفتوى على البرودة، والثاني على الموت، واتّفاق تلازمهما وجوداً وعدماً في غالب الأوقات لا يقتضي الاشتراك في العلّيّة.

والمكاتبة الأُولى[5] مشعرة بانتفاء غسل المسّ لانتفاء النجاسة في خصوص

---

(١) مرّ في ص ٥٣٠ ـ ٥٣١.

(٢) الوسائل ٢: ٩٢٧ ـ ٩٢٨، الباب ١ من أبواب غسل المسّ ح ١، ٤.

(٣) الوسائل ٢: ٩٢٨، الباب ١ من أبواب غسل المسّ ح ٢.

(٤) الروض: ١١٣، غسل الأموات.

(٥) الوسائل ٢: ٩٢٨، الباب ١ من أبواب غسل المسّ ح ٧، وهي مكاتبة الحسن بن عبيد.

موت النبيّ ﷺ ونحوه، ولعلّه لأنّ علّته مركّبة من النجاسة الموتيّة والبرودة، فانتفاء أحدهما علّة تامّة في عدمه، وهو لا ينافي كون علّة النجاسة الموت بالنسبة إلى غير النبيّ ﷺ. نعم، ذلك يقتضي عدم انفكاك غُسل المسّ لغيره أيضاً عن النجاسة لا العكس، ولعلّنا نقول به، ولا ينافيه تحقّق غُسل المسّ بدون نجاسة ما حصل المسّ به، كما لو مسّه مع الجفاف بناءً على عدم النجاسة بذلك[1]، أو مسّ ما لا تحله الحياة منه كالظفر مثلاً؛ لأنّ المراد نجاسة جملة الميّت في حدّ ذاتها وإن اتّفق عدم حصول النجاسة بالنسبة إلى خصوص الجزء المباشر الّذي تحقّق به صدق المسّ، فتأمّل فإنّه دقيق.

ولا إشعار في المكاتبة الثانية[2]، إذا كان لفظ الغسل بفتح الغين، كما هو كذلك بقرينة السؤال فيكون اللام فيه للعهد الذكري، بل وكذا لا إشعار إذا كان بالضمّ أيضاً...، بل قد يظهر من التذكرة الإجماع عليه؛ حيث قال: لو مسّه قبل برده فالأقرب وجوب غسل اليد؛ لأنّه لاقى نجاسة؛ إذ الميّت نجس عندنا[3]... وكيف كان فالأقوى النجاسة لما عرفت، والله العالم[4].

* * *

---

(١) لحديث «كلّ شيء يابس ذكيّ» الوسائل ١: ٢٤٨ ح ٥ الباب ٣١، أحكام الخلوة.
(٢) وهي صحيحة الصفّار، الوسائل ٢: ٩٢٧، الباب ١ من أبواب غسل المسّ ح ٥.
(٣) التذكرة ١: ٥٩.
(٤) الجواهر ٥: ٣٠٥ ـ ٣١١.

٣٦٧
لنا أوبةٌ من بعد غيبتنا العُظمىٰ

قال الشيخ السماوي: أخبر الشيخ الجليل الفاضل التقي الشيخ محمّد طه ابن الشيخ مهدي النجفي المتوفّى سنة ١٣٢٣، عن الشيخ أحمد ابن الشيخ حسن آل قفطان الأديب الأصمّ المتوفّى سنة ١٣٠٦، أنّه رأى ذات ليلة في منامه الإمام المهدي عليه السلام فشكا إليه الحال، فأنشده عليه السلام قوله:

لنا أوبة من بعد غيبتنا العُظمى ... فنملؤها قسطاً كما ملئت ظُلما
وجدّي وآبائي وعقد ولائنا ... لقد كان ذا حقّاً على ربّنا حتما

فانتبه وهو يحفظهما. (أقول): وقد شطرهما الفاضل التقي الشيخ عبد الغني ابن الشيخ أحمد الحرّ العاملي المتوفّى سنة ١٣٥٧ في النجف، وقد أنشدني التشطير في الروضة العلويّة سنة ١٣٣٧ وهو قوله:

(لنا أوبة من بعد غيبتنا العُظمى) ... فنكشف فيها كلّ داجية ظَلما
بها نملك الآفاق شرقاً ومغربا ... (فنملؤها قسطاً كما ملئت ظُلما)
(وجدّي وآبائي وعقد ولائنا) ... ومن خصّنا دون الورى الحكم والعلما
وأكرم أنصارٍ أُعدّت لنصرنا ... (لقد كان ذا حقّاً على ربّنا حتما)

وقد شطّر التشطير وخمّسه، وذلك مطبوع ضمن ديوانه فلا حاجة إلى ذكره، فمن أراده فليطلبه من ديوانه المطبوع في النجف[1].

---

(١) ظرافة الأحلام: ٨٣.

الأوبة: الرجوع ـ أي قيامه عليه السلام يوم يأذن الله تعالى له بذلك إن شاء الله تعالى ـ، وقوله روحي فداه منشداً:

* لنا أوبة من بعد غيبتنا العُظمى *

يعني الغيبة التامة المذكورة في التوقيع الصادر لعليّ بن محمّد السمري رابع السفراء السابق ذكره عند «أعظم الله أجر إخوانك فيك»[١]. المعبّر عنها في بعض الروايات بالكبرى مرّة وبالطويلة أُخرى:

ففي النبوي رواه الصدوق: «... أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله، يظهر بعد غيبة طويلة وحيرة مضلّة، فيُعلن أمر الله ويظهر دين الله جلّ وعزّ...»[٢].

والعلوي: «للقائم منّا غيبة أمدها طويل، كأنّي بالشيعة يجولون جولان النعم في غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه...»[٣].

والسجّادي: «... وإنّ للقائم منّا غيبتين أحداهما أطول من الأُخرى... وأمّا الأُخرى فيطول أمدها حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر من يقول به...»[٤].

والصادقي: «إنّ سنن الأنبياء عليهم السلام بما وقع بهم من الغيبات حادثة في القائم منّا أهل البيت حذو النعل بالنعل والقُذّة بالقُذّة»[٥].

* * *

---

(١) رقمه ٥٧.

(٢) إكمال الدين ١: ٢٥٧ ـ ٢٥٨، الباب ٢٤، ح ٢.

(٣) إكمال الدين ١: ٣٠٣، الباب ٢٦، ح ١٤.

(٤) إكمال الدين ١: ٣٢٣ ـ ٣٢٤، الباب ٣١، ح ٨.

(٥) إكمال الدين ٢: ٣٤٥، الباب ٣٣، ح ٣١.

٣٦٨

لن يوحشنا من قعد عنّا

من التوقيع الصادر عن الناحية المقدّسة ردّاً على ابن أبي غانم القزويني المنازع في الخلف، وزّعناه على نبذة كلمات مختارة، ولربط المختار برواية الشيخ الطوسي ما يلي:

«إنّه أُنهي إليّ ارتياب جماعة منكم في الدين، وما دخلتهم من الشكّ والحيرة في ولاية أُمورهم، فغمّنا ذلك لكم لا لنا، وساءنا فيكم لا فينا؛ لأنّ الله معنا، ولا فاقة بنا إلى غيره، والحق معنا فلن يوحشنا من قعد عنّا...»[١].

ماذا فقد من وجد الله، وماذا وجد من فقد الله، وما الذي يوحشه من أنس بالله، ومن الذي يؤنسه من استوحش من الله، فالإمام المهدي عليه السلام إمام الذين وجدوا الله وأنسوا بالله، فأيّ فقد يوحشه بعد هذا الوجدان، وإنّما هي وصفة الّذين فقدوا الله تعالى.

الأُنس وضدّه الوحشة:

هما حالتان تعرضان للقلب، معلولتان عن الإدراك بالفقد للملائم ووجدانه، وهذا بالقياس إلى الخلق، وأمّا الخالق عزّ وجلّ فالأُنس به ثمرة المعرفة الصادقة، وكلما كانت أرفع كان الأُنس أسمى وأجلّ، وظاهرة الأُنس بالله هي الطمأنينة

(١) الغيبة: ١٧٣.

المثمرة عن ذكره، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[١] وإدراك العظمة المثمر للخشية، غير المنفلة عن الأُنس والشوق قائلاً: إلهي ما ألذّ خواطر الإلهام بذكرك على القلوب، وما أحلى المسير إليك بالأوهام في مسالك الغيوب، وما أطيب طعم حبّك، وأعذب شرب قربك، فأعذنا من طردك[٢]. فلا تطمئنّ القلوب إلّا بذكرك، ولا تسكن النفوس إلّا عند رؤياك[٣]. إلهي غلّتي لا يبرّدها إلّا وصلك، ولوعتي لا يطفئها إلّا لقاؤك، وشوقي إليك لا يبلّه إلّا النظر إلى وجهك[٤]. يا غاية منُى المشتاقين وآمال العارفين.

قوله عليه السلام: «لن يُوحشنا من فقد عنّا» يريد أنّ إعراض الناس عنا أو الشكّ فينا لا يضرّنا، وإنّما الضرر لهم لا لنا، ونحن بحمد الله في صيانة يرعانا وهو معنا، ولنا مقام الأُنس به لا توحشنا حادثات الدهر، ولا فاقة لنا بعد الله، وإنّما الفاقد من فقده وهو أنتم لا نحن، وإنّ الأمر أوضح من ذلك، إذا لم يكن عليه السلام غنيّاً به تعالى فمن الّذي يكون؟ وهل يأنس بالله حقّ الأُنس سواهم عليهم السلام؟ كلّا وألف كلّا.

* * *

(١) الرعد: ٢٨، أقول: للذكر بيان مرهون بمحلّه.

(٢) الصحيفة السجّاديّة: ٤١٨.

(٣) الصحيفة السجّاديّة: ٤١٩.

(٤) الصحيفة السجّاديّة: ٤١٦.

٣٦٩
لو أُذن لنا في الكلام لزال الشكّ

تزول الشكوك الشيطانيّة عند رؤية الحقيقة المتجلّية في الإمـام المـهديّ عليه السلام عياناً، وصدق عندها المثل: إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل[١]، وقولهم: جاء العيان فألوى بالأسانيد[٢]، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[٣]. وقد جاء في حديث حكيمة «لمّا ولد القائم كان نظيفاً مفروغاً منه، وعـلى ذراعـه الأيـمن مكتوب ﴿جاء الحق...﴾»[٤]، والباقري «إذا قام القائم ذهبت دولة الباطل»[٥].

إذا عرفت البشارة ففي التوقيع الصادر عن الناحية المحفوفة بالإجلال الإشارة إلى يوم الظهور وقيام الإمام عليه السلام، ولربط المختار به برواية الشيخ الصدوق ما يلي:

«زعمت الظلمة أنّ حجّة الله داحضة، ولو أُذن لنا في الكلام لزال الشكّ»[٦].

والإذن في الكلام كناية عن القيام، وماثله التـوقيع الآخـر: «ولو قـد أذن الله عزّ وجلّ فيما قد منعه عنه، وأزال عنه ما قد جرى به من حكمه لأراهم الحقّ ظاهراً بأحسن حلية، وأبين دلالة وأوضـح عـلامة، ولأبـان عـن نـفسه، وقـام بـحجّته، ولكن...»[٧].

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ٦: ٤٢٥، وفي هامشه وجه مضربه.
(٢) مجمع الأمثال ١: ١٩٠، المولدون.
(٣) الإسراء: ٨١.
(٤) تفسير الصافي ١: ٩٨٦.
(٥) المصدر.
(٦) إكمال الدين ٢: ٤٣٠، الباب ٤٢ ح ٥، غيبة الطوسي: ١٤٧.
(٧) إكمال الدين ٢: ٥١١، الباب ٤٥ ح ٤٢.

الإذن:

قد تقدّم أنّ الإذن أثر الملك، ولا مالك إلّا الله، فليس الإذن إلّا له تعالى، وإنّ العبد نبيّاً كان أو وصي نبي أو من دونه من آحاد الناس لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ولا غير ذلك، ﴿*إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً*﴾ (١)، وأنّ للمظلوم أن يأخذ حقّه من الظالم ولو بالمقاتلة قال تعالى: ﴿*أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا...*﴾ (٢) وإنّ آل محمّد قد ظُلموا وقُهروا وأُخرجوا من ديارهم والمهديّ هو الشريد الطريد الوحيد الفريد، وأنّ الناس كلّهم ظالمون إلّا من عصمهم الله، وخصيصة أهل البيت عليهم السلام أنّهم بريئون عن الظلم حتّى مثل جلب شعيرة أو أقلّ من ذرّة وأمّا المظلوميّة فيضرب بهم المثل وأنّهم أوّل المظلومين في الدهر كلّه، فلو أذن الله لهم بالانتقام ممّن ظلمهم فهم وليّه، ﴿*وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً...*﴾ (٣) وقد قتل الحسين وأهل بيته عليهم السلام يوم عاشوراء، ووليّ دمائهم الإمام المهديّ، وسيأذن الله له بالقيام وأخذ الثأر له، ولكلّ مظلوم في العالم قريباً إن شاء الله.

* * *

(١) النبأ: ٣٨.

(٢) الحجّ: ٣٩.

(٣) الإسراء: ٣٣، وقد جاء في تفسير الآية أنّها في الحسين عليه السلام تفسير الصافي ١: ٩٦٨.

٣٧٠
لو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب

من الكتاب الثاني الصادر عن الناحية المحفوفة بالتقديس والإجلال إلى الشيخ المفيد طاب ثراه المتقدّم تمامه عند «إنّه من اتقى ربّه من إخوانك...»[١]، ولربط المختار به برواية الشيخ الطبرسي ﷺ ما يلي:

«ولو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حقّ المعرفة وصدّقها منهم بنا، فيما يحبسنا عنهم إلّا ما يتصل بنا ممّا نكرهه ولا نؤثره منهم...»[٢].

أقول:

لعلّك إذا نظرت إلى الكتاب في هذا الكتاب تجد تكراراً للكلمة المختارة، وهو غير محمود، ولكن إذا كان ذلك من كلّ وجه، لا من وجه دون وجه، واليك شيئاً ممّا لم نذكره إلّا في ترجمته طاب ثراه، وهو أنّ بعض الأعلام أسقط الكتابين عن الاعتبار؛ لأنّ الطبرسي رواهما مرسلين، والإرسال يوجب سقوط الرواية، وقد قرّر في الترجمة.

---

(١) رقمه ١١٨. (٢) الاحتجاج ٢: ٣٢٥.

والجواب:

ما ذكرناه من الوجوه الثلاثة لاعتبارهما، الأوّل: تصريح الطبرسي نفسه، قال في مقدّمة الاحتجاج: ولا نأتي في أكثر ما نورده من الأخبار بأسناده، إمّا لوجود الاجماع عليه، أو موافقته لما دلّت العقول إليه، أو لاشتهاره في السير والكتب بين المخالف والمؤالف، إلّا ما أوردته عن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام، فإنّه ليس في الاشتهار على حدّ ما سواه، وإن كان مشتملاً على مثل الّذي قدّمناه، فلأجل ذلك ذكرت أسناده في جزء من ذلك دون غيره[1].

وقلنا إنّ الكتابين من قبيل الأوّل وأنّهما داخلان في المستثنى منه، وفراراً من التكرير الأكثر نحيلك في الوجهين الباقيين إلى الترجمة عند «لا صوّت الناعي...»[2].

ومن كان له إلمام بالنظم واللحن في الأحاديث يطمئنّ بذلك، وإلّا فليلتحق بمانع الاعتبار.

قوله عليه السلام: «ولو أنّ أشياعنا...» تجد عليه ملامح الصدق في الصدور، وهل يسوّغ لك الذوق أنّ القائل به غيره من آحاد الناس، ولولا مخافة التطويل لزدنا في التدليل، وإنّ محتواه فوق مستوى الكلام العادي، وقبل البيان راجع الوجدان وإنّما لم نتطرق إلى شرح المختار نفسه لسبقه في عدّة مناسبات من هذا الكتاب.

* * *

---

(١) مقدّمة المصدر ١: ١٤.

(٢) رقمه ٣٣٢.

٣٧١
لولا أنّ أمر الله تعالى لا يغلب... لظهر لكم من حقّنا ما تبين منه عقولكم

الأُمور مرهونة بأوقاتها[1] والأشياء مقرونة بالمشيئة المطلقة، فلا يتقدّم المتأخّر و لا يتأخّر المتقدّم، وله تعالى البداء في كلّ شيء، ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[2] ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[3]، وأنّ «الأناة من الله والعجلة من الشيطان»[4]، و لربط المختار بالتوقيع برواية الشيخ الطوسي ما يلي:

«ولولا أنّ أمر الله تعالى لا يغلب، وسرّه لا يظهر ولا يعلن، لظهر لكم من حقّنا ما تبين منه عقولكم، ويزول شكوككم ولكن...»[5].

لعلّ قوله عليه السلام: «ما تبين منه عقولكم» من البينونة الفصل بين أمرين يزعم فيهما الوصل، ـ يعني عند الظهور ورفع الستر ـ تنفصل عقولكم الّتي كانت تدرك حقّنا أهل البيت قبل عصر الخروج على خلاف إدراكها له بعده؛ لأنّ العقل لا يدرك شيئاً بطابعه الذاتي في نفس الواقع، بل كان مدركاً له بقدر ما أُعطي من موهبة القوى الإدراكية، وبعد رفع الستر عن وجهه الحقيقي ضلّ واختلف عليه إدراكه، فانفصل عمّا كان يدركه قبل ذلك، وصار علمه جهلاً عند من لديه علم الكتاب، وقد قال

---

(١) البحار ٧٧: ١٦٧، مثل نبوي. (٢) الرعد: ٣٩. (٣) القصص: ٦٨.

(٤) الوسائل ١٨: ١٢٤، الباب ١٢ من أبواب صفات القاضي ح ٤٦. (٥) الغيبة: ١٧٣.

تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[(١)] وعلم المعصوم فوق كلّ علم، وهو من علم الله علّم محمّداً وآل محمّد صلى الله عليه وآله، فحقّهم إذا ظهر يعلم عند ذلك أنّه ليس كسائر الحقوق، بل إنّ حقّهم كان عظيماً مجهول القدر، وحقوق المؤمنين عظيمة عند الله فكيف بأئمّة المؤمنين عليهم السلام ؟

وقد فسّرنا التوقيع تفسيراً آخر عند كلمة «لكلّ أجل كتاب»[(٢)] في غضون أبحاثها، ويجوز التفسيران معاً فتدبّر ذلك، وجاءت الروايات الآمرة بالتريّث وأنّ المستعجلين هالكون والناهية عن التوقيت، تجد نبذة منها عند «كذب الوقّاتون»[(٣)].

ومن الأُخرى الرضوي: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾[(٤)]، ﴿فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾[(٥)]، فعليكم بالصبر، فإنّه إنّما يجيء الفرج على اليأس، فقد كان الّذين من قبلكم أصبر منكم»[(٦)].

والدليل على أصبريّتهم أنّهم قد واكبوا الأعصار الغابرة قبل حلول هذه العصور القريبة من عصر الظهور. والصادقي: «يا أبا بصير ألست تعرف إمامك؟ فقال: إي والله وأنت هو ـ وتناول يده ـ فقال: والله ما تبالي يا أبا بصير ألا تكون محتبياً بسيفك في ظلّ رواق القائم صلوات الله عليه»[(٧)]، والنبوي: «إنّما هلك الناس العجلة، ولو أنّ الناس تلبّثوا لم يهلك أحد»[(٨)] والعلوي: «إلزم الصمت تسلم»[(٩)].

* * *

---

(١) يوسف: ٧٦.

(٢) رقمه ٣٦٠.

(٣) رقمه ٣٠٢.

(٤) هود: ٩٣.

(٥) الأعراف: ٧١.

(٦) إكمال الدين ٢: ٦٤٥، الباب ٥٥ ح ٥.

(٧) أُصول الكافي ١: ٣٧١ ح ٤.

(٨) الوسائل ١٨: ١٢٤، الباب ١٢ من أبواب صفات القاضي ح ٤٥.

(٩) الوسائل ١٨: ١٢٣، الباب ١٢ من أبواب صفات القاضي ح ٤٢.

٣٧٢

لولا ما عندنا من محبّة صلاحكم...لكنّا عن مخاطبتكم في شغل

من التوقيع الخارج عن الناحية المقدّسة على يد الشيخ العَمري ﵁ ردّاً على ابن أبي غانم القزويني وأضرابه، قد تقدّمت كلمات مختارة منه، ولربط المختار به برواية الشيخ الطوسي ما يلي:

«ولولا ما عندنا من محبّة صلاحكم ورحمتكم، والإشفاق عليكم، لكنّا عن مخاطبتكم في شغل فيما قد امتحنّا به من منازعة الظالم العُتلّ...»[1].

يتشعّب القلب إلى حبّ الصلاح من جهة، وإلى بغض أعداء الدين ومكافحتهم من جهة أُخرى، وهو الامتحان الأكبر، والإمام المهديّ ﵇ يجد نفسه كذلك؛ إذ بعد وفاة أبي محمّد العسكري ﵇ استفحلت الفتنة عليه من الجانبين: الحيرة المخيّمة على الشيعة بالوفاة، إلّا العارفين منهم وهم الأقلّون عدداً، دون الكثرة الّتي إيمانها أهون من بيت العنكبوت الزائل بأدنى الشكّ من قبل ابن أبي غانم القزويني ومن ينسج على نواله من جانب، والسلطة المتربّصة به الدوائر، وجعفر الكذّاب المدّعي القيمومة بعد أخيه، وطاغوت العصر الممدّ له بالأموال وألوان المساعدات المناوئ لأهل البيت ﵈ من جانب آخر، فتجد الإمام ﵇ يصرّح بكلامه الآنف الذكر إلى هذين الجانبين.

---

(١) الغيبة: ١٧٣.

محبّة الصلاح والإصلاح:

يكمن قلبه الكبير حبّ الخير والرحمة والإشفاق، وربّما عرّضوا أنفسهم الخطر حرصاً على إبقاء الشيعة؛ لأنّ بقاءهم بقاء الإيمان، ولم تصدر التوقيعات الكثيرة والتوجيهات إلّا لذلك، وإنما أئمّة الدين قادة الإنسانية إلى الصلاح والخير، والمنقذة لها من الفساد والشر بكلماتهم وسيرتهم ودعواتهم الصادقة.

وقد جاء في زيارة منقذ الأُمّة الإمام الحسين عليه السلام بقيامه ضدّ الظلم وتضحيته يوم الطف ما لفظه: «وبذل مهجته فيك، ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة، وقد توازر عليه من غرّته الدنيا، وباع حظّه بالأرذل الأدنى، وشرى آخرته بالثمن الأوكس، وتغطرس في هواه وأسخطك...»(١).

* * *

---

(١) انظر كامل الزيارات: ٢٢٨، ملاذ الأخيار ٩: ١٥١.

٣٧٣
لو لم يثبّتك الله ما رأيتني

من علل الرؤية الحقيقة الثبات على الحقيقة، والمقدّمة المطلوبة بشارة الظفر بالمطلوب، والطلب سبب النيل والّذي أوهب لك ذلك أراد بك الإيصال، ولنعم من قال:

لو لم تــرد نـيل مـا نـرجـو نـأمله   من فيض جودك ما علّمتنا الطلبا[1]

والمختار من كلام للإمام المهدي عليه السلام لأبي محمّد عيسى بن مهدي الجوهري، من قصّة له تقدّم ذكرها عند «امض بنجحك راشداً»[2]. ولا مجال لإعادتها دون ما يربط الكلمة، وهي جديرة بالرؤية؛ لرواية العلّامة المجلسي طاب ثراه إيّاها، قال الجوهري المسمّى بعيسى: فدنوت منه عليه السلام، فبدا لي نور غشي بصري، ورهبت حتّى ظننت أنّ عقلي قد اختلف، فقال لي: يا عيسى ما كان لك أن تراني لولا المكذّبون القائلون بأين هو؟ ومتى كان؟ وأين ولد؟ و من رآه؟ وما الّذي خرج إليكم منه؟ وبأيّ شيء نبّأكم؟ وأيّ معجز أتاكم؟ أما والله لقد دفعوا أمير المؤمنين مع ما رووه، وقدّموا عليه، وكادوه وقتلوه، وكذلك آبائي عليهم السلام، ولم يصدّقوهم ونسبوهم إلى السحر...

يا عيسى! فخبّر أولياءنا ما رأيت، وإيّاك أن تخبر عدّونا فتسلبه. فقلت: يا

---

(١) شرح أُصول الكافي ١: ٢٨٣، وفتح الباري ١١: ٨٢، والاسم الأعظم: ٩٦.

(٢) رقمه ٧٦.

مولاي! ادع لي بالثبات، فقال: لو لم يثبّتك الله ما رأيتني، وامض بنجحك راشداً. فخرجت أكثر حمداً لله وشكراً(١).

أقول:

قوله عليه السلام ـ بعد التخريج ـ: «القائلون بأين هو؟ ومتى كان؟ وأين ولد؟ ...» يشهد له على وجه ما ورد بهذا الصدد عن الأئمّة عليهم السلام.

ففي الباقري: «يا أبا الجارود! إذا دارت الفلك، وقال الناس: مات القائم أو هلك، بأيّ وادٍ سلك، وقال الطالب: أنّى يكون ذلك وقد بليت عظامه، فعند ذلك فارجوه، فإذا سمعتم به فأتوه ولو حبواً على الثلج»(٢). والصادقي: «وهو الّذي يشكّ الناس في ولادته، منهم من يقول: هو حمل، ومنهم من يقول: هو غائب، ومنهم من يقول: ما ولد...»(٣).

* * *

---

(١) البحار ٥٢: ٦٩ ـ ٧٠ ح ٥٤.
(٢) إكمال الدين ١: ٣٢٦، الباب ٣٢ ح ٥.
(٣) إكمال الدين ٢: ٣٤٢، الباب ٣٣ ح ٢٤.

٣٧٤
ليدخلها قوم يقال لهم الحقّيّة

أخبر الإمام المهدي عليه السلام بدخول قوم من الأقوام الجنّة يعرفون بـالحقّيّة، مـن قصّة كامل بن إبراهيم المارّة النبذة منها عند «إذن والله يقلّ داخلها»[1]، وكاملها عند «إذا شاء شئنا»[2]، و لربط المختار بها ما يلي برواية الشيخ الطوسي:

«فقال لي: يا كامل بن إبراهيم، فاقشعررت من ذلك، واُلهمت أن قلت: لبّيك يا سيدي، فقال: جئتَ إلى وليّ الله وحجّته وبابه تسأله هل يدخل الجنّة إلّا من عرف معرفتك، وقال بمقالتك، فقلتُ: إي والله، قال: إذن والله يقلّ داخلها، والله إنّه ليدخلها قوم يقال لهم: الحقّيّة، قلت: يا سيّدي! ومن هم؟ قال: قوم من حبّهم لعليّ يحلفون بحقّه، ولا يدرون ما حقّه وفضله. ثمّ سكت...»[3].

أقول:

انظرها إن شئت، حبّ عليّ عليه السلام سبب لدخول الجنّة لمن دان به كائناً من كان، وكامل هذا من المفوّضة والمقصّرة، يعتبر ممثّلاً عنها، وجاء وله مسائل سأل عنها الإمام العسكري، ولقرّة عينه المنتظر عليهما السلام قد أجاب عن كلّ ما أراد؛ ومن ثمّ في آخر القصّة قال له أبو محمّد وهو متبسم: «يا كامل ما جلوسك وقد أنبأك بحاجتك الحجّة من بعدي؟ ...».

---

(١) رقمه ٤٤. (٢) رقمه ٤١.

(٣) الغيبة: ١٤٨ ـ ١٤٩.

وفي كلامه عليه السلام تنصيص على إمامة المهدي روحي فداه أيضاً، وأتمّ الله تعالى حجّته عليه بالحجّة، كما أتمّها على الآخرين إلى آخر الدهر لو عقلوها، والآن الباب مفتوح، وإن كان مسدوداً سدّه الظالمون المتواجدون في كلّ دور، وإنّ وجوده لطف، وتصرّفه لطف آخر، وعدمه منّا، كما قاله الخاجة نصير الدين الطوسي المتوفّى سنة ٦٧٢، في مبحث الإمامة[١]، أي نحن السبب لغيبته، وقد سمعت عنه عليه السلام ما في رسالته إلى الشيخ المفيد المتوفّى سنة ٤١٣، الثانية أنّه قال: «ولو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا...»[٢]، ويجده الناظر الكريم في الكتاب مذكوراً في عدّة مواضع استدعت ذكره، كلّ ذلك للاتّجاه إلى الناحية المحفوفة بالتقديس والإجلال، ولولاه لما كان كائن في عالم الوجود. يقول ابن العرندس الحلّي طاب ثراه في رائيّته العصماء السالفة الذكر:

ولولاهم لم يخلق الله آدماً ولا كان زيد في الوجود ولا عمرو[٣]

* * *

---

(١) شرح التجريد: ٢٨٥ ـ ٢٨٦، مع المتن، وانظر الرقم ٩٨.

(٢) رقمه ٣٧٠ تقدّم قريباً.

(٣) رقمه ١٢٨.

٣٧٥
لِيَدَعُوا عنهم اتّباع الهوى

من التوقيع الخارج عن الناحية المقدّسة على يد العمريين رحمهما الله، السابق الذكر عند «أعوذ بالله من العمى...» بكامله فراجع[١] وإليك منه برواية الصدوق:

«فليَدَعُوا عنهم اتّباع الهوى، وليقيموا على أصلهم الّذي كانوا عليه...»[٢].

ردّاً على أصحاب الدعاوى الباطلة، التابعين لهم والملتفّين حول جعفر الكذّاب، من جُهلاء الشيعة ممّن دينه جناح البعوضة أرجح منه، وقد تقدّم ذكرهم عند «جناح البعوضة أرجح منه»[٣].

وقد مرّ غير مرّة أنّ المتابعة والالتفاف حول المُبدعين هي الّتي جرّت الويلات على أهل البيت الّذين هم أصل الدين والإسلام، ولاسيّما في عصر الغيبة الصغرى، وقد ظهر فيها زمرة المدّعين للسفارة بل النبوّة والربوبيّة، حتّى من بعض النسوة المتزودة بإمداد السلطة وتقديم المساعدات، والعرفان المزيّف، وكلمة الحقّ الّتي يراد بها الباطل، واشتهر فيهم الشريعي، والنميري، والدهقان، والعزاقري، والهلالي، والبلالي، والحلّاج بأقوالهم وكتبهم، والأعمال الّتي كانوا يقومون بها، وأضراب هؤلاء متواجدون في كلّ زمان ومكان، وكانت القاضية على الإسلام والمسلمين،

---

(١) رقمه ٦٠.

(٢) إكمال الدين ٢: ٥١١، الباب ٤٥، ح ٤٢.

(٣) رقمه ١٦٥.

وإنّهم أضرّ عليهم من جيش يزيد لعنه الله، حرصاً على نفاسة الرئاسة والدنيا الزائلة، وإنّهم لأشدّ وقعاً على الدين من الكافرين والمشركين وعبدة الأصنام والنار والنجوم والقمر والبقر؛ لأنّ الناس يتحامّونهم للأوصاف المعلومة البطلان؛ ومن ثمّ أقدم أميرالمؤمنين عليه السلام على قتل الخوارج النهروانيّين، ولجمالهم الظاهر لم يكن ليجترئ أحدٌ على مقاتلتهم قبله ولا بعده، وهي الفتنة العظمى الّتي لم يفقأ عينها غيره، قال عليه السلام بهذا الصدد: «فإنّي فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجترئ عليها أحد غيري بعد أن ماج غيهبها، واشتدّ كلبها»(١).

اتّباع الهوى:

في اتّباع الهوى فساد السموات والأرض، قال تعالى: ﴿*وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ*﴾(٢) إذا كانت الأهواء هي الحاكمة على الحقّ، بما لهذه الكلمة من ظاهرة، فلا النيّات تكون صادقة ولا الأعمال زكيّة فتحبس السماء ماءها، والأرض نباتها، إذا لم يكن الماء لم يكن النبات، قال القمّي: الحقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام قال: فساد السماء إذا لم تمطر، والأرض إذا لم تنبت وفساد الناس في ذلك(٣).

* * *

---

(١) نهج البلاغة (تحقيق الشيخ محمّد عبده) ١: ١٨٢، من خطب الإمام عليّ عليه السلام.

(٢) المؤمنون: ٧١.

(٣) تفسير القمّي ٢: ٩٣، ذيل الآية ٧١ من سورة المؤمنون.

٣٧٦
ليس بين الله عزّ وجلّ وبين أحد قرابة

لا قرابة بين الخالق والمخلوق إلّا علقة المولى والعبد، والمختار من جوابات الإمام المهدي عليه السلام عن مسائل إسحاق بن يعقوب، الّتي أُشكلت عليه، فسأل عنها وخرج الجواب على يد العَمري رحمه الله تعالى وما يلي صورة بعضها:

«أمّا ما سألت عنه ـ أرشدك الله وثبّـتك ـ من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمّنا، فاعلم أنّه ليس بين الله عزّ وجلّ وبين أحد قرابة...»[١].

بيان:

هل يتوهّم أحد أنّ بينه وبين الله قرابة حتّى يفتقر إلى نفيها؟

والجواب: لا يفتقر إلى ذلك، وإنّما خرج الجواب مثلاً يضرب به لصراحة اللهجة وإعطاء الشيء بطابعه الواقعي بلا محاباة أو هوادة، كما يقال: لا بُرد لك على ظهري: أي لا أتّقيك لشيء لك عندي في موضع بيان الحقيقة، وللمثل الأخير الحديث الوارد، رواه الشيخ الطوسي في التهذيب، قال:

الحسن بن سعيد عن القاسم عن محمّد بن يحيى الخثعمي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: أتاني رجلان أظنّهما من أهل الجبل[٢] فسألني أحدهما عن الذبيحة، فقلت

---

(١) إكمال الدين ٢: ٤٨٤، الباب ٤٥ ح ٤، غيبة الطوسي: ١٧٦ ـ ١٧٧.

(٢) قيل: هم الأكراد، أو كناية عن إيران، والظن بمعنى اليقين.

في نفسي: والله لا بُرد لكما على ظهري، لا تأكل، قال محمّد: فسألته أنا عن ذبيحة اليهودي والنصراني؟ فقال: لا تأكل منه[١].

وقال العلّامة المجلسي في ملاذ الأخيار في شرح الحديث: اعلم أنّ «هذا الخبر من معضلات الأخبار، ويمكن أن يوجّه بوجوه...»[٢].

والوجوه أربعة اخترنا تخريجه مثلاً سائراً قدّمنا لك تفسيره، والمراد به بيان حكم ذبيحة أهل الكتاب بلا تقيّة، وهو حرمة أكلها[٣]، وهو أحد الوجوه الأربعة.

والمقام كذلك أنّ الإمام المهديّ عجّل الله فرجه يقول: إنّ الله يجازي المطيع على طاعته، والعاصي على عصيانه، ولا تأخذه هوادة ولا قرابة بينه وبين المطيع والعاصي ولا يتّقي من أحد، والكلام صريح لا إبهام فيه أبداً، كما لم يكن في المثل الروائي غموض عندنا. وما ادّعته اليهود أنّهم أبناء الله قد أبطل تعالى دعواهم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاءُوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ...﴾[٤]، تجد الآية تبطل دعوى بنوّتهم ومحبّتهم.

* * *

(١) تهذيب الأحكام ٩: ٦٧ ح ٢١ في الذبائح والأطعمة.
(٢) ملاذ الأخيار ١٤: ٢٥٤ ـ ٢٥٦ ذبائح أهل الكتاب.
(٣) في رسالتنا في ذبائح أهل الكتاب.
(٤) المائدة: ١٨.

٣٧٧
ليس على من نحّاه إلّا غَسل اليد

من جوابات الناحية المقدّسة عن المسائل الفقهيّة لبعض الناس حيث لم يكن لديه فقهاء يسألهم عنها، فخرجت الجوابات بواسطة محمّد بن عبد الله بن جعفر الحِميَري، تجد فيما يلي الخطاب إمّا للواسطة بينه وبين الإمام، أو له عليه السلام تقيّة قال برواية الشيخ الطوسي:

وقد عودتني ـ أدام الله عزّك ـ من تفضّلك ما أنت أهل أن تجريني على العادة وقبلك ـ أعزّك الله ـ فقهاء أنا محتاج إلى أشياء تسأل لي عنها، فروي لنا عن العالم عليه السلام أنّه سئل عن إمام قوم صلّى بهم بعض صلاتهم، وحدثت عليه حادثة كيف يعمل من خلفه؟ فقال: يؤخّر ويقدّم بعضهم. ويتمّ صلاتهم ويغتسل مَن مسّه.

(التوقيع):

ليس على من نحّاه إلّا غسل اليد، وإذا لم تحدث حادثة تقطع الصلاة تمّم صلاته مع القوم[1].

كما قلنا من الاحتمال في الخطاب المذكور، ذكره العلّامة المجلسي طاب ثراه[2] وفي التوقيع وجوب غسل اليد ليس على إطلاقه حتّى من لم يمسّ إلّا ثوبه دون بدنه؛ لأنّ مسّ الثوب لا يوجب غسلاً ولا اغتسالاً. كما على ماسّ البدن قبل

---

(١) غيبة الطوسي: ٢٣٠، الاحتجاج ٢: ٣٠٢.

(٢) البحار ٥٣: ١٥٤.

البرودة وجوب الغسل بالفتح؛ بناء على نجاسة ميتة الآدمي السابقة الذكر[1]، وبعد البرودة وجوب الغسل ـ بالضمّ ـ أيضاً وحاصل الفروض ثلاثة:

الأوّل: وجوب الاغتسال لمسّ الميّت، إن مسّ جسده بعد البرودة، وقد يجب غسل اليد أيضاً.

الثاني: وجوب غَسل اليد إن مسّ الجسد في حالة الحرارة دون الاغتسال.

الثالث: لا غَسل ولا اغتسال إن نحّاه بثيابه، إلّا أنّ ظاهر التوقيع وجوب غسل اليد، ولا بدّ من تفسيره بمزاولة الجسد أيضاً دون مجرّد الثوب عند التنحية. وباقي التوقيع واضح.

قال في الجواهر: «يجب الغُسل ـ بالضمّ ـ على من مسّ ميّتاً من الناس قبل تطهيره وبعد برده...» حكى الشيخ في جنائز الخلاف، وغيره الإجماع على الوجوب من غير اعتداد به ـ أي بالخلاف ـ وهو الحجّة بعد الأخبار الصحيحة الصريحة وغيرها المستفيضة بل المتواترة فيه، ولذا عمل بها من لم يقل بحجّية أخبار الآحاد...، على أنّه ليس في مقابلها سوى الأصل[2] الّذي لا يصلح لمعارضة شيء منها، إلى آخر ما استدلّ به على وجوب غُسل مسّ الميّت فراجع[3].

أرى لعلقة مسألتي غسل مسّ الميّت وغسل اليد بسؤال بعض أهل السنّة عنهما وجواب الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء في كتابه: الفردوس الأعلى أن أذكرهما ولو اختصاراً عند ذكره لمسائل متفرّقة قال:

ومنها: أنّهم قالوا: إنّ للإماميّة فتاوى عجيبة في الأحكام الشرعيّة، بحيث تنافي

---

(١) رقم المختار ٣٦٦.

(٢) هو أصل البراءة عن وجوب غُسل المسّ.

(٣) الجواهر ٥: ٣٣٢. وفي المقام روايات صحاح أشار إليها بقوله: «الأخبار الصحيحة»: الوسائل ٢: ٩٢٧ ـ ٩٣٠، الباب ١ من أبواب غسل المسّ، وفيه ١٨ رواية تصرّح بذلك، كما في الباب الثاني روايات الغسل.

ضرورة العقل، مثل أنّهم يرون وجوب الغسل على من مسّ ميّتاً آدميّاً مع أنّ النوع الإنساني وعلى الأخصّ المسلمين منهم من أطهر الحيوانات وأشرف الموجودات، فكيف يوجب مسّ بدنه بعد الموت الغسل. مع أنّهم يكتفون في مسّ ميتة الكلب وهو أنجس الحيوانات وأخسّ الموجودات بغَسل اليد فقط، وهذا الأمر من الفساد بحيث لا يحتاج إلى بيان، حتّى صار سبباً لطعن اليهود والنصارى في دين الإسلام.
ـ و فيما أجاب به أن قال: ـ

إنّ ضرورة العقل تقضي بما قالته الإماميّة في هذه المسألة، فتعجّبوا من كلامي واستغربوا مقالي. فقلت لهم: استمعوا حتّى أكشف لكم الحقائق الراهنة، ـ واسترسل في بيان أشرفيّة الإنسان وفق قول المعترض مدعماً بالدليل العقلي لعلوّ الروح ولطافته، ـ ثمّ قال:

وحين انفصال هذه الروح من بدنه وقطعها علائقها من جسمه الّتي بها حياة البدن، وصحّته قائمة بها يفسد البدن والدم لا محالة، وبفسادهما تفسد البخارات السارية والدسوم المنتشرة في البدن لانفصال تلك الروح المحافظة لجميع شؤون البدن وموادّه، ومن الممكن أن يقال حينئذٍ: إنّ في تلك الأبخرة والدسوم جواهر في غاية الدقّة واللطافة وجراثيم في نهاية الرقّة والنفوذ الّتي يعبّر عنها في لسان الفلسفة الطبيعيّة الجديدة (ميكروبات)، وهذه الجواهر اللطيفة الفاسدة هي في الحقيقة جواهر الموت؛ بناءً على ما هو التحقيق من أنّ الموت والحياة أمران وجوديّان لا أنّهما وجود وعدم كما يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿*الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً*﴾[1].

وهذه الجواهر الشفّافة من غاية لطافتها والنفوذ الموجود فيها إذا مسّها بعض

---

(١) الملك: ٢.

أعضاء الإنسان الحيّ نفذت حالاً في جميع مسامات بدنه من دون أدنى تأخير في البين، وتسري إلى دمه، ويصير هذا سبباً لابتلائه بأنواع الأمراض الجسمانيّة أو النفسانيّة من الأخلاق الرذيلة.... والحقّ سبحانه وتعالى بمقتضى رأفته ورحمته على عباده... شرّع جميع التكاليف في حقّهم لجهة من المصالح الموجودة فيها والحِكم الدنيويّة والأُخرويّة الكامنة فيها، وهو جلّ شأنه يعلم بعلمه الأزلي أنّ القالع لتلك الجواهر الخبيثة والموادّ الفاسدة والقامع لها من أساسها سواء من بدن الميّت أو الإنسان الحيّ المباشر لبدن الميت واللامس له ليس إلّا الماء؛ ولذا ورد في بعض الأخبار بهذا المضمون: «ما خلق الله لعباده نعمة أعظم من الماء»[1].

وخلاصة المقال أنّ الإنسان بحسب تلك المراتب من اللطافة والصفاء، وفي أيّ مرتبة كان... يحصل بموته أثر في جسمه بحيث ينتقل ويسري ذلك الأثر إلى الجسم الآخر المباشر له والمماسّ ببدنه ويوجب المضرّة العظيمة والمفسدة المهمّة، إمّا المضرّة الجسميّة أو الروحيّة أو كليهما، واللازم في نظر الشارع دفعها ويجب رفعها، ولا يمكن ذلك في نظره أيضاً إلّا بغسل البدن، لعلّة سراية ذلك الأثر لمعظم البدن بخلاف ميتة الكلب وأمثاله؛ فإنّ الكثافات الّتي في روحه وبدنه ليست بمرتبة تسري وتنفذ في مسامات بدن الإنسان بمجرّد مماسّته لميتته، ولا يتجاوز من سطح ظاهر بدن المباشر إلى باطنه، ولذلك يجب غسل الموضع الملاقي فقط.

ويؤيّد هذا الاعتبار، ويقرّب هذا البيان والتقرير الخصوصيّات والقيود الّتي اعتبرها الشارع في هذا الحكم، أعني وجوب غُسل المسّ، فإنّه أوجب ذلك بعد البرد وقبل التغسيل؛ لأنّ قبل برودة البدن لا يصل الفساد المترتّب على المسّ إلى

---

(١) لم أجده، وفي آية ﴿وينزّل عليكم من السماء ماءً ليطهّركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ الأنفال: ١١، الدلالة على عظيم نعمة الماء، نزلت في غزوة بدر، انظر تفسير العيّاشي ٢: ٥٠ ـ ٥١، مجمع البيان ٤: ٥٢٦.

تلك المرتبة الموجبة لغسل البدن بأجمعه؛ بواسطة بقاء أشعّة الحياة في البدن، وعدم زوالها بتمامها.

وأمّا بعد التغسيل: فمن جهة أنّ الجواهر أو الأبخرة أو الميكروبات ـ بأيّ لسان شئت فعبّر ـ تصير بتغسيل الميّت الّذي بالغ الشارع فيه وحرّض الناس عليه، وأوجبه بمزج السدر والكافور مع الماء ثلاث دفعات، وفي أحاديث أهل السنّة اعتبار خمس دفعات مضمحلّة ومتلاشية، وتزول تلك الموادّ وجراثيم الفساد، وعند ذلك فلا مضرّة في المسّ أصلاً...

وحقّاً أقول: إنّه كلّما ازداد الإنسان رقيّاً في عقله، وتقدّماً في معرفته، وكان عميق الفكر، وحادّ النظر رأى دلائل باهرة، وشاهد معاجز واضحة للعترة الطاهرة عليهم السلام، ولمذهب الإماميّة ما يعبّر عنه بمعجزات العلم، وهذه المعجزة من أسمى مراتب المعاجز، وأوضحها وأعلاها، بل أجلى ألف مرّة من معجزة شقّ القمر[١] وتسبيح الحصى[٢]، وحنين الجذع[٣]. وما نحن فيه من جملة تلك.

وإنّا وإن أسهبنا في الجواب، ولكن المقام كان يقتضي ذلك، بل أزيد من هذا، واختصرنا المقال بالنسبة إلى المقام، فصلوات الله وسلامه عليهم، وله الحمد والمنّة على ما منّ به علينا من معرفتهم والتمسك بولايتهم، والاقتباس من أنوارهم، والسلام على كافة إخواننا المؤمنين ورحمة الله وبركاته. في ٩، ج ٢، ١٣٣٩ هـ[٤].

أقول:

لم تبن أحكام الإسلام الفرعيّة الشرعيّة على صرح الفلسفة والعلل المستنبطة، حتّى إذا لم يجد المستنبط علّة الحكم نفاه بزعمه؛ لأنّ النفي موقوف على الإحاطة

---

(١) إعلام الورى: ٣٨. (٢) مناقب ابن شهرآشوب ١: ٩٠.

(٣) إعلام الورى: ٣٢.

(٤) الفردوس الأعلى ١٠ ـ ١٩، الطبعة الثالثة ١٤٠٢، مكتبة فيروز آبادي ـ قم ايران ـ.

الكافية بكافّة علل الأحكام المفقودة عن الجميع إلّا المعصومين عليهم السلام. كما في خطبة الزهراء عليها السلام الإشارة إلى بعضها قالت:

«فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس، ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحجّ تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً للفرقة، والجهاد عزّاً للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منساة للعمر، ومنماة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوقية المكائيل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة ايجاباً بالعفّة [للعفّة]، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبيّة...»[١].

* * *

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ١: ١٣٤، خطبة الزهراء عليها السلام، كشف الغمّة ٢: ١٠٩ ـ ١١٠.

٣٧٨
ليس فينا شكّ ولا فيمن يقوم مقامنا بأمرنا

قال الشيخ الكليني طاب ثراه:

عليّ بن محمّد عن الحسن بن عبد الحميد قال: شككت في أمر حاجز بن يزيد، فجمعت شيئاً، ثمّ صرت إلى العسكر، فخرج إليّ: ليس فينا شكّ ولا فيمن يقوم مقامنا بأمرنا، ردّ ما معك إلى حاجز بن يزيد[١].

أقول:

لاختصار الحديث كرّرناه، لما جاء ذكره عند «ردّ ما معك إلى حاجز بن يزيد»[٢]، كما وأسلفنا فيه ترجمة حاجز، والتوقيع المذكور عند «الأسدي نعم العديل»[٣].

الشكّ وبعض أقسامه:

لا شكّ في أنّ الشكّ عائق تجب إزالته ما استطاع صاحبه؛ لأنّه إن مات وهو شاكّ في الله أو الرسول أو في شيء من عقائد الدين، يستطيع إزالته مات كافراً، قال تعالى فيما اقتصّ من قول الرسل لأممهم: ﴿*قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ*...﴾[٤] من قضايا قياساتها معها، أي كيف

---

(١) أصول الكافي ١: ٥٢١ ح ١٤.
(٢) رقمه ١٩٢.
(٣) رقمه ٥٠.
(٤) إبراهيم: ١٠.

يمكن خلق شيء لا أكبر[١] منه شيء كهذه السمٰوات والأرض بدون خالق ولا صانع؟! وهل يكون فاقد الشيء معطياً له؟! فالرسل أرادوا بذلك انتباه الأُمم الجاحدة لخالقها بأنّ الفطرة السليمة تقضي أنّ لهذه السمٰوات فاطراً، وللخلق خالقاً، فلماذا تشكّون في الخالق؟ ولا ريب أنّ الشاكّ كافر لتمام الحجّة عليه وهي فطرته الّتي فطر على التوحيد، فيعاقب هو وأبواه المهوّدان له أو المنصّران أو الممجّسان له، كما في الحديث[٢]، وإليك بعض أحاديث الشكّ:

١ ـ عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس عن الحسين بن الحكم قال: كتبت إلى العبد الصالح عليه السلام أخبره أنّي شاكّ قد قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾[٣]، وإنّي أُحبّ أن تريني شيئاً، فكتب عليه السلام أنّ إبراهيم كان مؤمناً وأحبّ أن يزداد إيماناً، وأنت شاكّ والشاكّ لا خير فيه. وكتب إنّما الشكّ ما لم يأت اليقين، فإذا جاء اليقين لم يجز الشكّ. وكتب أنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾[٤]، قال: نزلت في الشاكّ[٥].

يعني لولا نقض العهد المأخوذ عليه لما جاءه الشكّ؛ فإنّ الوفاء به يعقبه نور اليقين، فإذا جاء اليقين لم يجز الشكّ.

٢ ـ عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عليّ بن أسباط، عن أبي إسحاق الخراساني، قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول في خطبته: لا ترتابوا فتشكّوا، ولا تشكّوا فتكفروا[٦].

أي الشكّ يجرّكم إلى الكفر، كما أنّ عاقبة إساءة السوء التكذيب بآيات الله

(١) ﴿لخلق السَمٰوٰاتِ والأرض أكبر من خلق الناس﴾ غافر: ٥٧.

(٢) أُصول الكافي ٢: ١٢، كنز العمّال ١: ٢٦١، الرقم ١٣٠٧، وفيه «... ويشركانه»، عوالي اللآلي ١: ٣٥، الرقم ١٨، فيه بكامله.

(٣) البقرة: ٢٦٠.

(٤) الأعراف: ١٠٢.

(٥) أُصول الكافي ٢: ٣٩٩ ح ١.

(٦) أُصول الكافي ٢: ٣٩٩ ح ٢.

تعالى[1]، وأنّ الشكّ من الكفر، وأعلاه الجحود.

٣ ـ عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن خالد عن أبيه عن خلف بن حمّاد عن أبي أيّوب الخزّاز عن محمّد بن مسلم قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً عن يساره وزرارة عن يمينه، فدخلَ عليه أبو بصير، فقال: يا أبا عبد الله ما تقول فيمن شكّ في الله؟ فقال: كافر يا أبا محمّد، قال: فشكّ في رسول الله؟ فقال: كافر، قال: ثمّ التفت إلى زرارة، فقال: إنّما يكفر إذا جحد[2].

على الجاهل التعلم فرضٌ فإذا قصّر وشكّ فلا عذر له.

* * *

(١) ﴿ثمّ كان عاقبة الّذين أساؤوا...﴾ الروم: ١٠.

(٢) أُصول الكافي ٢: ٣٩٩، باب الشكّ، ح ٣، فيه تسعة أحاديث ومنها الثلاثة، وللحر فيها الكفاية، وإلّا فلا يكفيه شيء.

٣٧٩
ليس لك في الخروج معهم خيرة

خرج عن الناحية المحفوفة بالأنوار المنع من خروج اليماني مع القافلة اليمانيّة إلى الحجّ من قصّة له رواها الشيخ الكليني قال:

عليّ عن عليّ بن الحسين اليماني، قال: كنت ببغداد فتهيّأت قافلة لليمانيّين، فأردت الخروج معها، فكتبت ألتمس الإذن في ذلك، فخرج: لا تخرج فليس لك في الخروج معهم خيرة، وأقم بالكوفة، قال: وأقمت وخرجت القافلة، فخرجت عليهم حنظلة[1] فاجتاحتهم، وكتبت أستأذن في ركوب الماء فلم يؤذن لي، فسألت عن المراكب الّتي خرجت في تلك السنة في البحر؟ فما سلم منها مركب، خرج عليها قوم من الهند يقال لهم البراح[2] فقطعوا عليها، قال: وزرت العسكر، فأتيت الدرب مع المغيب، ولم أكلّم أحداً، ولم أتعرّف إلى أحد وأنا أصلّي في المسجد بعد فراغي من الزيارة، وإذا أنا بخادم قد جاءني فقال لي: قم، فقلت له: إذن إلى أين؟ فقال لي: إلى المنزل، قلت: ومن أنا؟ لعلك أُرسلت إلى غيري، فقال: لا، ما أُرسلت إلّا إليك، أنت عليّ بن الحسين رسول جعفر بن إبراهيم، فمرّ بي حتّى أنزلني في بيت الحسين ابن أحمد، ثم سارّه، فلم أدر ما قال له، حتّى أتاني جميع ما أحتاج إليه، وجلست عنده ثلاثة أيّام واستأذنته في الزيارة من داخل فأذن لي فزرت ليلاً[3].

---

(١) قبيلة من بني تميم.

(٢) البوارح: الشدائد والدواهي.

(٣) أُصول الكافي ١: ٥١٩ ـ ٥٢٠ ح ١٢.

من قصّة اليماني وغيره يعلم أنّ المراد بقوله ﷺ في كتابه إلى الشيخ المفيد الأوّل الصادر في سنة عشر وأربعمائة: «ولنا في تيسير حجّهم على الاختيار منهم والوفاق شأن يظهر على نظام واتّساق»[(١)].

وربّما كان المنع عن حجّ أشخاص من الشيعة ابتداءً؛ لعلمه روحي فداه بما يلقون في طريق الحجّ من حوادث لا تحمد عواقبها، وخذ لذلك من قصّة اليماني مثالاً يجسّد لك الأمر، ويعطيك صورة واضحة، ومنها قصّة رواها الكليني أيضاً قال: عليّ بن محمّد عن أبي عبد الله بن صالح قال: [كنت] خرجت سنة من السنين من بغداد، فاستأذنت في الخروج فلم يؤذن لي، فأقمت اثنين وعشرين يوماً، وقد خرجت القافلة إلى النهروان، فأذن في الخروج لي يوم الأربعاء، وقيل لي: أُخرج فيه، فخرجت وأنا آيس من القافلة أن ألحقها، فوافيت النهروان والقافلة مقيمة، فما كان إلّا أن علفت جمالي شيئاً حتّى رحلت القافلة، فرحلت وقد دعا لي بالسلامة فلم ألحق سوءاً والحمد لله[(٢)]، وتيسيرهم من نعم الله والحمد لله.

* * *

---

(١) الاحتجاج ٢: ٣٢٣، رقم المختار ٢٢٠.

(٢) أُصول الكافي ١: ٥١٩ ح ١٠. فلو رمنا ثبت ما جاء فيه خرجنا عن موضوع الكتاب.

٣٨٠
ليس لنا فيها حقّ اجعلها في الموضع الّذي نويت

من رواية العجوز الّتي أسكنها الإمام أبو محمّد العسكري في مكّة في دار الرضا عليّ بن موسى عليهما السلام، من قصّة يعقوب بن يوسف الضراب الغسّاني السابقة الذكر عند «لا تخاشن أصحابك وشركاءك»[١]، وعند «صلّ عليهم كلّهم...»[٢]، وهي قصّة طويلة عجيبة لم نأت عليها عن آخرها، وفي العنوانين أكثرها، ولربط المختار نذكر شيئاً منها ولابدّ من الرجوع إلى المختارين ليظهر لك الغرض من الرواية الّتي رواها الشيخ الطوسي قال الضراب الغسّاني:

فأخذت عشرة دراهم صحاحاً، فيها ستّة رضويّة من ضرب الرضا عليه السلام، قد كنت خبّأتها لاُلقيها في مقام إبراهيم عليه السلام، وكنت نذرت ونويت ذلك، فدفعتها إليها[٣] وقلت في نفسي: ادفعها إلى قوم من ولد فاطمة عليها السلام، وكان في نيّتي أنّ الّذي رأيته هو الرجل، وإنّما تدفعها إليه فأخذت[٤] الدراهم وصعدت وبقيت ساعة، ثمّ نزلت فقالت يقول لك:

«ليس لنا فيها حقّ، اجعلها في الموضع الّذي نويت، ولكن هذه الرضويّة خُذ منّا بدلها، وألقها في الموضع الّذي نويت».

ففعلت، وقلت في نفسي: الذي أمرت به ـ أي العجوز ـ عن الرجل، ثمّ كان معي

---

(١) رقمه ٣٢٠.
(٢) رقمه ٢٢٩.
(٣) أي العجوز.
(٤) أي العجوز.

نسخة توقيع خرج إلى القاسم بن العلاء بآذربيجان، فقلت لها: تعرضين هذه النسخة...[١].

أقول:

أهمّ ما في أمثال هذه القصّة إخبار الإمام عليه السلام بالمغيّب عن أبصار أصحاب القصص فيزيدهم إيمانا بالله وحججه عليهم السلام. وقد سمعت مراراً أنّ الشيعة بعد مضيّ الحسن العسكري عليه السلام تغيّرت أحوالهم لكثرة الشكوك من قبل أرباب البدع والمدّعين بما لم يجعل الله لهم فيه نصيباً وأضف إلى ذلك السلطة الظالمة وطواغيت الدهر الّذين ينتهزون الفرص للقضاء على الأئمّة والبقيّة الباقية خاصّة الّتي وقعت الغيبة من أجلها وعلى الإسلام والمسلمين عامّة، إلّا الثابتين على الحقّ المتمسّكين بأهل البيت عليهم السلام، وهم في كلّ الأزمان قليلون، اللّهمّ اجعلنا منهم، فالّذي ينفع الغسّاني من سفره إلى مكّة ثمّ ملاقاته العجوز الّتي جاء في وصفها أنّها تكون للحجّة المنتظر كما كانت للعسكري أبيه عليهما السلام، المصرّح به في القصّة نفسها هو ما أومأنا إليه، وهكذا غيره ممّن عجّلت له السعادة بيمن الرؤية المذكور في هذا الكتاب وأمثاله.

* * *

---

(١) الغيبة: ١٦٥ ـ ١٧٠، فصل ما روي من الأخبار المتضمّنة لمن رآه عليه السلام وهو لا يعرفه أو عرفه فيما بعد.

٣٨١
ليس هذا أوان ظهوري

المختار من قصّة النخالي العطّار السابقة الذكر عند «آتي مكّة فأكون في المسجد الحرام»[١]. رواها الشيخ الطوسي عن جماعة تعرّضنا لها بتفصيل هناك ولربط الكلمة المختارة بها كما يلي:

«فقلت له: يا سيدي! متى تظهر؟ فقال: ليس هذا أوان ظهوري، وقد بقي مدّة من الزمان...»[٢].

لو لم تراجع القصّة عن آخرها لم تظهر لك الغاية من سردها، ولا نعيدها مخافة التكرار، والأجدر ذكر ما للظهور بما يسع المقام أو الإشارة إليه، وقد سبق الكلام حول الوقت والحظر عن التوقيت مشبعاً عند «كذب الوقّاتون»[٣] وأنّ مثله مثل الساعة لا يجلّيها لوقتها إلّا هو، من الأمثال النبويّة[٤] قد مرّ في غضون الأبحاث في هذا الصدد، وقد نصّت النصوص بأنّ أمام الخروج لابدّ من علامات ووقائع تقع، وعمدتها الصيحة وخروج السفياني، كما عن الإمام المهديّ عليه السلام في توقيعه إلى عليّ ابن محمّد السمري:

وسيأتي لشيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج

---

(١) رقمه ٤.
(٢) الغيبة: ١٨٣، فصل ظهور المعجزات.
(٣) رقمه ٣٠٢.
(٤) الأمثال النبويّة ٢: ٢٤١، الرقم ٥٤١.

السفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر...»[١]. والعلائم خمس منها الاثنتان المذكورتان فيه. أمّا موضوع تكذيب مدّعي المشاهدة فقد أشبعنا الكلام فيه.

وفي رواية غيبة الطوسي: «إنّ دولة أهل بيت نبيّكم في آخر الزمان، ولها أمارات فإذا رأيتهم فالزموا الأرض، وكفّوا حتّى يجيء أماراتها، فإذا استثارت عليكم الروم والترك، وجهّزت الجيوش، ومات خليفتكم الّذي يجمع الأموال، واستخلف بعده رجل صحيح فيخلع بعد سنين من بيعته، ويأتي هلاك ملكهم من حيث بدأ، ويتخالف الترك والروم، وتكثر الحروب في الأرض، وينادي منادٍ من سور دمشق: ويلٌ لأهل الأرض من شرّ قد اقترب....، ويظهر ثلاثة نفر بالشام كلّهم يطلب الملك: رجل أبقع، ورجل أصهب، ورجل من أهل بيت أبي سفيان، يخرج في كلب، ويحضر الناس بدمشق، ويخرج أهل الغرب إلى مصر، فإذا دخلوا فتلك أمارة السفياني، ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمّد عليهم السلام، وتنزل الترك الحيرة، وتنزل الروم فلسطين، ويسبق عبدُ الله عبدَ الله، حتّى يلتقي جنودهما بقرقيسا على النهر، ويكون قتال عظيم، ويسير صاحب المغرب فيقتل الرجال ويسبي النساء، ثمّ يرجع في قيس، حتّى ينزل الجزيرة السفياني، فيسبقَ اليماني، ويحوز السفياني ما جمعوا.

ثمّ يسير إلى الكوفة فيقتل أعوان آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ويقتل رجلاً من مسمّيهم، ثمّ يخرج المهديّ، على لوائه شعيب بن صالح...»[٢].

* * *

---

(١) إكمال الدين ٢: ٥١٦ الباب ٤٥ ح ٤٤، الغيبة: ٢٤٣.

(٢) الغيبة ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

٣٨٢
ليس يخفى عليكم إن شاء الله تعالى

من تحف الطواف بالبيت الّتي أتحف بها الإمام عليه السلام جماعة، مادّيّة ومعنويّة برواية الطبري ما يلي:

روى عبد الله بن عليّ بن المطلق قال: حدّثني أبو الحسن محمّد بن عليّ السمري قال: حدّثني أبو الحسن المحمودي قال: حدّثني أبو عليّ محمّد بن أحمد المحمودي قال: حججت نيّفاً وعشرين سنة، وكنت في جميعها أتعلّق بأستار الكعبة، وأقف على الحطيم والحجر الأسود ومقام إبراهيم، وأديم الدعاء في هذا الموضع، وأقف بالمواقف، وأجعل جلّ دعائي أن يريني مولاي صاحب الزمان عليه السلام. فإنّني في بعض السنين قد وقفت بمكّة على أن أبتاع حاجة، ومعي غلام في يده مشربة حلج ملمّعة، فدفعت إلى الغلام الثمن وأخذت المشربة من يده، وتشاغل الغلام بمماكسة البيع، وأنا واقف أترقّب، إذ جذب ردائي جاذب، فحوّلت وجهي إليه، فرأيت رجلاً أُذعرت حين نظرت إليه هيبة له، فقال لي: تبيع المشربة؟ فلم أستطع ردّ الجواب، وغاب عن عيني فلم يلحقه بصري، فظننته مولاي؛ فإنّني يوم من الأيّام أُصلّي بباب الصفا بمكّة، فسجدت وجعلت مرفقي في صدري، فحرّكني برجله، فرفعت رأسي، فقال لي: افتح منكبك عن صدرك، ففتحت عيني فإذا الرجل الّذي سألني عن المشربة، ولحقني من هيبته ما حار بصري فغاب عن عيني، وأقمت على رجائي ويقيني، ومضت مدّة وأنا أحجّ وأُديم الدعاء في الموقف، فإنّني في آخر سنة جالس

في ظهر الكعبة، ومعي يمان بن الفتح بن دينار ومحمّد بن القاسم العلوي وعلّاف الكناني، ونحن نتحدّث إذا أنا برجل في الطواف، فأشرت بالنظر إليه، وقمت أسعى لأتبعه، فطاف حتّى إذا بلغ إلى الحجر رأى سائلاً واقفاً على الحجر، ويستحلف ويسأل الناس بالله عزّ وجلّ أن يُتصدّق عليه فإذا بالرجل قد طلع، فلمّا نظر إلى السائل انكبّ إلى الأرض، وأخذ منها شيئا ودفعه إلى السائل وجاز، فعدلت إلى السائل، فسألته عمّا وهب له، فأبى أن يعلمني، فوهبت له دينارا وقلت: أرني ما في يدك، ففتح يده فقدّرت أنّ فيها عشرين ديناراً، فوقع في قلبي اليقين أنّه مولاي عليه السلام.

رجعت إلى مجلسي الّذي كنت فيه، وعيني ممدودة إلى الطواف، حتّى إذا فرغ من طوافه عدل إلينا، فلحقنا له هيبة شديدة، وحارت أبصارنا جميعاً، قمنا إليه فجلس، فقلنا له: ممّن الرجل؟ فقال: من العرب، فقلت: من أيّ العرب؟ فقال: من بني هاشم، فقلنا: من أيّ بني هاشم؟ فقال: ليس يخفى عليكم إن شاء الله تعالى، ثمّ التفت إلى محمّد بن القاسم فقال: يا محمّد أنت على خير إن شاء الله...[1].

أقول:

يأتي ما يناسب القصّة عند كلمة «يا محمّد بن القاسم أنت على خير إن شاء الله»[2]، ومرّ ما يماثله في أكثر ألفاظه عند «أتدرون ما كان أبو عبد الله عليه السلام يقول؟»[3] إلّا المختار: «ليس يخفى عليكم إن شاء الله تعالى» برواية الصدوق؛ ومن ثمّ ذكرنا رواية الطبري الجارية الذكر حرصاً على ضبط ما ينسب صدوره عن الإمام عليه السلام.

ولعلّ المراد بكلمة «ليس يخفى عليكم إن شاء الله تعالى» إمّا برؤيا محمّد المحمودي رسول الله محمّداً صلى الله عليه وآله الّذي كان يطلب الغائب زمناً طويلاً ولاقاه

---

(١) دلائل الإمامة: ٢٩٤ ـ ٢٩٥، تبصرة الولي: ١٤٢.

(٢) رقمه ٤٨٢. (٣) رقمه ١٥.

ولم يعرفه، قال محمّد: ثمّ انصرفت إلى المزدلفة كئيباً حزيناً على فراقه، وبتّ في ليلتي تلك، فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا محمّد رأيت طلبتك، فقلت: ومن ذاك يا سيّدي؟ فقال: الّذي رأيته في عشيّتك فهو صاحب زمانكم[1]، أو بانتشار خبره بعد ذلك، ولا بدّ لمن أراد الإحاطة بالقصّة أن ينظر ما هنا وهناك، حتّى يظهر الفرق بين الروايتين، ومن البعيد أن تكون قصّتان.

كلمة «إن شاء الله»:

هل يراد بها التعليق على المشيئة كما تقتضيه الجملة الشرطية، أو هي للمتبرّك؟

الجواب: الأمران محتملان، ولا معيّن إلّا القرائن المحتفّة بالكلام، وكلام الإمام عليه السلام ظاهره التبرّك بها وليس معناه سلب المعنى الشرطي، فافهم ذلك إن شاء الله تعالى، وقد جاءت مصرّحة بالشرطيّة والتعليق في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[2]، وموبّخه في آية ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلاَ يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾[3].

والاستثناء هو قول «إن شاء الله» ، وكيف كان فالكلمة كلمة مباركة ينبغي أن لا يدعها المؤمن في كافة الأعمال والمزاولات التي يريدها، و ذكر الله حسن على كلّ حالٍ[4].

* * *

(١) دلائل الإمامة: ٣٠٠، إكمال الدين ٢: ٤٧١ ـ ٤٧٢، الباب ٤٣، ح ٢٤.

(٢) الكهف: ٢٣ ـ ٢٤.

(٣) القلم: ١٧ ـ ١٩.

(٤) الوسائل ١: ٢٢١، الباب ٨ من أبواب أحكام الخلوة، الحديث ٢، وهو من الأمثال السائرة على اللسان وسار به الركبان.

٣٨٣
ليعلموا أنّ الحقّ معنا وفينا

مختار من توقيع الإمام المهدي عليه السلام الخارج على يد العَمري الوالد والولد رحمهما الله، وعلى حد كلام الصدوق:

توقيع من صاحب الزمان عليه السلام، كان خرج إلى العَمري وابنه رضي الله عنهما، رواه سعد بن عبد الله[١]، ولربط المختار ما يلي:

«ولنعلموا أنّ الحقّ معنا وفينا، لا يقول ذلك سوانا إلّا كذّاب مفتر، ولا يدّعيه غيرنا إلّا ضالّ غوي، فليقتصروا منّا على هذه الجملة دون التفسير، ويقنعوا من ذلك بالتعريض دون التصريح إن شاء الله»[٢].

أقول:

إذا قوبل التعريض بالتصريح أُريد به الكناية الّتي هي أبلغ من التصريح، لا التفسير الآخر الّذي هو من أنواع الإيذاء ومسّ الكرامة المأخوذ من العَرْض لا العِرض، والإمام عليه السلام يريد الأوّل بأن يقتنعوا بالكناية بأنّ الحقّ لنا وإنّا على الحقّ، ولا يلزمونا إلى أن نصرّح بذلك، ولربّما فعلوه في مقام إحقاق الحقّ وهداية الضالّ وإرشاد الجاهل، ولا ينافي ذلك تواضعهم البالغ غايته، كما في التزكية؛ فإنّها قد تجب في مواقع الضرورة، ولا تصادم قولهم: (تزكية المرء نفسه قبيحة)[٣]، أو تعديد

---

(١) إكمال الدين ٢: ٥١٠، الباب ٤٥ توقيع من صاحب الزمان.
(٢) نفس المصدر ٥١١ الباب ٤٥ ح ٤٢. (٣) أمثال وحكم ١: ٥٤١.

النعمة الّتي قال تعالى فيها: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[١]. ومن ذلك قول مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام يخاطب معاوية الطاغية:

«ألا ترى ـ غير مخبر لك ولكن بنعمة الله أُحدّث ـ... حتّى إذا استشهد شهيدنا قيل سيّد الشهداء، وخصّه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه. أو لا ترى أنّ قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله، ولكلّ فضل حتّى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل الطيّار في الجنّة وذو الجناحين، ولولا ما نهى[٢] الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر ـ إشارة إلى نفسه عليه السلام ـ فضائل جمّة تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمجّها آذان السامعين...»[٣].

ولولا خوف الخروج عن الموضوع لجمعنا لك من هذا اللون الشيء الكثير، وإنّما هي الإشارة الّتي تكفيك؛ لأنّك حر تعرفها، والكناية الّتي صرّحنا بمواضعها.

وحديث «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ» اطلبه[٤] وعمّمه لباقي الأئمّة المعصومين عليهم السلام؛ لأنّ الفضيلة الثابتة لأوّلهم ثابتة لآخرهم إلّا الخصائص. فتفطّن إن شاء الله.

* * *

---

(١) الضحىٰ: ١١.

(٢) إشارة إلى آية ﴿فلا تزكّوا أنفسكم﴾ النجم: ٣٢.

(٣) مصادر نهج البلاغة ٣: ٢٦٧ ـ ٢٦٨، كتاب ٢٨.

(٤) الغدير ٣: ١٧٦، ٧: ١٧٧، ٨: ١٨٩، ١٠: ٤٨.

٣٨٤
ليقيموا على أصلهم الذي كانوا عليه

من التوقيع الخارج عن الناحية المقدّسة للعَمريّين طاب ثراهما، ردّاً على المتنازعين في الخلف والشاكّين فيه، ولربط المختار به ما يلي:

«فليدعوا عنهم اتّباع الهوى، وليقيموا على أصلهم الذي كانوا عليه، ولا يبحثوا عمّا ستر عنهم فيأثموا...»[1].

انتزعت عنه كلمات لا يخفى على مراجعها، ومنها الكلمة الأُولى فـ«ليدعوا...»[2]، و«لا يبحثوا...»[3] الأخيرة وغيرهما[4].

الأصل:

في اللغة والقرآن الكريم والحديث: والمصطلحات الفنيّة.

فالأصل في اللغة:

قال ابن منظور: الأصل أسفل كل شيء، وجمعه أُصول، لا يكسر على غير ذلك، يقال أصل مؤصّل، واستعمل ابن جنّي الأصليّة موضع التأصّل... وأصل الشيء صار ذا أصل، قال أُميّة الهذلي:

وما الشغل إلّا أنّني متهيّبٌ   لعرضك ما لم تجعل الشيء يأصُلُ

---

(١) إكمال الدين ٢: ٥١١، الباب ٤٥، ح ٤٢.

(٢) رقمه ٣٧٥.   (٣) رقمه ٣٤٩.

(٤) أُنظر المختار رقمه ٤٥، ٦٥، ١٦٨، ٢٥٩، ٢٩٧ وغيرها.

وكذلك تأصّل، ويقال: استأصلت هذه الشجرة أي ثبت أصلها، واستأصل الله بني فلان إذا لم يدع لهم أصلاً، واستأصله أي قلعه من أصله، وفي حديث الأُضحية أنّه نهى عن المستأصلة، هي التي أُخذ قرنها من أصله، وقيل هو من الأصيلة بمعنى الهلاك... واستأصل الله شأفته: هي قرحة تخرج بالقدم فتكوى فتذهب فدعا الله أن يذهب ذلك عنه... ويقال: إنّ النخل بأرضنا لأصيل: أي هو به لا يزال ولا يفنى، رجل أصيل: له أصل، ورأي أصيل: له أصل... ومجد أصيل أي ذو أصالة. والأصيل: العشي، والجمع... آصال وأصائل.... الأصل: الحسب والأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب، والأصلة: الحية القصيرة كالرئة حمراء، ليست بشديدة الخمرة لها رجل واحدة، تقوم وتساور الإنسان وتنفخ فلا تصيب شيئاً بنفختها إلّا أهلكته... وفي الحديث: في ذكر الدجّال: أعور جعد كأنّ رأسه أصلة بفتح الهمزة والصاد، قال ابن الأنباري: الأصلة الأفعى... فشبّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأس الدجّال بها لعظمه واستدارته، وفي الأصلة مع عظمها استدارة؛ وأنشد:

يا ربّ إن كان يزيد قد أكَلَ ... لحم الصديق عَلَلاً بَعد نَهَل

ودبّ بالشرّ دبيباً ونَسَل ... فاقدُر له أصَلَةً من الأصَل

كبساء كالقرصة أو خف الجَمَل ... لها سحيفٌ وفحيحٌ وزَجَل[1]

الأصل في القرآن الكريم:

قد جاء فيه من الأصل: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾[2].

و﴿كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ﴾[3]. ومن الأُصول الجمع قوله تعالى:

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا﴾[4].

---

(١) لسان العرب ١١: ١٦ ـ ١٧ ـ أصل ـ. (٢) الصافّات: ٦٤.
(٣) إبراهيم: ٢٤. (٤) الحشر: ٥.

ومن الأصيل:

﴿اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [١] وثلاثة أُخر.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [٢]، وآية ثانية مماثلة [٣].

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [٤].

ومن الآصال جمع الأصيل:

﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ [٥].

﴿طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ [٦].

﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ [٧].

وتلك عشرة كاملة من كلمات الأصل وما اشتقّ عنه في القرآن الكريم، وأمّا بمعناها فهو قوله تعالى: الفطرة: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾ [٨]. ـ أي أصل الخلقة ـ.

ففي التوحيد روى الصدوق عدّة صحاح في تفسيرها به: منها صحيح زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله قول الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾؟ قال: فطرهم على التوحيد عند الميثاق على معرفته أنّه ربّهم، قلت: وخاطبوه؟ قال: فطأطأ رأسه، قال: لولا ذلك لم يعلموا من ربّهم، ولا من رازقهم [٩].

الأصل في الحديث:

قد ورد في كتاب الوسائل الأصل والأُصول بكثرة، وحدِّث ولا حرج: نذكر

---

(١) الفرقان: ٥. (٢) الأحزاب: ٤٢. (٣) الفتح: ٩.

(٤) الإنسان: ٢٥. (٥) الأعراف: ٢٠٥. (٦) الرعد: ١٥.

(٧) النور: ٣٦. (٨) الروم: ٣٠.

(٩) التوحيد للصدوق: ٣٣٠، وفيه عشرة أحاديث.

منها نبذاً.

١ ـ في الصادقي: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل في كتاب الله، ولكن لا تبلغه عقول الرجال»[١].

٢ ـ وآخر: «ما أحد أحبّ إليّ منكم؛ إنّ الناس سلكوا سُبُلاً شتّى، منهم من أخذ بهواه، ومنهم من أخذ برأيه، وإنّكم أخذتم بأمر له أصل»[٢].

٣ ـ و آخر: «إنّ أصل حمام الحرم بقيّة حمام كانت لإسماعيل بن إبراهيم اتّخذها...»[٣].

٤ ـ وآخر: «نحن أصل كلّ خير، ومن فروعنا كلّ برّ، وعدوّنا أصل كلّ شرّ، ومن فروعهم كلّ قبيح وفاحشة...»[٤].

٥ ـ وآخر: «أصل الفرائض من ستّة أسهم لا تزيد على ذلك، ولا تعول عليها...»[٥].

٦ ـ وآخر: «ما تقول في رجل قتل جرادة وهو محرم؟ قال: تمرة خير من جرادة، وهي من البحر، وكلّ شيء... من البحر ويكون في البرّ والبحر...»[٦].

٧ ـ عن الإمام المهديّ عليه السلام: «ربّ مشهور لا أصل له»[٧].

٨ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّما علينا أن نلقي إليكم الأُصول وعليكم أن تفرّعوا»[٨].

---

(١) الوسائل ١٧: ٥٨١، الباب ٤ من أبواب ميراث الخنثى ح ٣.
(٢) الوسائل ١٨: ٣١، الباب ٦ من أبواب صفات القاضي ح ٣١.
(٣) الوسائل ٨: ٣٧٦، الباب ٣١ من أبواب أحكام الدواب ح ٢.
(٤) الوسائل ١٨: ٤٧، الباب ٧ من أبواب صفات القاضي ح ٢٤.
(٥) الوسائل ١٧: ٤٢٣، الباب ٦ من أبواب موجبات الإرث ح ٨.
(٦) الوسائل ٩: ٢٣٢، الباب ٣٧ من أبواب كفّارات الصيد ح ١.
(٧) المختار رقمه ١٨٥.
(٨) الوسائل ١٨: ٤١، الباب ٦ من أبواب صفات القاضي ح ٥١.

٩ ـ عن الرضا ﷺ: «علينا إلقاء الأُصول وعليكم التفريع»(١).

١٠ ـ عن الجواد ﷺ: «إنّهم أخطأوا فيه السنة؛ فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أُصول الأصابع فيترك الكفّ، قال: لِمَ؟ قال: لقول رسول الله ﷺ: السجود على سبعة أعضاء...»(٢).

وهذه عشرة كاملة لمن أراد عثوراً على أُصول الأحاديث شيئاً يسيراً.

الأصل في المصطلحات الفنيّة:

لكلّ علم أو فنّ أصل مصطلح عند أربابه، يعبّرون بالأصل عن قانون من قوانينه، فالقانون والأصل عندهم شرع سواء، ويريدون به ما يتشعّب عنه فروعه.

ففي علم الأُصول: الّذي يبحث فيه عما تقع النتيجة في طريق استخراج أحكام الفقه عن أدلّتها، وعندنا هو ما يحصل به الحجّة في طريقه، كأصالة العموم، وأصالة الإطلاق، وأصالة الأمر في الوجوب، وأصالة النهي في التجريم، وأصالة الاشتغال.

وفي علم الفقه: أصالة الطهارة، وأصالة الحلّيّة، وأصالة عدم تذكية الحيوان المشكوكة تذكيته، وأصالة حمل فعل المسلم على الصحة، وأصالة حرمة الإضرار.

وفي علم الحساب: الّذي موضوعه العدد، أصل العدد واحد، كما جاء ذلك في كلام الرضا ﷺ: «... لأنّ أصل الصلاة إنّما هي ركعة واحدة؛ لأنّ أصل العدد واحد، فإذا نقصت من واحد فليست هي صلاة، فعلم الله عزّ وجلّ أنّ العباد لا يؤدّون تلك الركعة الواحدة الّتي لا صلاة أقلّ منها بكمالها وتمامها والإقبال عليها فقرن إليها ركعة أُخرى ليتمّ بالثانية ما نقص من الأُولى...»(٣).

إنّما الشاهد في «لأنّ أصل العدد واحد»، فالقواعد الحسابيّة هي أُصول

---

(١) المصدر، الحديث ٥٢.

(٢) الوسائل ١٨: ٤٩٠، الباب ٤ من أبواب حدّ السرقة، ح ٥.

(٣) الوسائل ٣: ٣٨، الباب ١٣ من أبواب اعداد الفرائض، ح ٢٢.

الحساب وهكذا.

والمراد بالأصل في التوقيع: الاعتقاد بالأئمّة عليهم السلام والثبات عليه دائماً ففي الصادقي: «كيف أنتم إذا بقيتم دهراً من عمركم لا تعرفون إمامكم؟ قيل له: فإذا كان ذلك فكيف نصنع؟ قال: تمسّكوا بالأمر الأوّل حتّى يستبين لكم»[1].

* * *

تمّ الجزء الثاني إلى آخر باب اللام، ويليه الجزء الثالث من أوّل باب الميم، ولله الحمد وحده.

---

(١) إكمال الدين ٢: ٣٤٨، الباب ٣٣، ح ٣٨.

فهرس كلمات المختارة

«غ»

«ف»

«ق»

«ك»

«ل»